صحيح مسلم

بين القداسة والموضوعية

محمد جواد خليل

الجزء الأول

مؤسسة البلاغ
بيروت - لبنان

صحيح مسلم
بين القداسة والموضوعية

صحيح مسلم
بين القداسة والموضوعية

محمد جواد خليل

الجزء الأوّل

مؤسسة البلاغ
بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع

بئر العبد - مدخل مدرسة حارة حريك الرسمية الثانية - بناية فوعاني - الطابق الأول
ص.ب: ١١-٧٩٥٢ بيروت ١١٠٧-٢٢٥٠ - هاتف: (٠٣/٥١٤٩٠٥) - تلفاكس: ٠١/٥٥٣١١٩ لبنان
الموقع الإلكتروني: www.albalagh-est.com
E-mail : Albalagh-est@hotmail.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

هذا هو الكتاب الثاني الذي يعتمد عليه أهل العامة والذي يأتي من حيث المرتبة بعد صحيح البخاري مباشرة، وهو صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري، وقد سمي بالصحيح لأن كل ما فيه صحيح، والصحيح أن هذا الصحيح إلى التصحيح أحوج.. نعم، لقد أصبح المسلمون اليوم بحاجة ماسة إلى الاعتراف بعدم صحة جميع ما في الصحيحين ـ البخاري ومسلم ـ ويجب فك القيود والأغلال عن أفكار من يقول بأن كل ما في الصحيحين صحيح، ويجب إزالة الصدأ الذي ران على قلوب هؤلاء المتمسكين بالتراث ليس إلا، ومن دون تمحيص وتنقيب لتلك الأحاديث التي وردت في الصحيحين والتي تتناقض مع كتاب الله عَزَّوَجَلَّ والعلم والعقل، وهذه الأحاديث تشوه الإسلام وتفتح علينا أبواباً كثيرة من قبل الأعداء، فنقول لمن تشبث بالماضي وكرر قول السلف وكأنه ببغاء: اترك ما أنت عليه وكن قوياً وشجاعاً وقل الحق ولا تخف لومة لائم، فلا صحة لجميع ما في الصحيحين، فالقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي حفظه الله تعالى من الزيادة والنقصان أو التحريف على الأصح.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر:٩.

فالعقل لا يرفض كل ما وصل إلينا، وإنما يقوم بعملية التنقيب والتمحيص، فيفرز الصحيح من السقيم، وإلا فما فائدة العقل ما دمنا ننقاد لقول السلف، سواء كانوا مصيبين أو مخطئين، ومن دون فرز أقوالهم.

واعلم أخي القارئ، أن صحيح مسلم الذي نحن بصدده فيه من الأحاديث المتناقضة والموضوعة المختلقة الكثير، فبعض الأحاديث لا تشد بعضها بعضاً وكذلك الآيات القرآنية لا تسند الحديث، بل تتضارب معه، يقول الدكتور أحمد شوقي الفنجري: خمسة آلاف حديث في البخاري ومسلم تتناقض مع القرآن والعلم والعقل!!

ويقول أيضاً: رضاع الكبير يتعارض مع آيات قاطعة في القرآن ومطعون في صحته، و... عائشة بريئة منه[1].

أقول:

إن أهل العامة يظنون أنهم هم الوحيدون المتمسكون بالكتاب والسنة الصحيحة، وينكرون على غيرهم ويشنعون عليهم بأنهم من أهل البدع والزندقة لا بل ويكفرونهم ويستهزئون بعقائدهم، وقالوا بأنهم هم الفرقة الوحيدة الناجية يوم القيامة، أما بقية الفرق فقد انحرفت عن جادة الحق، ولكن أخي الكريم عند قراءتك لكتبهم المعتبرة ومنها صحيح البخاري ومسلم ترى خلاف ذلك، أي أن العكس هو الصحيح، وسوف تظن أن بين يديك وما تقرأ فيه هو الإنجيل المحرَّف أو التوراة، لأن فيه من الأحاديث المتضاربة والمتناقضة مع القرآن الكثير، لا بل سوف تقرأ حديثاً يناقض حديثاً آخر، وفي نفس الكتاب والباب، وسوف تلاحظ أيضاً اعتقادهم في الله تعالى وقولهم بالتجسيم والحط من قدر وشأن الأنبياء والملائكة، والاستهزاء بهم، وعلى رأس هؤلاء نبينا الأعظم ﷺ!

نعم.. الحط من قدر وشأن هذا النبي! لماذا؟! لرفع رصيد وادعاء منقبة لصحابي سجد للأوثان أكثر من نصف عمره!! فعلى حساب النبي زعموا وادعوا الفضائل لهذا الصحابي العدل! في حين أنهم قد طعنوا في شخص النبي الأكرم كما ذكرنا!!

---

(١) روز اليوسف٦/١٠/٢٠٠٦م، العدد ٤٠٨٦، ص٤٦ـ٤٧، وهذا القول ذكره الألباني فقال: عدد الأحاديث الضعيفة والموضوعة قد بلغ عنده خمسة آلاف حديث في الكتب الصحاح، ومنها البخاري ومسلم.

ومن الذين أنكروا ما ورد في البخاري من المفتريات والخزعبلات، الأستاذ عبدالوارث كبير، حيث قال: ليس كل ما في صحيح البخاري صحيحاً وليست هذه الأحاديث مفتراة فحسب، بل منكرة[1]!

وبعد أن يذكر الأحاديث المنكرة والموضوعة المختلقة يقول:

نطالب بتنقية كتب التفسير والحديث من تلك الخزعبلات والمفتريات[2].

بعدما ذكر الأستاذ عبدالوارث ذلك، قامت القيامة عليه من مشايخ الأزهر، فأعدوا العدة له وتصدوا للدفاع عن البخاري وصحيحه، وبعد الاتفاق فيما بينهم واجتماع كلمتهم قالوا:

إن البخاري إمام المحدثين، وأين نحن منه حتى ننتقده، وإن كل ما في البخاري صحيح[3]!!

لاحظ أن هؤلاء المشايخ لم ولن يقبلوا القدح في الصحيح ولا بصاحب الصحيح، وذلك لأنهم توارثوا هذا القول من أسلافهم، ومن الذين طعنوا في بعض روايات صحيح البخاري، الذهبي والخطابي أيضاً، فبعد أن وصل النبي الأكرم سدرة المنتهى ودنا من الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى[4]، يقول الذهبي: وهذا من غرائب الصحيح[5]!

ويقول الخطابي: ليس في هذا الكتاب ـ يعني صحيح البخاري ـ حديث أشنع ظاهراً ولا أشنع مذاقاً من هذا الفصل! فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر! وتمييز مكان كل واحد منهما[6]!!

الحاصل: لقد جمعنا في كتابنا هذا ما يقارب الألف حديث مع شرح وبيان ذلك، ثم

---

(١) مجلة العربي، العدد ٨٧، شهر فبراير ١٩٦٦م، ص١٣٩.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ١٤٠.

(٣) كل ما في البخاري صحيح، ص١٤٠، ط ١٣٨٦هـ، جمعية الاصلاح الاجتماعي، الكويت.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾.

(٥) ميزان الاعتدال، ج٢، ص٢٧٠، ترجمة ٣٦٩٦، ط١/١٣٨٢هـ، دار إحياء الكتب العربية.

(٦) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج١٣، ص٥٨٦، حديث ٧٥١٧.

قمنا بالتعليق على الحديث وحاولنا في تعليقنا أن نرد على الحديث من كتب أهل العامة قدر المستطاع، أي من فمك أدينك، وحاولنا أيضاً إظهار ما كان خافياً على القارئ، وقد أبدينا برأينا الشخصي في بعض الأحاديث التي جاء ذكرها في كتب الفريقين، وقد رتبنا كتابنا هذا من حيث الكتب والأبواب كما هي في أصل صحيح مسلم، أي من دون تقديم أو تأخير حديث على آخر، ويعتبر كتابنا هذا هو مختصر لصحيح مسلم، واقتصرنا على الأحاديث التي يجب التوقف عندها، ومن تلك الأحاديث ما فيها نظر وعليها علامات استفهام، ومنها ما يصطدم مع العقل السليم ويتعارض مع القرآن والعلم، إلى آخر ما هنالك من أحاديث منكرة، وموضوعة مختلقة.

وقد جمعنا هذه الأحاديث التي يحتاج إليها الباحث، وحاولنا أن نجعل ذلك سهلاً ميسراً للتناول، وقد اعتمدنا على صحيح مسلم المطبوع في بيروت، دار الفكر العربي، واعتمدنا أيضاً على شرح النووي والأُبّي صاحب «إكمال إكمال المعلم «والقرطبي في شرحه «المفهم» والعثماني في كتابه «فتح الملهم» والأستاذ الدكتور لاشين في شرحه «فتح المنعم»، وقمنا بالتعليق على الأحاديث بشكل مختصر وقمنا بترقيم الأحاديث من قبلنا كي يسهل على القارئ مراجعة ذلك، وإن كان قد فاتني حديث مهم فأرجو المعذرة من القارئ.

وأخيراً: أقول: إن الشيعي دائماً وأبداً مهاجم من أهل العامة، فمنذ ألف وأربعمائة سنة والحال هكذا، وكأنه قد كتب على جبين الشيعي أن يظل دائماً يدافع ويرد على أسئلة أهل العامة، فمثلاً يسألك أحدهم: أنتم تقولون بالمتعة، أجب! أنتم تسجدون على التربة، لماذا! أنتم لا تتكتفون حال الصلاة، أجب وبسرعة! وهكذا...!

لذا نحن غيرنا الأسلوب في كتابنا هذا، كما الحال في كتابنا الذي قبله «كشف المتواري في صحيح البخاري» وأوردنا فيه ما يقارب الألف حديث أيضاً، فلو أردنا أن نسأل أهل العامة عن الألف حديث كما ذكرنا ذلك في كتابنا هذا، وفي كل يوم نسأله سؤالاً واحداً، فإنه بحاجة إلى الإجابة مدة أكثر من ثلاث سنوات، ولا تنس أخي القارئ أن بعض الإجابات تفتح لك فروعاً من الأسئلة أيضاً، أي أنهم بحاجة إلى الإجابة على ما ورد في هذا الكتاب إلى أكثر من ثلاث سنوات، فأنت يا أخي مذهبك مذهب حق،

والأئمة عليهم السلام علموك كيف تناقش كما كان الأئمة عليهم السلام يشدون على يد هشام بن الحكم ومحمد بن النعمان المعروف بمؤمن الطاق وغيرهم في إجاباتهم للمخالفين، وكذلك لديك الأدلة الكثيرة والمقنعة والتي تفحم الخصم، فلماذا الركون في الزوايا واستقبالك لأسئلة أهل العامة ومحاولة الدفاع فقط؟

هذا وبالله التوفيق وباسمه تعالى نفتتح ونبدأ:

ترجمة مسلم صاحب الصحيح

مسلم بن الحجاج بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري، ولد سنة أربع ومائتين، وحج في سنة عشرين وهو أمرد، فسمع بمكة من القعنبي، فهو أكبر شيخ له[1].

الحسين بن منصور يقول: سمعت إسحاق بن راهويه ذكر مسلماً فقال بالفارسية كلاماً معناه أي رجل يكون هذا[2]!

وقد ذكر الخبر الخطيب البغدادي فقال: إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ـ وذكر مسلم بن الحجاج ـ فقال: «مردا كابن بوذ»، قال المنكدري وتفسيره: أي رجل كان هذا[3].

وعقد لمسلم مجلس الذاكرة، فذكر حديثاً لم يعرفه، فانصرف إلى منزله وأوقد السراج وقال لمن في الدار لا يدخل أحد منكم، فقيل له: أهديت لنا سلة تمر، فقال: قدموها، فقدموها إليه، فكان يطلب الحديث، ويأخذ تمرة تمرة، فأصبح وقد فني التمر، ووجد الحديث[4].

---

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج١٢، ص٥٥٨، ترجمة ٢١٧.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٥٦٤.

(٣) ج١٣، ص١٠٢، ترجمة٧٠٨٩.

(٤) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج١٢، ص٥٦٤.

رواها أبو عبدالله الحاكم ثم قال: زادني الثقة من أصحابنا أنه منها مات[1].

وقال الذهبي: وقال عبدالرحمن بن أبي حاتم، كان مسلم ثقة من الحفاظ، كتبت عنه بالري وسئل أبي عنه فقال: صدوق.

قال أبو قريش الحافظ: سمعت محمد بن بشار يقول: حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، ومسلم بنيسابور، وعبدالله الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببخارى.

وقال الحسين بن محمد الماسرجسي: سمعت أبي يقول: سمعت مسلماً يقول: صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة[2].

قال الحافظ بن مَنده: سمعت أبا علي النيسابوري الحافظ يقول: ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم[3].

وفي تهذيب الكمال للمزي: أبو سعيد بن يعقوب يقول: رأيت فيما يرى النائم، كأن أبا علي الزغوري يمضي في شارع الحيرة (حيرة نيسابور) وفي يده جزء من كتاب مسلم - يعني ابن الحجاج - فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: نجوت بهذا، وأشار إلى ذلك الجزء[4].

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب: حصل لمسلم في كتابه حظ عظيم مفرط، لم يحصل لأحد مثله، بحيث إن بعض الناس كان يفضله على صحيح محمد بن إسماعيل، وذلك لما اختص به من جمع الطرق، وجودة السياق والمحافظة على أداء الألفاظ كما هي من غير تقطيع ولا رواية بمعنى، وقال... النووي: اتفق العلماء... على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز، الصحيحان، البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري، ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث، وهذا الذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري هو المذهب المختار الذي قاله الجماهير وأهل الإتقان والحذق والغوص

---

(١) نفس المصدر السابق، وتاريخ بغداد، ج١٣، ص١٠٣، ترجمة٧٠٨٩.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٥٦٥.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٥٦٦.

(٤) ج٢٧، ص٥٠٦، ترجمة٥٩٢٣.

على أسرار الحديث، وقال أبو علي الحسين بن علي النيسابوري الحافظ شيخ الحاكم أبي عبدالله بن البَيِّع: كتاب مسلم أصح، ووافقه بعض شيوخ المغرب، والصحيح الأول.

وقد قرر الإمام الحافظ الفقيه النظار أبو بكر الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «المدخل «ترجيح كتاب البخاري، وروينا عن الإمام أبي عبدالرحمن النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب البخاري.

قلت ـ القائل النووي ـ ومن أخصر ما ترجح به، اتفاق العلماء أن البخاري أجل من مسلم، وأعلم بصناعة الحديث منه، وقد انتخب علمه عليه ولخص ما ارتضاه في هذا الكتاب، وبقي في تهذيبه وانتقائه ست عشرة سنة، وجمعه من ألوف مؤلفة من الأحاديث الصحيحة، ومما ترجح به كتاب البخاري أن مسلماً رَحِمَهُ اللَّهُ كان مذهبه، بل نقل الإجماع في أول صحيحه أن الإسناد المعنعن له حكم الموصول بسمعت بمجرد كون المعنعِن والمعنعَن عنه كان في عصر واحد، وإن لم يثبت اجتماعهما، والبخاري لا يحمله على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما، وهذا المذهب يرجح كتاب البخاري.

وقد انفرد مسلم بفائدة حسنة، وهي كونه أسهل متناولاً من حيث أنه جعل لكل حديث موضعاً واحداً يليق به، جمع فيه طرقه التي ارتضاها واختار ذكرها، وأورد فيه أسانيده المتعددة، وألفاظه المختلفة، فيسهل على الطالب النظر في وجوهه واستثمارها، ويحصل له الثقة بجميع ما أورده مسلم من طرقه بخلاف البخاري، فإنه يذكر تلك الوجوه المختلفة في أبواب متفرقة متباعدة، وكثير منها يذكره في غير بابه الذي يسبق إلى الفهم أنه أولى به، وذلك لدقيقة يفهمها البخاري منه، فيصعب على الطالب جمع طرقه وحصول الثقة بجميع ما ذكره البخاري من طرق هذا الحديث[1].

وقال الحاكم:... سمعت أبي يقول: رأيت مسلم بن الحجاج يحدث في خان محمش، فكان تام القامة، أبيض الرأس واللحية، يرخي طرف عمامته بين كتفيه[2].

وكان يظهر القول باللفظ، ولا يكتمه، قال أبو حامد الشرف: حضرت مجلس محمد بن يحيى وكان يقول: ألا من قال لفظي بالقرآن مخلوق فلا يحضر مجلسنا، فقام مسلم

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج١٢، ص٥٦٧، ترجمة ٢١٧، الهامش.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٥٧٠.

من المجلس[1].

وقال أبو عبدالله محمد بن يعقوب الحافظ: لما استوطن البخاري نيسابور وأكثر مسلم من الاختلاف إليه، فلما وقع بين محمد بن يحيى والبخاري ما وقع في مسألة اللفظ ونادى عليه ومنع الناس من الاختلاف إليه حتى هُجر وخرج من نيسابور في تلك المحنة، قطعه أكثر الناس غير مسلم، فإنه لم يتخلف عن زيارته فأُنهيَ إلى محمد بن يحيى أن مسلم بن الحجاج على مذهبه قديماً وحديثاً، وأنه عوتب على ذلك بالحجاز والعراق، وأنه لم يرجع عنه، فلما كان يوم مجلس محمد بن يحيى قال في آخر مجلسه: ألا من قال باللفظ فلا يحل أن يحضر مجلسنا، فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته وقام على رؤوس الناس وخرج من مجلسه وجمع كل ما كان كتب منه وبعث به على ظهر جمال إلى باب محمد بن يحيى فاستحكمت بذلك الوحشة بينهما وتخلف عن زيارته[2].

وقال الشافعي في كتابه التبيين لأسماء المدلسين: قال ابن منده كان يدلس ـ أي مسلم صاحب الصحيح ـ وكذلك نقل ابن حجر عن ابن منده[3].

وقال الذهبي: إن مسلماً لِحِدَّة في خُلقه انحرف أيضاً عن البخاري ولم يذكر له حديثا ولا سماه في صحيحه بل افتتح الكتاب بالحط على من اشترط اللُّقى لمن روى عنه بصيغة عن، وادعى الإجماع في أن المعاصرة كافية ولا يتوقف في ذلك على العلم بالتقاءهما ووبخ من اشترط ذلك[4].

وفي ترجمة البخاري أن مسلماً صاحب الصحيح كان كلما دخل عليه يقول له دعني أقبل رجليك يا طبيب الحديث في علله ويا سيد المحدثين[5].

---

(١) الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، المتوفى ٧٦٤هـ، ج٢٥، ص٢٨٦، ترجمة٣٤٨، ط١/١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٢٨٧.

(٣) التبيين لأسماء المدلسين لسبط ابن العجمي الشافعي، ص٥٥، ترجمة٧٤، ط١/١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٥٧٣، ترجمة ٢١٧.

(٥) صحيح البخاري، المجلد ١، ج١، ص٨، ترجمة البخاري.

وقد صنف مسلم صحيحه فجعله على هيئة كتب، ففي صحيحه ثمان وستون كتاباً، وفي كل كتاب أبواب، ومجموع ما في صحيحه من الأبواب ما يناهز الألف وثلاثمائة وسبع وعشرون باباً، وعدد أحاديثه سبعة آلاف ومائتين وخمس وسبعون حديثاً.

وقال الذهبي: عن مسلم قال ما وضعت في هذا المسند شيئاً إلا بحجة ولا أسقطت شيئاً منه إلا بحجة.

توفي مسلم في شهر رجب سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور عن بعض وخمسين سنة وقبره يزار[1].

ملاحظة مهمة يجب التنبيه عليها:

عند قراءتنا لبعض الكتب نلاحظ أن المؤلف عندما يذكر الحديث يقول في الهامش: راجع صحيح مسلم، ج٧، ص٨٠، أو يقول: راجع صحيح مسلم ج١، كتاب الإيمان، ص٣٠، أو يقول: راجع صحيح مسلم، ج١، ص٣٠، باب الإيمان ماهو، أو يقول: راجع صحيح مسلم، ج١، حديث رقم ٥٠، وهكذا...

أقول: إن كل تلك الطرق في الإرجاع خطأ، لأن القارئ عند مراجعته للمصدر فإنه لن يجد ذلك إلا بعد عناء ومشقة، وذلك لأن الطبعات تختلف، فلو راجع الجزء الأول ص٣٠، فلن يجد الحديث الذي استشهد به المؤلف، ومن المحتمل أيضاً أن يجده في صفحة ٧٠ مثلاً، فأقول وأحاول أن أختصر:

يجب عليك أن تتعامل مع صحيح مسلم كما تتعامل مع كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ولو أن البون شاسع بين كتاب الله وبين هذا الصحيح الذي هو إلى التصحيح أحوج كما ذكرنا، ولكن كما قيل: لا مناقشة في الأمثال، وقد ذكرنا ذلك لنقرب إلى القارئ ما نعنيه، فأقول:

أنت الآن عندما تستشهد بآية قرآنية ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ فتقول:

١. راجع القرآن الكريم،

٢. سورة آل عمران،

٣. آية رقم ٨.

---

(١) سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٥٨٠، ترجمة٢١٧.

وهكذا فيه الكفاية وهو الصحيح، وكذلك عندما تذكر الحديث وتستشهد به يكفيك أن تذكر الحديث أولاً، فمثلاً عن سالم عن أبيه سمع النبيﷺ رجلاً يعظ أخاه في الحياء فقال الحياء من الإيمان. فيجب عليك أن تقول:

١. راجع صحيح مسلم،

٢. كتاب الإيمان،

٣. باب بيان عدد شعب الإيمان. وهكذا فيه الكفاية وهو الصحيح أيضاً.

ولا بأس إن أردت إضافة الجزء والصفحة والطبعة على هذه النقاط الثلاث التي ذكرناها، فذلك نور على نور.

فيجب على المؤلف والباحث والمناظر أيضاً أن يذكر ما ذكرناه.

باب في التحذير من الكذب على رسول الله (ص)

١. حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة... عن ربعي بن حراش أنه سمع علياً ﷺ يخطب قال: قال رسول الله ﷺ: لا تكذبوا علي فإنه من يكذب علي يلج النار.

٢. وحدثني زهير بن حرب... عن أنس بن مالك أنه قال: إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن رسول الله ﷺ قال: من تعمد علي كذباً فليبتوأ مقعده من النار.

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم:

أما الكذب فهو عند المتكلمين من أصحابنا، الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عمداً كان أو سهواً، هذا مذهب أهل السنة[1].

ويقول: تعظيم تحريم الكذب عليه ﷺ وأنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة... حكى إمام الحرمين ـ أبي المعالي ـ عن والده ـ الشيخ أبو محمد الجويني ـ أنه كان يقول في درسه كثيراً: من كذب على رسول الله ﷺ عمداً كفر وأريق دمه[2].

ويقول النووي: أنه لا فرق في تحريك الكذب عليه ﷺ بين ما كان في الأحكام وما لا

(١) لمحي الدين يحيى بن شرف النووي، المتوفى ٦٧٦هـ، ج١، ص١٨٤، ط١، دار القلم، بيروت.

(٢) نفس المصدر السابق.

حكم فيه، كالترغيب والترهيب والمواعظ وغير ذلك فكله حرام من أكبر الكبائر وأقبح القبائح بإجماع المسلمين الذين يعتد بهم بالإجماع[1].

وجاء في شرح الأبي والسنوسي على صحيح مسلم:

وشرط فيه النظام وأتباعه من المعتزلة العمد وهو باطل، وإنما العمد شرط في حصول الإثم بالكذب لا في تسميته كذباً، وتقييد الكذب بالعمد في الحديث يرد على المعتزلة... ولا شك أن الكذب عمداً كله حرام[2].

ويقول القرطبي في كتابه وشرحه «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم»:

وصدر هذا الحديث نهي وعجزه وعيد شديد، وهو عام في كل كاذب على رسول الله ﷺ ومطلق في أنواع الكذب ولما كان كذلك هاب قوم من السلف الحديث عن رسول الله ﷺ كعمر والزبير بن العوام وأنس بن مالك وابن هرمز رضي الله عنهم أجمعين، فإن هؤلاء سمعوا كثيراً وحدثوا قليلاً قد صرح الزبير رضي الله عنه بذلك لما قال له ابنه عبدالله رضي الله عنه إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث فلان وفلان، فقال: أما إني لم أكن أفارقه ولكني سمعته يقول: من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار[3].

لقد حذر النبي الأكرم ﷺ أصحابه بذلك وأغلظ لهم القول وأوعدهم النار لعلمه بأن منهم من سوف يكذب عليه بعد رحيله وهذا ما كان وتحقق، لذا ترى بعض الصحابة كان لا يحدث عنه كثيراً، ومنهم من كان يجتنب الخوض في الحديث في حين أن البعض الآخر كان يسترسل في الحديث ويزيد على ما شاء ما يشاء ويقول كيفما شاء، إما إرضاء للحاكم أو تنقيصاً لأشخاص ليسوا على نهجه أو نهج ذلك الحاكم، وهذا ما سوف تقرأه في كتابنا هذا.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١٨٥.

(٢) لمحمد بن خليفة الوشتاني الأبي المتوفى ٨٢٨هـ، ومحمد بن محمد بن يوسف السنوسي المتوفى ٨٩٥، ج١، ص٤٢، ط١٤١٥/١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) المفهم لأحمد بن بن عمر القرطبي، المتوفى ٦٥٦هـ، ط١٤٢٠/٢هـ، دار ابن كثير، بيروت.

باب في الضعفاء والكذابين

أبو هريرة يراجع النص

٣... أبو هريرة يقول قال رسول الله ﷺ يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم.

قال السنوسي في شرحه «مكمل إكمال الإكمال»:

قوله (سيكون في آخر الزمان دجالون كذابون) قال ثعلب: كل كذاب فهو دجال، وقيل: إن الدجال هو المموه، يقال: دجل فلان، إذا موه، ودجل الحق بباطله، إذا غطاه[1].

٤.... عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: إن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآناً.

يقول الشيخ شبير أحمد العثماني في كتابه «موسوعة فتح الملهم مع التكملة»:

قوله (فتقرأ على الناس قرآناً): معناه تقرأ شيئاً ليس بقرآن، وتقول إنه قرآن لتغر به عوام الناس، فلا يغترون لحفظ الله سبحانه وتعالى القرآن عن الزيادة والنقصان.

ويقول: لم أجد إلى الآن في الآثار ما يؤيد مضمون هذا الأثر المروي عن عبدالله بن

---

(١) ج١، ص٤٨.

عمرو بن العاص ويوضح مراده[1].

أضيف على قول العثماني فأقول:

لم أجد الشرح الوافي لرواية عبدالله بن عمرو بن العاص التي نحن بصددها، وطالما أن هذه الشياطين تقرأ قرآناً فإنها أمة مسلمة، فلماذا أوثقها النبي سليمان عليه السلام؟!

(١) ج١، ص٣٤٣.

باب في أن الإسناد من الدين

٥. ... محمد بن سيرين قال إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

قال الشيخ شبير العثماني:

(فانظرو عمن تأخذون) أي: الدين، لا يؤخذ إلا من أوثمن على دينه.

قال الشيخ جلال الدين في «إسعاف المبطأ برجال الموطأ»:

قال معن بن عيسى: كان مالك يقول: لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك، لا يؤخذ من سفيه، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس وإن كان لا يهتم على أحاديث رسول الله ﷺ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث به[1].

على ضوء هذه الرواية يجب أن نتحرى عمن نأخذ الرواية، ويجب أن لا نأخذ إلا عن ثقة ضابط متقن يوثق بدينه ويعتمد عليه.

---

(١) فتح الملهم مع التكملة الكاملة، ج١، ص٣٤٨، ط١/١٤٢٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

باب الكشف عن معايب رواة الحديث

٦. الفضل بن سهل قال سألت معلى الرازي عن محمد بن سعيد الذي روى عنه عباد فأخبرني عن عيسى بن يونس قال كنت على بابه وسفيان عنده فلما خرج سألته عنه فأخبرني أنه كذاب.

٧. ... عن ابن المبارك قال بقيّة صدوق اللسان ولكنه يأخذ عمن أقبل وأدبر.

٨. ... عن الشعبي قال حدثني الحارث الأعور الهمداني وكان كذاباً.

٩. ... عن ابن عون قال قال لنا إبراهيم إياكم والمغيرة بن سعيد وأبا عبدالرحيم فإنهما كذابان.

١٠. ... عاصم قال كنا نأتي أبا عبدالرحمن السلمي ونحن غِلمة أيفاع فكان يقول لنا لا تجالسوا القصاص غير أبي الأحوص وإياكم وشقيقاً قال وكان شقيق هذا يرى رأي الخوارج وليس بأبي وائل.

١١. أبو غسان محمد بن عمرو الرازي قال سمعت جريراً يقول لقيت جابر بن يزيد الجعفي فلم أكتب عنه كان يؤمن بالرجعة.

في الرواية الأخيرة عابوا على جابر الجعفي أنه كان يؤمن بالرجعة فلم يكتبوا عنه.

قال الرازي في كتابه الجرح والتعديل:

أبا نعيم قال: سمعت سفيان يقول: إذا قال جابر حدثنا وأخبرنا فذاك.

عبدالرحمن بن مهدي يقول: سمعت سفيان الثوري يقول كان جابر ورعاً في الحديث ما رأيت أورع في الحديث من جابر.

شعبة يقول جابر الجعفي صدوق في الحديث.

يحيى بن أبي كثير قال كنا عند زهير بن معاوية فذكر جابراً الجعفي فقال زهير كان جابر إذا قال سمعت أو سألت فهو من أصدق الناس.

الطنافسي قال سمعت وكيعاً يقول مهما شككتم في شيء فلا تشكوا أن جابر بن يزيد أبا محمد الجعفي ثقة[1].

ويقول ابن عدي في ترجمة جابر الجعفي: قال سفيان الثوري لشعبة فإن تكلمت في جابر الجعفي لأتكلمن فيك.

قال شعبة: لا تنظروا إلى هؤلاء المجانين الذين يقعون في جابر، هل جاءكم من أحد لم يلقه.

عن شعبة أن جابراً لم يكن يكذب.

قال زهير: إذا قال جابر سألت وسمعت فلا عليك أن لا تسمع من غيره[2].

وفي تهذيب الكمال للمزي:

عن شعبة: ما رأيت أحداً أصدق من جابر إذا قال سمعت، وكان لا يكذب.

كان ابن عيينة من أشدهم قولاً فيه، وقد حدث عنه وإنما كانت عنده ثلاثة أحاديث، قلت: صح عنه بشيء أنه كان يؤمن بالرجعة، قال: لا، ولكنه من شيعة علي! وشعبة والثوري والناس يحدثون عنه.

وقال الميموني: سألت أحمد بن خراش عنه فقلت: كان يرى التشيع؟ قال: نعم.

---

(١) الجرح والتعديل لعبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، المتوفى ٣٢٧هـ، ج٢، ص٤٩٨، ترجمة ٢٠٤٣، ط١٣٧١/١هـ، الهند.

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال، لعبدالله بن عدي الجرجاني، المتوفى ٣٦٥هـ، ج٢، ص١١٨، ترجمة ٣٢٦، ط١٤٠٩/٣هـ، دار الفكر، بيروت.

وقالوا عنه: كان رافضياً... يغلو في التشيع... وكان سبئياً[1]!!

ويقول محقق كتاب تهذيب الكمال الدكتور بشار عواد:

ولا يشك أنه كان عالماً كبيراً وشعبة قد وثقه في الجملة. وقد قال الذهبي في الكاشف: من أكبر علماء الشيعة، وثقه شعبة. وقال زائدة: كان يشتم أصحاب النبي ﷺ[2].

وقد وثقه وحدث عنه الكثير منهم شعبة بن الحجاج ومجاهد ووكيع الرؤاسي وسفيان الثوري وشريك والحسن بن صالح وابن عيينة ومِسعَر وأهل الكوفة عامة وغيرهم.

وقد روى له أبو داود والترمذي وابن ماجة[3].

إذن، إن معظم ما اتهموه فيه أنه كان يتشيع، وكان يشتم أصحاب النبي الأكرم، لذا تركوه ولم يرووا عنه، فالسؤال يطرح نفسه:

لماذا روى مسلم صاحب الصحيح عن بهز بن أسد العمي البصري؟!

فإنه كان يتحامل على علي[4]! وقد حرف ذلك في الهامش! ووضع اسم عثمان بدلاً من علي!!

أليس الإمام علي عليه السلام من الصحابة؟!

ثم لماذا يروي مسلم عن إسحاق بن سويد بن هبيرة العدوي البصري؟!

هذا الذي كان يحمل على علي رضي الله عنه[5]! وقد وثقه العجلي في كتابه الثقات[6]!

وذكره أبو العرب في الضعفاء، فقال: من لم يحب الصحابة فليس بثقة ولا كرامة[7]!

ولماذا وثقوا زياد بن علاقة بن مالك الثعلبي؟! وروى عنه الجماعة ومنهم صاحب

---

(١) ج٤، ص٤٧٠، ترجمة ٨٧٩، ط١٤١٥/٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٤٧٠.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٤٧١.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، المتوفى ٨٥٢هـ، المقدمة، ص٥٢٦، حرف الباء، ط١٤١٩/١هـ، دار الحديث، القاهرة، تحقيق: عبدالعزيز بن باز ومحمد فؤاد عبدالباقي.

(٥) تهذيب الكمال للمزي، ج٢، ص٤٣٤، ترجمة ٣٥٧.

(٦) نفس المصدر السابق.

(٧) فتح الباري لابن حجر، المقدمة، ص٥٢٠، حرف الألف.

الصحيح مسلم الذي قال فيه الأزدي أنه كان منحرفاً عن بيت أهل النبي ﷺ[1]!!

ولماذا رووا عن حريز بن عثمان الشامي الحمصي؟!! الذي كان يشتم علياً وعلى مسمع من الملأ!

فقد جاء في كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لمحمد بن حبان البستي المتوفى ٣٥٤هـ:

إسماعيل بن عياش قال: خرجت مع حريز بن عثمان وكنت زميله فسمعته يقع في علي، فقلت مهلاً يا أبا عثمان! ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته. فقال: اسكت يا رأس الحمار لأضرب صدرك فألقيك من الجمل[2].

ويقول ابن الجوزي في حريز بن عثمان في كتابه الضعفاء والمتروكين:

لا تجوز الرواية عنه! كان يلعن علي بن أبي طالب الغداة سبعين مرة! وبالعشي سبعين مرة! ويقول: قتل آبائي وأجدادي!!

وذكر أبو الفتح الأزدي أن حريز بن عثمان روى أن النبي ﷺ لما أراد أن يركب بغلته جاء علي رضي الله عنه فحل حزام البلغة! حتى يقع رسول الله ﷺ!!

ومن هذه حالته لا يروى عنه شيء.

وقال أحمد: هو صحيح الحديث!! إلا أنه يحمل على علي عليه السلام[3].

ويقول المزي: حريز بن عثمان مع تثبته أنه كان سفيانياً!

وقال أحمد بن عبدالله العجلي: شامي ثقة! وكان يحمل على علي!!

وقال عمرو بن علي: كان ينتقص علياً وينال منه!!

وقال في موضع آخر: ثبت شديد التحامل على علي[4]!!

---

(١) تهذيب الكمال للمزي، ج٩، ص٥٠٠، ترجمة ٢٠٦١.

(٢) ج١، ص٢٦٩، ط١٤١٢هـ، دار المعرفة، بيروت.

(٣) الضعفاء والمتروكين لجمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، المتوفى ٥٩٧هـ، ج١، ص١٩٧، ترجمة ٧٩٤، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) تهذيب الكمال للمزي، ج٥، ص٥٧٤، ترجمة ١١٧٥.

يقول محقق كتاب تهذيب الكمال:

والله لا أدري كيف يكون ثبتاً من كان شديد التحامل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب!! نعوذ بك اللهم من المجازفة[1]!!

ويقول الموصلي: يتهمونه أنه كان ينتقص علياً، ويروون عنه، ويحتجون بحديثه! وما يتركونه!!

كان حريز يقول: لا أحب علياً! قتل آبائي! [و] كان يقول: لنا إمامنا ولكم إمامكم! يريد: لنا معاوية ولكم علي!!

ويقول محقق كتاب تهذيب الكمال: ولكن إمامه كان باغياً وقد أصاب علي في قتاله، وهذا أمر أجمع عليه فقهاء الحجاز والعراق من أهل الحديث والرأي، منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلمين والمسلمين[2].

وقال أحمد بن سعيد الدارمي عن أحمد بن سليمان المروزي: حدثنا إسماعيل بن عياش: عادلت حريز بن عثمان من مصر إلى مكة فجعل يسب علياً ويلعنه[3]!

ويقول محقق الكتاب الدكتور بشار عواد: إسنادها جيد، الدارمي ثقة، اتفق عليه البخاري ومسلم، وأحمد بن سليمان صدوق، أخرج له البخاري في الصحيح، وإسماعيل بن عياش صدوق[4].

[و] ذكر جرير أن حريزاً كان يشتم علياً على المنابر!!

ويقول محقق كتاب المزي أيضاً: جرير هذا هو ابن عبدالحميد يعني الضبي الصحيح الكتاب الثقة[5].

أعيد وأكرر:

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٥٧٥.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٥٧٦.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) نفس المصدر السابق.

أليس الإمام علي عليه السلام من جملة الصحابة؟! وحريز هذا كان يشتم ويسب ويلعن علياً، فلماذا لم يتركوه ولم يهمشوه؟! ولماذا رووا عنه ووثقوه في حين أنه كان يحمل العداء والبغض للإمام؟!

وكلما سنحت لحريز الفرصة سب الإمام وشتمه ولعنه!!

فطالما أن أهل العامة قد عابوا على جابر الجعفي الصدوق الثقة، وقالوا أنه كان يشتم أصحاب النبي، لذا تركوه ولم يرووا عنه، فكذلك كان من واجب أهل العامة أن يتركوا حريزاً هذا الناصبي! الذي كان يسب ويشتم ويلعن الإمام علي عليه السلام وكان من واجبهم أن يركنوه جانباً أو بالأحرى أن يرموه في مزبلة التاريخ، ولكن!

حريز بن عثمان مهما صدر منه تجاه علي عليه السلام فإنه كان يحاول أن يلمع صور بعض الصحابة بعد أن أخذ الصدأ مأخذه منهم، ومن هؤلاء الصحابة من حامت حوله الشبهات، ومنهم من كانت عليه علامات استفهام، لذا ترى أهل العامة يأخذون من هذا الناصبي! وكأن حريزاً هذا يتكلم عن لسانهم.

الحاصل:

إن هؤلاء قد رووا عن الضعفاء والمجروحين، في حين أنهم غضوا الطرف عن آخرين وأهملوا البعض الآخر متعمدين، في حين أن الكثير وثقهم، كجابر بن يزيد الجعفي، وكان ذنبه الوحيد أنه كان شيعياً، وكان يشتم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما ادعى ذلك زائدة بن قدامة، فالإمام علي عليه السلام من جملة الصحابة، وعمار بن ياسر وأبو ذر كذلك من الصحابة، فهل كان يشتمهم جابر؟! طبعاً كلا!

إذن لماذا ذكر زائدة أن جابراً كان يشتم أصحاب النبي؟! ولماذا لم يذكر الصحابة الذين كان يشتمهم، ولماذا لم يعين أسماء المشتومين؟

كل ذلك كي يجعل القارئ يقف ويصف بجانب زائدة ويكون معادياً لجابر، وذلك لأنه عمم الشتم لأصحاب النبي.

ثم أليس معاوية كان يسب الإمام عليه السلام وعلى المنابر وقد سن هذه السنة التي دامت مدة ثمانين سنة؟!

ثم اقرأ ما يقوله مسلم في صحيحه:

أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم:

سمعت رسول الله ﷺ يقول له خلفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبوة بعدي. وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب اللهَ ورسولَه، ويحبه اللهُ ورسولُه، قال: فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لي علياً، فأُتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي[1].

يقول الأستاذ الدكتور موسى لاشين في كتابه فتح المنعم شرح صحيح مسلم:

والثابت أن معاوية كان يأمر بسب علي وهو غير معصوم، فهو يخطئ، ولكننا يجب أن نمسك عن انتقاص أي من أصحاب رسول الله ﷺ، وسب علي في عهد معاوية صريح[2]!!

فهل يا ترى أهل العامة تركوا الرواية عن معاوية؟! فعلى نهج وقاعدة أهل العامة يجب أن يركن معاوية ورواياته جانباً، وذلك لأنه كان يشتم ويسب ويلعن علياً عليه السلام، وهل طبقوا ما ذكره زائدة بن قدامة من أن جابر الجعفي لا تجب الرواية عنه ولا أخذ ما يحدث به؟! أم أن هناك شواذ لهذا القاعدة، وأن معاوية قد شذ عن هذه القاعدة التي أوجدوها لبعض من يخالفهم الرأي؟! كجابر الذي كان لا يكذب في الحديث، وكان ذنبه الوحيد أنه كان من شيعة علي!

فيا حبذا لو أن أهل العامة طبقوا حرفياً القاعدة التي أوجدوها قولاً وعملاً وتطبيقاً.

---

(١) كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب «من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه».

(٢) ج٩، ص٣٣٢، ط١/١٤٢٣هـ، دار الشروق، القاهرة.

باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله

١٢. عن أبي هريرة قال لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله وقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه فقال عمر بن الخطاب فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عَزَّوَجَلَّ قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق.

قال العثماني في شرحه:

قوله (والله لو منعوني عقالاً) وفي بعض الروايات للبخاري (عناقاً) وهي الأنثى من ولد المعز[1].

وقال الأبي:

---

(١) موسوعة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم للشيخ شبير أحمد العثماني، ج١، ص٥١٦، ط١/١٤٢٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

قال الخطابي في شرحه لهذا الحديث: لما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب حتى لم يصلِّ لله سبحانه إلا بمكة والمدينة ومسجد عبدالقيس بقرية تسمى جواثي من أرض البحرين!... وكان أهل الردة ثلاثة أصناف: صنف ارتد ولم يتمسك من الإسلام بشيء، ثم من هؤلاء من عاد إلى جاهليته، ومنهم من ادعى نبوة غيره...، وصنف تمسك بالإسلام إلا أنه أنكر وجوب الزكاة وقال إنما كانت واجبة في زمنه ﷺ... وصنف تمسك به واعترف بوجوبها إلا أنه امتنع من دفعها لأبي بكر وفرقها بنفسه... ومن هذا الصنف من طاع لدفعها لأبي بكر كبني يربوع، جمعوا صدقاتهم وأرادوا دفعها لأبي بكر فمنعهم مالك بن نويرة وفرقها بنفسه[1].

يقول ابن كثير في البداية والنهاية:

... لما وصل [خالد بن الوليد] البطاح وعليها مالك بن نويرة فبث خالد السرايا في البطاح يدعون الناس، فاستقبله أمراء بني تميم بالسمع والطاعة، وبذلوا الزكوات إلا ما كان من مالك بن نويرة، فإنه متحير في أمره متنح عن الناس، فجاءته السرايا فأسروه وأسروا معه أصحابه واختلفت السرية فيهم فشهد أبو قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري أنهم أقاموا الصلاة وقال آخرون أنهم لم يؤذنوا ولا صلوا! فيقال إن الأساري باتوا في كبولهم في ليلة باردة شديدة البرد فنادى منادٍ خالد أن ذافئوا أسراكم فظن القوم أنه أراد القتل[2].

وفي رواية الواقدي: فلما كان في السحر نادى خالد بن الوليد من كان معه أسير فليذافَّه ـ والمذافة ـ الإجهاز عليه بالسيف[3].

نعود إلى قول ابن كثير: فقتلوهم وقتل ضرار بن الأزور مالك بن نويرة، فلما سمع

---

(١) إكمال إكمال المعلم لمحمد بن خليفة الوشتاني الأبي، المتوفى ٨٢٧هـ، ج١، ص١٧٢، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) البداية والنهاية، لاسماعيل بن كثير القرشي، ج٥، ص١٩٧، فصل في خبر مالك بن نويرة.

(٣) كتاب المغازي لمحمد بن عمر الواقدي، المتوفى ٢٠٧هـ، ج٣، ص٨٧٦، غزوة بني جذيمة، ط مؤسسة الأعلمي، بيروت.

خالد الواعية[1] خرج وقد فرغوا منهم فقال إذا أراد الله أمراً أصابه، واصطفى خالد امرأة مالك بن نويرة وهي أم تميم ابنة المنهال وكانت جميلة، فلما حلّت بنى بها، ويقال: بل استدعى خالد مالك بن نويرة فأنّبه على ما صدر منه... وعلى منعه الزكاة وقال: ألم تعلم أنها قرينة الصلاة؟ فقال مالك: إن صاحبكم كان يزعم ذلك، فقال: أهو صاحبنا وليس بصاحبك! يا ضرار! إضرب عنقه، فضرب عنقه وأمر برأسه فجعل مع حجرين وطبخ على الثلاثة قدراً فأكل منها خالد تلك الليلة ليرهب بذلك الأعراب من المرتدة وغيرهم! ويقال: إن شعر مالك جعلت النار تعمل فيه إلى أن نضج لحم القدر ولم يفرغ الشعر لكثرته! وقد تكلم أبو قتادة مع خالد فيما صنع وتقاولا في ذلك حتى ذهب أبو قتادة فشكاه إلى الصديق وتكلم عمر مع أبي قتادة في خالد وقال للصديق: اعزله فإن في سيفه رهقاً[2]، فقال أبو بكر لا أشين سيفاً سله الله على الكفار. وجاء متمم بن نويرة فجعل يشكو إلى الصديق خالداً وعمر يساعده وينشد الصديق ما قال في أخيه من المراثي فوداه الصديق من عنده... وقيل إن متمماً حزن على أخيه مالك حزناً شديداً مكث سنة كاملة لم ينم الليل ولم يزل حزيناً عليه ينشد فيه الأشعار حتى مات[3].

أقول: لماذا رفض مالك بن نويرة دفع الزكاة؟! لماذا لم يرسل أبو بكر الرجل الذي كان يرسله النبي الأكرم لقوم مالك وذلك لأخذ الزكاة منهم؟! أليس من المحتمل أن الذي كان يأخذ زكاة الأموال من بني يربوع قد تغير شخصه ومن دون إنذار مسبق؟ ثم ألا يعلم خالد بن الوليد أن المثلة بالميت حرام؟ ثم ألم يعلم شراح الحديث والمؤرخون بأن عدم اشتعال شعر رأس مالك بتمامه تعتبر كرامة له؟ وهل من المروءة أن يمثل بميت وبهذه الكيفية؟!

من ظاهر الرواية يرى القارئ أن خالداً كان على رأس جيش مقتدر ومتمكن أخضع جميع الأعراب وانتصر عليهم، لذا تمكن من أسر مالك ورجاله، فطالما أن هؤلاء

---

(١) الواعية: الصراخ على الميت.

(٢) رهقاً: أي عجلة.

(٣) البداية والنهاية لإسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى ٧٧٤هـ، ج٥، ص١٩٩، فصل في خبر مالك بن نويرة اليربوعي التميمي، ط١/١٤٢١هـ، المكتبة العصرية، بيروت.

الأسارى كانوا مكبلين أيضاً، فلماذا استعمل خالد مع جيشه (الشفرة) كما نسميها في هذا الزمان ـ ، ولماذا لم يأمرهم بقول صريح «أقتلوا أسراكم»؟ وقد قرأت أخي الكريم ما ذكره الواقدي أن خالداً أمر بقتل الأسرى في قوله «من كان معه أسير فليذافه «أي يجهز عليه بالسيف»، وفي رواية ابن كثير «ذافئوا أسراكم» أي اقتلوهم وقد ظن القوم أنه أراد القتل. وفي ظنهم ذلك يتبين أن هذا القول كان متعارفاً عند العرب ومعناه القتل، فنستنتج أن خالداً في قوله ذلك أراد أن يتملص كالزئبق وأن يجد له مخرجاً ومهرباً أمام الحاكم ولكي لا يلام ويكون معذوراً بأن القوم لم يفهموا قصده لذا استعمل هذه الشفرة على اصطلاحنا.

ويقول ابن كثير: والمقصود أنه لم يزل عمر بن الخطاب ﷺ يحرض الصديق ويذمره على عزل خالد عن الإمرة ويقول «إن في سيفه لرهقاً» قتل مالكاً ونزا على امرأته حتى بعث الصديق إلى خالد بن الوليد فقدم عليه المدينة وقد لبس عليه درعه التي من حديد قد صدئ من كثرة الدماء وغرز في عمامته النشاب المضمخ بالدماء، فلما دخل المسجد قام إليه عمر بن الخطاب فانتزع الأسهم من عمامة خالد فحطمها وقال: أرياء قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بأحجارك، وخالد لا يكلمه ولا يظن إلا رأي الصديق فيه كرأي عمر، حتى دخل على أبي بكر فاعتذر إليه فعذره، وتجاوز عنه ما كان منه في ذلك، وودى مالك بن نويرة، فخرج من عنده وعمر جالس في المسجد فقال خالد هلموا إلي يا بن أم شملة فلم يرد عليه، وعرف أن الصديق قد رضي عنه، واستمر أبو بكر بخالد على الإمرة وإن كان قد اجتهد في قتل مالك بن نويرة وأخطأ في قتله[1]!!

أقول:

طالما أن مالكاً وعشيرته أنكروا الزكاة ولم يصلوا كما تدعي العامة ذلك، فلماذا دفع أبو بكر ديتهم؟!

ذكر الطبري في تاريخه ولكن باختلاف يسير:

---

(١) نفس المصدر السابق.

وكان ممن شهد لمالك بالإسلام، أبو قتادة الحارث بن ربعي أخو بني سلمة، وقد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها، وكان يحدث أنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح، قال: فقلنا: إنا المسلمون، فقالوا: ونحن المسلمون، قلنا: فما بال السلاح معكم؟ قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟ قلنا: فإن كنتم كما تقولون، فضعوا السلاح، فوضعوها ثم صلينا وصلوا، وكان خالد يعتذر في قتله أنه قال وهو يراجعه: ما أخال صاحبكم إلا وقد كان يقول كذا وكذا، قال: أو ما تعده لك صاحباً؟ ثم قدمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه[1].

ويقول العقاد: إن مالكاً قال لخالد: ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا، فلم يجبه خالد

إلى طلبته، وقال له: لا أقالني الله إن لم أقتلك، وتقدم إلى ضرار بن الأزور بضرب عنقه، وتزوج بامرأته في الحرب وهو أمر تكرهه العرب وتعايره[2].

أقول:

على كل حال أن الجريمة ثابتة في حق خالد بن الوليد، فهذه كتب التاريخ والحديث بين أيدينا تشهد على قولنا في ذلك، فجريمة مثل هذه الجريمة لا يجب أن تهمش وتركن جانباً كما يحاول أهل العامة ذلك محاولين اختلاق العذر لخالد في ذلك، كقولهم أنه اجتهد وأخطأ وله أجر وما أشبه!

نعم، لقد عمل سيف هذا المتأول في المسلمين يوم أحد فقتل من المسلمين ما قتل أيام كفره وزندقته وجاهليته، وبعد إسلامه لم يزل هذا السيف يعمل ويقتل بالمسلمين من دون تقوى ولا بصيرة في الدين، بل كانت الرواسب الجاهلية التي رانت على قلب هذا المتأول هي المسيطرة إلى أيام حكم أبي بكر، أيضاً لا زال يجتهد في القتل، هذا ما قالوه في خالد بأنه اجتهد في سبي وقتل مالك بن نويرة والنزو على امرأته.

ورد في صحيح البخاري:... قال ابن عمر: فجعل خالد يقتل، فقال النبيﷺ: أبرأ

---

(١) تاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جرير الطبري، المتوفى ٣١٠هـ، ج٢، ص٥٠٤، ذكر البطاح وخبره، ط٢/١٤٠٣هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

(٢) عبقرية عمر، لعباس محمود العقاد، ص١٨٦، عمر والصحابة، ط دار الهلال.

إليك مما صنع خالد... الحديث[1].

هذه الحادثة نختصرها وهي: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سلم بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه للقتال، وأمره أن لا يقاتل أحداً إن رأى مسجداً أو سمع أذاناً، وتوجه خالد إلى بني جذيمة وبعد جدال معهم أمر بهم خالد فكتفوا، ثم عرضهم على السيف فقتل منهم الكثير، وأفلت من القوم غلام وشكا إلى الرسول الأكرم الحادثة المروعة، فسأله النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هل أنكر عليه أحد ما صنع؟ فقال: نعم، عبدالله بن عمر، وسالم مولى أبي حذيفة، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديه حين علم ذلك وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، ثم دعا الإمام علياً عليه السلام وأمره أن يقصد إلى القوم ومعه الأموال والإبل، فودى لهم الدماء وعوضهم من الأموال.

يقول ابن حجر في شرحه للحديث (قول النبي الأكرم اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد...) فإن فيه إشارة إلى تصويب فعل ابن عمر ومن تبعه في تركهم متابعة خالد عن قتل من أمرهم بقتلهم من المذكورين[2]!

أقول: لماذا تبرأ النبي مما صنع خالد؟ ولماذا لم يقل: إن خالد بن الوليد اجتهد فأخطأ؟ ثم بالله عليك كم مضى على إسلام خالد يوم قتل مالك بن نويرة؟ فعلى أكثر التقادير أنه مضى على إسلامه أقل من ثلاث سنوات! فهل كان متفهماً لأحكام الدين حتى يتأول أو يجتهد في قتل نفس محترمة كمالك؟ ثم ألم يحرم النبي قتل الأسير؟ ألم يأمرنا النبي الأكرم بمعاملة الأسير معاملة إنسانية؟ ثم إن ابن عمر لم ينصع إلى أوامر خالد ولم يقتل أسيره، ألا يدلنا ذلك على وجود نص بتحريم فعل خالد مع الأسرى ويكون عمله اجتهاداً مقابل النص!! ثم لماذا هذه التأويلات من قبل شراح الحديث وأهل التاريخ صعوداً ونزولاً؟ وبمعنى أصح اللف والدوران لإيجاد الأعذار لهذا القاتل!!

فلنقل كلمتنا صراحة أن خالد بن الوليد هذا الصحابي قتل مالكاً وأصحابه من أجل امرأة مالك! كونها جميلة، أو أن بينه وبين هذه العشيرة عداء سابق! أو أنه كان متعطشاً

---

(١) لمحمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى ٢٥٦هـ، كتاب الجزية والموادعة، باب «إذا قالوا صبأنا».

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن حجر العسقلاني، ج١٣، ص٢٢١، كتاب الأحكام، باب إذا قضى الحاكم بجور، ط١/١٤١٩هـ، دار الحديث، القاهرة.

للدماء وبالخصوص دماء المسلمين! أو...!!

يقول الذهبي في سيره: لما قدم خالد بعد صنيعه ببني جذيمة عاب عليه ابن عوف ما صنع، وقال: أخذت بأمر الجاهلية، قتلتهم بعمك الفاكه، قاتلك الله! قال: وأعابه عمر، فقال خالد: أخذتهم بقتل أبيك! فقال عبدالرحمن: كذبت لقد قتلت قاتل أبي بيدي، ولو لم أقتله لكنت تقتل قوماً مسلمين بأبي في الجاهلية، قال: ومن أخبرك أنهم أسلموا؟ فقال: أهل السرية كلهم، قال: جاءني رسول الله ﷺ أن أغير عليهم فأغرت، قال: كذبت على رسول الله، وأعرض رسول الله ﷺ عن خالد وغضب وقال: يا خالد ذروا لي أصحابي، متى يُنكأ إلف المرء يُنكأ المرء[1].

أقول وباختصار أيضاً:

أن الفاكه بن المغيرة عم خالد وعوف بن عبدعوف بن زهرة قد خرجوا تجاراً إلى اليمن، أي إلى بني جذيمة، وأنهم اختلفوا على مال ميت وورثته، فقتل الفاكه وعوف[2].

لذا كان عبدالرحمن بن عوف يعيب على خالد بأنه قتل هؤلاء من أجل الثأر لعمه، وإليك الخبر التالي فاقرأ لهذا الذي دخل الإسلام تواً، كيف به يقوم بكل تلك المجازر!

ففي فتح مكة نهى رسول الله خالداً عن القتل والقتال، وقال له وللزبير: لا تقاتلا إلا من قاتلكما، لكن خالداً قاتل وقتل نيفاً وعشرين من قريش! وأربعة نفر من هذيل! فدخل رسول الله مكة فرأى امرأة مقتولة، فسأل حنظلة الكاتب: من قتلها؟ قال: خالد بن الوليد! فأمره أن يدرك خالداً فينهاه أن يقتل امرأة أو وليداً أو عسيفاً ـ أي أجيراً ـ وبعث إليه من يسأله ما حملك على القتال فاعتذر بخطأ الرسول في تبليغه وشهد الرسول على نفسه بالخطأ فكف عنه[3]! أي الرسول الذي حمل رسالة النبي ﷺ إلى خالد.

---

(١) سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى ٧٤٨هـ، ج١، ص٣٧١، ترجمة ٧٨، خالد بن الوليد، ط١١/١٤١٩هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) سيرة النبي ﷺ المشهور بسيرة ابن هشام، لعبدالملك بن هشام المتوفى ٢١٣هـ، ج٤، ص٥٦، ثأر خالد عند بني جذيمة، ط دار الفكر، بيروت.

(٣) عبقرية عمر، لعباس محمود العقاد، ص١٨٤، عمر والصحابة.

أقول:

ألا تشك أيها القارئ الكريم بهذا الرجل؟ ألا تشك بأن خالد بن الوليد قتل من كان عليه في قلبه شيء حين فتح مكة المكرمة؟! ألا تشك بأنه أخذ ثأره ممن كان يعاديه أيام كان هذا الصحابي مشركاً وغارقاً حتى أذنيه في الخمور والفجور؟! ولماذا كل هذا القتل يصدر من خالد؟! ولماذا تكرر منه ذلك كثيراً؟! ولماذا نهى رسولنا الأكرم بالذات خالداً عن القتل يوم فتح مكة؟!

ولماذا في كل جريمة يحاول أهل العامة إيجاد العذر والتأويل لجريمته، ولماذا يستميت أهل العامة من شراح الحديث والسيرة والمؤرخين في اللف والدوران لإيجاد الأعذار في كل تلك الجرائم! فهل محاولات أهل العامة المتكررة لاختلاق الأعذار لهذا القاتل لأنه كان مخالفاً للإمام علي بن أبي طالب!

وأخيراً.. لو كان خالد قد عاش إلى حكم معاوية بن أبي سفيان لكان هذا المتأول قد قتل الكثير من المسلمين وذلك لأن معاوية كان يفتح له أبواب التأويل على مصارعها، ولكن ولله الحمد أن الله سبحانه وتعالى قد أخذه أخذ عزيز مقتدر وعلى فراشه مات كما يموت البعير.

باب أول الإيمان

١٣. وحدثني حرملة بن يحيى التجيبي أخبرنا عبدالله بن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال أخبرني سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية وعبدالله بن المغيرة فقال رسول الله ﷺ يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبدالمطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ التوبة:١١٣، وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ القصص:٥٦.

١٤. ... عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لعمه قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال لو لا أن تعيرني قريش يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك فأنزل الله ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾.

قبل البدء والخوض في شرح الحديث يجب أن نضع بعض رواة هذا الحديث تحت المجهر وعلى طاولة التشريح وذلك لمعرفة أحوالهم فمن الواجب على المسلم معرفة

شخصية شيخ البطحاء وسيدها أبي طالب عليه السلام، هذا البطل الذي ظلمه التاريخ، فمن الرواة حرملة التجيبي!

قال الرازي في كتابه الجرح والتعديل: يكتب حديثه ولا يحتج به[1]!

وذكره ابن الجوزي في كتابه الضعفاء والمتروكين بهذا المعنى أيضاً، وقال الحاكم: وأهل مصر ليسوا عنه راضين[2]!

وذكره أيضاً ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال فقال: سألت عبدالله بن محمد بن إبراهيم الفرهاذاني أن يملي علي شيئاً من حديث حرملة، فقال: يا بني! وما تصنع بحرملة! حرملة ضعيف[3]!

وقال المزي في ترجمة المذكور:... سمعت يحيى يقول: شيخ بمصر يقال له حرملة كان أعلم الناس بابن وهب، فذكر عنه يحيى أشياء سمجة[4] كرهت ذكرها[5].

ويقول ابن حجر في كتابه تهذيب التهذيب:... وأما حمل أحمد بن صالح عليه فإن أحمد سمع في كتب حرملة من ابن وهب فأعطاه نصف سماعه ومنعه النصف، فتولد بينهما العداوة من هذا[6].

هذا ما قالوه في حرملة!!

ومن الرواة أيضاً عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي!

قال ابن عدي في كتابه الكامل في ضعفاء الرجال: سعيد بن منصور يقول: رأيت ابن وهب في مجلس ابن عيينة وسفيان بن عيينة يحدث الناس وابن وهب نائم.

عبدالله بن أحمد الدورقي: سمعت يحيى بن معين يقول: وعبدالله بن وهب المصري

---

(١) الجرح والتعديل، لعبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، ج٣، ص٢٧٤، ترجمة ١٢٢٤.

(٢) الضعفاء والمتروكين لجمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، المتوفى ٥٩٧هـ، ج١، ص١٩٦، ترجمة ٧٩٠.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال، لعبدالله بن عدي الجرجاني، المتوفى ٣٦٥، ج٢، ص٤٥٨، ترجمة ١٩٩.

(٤) سمجة: قبيحة. لسان العرب لابن منظور محمد بن المكرم، المتوفى ٧١١هـ.

(٥) تهذيب الكمال في أسماء الرجال لجمال الدين يوسف المزي، المتوفى ٧٤٢هـ، ج٥، ص٥٥٠، ترجمة ١١٦٦.

(٦) ج٢، ص٢١٣، ترجمة ١٢٤٣.

ليس بذاك! وابن جريج كان يستصغره[1]!

وقال فيه ابن سعد: كان يدلس[2]!

ومن الرواة أيضاً يونس بن يزيد الأيلي!

قال المزي في ترجمة المذكور: قال وكيع: رأيت يونس بن يزيد الأيلي وكان سيء الحفظ. وقال أبو حاتم الرازي: سمعت مقاتل بن محمد قال: سمعت وكيعاً يقول: لقيت يونس بن يزيد الأيلي وذاكرته بأحاديث الزهري المعروفة وجهدت أن يقيم لي حديثاً فما أقامه!! قال عبدالرزاق عن ابن المبارك: ما رأيت أحداً أروى عن الزهري من معمر إلا ما كان من يونس، فإنه كتب كل شيء. قيل لأبي عبدالله: فإبراهيم بن سعد، قال: وأي شيء روى إبراهيم بن سعد عن الزهري؟ إلا أنه في قلة روايته أقل خطأ من يونس. قال: ورأيته يحمل على يونس.

قال أبو بكر الأثرم: أنكر أبو عبدالله على يونس وقال: كان يجيء عن سعيد بأشياء ليس من حديث سعيد! وضعف أمر يونس وقال: لم يكن يعرف الحديث وكان يكتب أُرى أول الكتاب فينقطع الكلام، فيكون أوله عن سعيد وبعضه عن الزهري فيشتبه عليه.

قال أبو عبدالله: ويونس يروي أحاديث من رأي الزهري يجعلها عن سعيد.

قال أبو عبدالله: يونس كثير الخطأ عن الزهري[3].

وقال أبو زرعة الدمشقي: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل يقول: في حديث يونس منكرات عن الزهري!!

سئل أحمد بن حنبل من أثبت في الزهري؟ قال: معمر، قيل له: فيونس؟ قال: روى أحاديث منكرة[4].

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال، ج٤، ص٢٠٢، ترجمة ٤٦.

(٢) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد الواقدي، المتوفى ٢٣٠هـ، ج٧، ص٥١٨، الطبقة السادسة.

(٣) تهذيب الكمال للمزي، ج٣٢، ص٥٥٥، ترجمة ٧١٨٨.

(٤) نفس المصدر السابق، ص٥٥٥.

أقول:

لا يخفى عليك أخي القارئ الكريم أن يونس روى عن الزهري الحديث الذي نحن بصدده فتأمل!

قال النووي في شرحه للحديث: (لما حضرت أبا طالب الوفاة) فالمراد قربت وفاته وحضرت دلائلها[1].

وقال الأبي: قوله (أترغب عن ملة عبدالمطلب) قلت: لم يقولا له لا تفعل.

قوله (ويعيد) هو في بعض النسخ ويعيدان، يعني أبا جهل وابن أبي أمية.

قوله (حتى قال أبو طالب) هو على ملة عبدالمطلب)... يقول الأبي: ورأيت في بعض كتب المسعودي وقيل أنه مات مؤمناً.

ويقول - أي الأبي -: ولا يحتج لذلك بما في السيرة من قول العباس (والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها يا رسول الله)... ولو أن العباس شهد بذلك بعد إسلامه قبلت شهادته[2].

أقول:

لاحظ أن الأبي يرفض شهادة العباس عم النبي الأكرم في حق أبي طالب بأنه سمعه يتشهد الشهادتين، وذلك لأن العباس كان مشركاً حينها، في حين أن الأبي قبل رواية المسيب المشرك عندما روى هذه الرواية التي نحن بصددها! وذكر بأن أبا طالب لم يتشهد الشهادتين!! ففي أسد الغابة يقول الجزري: وقال مصعب الذي لا يختلف أصحابنا فيه أن المسيب وأباه من مُسلمة الفتح[3].

يقول الشيخ شبير العثماني: المسيب بن الحزن المخزومي... كان كافراً حين توفي أبو طالب[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم لمحي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي، المتوفى ٦٧٦هـ، المجلد١، ج١، ص٣٢٨، ط١، دار القلم، بيروت.

(٢) إكمال إكمال المعلم، لمحمد بن خليفة الأبي، ج١، ص١٨٣.

(٣) أسد الغابة لابن الأثير الجزري، المتوفى ٦٣٠هـ، ج٥، ص١٧٢، ترجمة٤٩٢٨، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) موسوعة فتح الملهم مع التكملة، ج١، ص٥٢٤، ط١/١٤٢٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ونحن نعلم أن أقرب المقربين يحضرون عند المحتضر حال النزع، فأين يكون المسيب من الإعراب حال حضوره وفاة أبي طالب وهو ليس من المقربين ولا من رؤساء قريش إن قبلنا بحضور البقية!

وكذلك الرواية جاءت في أغلب المصادر على لسان سعيد بن المسيب الذي أخذها عن أبيه!

يقول موسى لاشين في كتابه فتح المنعم: أما والله لأستغفرن لك، أما حرف تنبيه وقيل بمعنى حقاً، ما لم أنه عنك...، أي لأستغفرن لك مدة عدم نهيي عنك، إنك لا تهدي من أحببت، مفعول أحببت محذوف، والتقدير من أحببته لقرابته ودفاعه عنك أو من أحببت هدايته. لو لا تعيرني قريش، أي لو لا أن تقبحني قريش وتسند إلي العار، لأقررت بها عينك، معنى أقر الله عينه بلغه أمنيته حتى ترضى نفسه وتقر عينه فلا تستشرف لشيء[1].

وقد حمل ابن المنير استغفار الرسولﷺ لأبي طالب وقوله له (والله لأستغفرن لك) حمله على طلب تخفيف العذاب لا على طلب المغفرة العامة!! والمسامحة بذنب الشرك، وهاجمه الحافظ ابن حجر بشدة وقال: هذه غفلة من ابن المنير! لأن الشفاعة لأبي طالب في تخفيف العذاب لم ترد، وطلبها لم ينه عنه، وإنما وقع النهي عن طلب المغفرة العامة.

وقال: وان النبيﷺ لم يترك الشفاعة وطلب التخفيف بل شفع له حتى خفف عنه العذاب بالنسبة لغيره من المشركين[2]!

وقد روى البخاري في صحيحه هذه الرواية بصيغ مختلفة منها أن النبيﷺ قال:... لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه أم دماغه[3]!

---

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، للأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، ج١، ص٩٠، ط١/١٤٢٣هـ، دار الشروق، القاهرة.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٩٢.

(٣) صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري المتوفى ٢٥٦هـ، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

أقول:

إن من المؤسف حقاً أن شخصية إسلامية عظيمة.. في مستوى سيدنا ومولانا أبي طالب عليه السلام تتعرض لحملات عدائية طائشة من بعض الأقلام الخائنة التي أرادت الطعن في قداسة ولده الإمام علي عليه السلام فاختارت هذه الطريقة غير المباشرة.

ويعلم الله تعالى أن كم سيكون وقوف هؤلاء الأعداء طويلاً يوم القيامة أمام محكمة العدل الإلهية حينما يكون خصمهم رسول الله وسيدنا أبو طالب والإمام علي.

أجل.. لقد كان أبو طالب مؤمناً بالله الواحد الأحد، ومصدقاً بنبي الإسلام ومحامياً ومدافعاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأسلوب الذي كان يجده هو الأفضل في صد نشاطات المشركين وإحباط مؤامراتهم ضد النبي الكريم، فقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرتين[1].

إن هذا الحديث يريد أن يذكر وجه الشَبَه بين موقف أصحاب الكهف وبين موقف سيدنا أبي طالب عليه السلام، حيث كان الوجه في ذلك هو إخفاء المعتقد إخفاءً في بعض الأوقات وفي بعض الحالات وعن بعض الأفراد والجماعات، وقد كان وجه الشبه بين موقف أبي طالب وبين أصحاب الكهف إنما هو من ناحية واحدة فقط، وهي إخفاء العقيدة وليس من الناحية الثانية وهي إظهار الشرك.

لأن من الثابت الذي لا شك فيه هو أن سيدنا أبا طالب عليه السلام لم يشرك بالله طرفة عين ولم يظهر الشرك ولا لحظة! (كما أظهر ذلك أصحاب الكهف خوفاً على حياتهم)، بل انتهج سيدنا أبو طالب أسلوباً معيناً في طريقة دفاعه عن الرسول الأعظم وحمايته وحراسته له فلم يكن إظهاره لإيمانه في منتهى العلنية والصراحة بمعنى أن يقف بنفسه ويصلي خلف النبي في المسجد الحرام لأنه كان يرى أن ذلك يفوت عليه فرصاً أغلى وأهم بل كان إظهاره للإيمان مع شيء من التحفظ والدبلوماسية وعدم الحرب العلنية المسلحة ضد المشركين وكان المهم عنده هو انتظار ظروف مناسبة يتقوى فيها النبي الكريم بأصحابه وكثرة أتباعه.

---

(١) كتاب الكافي للشيخ الكليني، ج١، ص٤٤٨، كتاب الحجة، حديث ٢٨، باب مولد النبي ووفاته، ط ١٣٨٨/٣هـ.

وعلى هذا الأساس فقد آتى الله أجر سيدنا أبي طالب مرتين وأعطى ثوابه ضعفين.

مرة على إيمانه القوي الصلب.

مرة على ذكائه في اتخاذ موقف نابع من الذكاء وحسن التصرف في الظروف الطارئة واتخاذ ما يلزم من موقف أو قرار أو إعلان بتصريح أو مواجهة عنيفة.

والآن إليك أيها القارئ الكريم بعض المعلومات والمقطوعات التاريخية الثابتة عن حياة سيدنا أبي طالب عليه السلام والأدلة التي تدل على إيمانه بالله الواحد الأحد وإيمانه بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نذكر هذه الأدلة ثم نذكر بعد ذلك خبراً وتعليقاً.

إن الأدلة على إيمان أبي طالب كثيرة ونحن نذكر بعضها:

الدليل الأول: خطبة أبي طالب.

لما حضر أبو طالب مجلس عقد زواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام وكان معه بنو هاشم ورؤساء مُضر خطب أبو طالب فقال:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسُوَّاس[1] حرمة وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا الحكام على الناس.

ثم إن محمد بن عبدالله ابن أخي من لا يوزن به رجل من قريش إلا رجح به براً وفضلاً وكرماً ومجداً ونبلاً، فإن كان في المال قل فالمال ظل زائل ورزق حائل وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالي كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل[2].

أقول: هذا شيخ البطحاء أبو طالب يخبر القوم أثناء خطبة النكاح بمستقبل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل بعثته ولدى التدبر والتفكر في كلمات خطبته يظهر درجة إيمانه ومستوى تفكيره وأن قلبه كان مفعماً بالإيمان وعامراً بالتوحيد وفي أعلى المستويات.

---

(١) سواس: جمع سائس، من يقوم بشؤون خدمات ومتطلبات الإنسان أو المكان.

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي، ج٢، ص٤٩٧، في النكاح وفضله والترغيب فيه، ط دارالكتب العلمية، بيروت.

الدليل الثاني: أشعار أبي طالب.

هناك أشعار كثيرة جداً قالها أبو طالب وهي تصرح بإيمانه بالله الواحد الأحد، وإيمانه أيضاً بالنبي محمد ﷺ، وقد ثبت تأريخياً نسبتها إليه، وهي موزعة في كتب التاريخ والحديث، وإليك مقتطفات منها:

أولاً:

ما جاء في رسالته إلى ملك الحبشة النجاشي والتي يشجعه فيها على احترام وفد المسلمين والدفاع عنهم وحمايتهم من شر المشركين ومنها هذه الأبيات:

لـيـعـلـم خـيـار الـنـاس أن مـحـمـداً
وزيـر لـمـوسـى والـمـسـيـح ابـن مـريـم[1]
أتـانـا بـهـدي مـثـل مـا أتـيـا بـه
فـكـل بـأمـر الله يـهـدي ويـعـصِـم
وإنـكـم تـتـلـونـه فـي كـتـابـكـم
بـصـدق حـديـث لا حـديـث الـمـبـرجِـم[2]

ثانياً:

ألـم تـعـلـمـوا أنـا وجـدنـا مـحـمـداً
نـبـيـاً كـمـوسـى خُـطَّ فـي أول الـكـتـب؟!
وأن عـلـيـه فـي الـعـبـاد محبـة
ولا خـيـر مـمـن خـصـه الله بـالـحـب[3]

ثالثاً:

قال مخاطباً للنبي الأعظم ﷺ:

---

(١) لعل الأصح هو (نبي كموسى والمسيح ابن مريم).

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، ج٢، ص٦٢٣، من كتاب الهجرة إلى الحبشة، ط دار المعرفة، بيروت.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، ج١، ص٢٨٩، خبر الصحيفة، ط١٤١٦/١هـ، دار الحديث، القاهرة.

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أُوسَّد في التراب دفيناً
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي
ولقد صدقت وكنت قبل أميناً
ولقد علمت بأن دين محمد
من خير أديان البرية ديناً[1]

رواها الثعلبي في تفسيره وقال: قد اتفق على صحة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب مقاتل وعبدالله بن عباس والقسم بن محضرة وعطاء بن دينار.

رابعاً:

ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب
لدينا ولا نعبأ بقول الأباطل
أشم من الشم البهاليل ينتمي
إلى حسب حومة المجد فاضل[2]

خامساً:

وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد[3]

سادساً:

جاء في صحيح البخاري:

... حدثنا عبدالرحمن بن عبدالله بن دينار عن أبيه قال: سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

---

(١) تاريخ أبي الفداء، ج١، ص١٢٠، ذكر وفاة أبي طالب، ط دار المعرفة، بيروت، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ج٧، ص١٩٨، ترجمة ١٠١٧٥، أبو طالب بن عبدالمطلب.

(٢) الغدير، للأميني، ج٧، ص٣٣٩، شعر أبي طالب، ط دار الكتب الاسلامية.

(٣) تاريخ الخميس للدياربكري، ج١، ص٢٥٤، كفالة أبي طالب لرسول الله، بيروت.

وقال عمر بن حمزة: حدثنا سالم عن أبيه ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبيﷺ يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب.

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وهو قول أبي طالب[1].

قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري:

إن أبا طالب أشار إلى ما وقع في زمن عبدالمطلب، حيث استسقى لقريش والنبيﷺ غلام.

ويحتمل أن يكون أبو طالب مدحه بذلك لما رأى من مخايل ذلك فيه وإن لم يشاهد وقوعه.

ويقول أيضاً: ومعرفة أبي طالب بنبوة رسول اللهﷺ جاءت في كثير من الأخبار[2].

سابعاً:

ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي أن المأمون العباسي كان يقول: أسلم أبو طالب والله بقوله:

نصرت الرسول رسول المليك
ببيض تلألأ كلمع البروق
أذب وأحمي رسول الإله
حماية حام عليك شفيق

إلى غير ذلك من الأشعار ومن أراد معرفة التفاصيل فليراجع كتاب الغدير للعلامة العظيم الشيخ الأميني رضوان الله تعالى عليه، ج٧، ص٣٤٢، شعر أبي طالب.

---

(١) كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا.

(٢) نفس المصدر السابق، من حيث الكتاب والباب ـ فتح الباري.

الدليل الثالث:

لقد جاء في الأخبار بأن قريشاً أمرت بعض سفهائها أن يلقي على ظهر النبي سلا الناقة[1] إذا ركع في صلاته، ففعلوا ذلك، وبلغ الخبر أبا طالب فخرج مغضباً مع عبيد له، فأمرهم أن يلقوا السلى عن ظهره ﷺ ويغسلوه ثم أمرهم أن يأخذوه فيمروه على أسبلة القوم ـ أي شواربهم ـ وهم إذ ذاك وجوه قريش! وحلف بالله أن لا يبرح أحد منهم حتى يفعل بهم ذلك فما امتنع أحد منهم عن طاعته وأذل جماعتهم بذلك وأخزاهم[2].

الدليل الرابع:

قال ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ:

قال أبو طالب لعلي: ما هذا الدين الذي أنت عليه؟

قال: يا أبت آمنت بالله وبرسوله وصليت معه، فقال أبو طالب: أما إنه لا يدعونا إلا إلى الخير فالزمه[3].

الدليل الخامس:

وذكر المؤرخ ابن الأثير:

أن أبا طالب رأى النبي ﷺ وعلياً رضي الله عنه يصليان وعلي عن يمينه فقال لجعفر رضي الله عنه: صل جناح ابن عمك وصل عن يساره[4].

الدليل السادس:

يقول القرطبي في تفسيره:

---

(١) سلا: الكيس الذي يتكون فيه جنين الناقة ويعبر عنه في الإنسان بالمشيمة.

(٢) كتاب إيمان أبي طالب للشيخ المفيد، ص٢٢، ط المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ. بتصرف.

(٣) ج٢، ص٣٨، ذكر الاختلاف في أول من أسلم، ط١٣٨٧هـ، بيروت.

(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزري، ج١، ص٥٤٢، ترجمة ٧٥٩، ط بيروت.

كان النبيﷺ قد خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصلي فلما دخل في الصلاة قال أبو جهل لعنه الله من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته، فقام ابن الزبعرى فأخذ فرثاً ودماً فلطخ به وجه النبيﷺ فانفتل[1] النبيﷺ من صلاته ثم أتى أبا طالب عمه فقال: يا عم ألا ترى إلى ما فُعل بي؟

فقال أبو طالب: من فعل بك هذا؟

فقال النبي: عبدالله بن الزبعرى.

فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه، ومشى معه حتى أتى القوم فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون فقال أبو طالب: والله لئن قام رجل لجللته بسيفي، فقعدوا حتى دنا إليهم، فقال: يا بني من الفاعل بك هذا؟ فقال: عبدالله بن الزبعرى، فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فلطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول[2].

الدليل السابع:

جاء في صحيح البخاري عن النبيﷺ قال: أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى[3]، أي أشار بإصبعيه المضمومتين.

أيها القارئ الكريم..

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه وفصل خطابه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾[4] فالذي آوى الرسولﷺ هو عمه أبو طالب، فهو الذي رباه وتكفله حتى كان أحب إليه من أولاده.

---

(١) انفتل، أي: انصرف، كما في كتاب المعجم الوسيط.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج٦، ص٤٠٦، سورة الأنعام، آية ٢٦، ط١٤٠٥هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيماً.

(٤) الضحى: ٦.

الدليل الثامن:

ذكر الواقدي في كتابه الطبقات الكبرى: (فُقد رسول الله ﷺ) وجاء أبو طالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه، فجمع فتيان من بني هاشم وبني المطلب ثم قال: ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة ثم ليتبعني إذا دخلت المسجد فلينظر كل فتى منكم فليجلس إلى عظيم من عظمائهم فيهم ابن الحنظلية ـ يعني أبا جهل ـ فإنه لم يغب عن شر إن كان محمد قد قتل، فقال الفتيان: نفعل، فجاء زيد بن حارثة فوجد أبا طالب على تلك الحال فقال (أبو طالب) يا زيد أحسست ابن أخي؟ قال: نعم، كنت معه آنفاً، فقال أبو طالب لا أدخل بيتي أبداً حتى أراه، فخرج زيد سريعاً حتى أتى رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وهو في بيت عند الصفا ومعه أصحابه، يتحدثون فأخبره الخبر فجاء رسول الله ﷺ إلى أبي طالب، فقال: يا ابن أخي أين كنت؟ أكنت في خير؟ قال: نعم، قال: ادخل بيتك، فدخل رسول الله ﷺ، فلما أصبح أبو طالب غدا على النبي ﷺ فأخذ بيده فوقف به على أندية قريش ومعه الفتيان الهاشميون والمطلبيون فقال: يا معشر قريش، هل تدرون ما هممت به؟ قالوا: لا، وأخبرهم الخبر، وقال للفتيان: اكشفوا عما في أيديكم، فكشفوا فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة فقال: والله لو قتلتموه ما بقيت منكم أحداً حتى نتفانى نحن وأنتم، فانكسر القوم وكان أشدهم انكساراً أبو جهل[1].

الدليل التاسع:

ذكر الشبلنجي في كتابه نور الأبصار:

عن علي ﷺ أنه قال: لما مات أبو طالب أخبرت رسول الله ﷺ بموته، فبكى ثم قال: اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه، ففعلت وجعل رسول الله ﷺ يستغفر له أياماً ولا يخرج من بيته، ويقول أيضاً في كتابه بأن هذا الشعر لأبي طالب:

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد الواقدي، ج١، ص١٣٥، ذكر ممشى قريش إلى أبي طالب في أمره، ط١٣٢٢هـ.

ولقد علمت بأن دين محمد
من خير أديان البرية ديناً[1]

أيها القارئ المنصف نتسائل: كيف يغسل المسلم علي عليه السلام رجلاً مشركاً بالله والعياذ بالله من هذه الكلمة ويكفنه ويدفنه؟

والشيء بالشيء يذكر:

قرأت كتاباً بعنوان «المواهب في الرد على من قال بإسلام أبي طالب» لقاسم بن أحمد اليماني يقول فيه عن شيخ البطحاء:

لو كان مسلماً لحضر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جنازته ولصلى عليه[2].

لاحظ أخي القارئ جهل المؤلف وتخبُّطه.. وذلك لأن صلاة الميت لم تُفرض بعد.

راجع إن شئت ذلك كتاب «دلائل النبوة» لأحمد بن الحسين البيهقي، ج٢، هامش صفحة ٣٥٣، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لترى صدق قولنا في ذلك وأن صلاة الجنازة أو الميت لم تكن قد شرعت بعد.

وأقول: إن كان هذا المؤلف جاهلاً بهذه المعلومة وهي (أن صلاة الميت لم تفرض بعد) فتلك مصيبة!

وإن كان عالماً بذلك.. وأراد أن يضلل القارئ، فالمصيبة أعظم!!

الدليل العاشر:

يقول الشيخ المفيد رضوان الله عليه:

لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله عزيزاً ما كان أبو طالب حياً ولم يزل ممنوعاً من الأذى حتى توفاه الله تعالى، فجاء جبرئيل عليه السلام وقال للنبي إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك: اخرج من مكة فقد مات ناصرك[3].

---

(١) ص٢٧ـ٢٨، فصل في تعاهد قريش على قتله صلى الله عليه وآله وموت عمه، ط١/١٤٠٥هـ، الدار العالمية، بيروت.

(٢) ص٩٩، ط ١/١٤١٦هـ، دار الحرمين، القاهرة.

(٣) كتاب إيمان أبي طالب، ص٢٤.

الدليل الحادي عشر:

تعتبر السيدة فاطمة بنت أسد والدة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من النساء المسلمات الأوائل، ولم يفرق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين هذه المرأة المسلمة الجليلة والحنونة على النبي طوال حياتها وبين عمه أبي طالب الذي يزعم البعض أنه مات مشركاً في كيفية التعامل معهما بعد الوفاة من ناحية إجراء مراسم التشييع والدفن والحزن والعزاء، وهذا يدل على أنهما كلاهما كانا مسلمين مؤمنين موحدين.

الدليل الثاني عشر:

يقول الشيخ المفيد:

لما قبض (أبو طالب) رحمه الله أتى أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فآذنه بموته[1]، فتوجع لذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: امض يا علي فتولَّ غسله وتكفينه وتحنيطه، فإذا رفعته على سريره فأعلمني، ففعل ذلك أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام فلما رفعه على السرير اعترضه[2] النبي صلى الله عليه وآله وسلم فَرَقَّ له وقال: (وصلت) رحماً، وجُزيت خيراً، فلقد ربيت وكفلت صغيراً، وآزرت ونصرت كبيراً، ثم أقبل على الناس فقال: أما والله لأشفعن لعمي شفاعة يعجب منها أهل الثقلين[3].

أخي الكريم..

لقد قرأت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا لعمه بالخير وأخبر بأنه سوف يشفع له يوم القيامة شفاعة مميزة، هذا ولو كان عمه مشركاً أو كافراً لما كان النبي يدعو له ويخاطب جثمانه بتلك الكلمات المعبرة عن مشاعره تجاه عمه وكفيله.

---

(١) آذنه، أي: أعلمه.

(٢) اعترضه، أي: اتجه نحوه كما يستفاد من كتاب العين للخليل.

(٣) كتاب إيمان أبي طالب، ص٢٥ـ٢٦.

الدليل الثالث عشر:

قال الشبلنجي الشافعي في كتابه نور الأبصار:

وفي هذه السنة العاشرة من النبوة كانت وفاة خديجة الكبرى ﵂... فتوالت على رسول الله ﷺ في هذه السنة مصيبتان: موت عمه أبي طالب وخديجة ﵂[1].

ويقول الشيخ محمد الصبان في رسالته:

سُمِّي ذلك العام عام الحزن، ولما مات أبو طالب نالت قريش من النبي ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب[2].

ويقول ابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل:

فعظمت المصيبة على رسول الله بهلاكهما، فقال رسول الله ﷺ: ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب، وذلك أن قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلوا إليه في حياته، حتى نثر بعضهم التراب على رأسه[3] ـ أي على رأس الرسول الأعظم ـ.

أقول:

لو كان سيدنا أبو طالب مشركاً كما يزعم ذلك بعض الحاقدين فكيف يحزن النبي الكريم لموته إلى درجة أنه يسمي ذلك العام بعام الحزن!

قد يجيب البعض من شياطين الإنس أو من السذج من العوام بأن حزن النبي كان لمجرد فقده المحامي له، ونحن نقول: لا يمكن أن يكون ذلك المحامي مشركاً لأن المشركين كانوا ولا يزالون يعادون الإسلام ونبي الإسلام، كما قال تعالى:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[4].

---

(١) ص٢٨، ط١/١٤٠٥هـ.

(٢) رسالة الصبان في أهل البيت، ص٢١، الباب الأول، سيرة النبي الأعظم، ط٨/١٩٦٣م.

(٣) ج٢، ص٦٣، ذكر وفاة أبي طالب، ط٤/١٤٠٣هـ، بيروت.

(٤) المائدة: ٨٢.

الدليل الرابع عشر:

جاء في كتاب الطبقات الكبرى للواقدي أن أبا طالب (لما حضرته الوفاة) دعا بني عبدالمطلب فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاتبعوه وأعينوه ترشدوا[1].

الدليل الخامس عشر:

قال ابن كثير في تأريخه:

ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد واشتد عليهم البلاء وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية، فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله... فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله ﷺ وأجمعوا على ذلك اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل[2].

ويقول ابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل:

فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب، فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا وخرج من بني هاشم أبو لهب بن عبدالمطلب إلى قريش... فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا لا يصل إلى أحد منهم شيء إلا سراً[3].

فبالله عليك أخي الكريم وبعد قراءتك لهذه الروايات هل يحتاج ذلك إلى تعليق؟ وهل أنت في شك من إيمان شيخ البطحاء؟ فإن أقل ما يقال في أبي طالب: أنه كان في ذلك الشعب مع الرسول الأكرم مدة ثلاث سنوات عجاف حتى سمي ذلك الشعب باسمه

---

(١) ج١، ص٧٨، باب ذكر أبي طالب وضمه لرسول الله، ط١٣٢٥هـ.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ج٣، ص٨٤، فصل في مخالفة قبائل قريش بني هاشم، ط١٩٦٦/١م، مكتبة المعارف، بيروت.

(٣) ج٢، ص٥٩ـ٦٠، ذكر أمر الصحيفة، ط دار الكتاب العربي، بيروت.

شعب أبي طالب، فاسأل نفسك وكن منصفاً في الإجابة، هل كان أبو طالب على دين النبي أم كان على دين قريش كما تدعي العامة ذلك؟ من يتحمل تلك المصاعب والصبر على أذى المشركين طيلة ثلاث سنوات، فهل يُعقل أن يكون مشركاً أو أنه كان على دين قريش؟! فمما لا شك فيه أنه كان مؤمناً برسالة النبي الأكرم.

الدليل السادس عشر:

قال ابن سعد الواقدي في طبقاته ـ في ذكره حصر قريش رسول الله ﷺ وبني هاشم في الشعب ـ:

... فقال أبو طالب لكفار قريش: إن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني قط، أن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة[1]، فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم وبقي فيها كل ما ذكر به الله، فإن كان ابن أخي صادقاً نزعتم سوء رأيكم، وإن كان كاذباً دفعته إليكم فقتلتموه أو استحييتموه.

قالوا: قد أنصفتنا، فأرسلوا إلى الصحيفة ففتحوها فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ فسقط في أيديهم ونكسوا على رؤوسهم فقال أبو طالب: على مَ نُحبس ونُحصر وقد بان الأمر[2]؟

لاحظ أن أبا طالب كان متيقنا ومصدقاً بالرسول الأكرم حين قال لمشركي قريش قد أخبرني ولم يكذبني قط.

يا ترى إن من يصدق قول النبي في هذه الصحيفة كيف لا يصدقه ويتبعه في دينه؟

واقرأ معي ما جاء في السيرة النبوية لابن هشام:

إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له:... يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد ـ أي أشد ـ فتى في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله

---

(١) الأرضة: دابة صغير بحجم كبار النمل وهي تأكل الخشب والورق. لسان العرب لابن منظور.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج١، ص١٤٣، ط ١/١٤١٤هـ، دار الفكر، بيروت.

ونصره، واتخذه ولداً فهو لك. وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي... فرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فإنما هو رجل برجل.

قال: والله لبئس ما تسومونني أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله ما لا يكون أبداً...[1].

لاحظ الجملة الأخيرة من قول سيد البطحاء: أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه هذا والله ما لا يكون أبداً، في حين أننا قد قرأنا ما جاء في أمر الصحيفة قول أبي طالب عندما قال لكفار قريش: أن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة... ثم قال: فإن كان ابن أخي صادقاً نزعتم سوء رأيكم وإن كان كاذباً دفعته إليكم فقتلتموه فبالله عليك: كيف بأبي طالب يرفض أن يسلم النبي للمشركين كما في رواية ابن هشام أما في رواية الصحيفة يقول وبكل ثقة بأنه سوف يدفعه للمشركين كي يقتلوه إن كان كاذباً؟ ألا يدلنا ذلك على أن أبا طالب كان مصدقاً النبي في كل ما يقوله وأنه كان مؤمناً برسالته؟

الدليل السابع عشر:

جاء في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر القرطبي في ترجمة عقيل بن أبي طالب: أن رسول الله ﷺ قال له: يا ابا يزيد إني أحبك حبين: حباً لقرابتك مني وحباً لما كنت أعلم من حب عمي إياك[2].

أقول:

إن هذا الحديث يدل بكل صراحة أن النبي الأكرم كان يحب عقيلاً حبين اثنين: الحب الأول لأنه ابن عمه ومن دمه ولحمه ومن أرحامه، الحب الثاني: لأن أبا طالب عليه السلام كان يحب عقيلاً حباً جماً، وبما أن النبي الأكرم كان يحب عمه أبا طالب فإنه قد جمع هذا الحب مع حبه الخاص لابن عمه فصارا حبين، ألا يدلنا هذا على أن النبي ازداد حباً لعقيل بسبب كثرة حبه لعمه أبي طالب؟

ولو كان أبو طالب مات مشركاً كما يدعي أهل العامة ذلك فكيف يحب النبي عمه

---

(١) ج١، ص٢٧٩، قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبي طالب، ط ١٤٠١/١هـ، دار الفكر، بيروت.

(٢) ج٣، ص١٨٦، ترجمة ١٨٥٣، ط١٤١٥/١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

بعد موته طالما مات العم مشركاً؟ إن هذا العمل غير لائق بالنبي الأكرم لأن الله تعالى قد نهى عن ذلك في مواضع متعددة من القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾[1]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[3]، فكيف نوفق بين ذلك الحب المركز من النبي لعمه أبي طالب وبين صريح هذه الآيات الناهية عن محبة المشركين؟

الجواب: لا حل لذلك سوى أن نقول إن أبا طالب كان مؤمناً ولم يكن مشركاً كما يزعم ذلك بعض الشواذ.

الدليل الثامن عشر:

جاء في صحيح البخاري في باب الدعاء للمشركين من كتاب الجهاد والسير:

قال أبو هريرة:... قدم طفيل بن عمرو الدوسي[4] وأصحابه على النبيﷺ فقالوا: يا رسول الله إن دوساً عصت وأبت فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس.

قال: اللهم اهد دوساً وائت بهم[5].

لاحظ أن الطفيل يطلب من النبي الأكرم أن يدعو على دوس وذلك لأنها أبت الدخول في الإسلام ونقرأ أن النبي الأكرم خالف طلب الطفيل فدعا لقبيلة دوس ولم يدع عليها وذلك من شفقته ورأفته ورحمته على البشرية.

ونحن نعلم أنه لم توجد بين النبي الأكرم وبين قبيلة دوس قرابة أو ما أشبه ذلك،

---

(١) الممتحنة: ١.

(٢) آل عمران: ٣٢.

(٣) التوبة: ٢٣.

(٤) الدوسي: نسبة إلى دوس وهي قبيلة من الأزد في اليمن كما يستفاد ذلك من لسان العرب لابن منظور.

(٥) لقد تكرر ذكر هذا الحديث في صحيح البخاري أيضاً في كتاب المغازي، باب قصة دوس وكذلك في كتاب الدعوات باب الدعاء للمشركين.

ونعلم أيضاً بأن دعاء النبي مستجاب وأن دعاءه يخرق الحجب السبعة وبدعائه ذلك دخل أهل دوس في الإسلام كما أخبرنا التاريخ بذلك، هذا مع الانتباه إلى أن أبا طالب كان قريباً من النبي من حيث القرابة والمسافة، يضاف إلى ذلك أن النبي الأكرم كان يتمنى ويحب دخول عمه في هذا الدين، والله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1].

ومن الواضح أن أبا طالب من قرابة النبي الأكرم وأهله، فهل يا ترى أن النبي كان مقصراً في دعوة عمه، فكيف نوفق بين دعاء النبي لقبيلة دوس البعيدة وإهماله لعمه القريب منه في النسب والمسافة؟!

وأقول:

إن كان ما قرأناه في التاريخ حقاً فإني أقول متسائلاً أو معاتباً أمن العدل يا رسول الله أن تدعو لأهل دوس بالدخول في الإسلام وبهدايتهم وتترك الدعوة لعمك أبي طالب؟

أبو طالب الذي كفلك وآواك ورباك وحماك ودافع عنك دفاع المستميت حتى شهد له بذلك العدو والصديق والموالي والمخالف، ما هكذا الظن بك يا رسول الله!

ثم إن أبا طالب كان رجلاً واحداً فقط، ومن السهل دخوله في الإسلام، وذلك بدعائك وكان مهيئاً لقبول الدعوة أيضاً.

أما أهل دوس فهم بالألوف المؤلفة، فأنت الذي تمكنت من إدخال كل هذا الجمع في الإسلام ومن تلك المسافة البعيدة بين المدينة ودوس التي هي باليمن، كيف بك لا تدعو لعمك ولا تستطيع أن تدخله في الإسلام؟!

الدليل التاسع عشر:

جاء في نهج البلاغة: من كتاب للإمام علي عليه السلام إلى معاوية جواباً عن كتاب منه إليه، قال فيه:

وأما قولك إنا بنو عبدمناف، فكذلك نحن، ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب

---

(١) التحريم: ٦.

كعبدالمطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق...[1].

لاحظ أن الإمام عليه السلام يقول لمعاوية في كتابه إن أبا سفيان ليس كأبي طالب، ونراه يفتخر ويُجل أبا طالب، فلو كان مشركاً كما تدعي العامة ذلك لأجاب معاوية بأن أبا سفيان كان مسلماً وأما أبو طالب فقد مات على الشرك! وعدم إجابة الطليق بذلك يدلنا على إيمان أبي طالب، فتأمل.

ويتبين أن حديث الضحضاح قد وضع واختلق بعد زمن معاوية، ويحتمل أيضاً أن يكون قد اختلق هذا الحديث في زمن العباسيين أيضاً.

الدليل العشرون

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾[2].

وفي موضع آخر يخبرنا سبحانه وتعالى ما جرى لفرعون فقال جل وعلا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[3].

فالله سبحانه وتعالى لن يقبل التوبة في هذه الأوقات العصيبة والحرجة وحال الاحتضار حين خروج الروح وتعتبر هذه اللحظات، لحظات اليأس من الحياة وذلك حين الاحتضار كما أشارت الآيات التي مرت علينا آنفاً.

فالسؤال هنا:

كيف يطلب النبي الأكرم من عمه أن يشهد الشهادتين حال الاحتضار كما في رواية البخاري؟!

ألا يعلم النبي أن عمه أبا طالب إذا تشهد الشهادتين فإن ذلك لن ينفعه والسبب كما ذكرنا؟!

---

(١) نهج البلاغة، ج٣، ص٥٠٦، كتاب رقم ٢٥٥، ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

(٢) النساء: ١٨.

(٣) يونس: ٩٠.

ألا يحق لنا أن نشك في هذه الرواية ونقول بأنها موضوعة؟!

وقبل أن أختم، قد يقول قائل أن أبا طالب أخذته الحمية في الدفاع عن النبي وذلك لأنه ابن أخيه، ومن أرحامه وقومه وعشيرته، فأقول: إن من أصعب الأمور وأخطرها التعرض والاستهانة والاستهزاء بعقيدة من يخالفك، وسنضرب مثالاً على ذلك ويعتبر دليلاً بحد ذاته أيضاً.

الدليل الحادي والعشرون

جاء في صحيح البخاري:

قال عروة: وثويبة مولاة لأبي لهب وكان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبيﷺ فلما مات أبو لهب أُريَه بعض أهله بشر حيبة[1] قال له ماذا لقيت؟ قال أبو لهب: لم ألق بعدكم غير أني سقيت في هذه بعتاقي ثويبة[2].

يقول ابن حجر في شرحه:

أن العباس قال: لما مات أبو لهب رأيته في منامي بعد حول في شر حال فقال ما لقيت بعدكم راحة، إلا أن العذاب يخفف عني كل يوم اثنين قال وذلك أن النبيﷺ ولد يوم الإثنين وكانت ثويبة بشرت أبا لهب بمولده فأعتقها.

أقول:

بعد أن جاءت ثويبة إلى أبي لهب وأخبرته بأن آمنة سلام الله عليها قد وضعت مولوداً صبياً، فما كان من أبي لهب إلا أن أعتق ثويبة وذلك من شدة فرحه بتلك البشارة، وبمولد ابن أخيه.

ولكن عندما تعرض النبي الأكرم لآلهة قريش واستهزء بما يعبدون من تلك الأصنام التي لا تضر ولا تنفع وتعرض لعقيدة هذا المشرك ـ أبي لهب ـ ، فماذا كانت ردة فعله؟ أخذ يحارب الرسولﷺ حرباً شرسة إلى درجة أنه قام بتجنيد زوجته أم جميل في

---

(١) أي بشر وسوء حال.

(٢) كتاب النكاح، باب ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾.

محاربة ابن أخيه وكان يؤلب قريشاً عليه حتى نزلت سورة كاملة فيه وفي زوجته!

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضعف عامل الحمية والعصبية القبلية عندما تتعارض في حياة الشخص الواحد مع العامل العقائدي.

فالقول أن أبا طالب أخذته الحمية بالدفاع عن ابن أخيه مردود.

خبر وتعليق

روى مسلم في صحيحه:... عن عبدالملك بن عمير... عن العباس بن عبدالمطلب أنه قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال: نعم، هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار[1].

اعلم بأن من رواة هذه الرواية عبدالملك بن عمير، قال فيه ابن المنذر الرازي المتوفى سنة ٣٢٧ في كتابه الجرح والتعديل: عبدالملك بن عمير لم يوصف بالحفظ يختلف عليه الحفاظ، عبدالملك بن عمير مخلط ليس بحافظ، تغير حفظه قبل موته، ويقول فيه أحمد بن حنبل عبدالملك بن عمير مضطرب الحديث جداً[2].

عن أحمد بن حنبل أنه ضعفه جداً وقال فيه يحيى بن معين مخلط، وقال أبو حاتم: ليس بحافظ... تغير حفظه قبل موته... لم يوصف بالحفظ[3].

أعود للحديث الموضوع الذي ذكرناه في بداية البحث:

لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله....

---

(١) كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي.

(٢) ج٥، ص٣٦٠، ترجمة ١٧٠٠.

(٣) تهذيب الكمال ليوسف المزي، المتوفى ٦٤٢هـ، ج١٨، ص٣٧٥، ترجمة ٣٥٤٦ ط مؤسسة الرسالة، بيروت.

الرد على ما ورد في صحيح البخاري:

لقد قام علماء الشيعة الكرام للكشف عن هذه الدسائس والأكاذيب فيقول المحقق الشيخ عبدالحسين الأميني في كتابه الغدير:

راوي هذا الحديث سعيد بن المسيب وهو ممن ينصب العداء لأمير المؤمنين علي عليه السلام فلا يحتج بما يقوله.

ويقول أيضاً:

هذه الآية نزلت بالمدينة ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[1] بعد موت أبي طالب بعدة سنين تربو على ثمانية أعوام.

فهل كان النبي صلى الله عليه وآله خلال هذه المدة يستغفر لأبي طالب عليه السلام آخذاً بقوله (والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك).

وكيف يستغفر له وكان هو والمؤمنون ممنوعين عن موادة المشركين والمنافقين وموالاتهم، والاستغفار لهم الذي من أظهر مصاديق الموادة والتحابب؟![2].

أضيف فأقول:

ومما يدل على انحراف سعيد بن المسيب عقائدياً عن أئمة أهل البيت: هو ما ذكره الواقدي في كتابه الطبقات: من أن سعيد بن المسيب مر بجنازة الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.. ولم يصل عليها!

فقيل له: ألا تصل على هذا الرجل الصالح من أهل البيت الصالحين؟

فقال: صلاة ركعتين أحب إلي من الصلاة على الرجل الصالح[3].

وأما سماحة الفقيه السيد محمد الحسيني الشيرازي ـ قدس سره ـ فإنه يقول في تفسيره لهذه الآية الشريفة في توضيح قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ

---

(١) براءة: ١١٣.

(٢) الغدير، ج٨، ص٢٨ـ٢٩، الآيات المحرفة في سيدنا أبي طالب، مؤسسة الأعلمي، بيروت. بتصرف.

(٣) ج٣، ص٤٢٦، الطبقة الثانية من أهل المدينة من التابعين، علي بن الحسين، ط١٤١٤هـ.

﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1].

إنك يا رسول الله لا تهدي من أحببت أي لا تتمكن من هداية من تحب أن يهتدي من الناس.

فإن الرسول كان يحب هداية عمه أبي لهب وغيره من أشراف قريش بل الناس أجمعين، ولكنه لم يكن يتمكن من ذلك، والمراد بالهداية العمل الذي يجبرهم على الإسلام لا مجرد إراءة الطريق، ولكن الله يهدي من يشاء بأن يلطف به الألطاف الخفية حيث يراه مستعداً للإيمان مهيئاً نفسه للإذعان، فإراءة الطريق من الله والرسول عامة لكل أحد، أما الالطاف الخفية فالرسول لا يقدر عليها والله قادر عليها لكنه إنما يلطف بها على من أعد نفسه وأخذ يأتي في الطريق، وممن تنطبق عليه هذه الآية الكريمة هو سيد قطب مؤلف كتاب في ظلال القرآن الذي لم يهتد بنور الإيمان إذ ملئ قلبه بالحقد والغل للرسول وآله وذويه، فتراه ينتقص من الرسول وعمه وسائر قرابته في لفائف من الكلام المزيف بالتقليد الأعمى عن الأمويين أعداء الله والرسول وأغصان الشجرة الملعونة في القرآن، فقد أخذ يطبق هذه الآية الكريمة على سيدنا أبي طالب مع أنه قد قرأ ما ورد من طريق السنة والشيعة أن أبا طالب من أول المؤمنين بالرسول الكريم وهو القائل:

ولقد علمت بأن دين محمد
من خير أديان البرية دينا

ولو كان أبو طالب والداً لواحد من رموز الخط المناوئ لأهل البيت لرفعوه إلى مقام الملائكة المكرمين، ولكن ذنبه الوحيد أنه والد الإمام علي أمير المؤمنين وأنعم وأكرم بالوالد وما ولد.

وماذا عساني أن أقول فيمن يطبق آية عبس وتولى على الرسول ليبرئ ساحة عثمان الذي وردت فيه الآية[2].

---

(١) القصص: ٥٦.

(٢) تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢٠، ص٧٣ـ٧٥، بتصرف.

الخلاصة

نختصر القول فنقول:

إن التاريخ قد دوّن في وقت متأخر وفي ظل حكام جائرين ومستبدين وهكذا بالنسبة إلى تدوين الأحاديث فقد كانت السلطات الحاكمة تفرض على المسلمين أن يغيروا في الإسلام ويدونوا ما يهواه الحاكم وذلك طبقاً لميولهم وقد كان بعض الكتاب والمحدثين يتحمس للمبالغة في التحريف إرضاءً لذلك الحاكم.

وبعض هؤلاء كان حاسداً ومبغضاً للإمام علي عليه السلام وعاجزاً عن الطعن فيه رغم جميع محاولاته، وعلى هذا الأساس قاموا بتوجيه سهام ذلك الحقد الدفين والحسد البغيض إلى أبيه وذلك بهدف محاولة المساواة بين والد الإمام علي عليه السلام وبين آباء كبار من يعتقدون بهم من الخلفاء أو الحكام.

فالتاريخ يذكر لنا أن والدي عمر بن الخطاب قد ماتا على الشرك وكذلك والدي عثمان بن عفان، فإنهما ماتا على الشرك أيضاً، وهؤلاء الآباء ليس لهم ذكر في التاريخ لا قبل الإسلام ولا بعده، وهذا ثابت لا يختلف فيه اثنان، فعندما لم يجد الأعداء نقصاً أو عيباً في الإمام علي عليه السلام قاموا بتوجيه الضربة إلى أبي طالب، ونحن في ختام هذا البحث لقد مر عليك في الصفحات السابقة حديث الضحضاح وأن أبا طالب في النار وفي بعض الروايات أن دماغه يغلي من أثر الجمرة التي تحت قدميه كما في بعض رواياتهم وما إلى ذلك من أقوال الوضاعين الكذابين، وأنا في الحقيقة لا أعلم ما هي فائدة تلك الجمرة التي تحت قدمي أبي طالب ويغلي منها دماغه، فطالما هو في النار فما فائدة تلك الجمرة وهذه النار التي تصهر كل شيء كيف بها لم تصهر تلك الجمرة المزعومة؟! ثم ألم يكن من الأفضل أن يقول النبي إن أهون أهل النار يوم القيامة أبا طالب ويسكت ومن دون أن يذكر القدم والجمرة؟!

الحاصل: كأن الراوي قد أراد أن يشفي غليل صدره الحاقد فأضاف هذه الكلمة إلى أكاذيب من كان قبله، وأقول أيضاً: يا رسول الله شفاعتك لعمك أن تخرجه من النار وتدخله الجنة وأما أن يكون في النار بعد شفاعتك له فلا فائدة من تلك الشفاعة طالما

هو في النار.

وأخيراً أقول:

هل نترك كل تلك الروايات والأدلة القاطعة على إيمان أبي طالب عليه السلام ونتمسك بالرواية النكرة والرواة المشبوهين كسعيد بن المسيب وأبوه المسيب ومن ذكرنا ترجمتهم في بداية البحث وعبدالملك بن عمير ومن على هذا النمط، هؤلاء الذين طعنوا في إيمان أبي طالب في حين أنهم رفعوا قدر وشأن بعض الصحابة الذين كانوا إلى القدح فيهم أقرب وأولى، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[1].

---

(١) ابراهيم: ٤٢.

باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه

١٥.... أبو هريرة قال كنا قعوداً حول رسول اللهﷺ معنا أبو بكر وعمر في نفر فقام رسول اللهﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا فقمنا فكنت أول من فزع فخرجت أبتغي رسول اللهﷺ حتى أتيت حائطاً للأنصار لبني النجار فدرت به هل أجد له باباً فلم أجد فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجه والربيع الجدول فاحتفزت كما يحتفز الثعلب فدخلت على رسول اللهﷺ فقال أبو هريرة فقلت نعم يا رسول الله قال ما شأنك قلت كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا فكنت أول من فزع فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب وهؤلاء الناس ورائي فقال يا أبا هريرة وأعطاني نعليه قال اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة فكان أول من لقيت عمر فقال ما هاتان النعلان يا أبا هريرة فقلت هاتان نعلا رسول اللهﷺ بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لأستي فقال ارجع يا أبا هريرة فرجعت إلى رسول اللهﷺ فأجهشت بكاء وركبني عمر فإذا هو على أثري فقال لي رسول اللهﷺ مالك يا أبا هريرة قلت لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به فضرب بين ثديي ضربة خررت لأستي قال ارجع فقال له رسول الله يا عمر ما حملك على ما فعلت قال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة قال نعم قال

فلا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون قال رسول الله ﷺ فخلهم.

قال النووي في شرحه: قوله (وخشينا أن يقتطع دوننا) أي يصاب بمكروه من عدو إما بأسر وإما بغيره. قوله (وفزعنا وقمنا فكنت أول من فزع)... الفزع يكون بمعنى الروع وبمعنى الهبوب للشيء والاهتمام به، وبمعنى الإغاثة. قوله (حتى أتيت حائطاً للأنصار) أي بستاناً، وسمي بذلك لأنه حائط لا سقف له. قوله (فاحتفزت كما يحتفز الثعلب) هذا قد روي على وجهين: روي بالزاي وروي بالراء [ومعناه حفرت ليسعني المدخل]. قوله (فقال يا أبا هريرة) وأعطاني نعليه وقال اذهب بنعلي هاتين، وأما إعطاؤه النعلين فلتكون علامة ظاهرة معلومة عندهم يعرفون بها أنه لقي النبي ﷺ ويكون أوقع في نفوسهم لما يخبرهم به عنه ﷺ. قوله ﷺ (فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة) معناه أخبرهم أن من كانت هذه صفته فهو من أهل الجنة. قوله (فضرب عمر ﷺ بين ثديي فخررت لاستي فقال ارجع يا أبا هريرة)... قوله (لاستي) فهو اسم من أسماء الدبر. وأما دفع عمر ﷺ له فلم يقصد به سقوطه وإيذاءه بل قصد رده كما هو عليه، وضرب بيده في صدره ليكون أبلغ في زجره، قال القاضي عياض وغيره:... وليس فعل عمر ﷺ ومراجعته النبي ﷺ اعتراضاً عليه ورداً لأمره، إذ ليس فيما بعث به أبا هريرة غير تطييب قلوب الأمة وبشراهم، فرأى عمر ﷺ أن كتم هذا أصلح لهم وأحرى أن لا يتكلوا وأنه أعود عليهم بالخير. قوله (فأجهشت بكاءً وركبني عمر ﷺ وإذا هو على أثري)... قال القاضي عياض:... وهو أن يفزع الإنسان إلى غيره وهو متغير الوجه متهيء للبكاء ولما يبك بعد.

أقول:

هذا الأمر الذي صدر من النبي لأبي هريرة هل كان بأمر من الله عَزَّوَجَلَّ؟! وإن كان من أمر الله فلماذا قبل بمشورة عمر وقال (فخلهم)!! وخالف أمر الله وبشارته للمؤمنين!

وإن كان الأمر من عند النبي ومن تلقاء نفسه، فكيف يقول ويجزم بأن من شهد الشهادتين مستيقناً بها قلبه دخل الجنة!

ولماذا زجر عمر وضرب أبا هريرة وهو المأمور والمرسل والمبشر من قبل النبي الأكرم! وهل رأى عمر أن كتم هذا الأمر عن المسلمين أفضل وأصلح لهم!

فاقرأ معي أخي الكريم ما يقوله البخاري في صحيحه:

... عن شريك بن أبي نمر عن سعيد بن المسيب قال: أخبرني أبو موسى الأشعري أنه توضأ في بيته ثم خرج فقلت: لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا. قال: فجاء المسجد فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خرج وَوَجَّه ههنا، فخرجت على إثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ، فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قُفَّها وكشف عن ساقيه ودلّاهما في البئر فسلمت عليه ثم انصرفت، فجلست عند الباب فقلت: لأكونن بوّاب رسول الله ﷺ اليوم فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت من هذا؟ فقال: أبو بكر. فقلت: على رسلك، ثم ذهبت فقلت يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن فقال: ائذن له وبشّره بالجنة، فأقبلت حتى قلت لأبي بكر أدخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القُفّ ودلّى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني فقلت إن يرد الله بفلان خيراً - يريد أخاه - يأت به، فإذا إنسان يحرك الباب فقلت من هذا فقال عمر بن الخطاب فقلت على رسلك ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقلت هذا عمر بن الخطاب يستأذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فجئت فقلت ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القُفّ عن يساره ودلّى رجليه في البئر ثم رجعت فجلست فقلت إن يرد الله بفلان خيراً يأت به فجاء إنسان يُحرِّك الباب فقلت من هذا فقال عثمان بن عفان فقلت على رسلك فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فجئته فقلت له ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القُفّ قد مُلئ فجلس وُجاهه من الشق الآخر قال شريك قال سعيد بن المسيب فأوّلتُها قبورهم[1].

أقول: لماذا قبل عمر بشارته بالجنة من عبدالله بن قيس - أبو موسى الأشعري - وهل اتكل عمر على تلك البشارة طوال حياته؟! ولماذا رفضها من أبي هريرة وقبلها من الأشعري؟! وكيف نوفق بين هاتين الروايتين؟!

---

(١) كتاب فضائل الصحابة، باب حدثنا الحميدي.

يقول القاضي عياض: ليس فعل عمر ومراجعته النبي الأكرم اعتراضاً عليه ورداً لأمره!!

عجبي والله من هذا الذي يسمى قاضياً! ويحكم بهواه! وإلا فكيف يكون الاعتراض ورد الأوامر؟ وهل عمر بن الخطاب بفعله وقوله ذلك كان منتظراً أن يوافقه ربه في مراجعته؟! أليس هو الذي كان معارضاً لكتابة الكتاب الذي أراد النبي كتابته وقبل مفارقته هذه الدنيا؟! ألم يقل النبي الأكرم: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده؟! قال عمر: إن النبيﷺ غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند النبيﷺ قال قوموا عني قال عبيدالله فكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول اللهﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم[1]!!

لاحظ أخي القارئ أن عمر بن الخطاب هو الذي أشعل فتيل الفتنة بين الصحابة فاختلفوا واختصموا فطردهم النبي الأكرم والسبب الرئيسي أن عمر كان معارضاً لكتابة ذلك الكتاب، وهذا ليس بأول مورد يعترض فيه على نبينا ﷺ! فإن سيرة عمر مليئة بالاعتراضات، منها يوم منع رسولنا الأكرم من الصلاة على ابن أبي بن سلول، ففي صحيح البخاري أيضاً: لما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر رضي الله عنه فقال أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين؟ فقال: أنا بين خيرتين... الحديث[2].

ولو أردت أن تعلم صحة قولنا في ذلك فراجع صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، وكتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، وكتاب التفسير، باب ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، وكتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة القرآن، ولو أردت المزيد فراجع كتابنا «كشف المتواري في صحيح البخاري» ج١، ص٥٣٤، حديث ٢٦٢، فقد ذكرنا اعتراضات عمر هناك وبإسهاب، وكذلك أيضاً راجع كتابنا المذكور ج٢، ص٣٩٢، حديث ٤٨٠، وص٥٧٣، حديث ٥٨٥، وص٦١٩، حديث ١١٦.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب كراهية الخلاف.

(٢) كتاب الجنائز، باب الكفن في القميص.

باب وجوب محبة رسول الله(صلى الله عليه وآله)

١٦.... عن أنس قال قال رسول اللهﷺ لا يؤمن عبد وفي حديث عبدالوارث الرجل حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين.

١٧.... عن أنس بن مالك قال قال رسول اللهﷺ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.

يقول القرطبي في شرحه: قوله (لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين) هذا الحديث على إيجازه يتضمن ذكر أصناف المحبة، فإنها ثلاثة: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد والعلماء والفضلاء، ومحبة رحمة وإشفاق كمحبة الولد، ومحبة مشاكلةٍ واستحسان كمحبة غير ما ذكرنا، وإن محبة رسول اللهﷺ لابد أن تكون راجحة على ذلك كله، وإنما كان ذلك لأن الله تعالى قد كمّله على جميع جنسه وفضّله على سائر نوعه، بما جَبَلَه عليه من المحاسن الظاهرة والباطنة، وبما فضله من الأخلاق الحسنة، والمناقب الجميلة، فهو أكمل من وطئ الثرى، وأفضل من ركب ومشى، وأكرم من وافى القيامة، وأعلاهم منزلة في دار الكرامة.

قال القاضي أبو الفضل: فلا يصح الإيمان إلا بتحقيق إنافة قَدْر النبيﷺ ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومُفضَّل، ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن[1].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، المتوفى ٦٥٦هـ، ج١، ص٢٢٥، ط٢/١٤٢٠هـ، دار ابن كثير، بيروت.

إذن، ميزان الحب ومقياس الإيمان هو أن يكون النبي ﷺ أحب إلى العبد من الأهل والناس أجمعين، وكذلك من النفس، نعم، هذا هو ميزان الإيمان كما ذكر مسلم في الحديث وكذلك شارح الحديث.

فماذا يقول البخاري صاحب الصحيح؟

عبدالله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك! فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر[1]!

أقول:

إن جواب النبي الأكرم لعمر حين قال (الآن يا عمر) نفهمه من وجهين:

الوجه الأول: يعني بذلك الآن يا عمر اكتمل إيمانك.

الوجه الثاني: يعني بعد ماذا يا عمر، أبعد أن ذكرت لك ذلك؟ فلا فائدة من قولك لأنك صرحت بما في نفسك!

والشواهد على ذلك كثيرة، بأن الوجه الثاني هو الأرجح، وأن عمر كان يحب نفسه أكثر من نفس النبي الأكرم، فإن من يخاف أن يبارز عمرو بن عبدود يوم الخندق! ومن فر من ساحة القتال يوم أحد وترك النبي بين أيدي وسيوف المشركين! ومن أخذ بالتهرب وعدم المشاركة في حرب مؤتة تحت إمرة أسامة بن زيد! فكل ذلك بسبب حب النفس!!

فعجباً لهذا الصحابي كيف به هذه السنين الطويلة وقبل وفاة الرسول الأكرم بثلاث سنين ـ وهذا على أكثر التقادير ـ أحب النبي أكثر من نفسه، أي في هذه السنوات الثلاث فقط! نعم، وإلا فمن المحتمل أن يكون راوي الحديث وهو أبو هريرة روى ذلك قبل وفاة النبي ﷺ بسنة مثلاً، وإليك الحديث الذي يدلنا على ذلك:

عن أبي هريرة قال: أن رسول الله ﷺ قال: والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى

---

(١) كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ.

أكون أحب إليه من والده وولده[1].

ونحن نعلم أن قدوم أبي هريرة كان يوم فتح خيبر! وبعد الانتهاء من المعركة، أي في السنة السابعة من الهجرة، وقبل وفاة النبي بثلاث سنوات كما ذكرنا، وعلى عكس ذلك، نرى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله... الحديث[2].

أقول:

إن النبي الأكرم لم يقل (يحب الله ورسوله) إلا لأن علياً عليه السلام يحب رسول الله أكثر من نفسه، وكذلك مبيت الإمام في فراش النبي ليلة الهجرة دليل على ذلك أيضاً بأن النبي أحب إلى الإمام علي عليه السلام من نفسه، والشواهد على ذلك كثيرة، نكتفي بذلك حتى لا يطول بنا المقام.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ التوبة/٢٤.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الإيمان.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر.

باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان

١٨.... عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب وهذا حديث أبي بكر قال أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان فقام إليه رجل فقال الصلاة قبل الخطبة فقال قد ترك ما هنالك فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما عليه سمعت رسول الله ﷺ يقول من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان.

قال الأبي في شرحه إكمال إكمال المعلم:

قوله (أول من بدأ بالخطبة قبل الصلاة مروان) وقيل عمر، فعله ليدرك الصلاة من تأخر، وقيل لما رأى من ذهاب الناس عند فراغ الصلاة فقدمها ليجلسوا وقيل عثمان وقيل معاوية وقيل ابن الزبير فعله أيضاً.

والسنة وعمل الخلفاء وفقهاء الأمصار تقديم الصلاة! وعده بعضهم إجماعاً، ولعله بعد الخلاف ولعله لم يعتد بخلاف بني أمية بعد إجماع الصدر الأول، لأنهم كانوا ينالون من علي!! فكان الناس إذا صلوا تفرقوا، فقدموها ليجلس الناس!!

قوله (فقام إليه رجل) يأتي في صلاة العيد أن أبا سعيد هو الذي جذب مروان فقال مثلما قال الرجل.

قوله (ترك ما هنالك) يعني من تقديم الصلاة.

قوله (أما هذا فقد أدى ما عليه) إنكارهما بحضرة هذا الجمع وتسمية أبي سعيد ذلك منكراً يدل أن السنة وعمل الخلفاء تقديم الصلاة.

قوله (من رأى منكم منكراً فليغيره) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من دعائم الإسلام المجمع على وجوبها.

قوله (فليغيره بيده) الى آخر الحديث أصل في كيفية التغيير، فيجب أن يكون المغير عالماً بما هو منكر... فالتغيير باليد أن يكسر آلات الباطل... فإن خاف من التغيير باليد مفسدة أشد غير بالقول، فيعظ ويخوف ويندب إلى الخير... فإن خاف أيضاً من التغيير بالقول مفسدة أشد غير بالقلب.

قوله (وذلك أضعف الإيمان) قلت يعني أضعف خصاله الراجحة إلى كيفية التغيير لا خصاله مطلقاً، لأنه تقدم أن أضعفها إماطة الأذى عن الطريق[1].

وفي صحيح البخاري [إن أبا سعيد الخدري خرج مع مروان وهو أمير بالمدينة في أضحى أو فطر، فلما أتيا المصلى] فإذا مروان يريد أن يرتقيه - أي المنبر - قبل أن يصلي، فجبذبت بثوبه فجبذني فارتفع، فخطب قبل الصلاة فقلت له: غيرتم والله! فقال: أبا سعيد قد ذهب ما تعلم!! فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم. فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة[2]!

وفي صحيح البخاري أيضاً:... عن ابن عباس قال: شهدت العيد مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكلهم كانوا يصلون قبل الخطبة[3].

أقول:

لقد ضيعوا الصلاة وغيروا السنة! وجعلوا الخطبة قبل الصلاة، وذلك ليجلس الناس للخطبة ويستمعوا لها.

وماذا يريد أن يقول مروان في خطبته؟ يريد أن ينال من الإمام علي عليه السلام ويريد أن

---

(١) ج١، ص٢٥٣.

(٢) كتاب العيدين، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر.

(٣) كتاب العيدين، باب الخطبة بعد العيد.

يسب علياً في المدينة كما يسبونه في الشام!! حتى أصبح ذلك السب والشتم من السنة! واستمروا على ذلك مدة ثمانين سنة، وإليك الدليل أيها القارئ فأنت لن تقنع حتى ترى ما يقوله مسلم في صحيحه.

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه ﷺ قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم سمعت رسول الله ﷺ يقول له خلفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان! فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي!

وسمعته يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلاً يحبُ اللهَ ورسولَه ويحبُه اللهُ ورسولُه، قال: فتطاولنا لها فقال ادع لي علياً، فأُتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ آل عمران/٦١، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي[1].

يقول الأستاذ الدكتور موسى لاشين في شرحه للحديث: يحاول النووي تبرئة معاوية من هذا السوء فيقول (قال العلماء الأحاديث الواردة التي في ظاهرها دخل على صحابي يجب تأويلها)! قالوا: ولا يقع في روايات الثقات إلا ما يمكن تأويله، فقول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً بسبه وإنما سأله عن السبب المانع له من السب كأنه يقول هل امتنعت تورعاً أو خوفاً أو غير ذلك.

فإن كان تورعاً وإجلالاً له عن السب فأنت مصيب محسن!!

وإن كان غير ذلك فله جواب آخر!!

ولعل سعداً كان في طائفة يسبون فلم يسب معهم! وعجز عن الإنكار عليهم، فسأله هذا السؤال.

قالوا: ويحتمل تأويلاً آخر، أن معناه ما منعك أن تخطئه في رأيه واجتهاده وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنه أخطأ.

---

(١) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي ﷺ.

ويرد الدكتور لاشين على النووي وبلهجة استنكارية وشدة فيقول: وهذا تأويل واضح التعسف والبعد والثابت أن معاوية كان يأمر بسب علي وهو غير معصوم فهو يخطئ ولكننا يجب أن نمسك عن انتقاص أي من أصحاب رسول الله ﷺ وسب علي في عهد معاوية صريح[1]!!

وأخرج الحاكم في مستدركه:... عن ابن أبي مليكة عن أبيه قال جاء رجل من أهل الشام فسب علياً عند ابن عباس فحصبه ابن عباس فقال يا عدو الله آذيت رسول الله ﷺ... وقد صححه الحاكم.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول من سب علياً فقد سبني، وقد صححه الحاكم أيضاً.

وفيه ايضاً: أبا عبدالله الجدلي يقول: حججت وأنا غلام فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد فاتبعتهم فدخلوا على أم سلمة زوج النبي ﷺ فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي فأجابها رجل جلف جاف لبيك يا أمتاه! قالت: يسب رسول الله ﷺ في ناديكم؟! قال: وأنى ذلك؟! قالت: فعلي بن أبي طالب! قال: إنا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا! قالت: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله تعالى[2].

قال ابن أبي الحديد في شرحه: فأما عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه فإنه قال: كنت غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود فمر بي يوماً وأنا ألعب مع الصبيان ونحن نلعن علياً فكره ذلك ودخل المسجد فتركت الصبيان وجئت إليه لأدرس عليه وردي فلما رآني قام فصلى وأطال في الصلاة شبه المعرض عني حتى أحسست منه بذلك فلما انفتل من صلاته كلح في وجهي فقلت له ما بال الشيخ؟ فقال لي: يا بني أنت اللاعن علياً منذ اليوم؟ قلت نعم، قال: فمتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم؟

---

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ج٩، ص٣٣٢

(٢) المستدرك على الصحيحين، للحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، المتوفى ٤٠٥هـ، ج٣، ص١٢١، كتاب معرفة الصحابة، من مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ط مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت.

فقلت: يا أبت وهل كان علي من أهل بدر؟ فقال: ويحك! وهل كانت بدر كلها إلا له! فقلت: لا أعود، فقال: الله أنك لا تعود، قلت: نعم، فلم ألعنه بعدها[1]!

ويقول ابن حجر الهيتمي المكي في كتابه الصواعق المحرقة: من سب أهل بيتي فإنما يرتد عن الله والإسلام، ومن آذاني في عترتي فعليه لعنة الله ومن آذاني في عترتي فقد آذى الله، إن الله حرم الجنة على من ظلم أهل بيتي أو قاتلهم أو أعان عليهم أو سبهم[2].

هل لاحظت أخي الكريم كيف كان بنو أمية يسبون الإمام وعلى منبر رسول الله ﷺ وعلى الملأ! وقد ذكرنا الشيء اليسير من موبقات بني أمية وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان، ولو أردنا أن نسترسل في الحديث فكتب التاريخ والسير مشحونة بذلك السباب من أولئك الطغاة ومن دون خوف أو رادع يردعهم، وقاموا بنشر تلك البدعة على الملأ حتى سنوا ذلك السب في جميع الأقطار من شامهم إلى عراقهم والمدينة أيضاً إلى أن قام عمر بن عبدالعزيز بالأمر فأبدل مكان السب في الخطبة قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل/٩٠.

وخوفاً من الإطالة على القارئ نعود لما ورد في الحديث:

من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه إلى آخر الحديث، أقول:

ألم يسمع ابن عمر هذا الحديث؟ ولماذا لم يستعمل مقامه المعنوي فيمنع بعض ما جرى من الأمور المنكرة التي صدرت من الحكام والأمراء الظلمة الذين عاصرهم؟!

جاء في صحيح البخاري عن ابن عمر قال... خطب معاوية قال من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه فلنحن أحق به ومن أبيه! قال حبيب بن مسلمة فهلا أجبته! قال عبدالله فحللت حبوتي وهممت أن أقول أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عني غير ذلك

---

(١) شرح نهج البلاغة لعبدالحميد بن محمد بن أبي الحديد المعتزلي، المتوفى ٦٥٥هـ، المجلد٢، ج٤، ص٥٨ـ٥٩، فصل فيما روي من سب معاوية وحزبه لعلي، ط١٣٧٩هـ، دار إحياء الكتب العربية، تحقيق: محمد أبو الفضل.

(٢) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة لأحمد بن حجر الهيتمي المتوفى ٩٧٤هـ، ص٢٤٠، باب التحذير من بغضهم وسبهم، ط١٣٨٥/٢هـ.

فذكرت ما أعد الله في الجنان...[1].

لاحظ أن عبدالله بن عمر أعرض عن الرد على معاوية خوفاً من الفتنة وإراقة الدماء! فلماذا لم ينصر أباه فإن معاوية ذكر أباه بالإضافة إلى أنه ذكره أيضاً في قوله فلنحن أحق به ومن أبيه، أي هذا الأمر ـ الخلافة ـ ألم يكن من واجبه أن ينصر الحق ولو بكلمة؟! ألم يكن بمقدوره نصر كثير من الصحابة والمسلمين وذلك لأنه المحبوب والمقبول عند الناس؟! لأنه ابن عمر بن الخطاب وله وجاهة عند الحاكم والمسلمين؟! فهو يرى المنكر بأم عينيه ولا يتجرأ أن يستعمل صلاحياته حيال ذلك ولو بكلمة كما ذكرنا، وكأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معطل من برنامجه!

يقول الألباني عن خروج عائشة يوم الجمل: قالت عائشة لابن عمر: يا أبا عبدالرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلاً غلب عليك ـ يعني ابن الزبير ـ فقالت أما والله لو نهيتني ما خرجت[2].

لاحظ أخي القارئ أن عائشة تؤنب ابن عمر لأنه لم يأمرها بأن تقر في بيتها كما أمرها الله تعالى وكذلك ابن عمر أيضاً لم يعمل بما أمره الله به وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، ج١، القسم٢، ص٨٥٤، ط١٤١٥هـ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

باب تفاضل أهل الإيمان

١٩.... عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية.

٢٠.... قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق أفئدة، الفقه يمان والحكمة يمانية.

٢١.... عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: رأس الكفر نحو المشرق والفخر والخيلاء في اهل الخيل والإبل الفدادين أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم.

قال الأبي في شرحه إكمال إكمال المعلم:

قوله (جاء أهل اليمن) قلت: تقدم لابن الصلاح أنه يعني باليمن القطر المعروف ووصفهم بكونهم أرق أفئدة من ربيعة ومضر القاسية قلوبهم عن ذكر الله تعالى.

وقال: هم أضعف قلوباً وأرق أفئدة.

قوله (الإيمان يمان)... إن أريد باليمن الأنصار فالتقدير معظم أهل الإيمان، وأنصار الدين يمان، وإن أريد به مكة والمدينة فالتقدير مبدأ الإيمان، وقيل معناه أهل اليمن أكمل الناس إيماناً.

قوله (والفقه يمان) الفقه لغة الفهم وهو عند الأصوليين العلم بالأحكام الشرعية الفرعية المستدل على أعيانها والمراد به هنا الفقه في الدين، ويحتج به لترجيح فقه

مالك، لأنه يماني النسب والدار.

قوله (والحكمة يمانية) قال ابن عرفة: الحكمة لغة ما منع من الجهل، فالحكيم من منعه عقله منه مأخوذة من حكمة الدابة، وهي حديدة اللجام لأنها تمنعها، وقيل الحكمة الإصابة.

قوله (رأس الكفر) أي معظمه في المشرق... يعني نجداً مسكن ربيعة ومضر.

قوله (والفخر والخيلاء) الفخر التفاخر بعرض الدنيا من نسب أو جاه أو مال والخيلاء بالمد التبختر في المشي، هو التكبر في كل شيء.

(الفدادين) ـ بقر الحرث وهم أهل الجفاء لبعدهم عن الحاضرة[1].

يقول الاستاذ الدكتور لاشين:

الفدادين أهل الوبر، بدل من أهل الخيل والإبل، والبدل هو المقصود بالحكم، فكأنه قال: الفخر والخيلاء في الفدادين من أهل الخيل والإبل والوبر صوف الإبل.

والسكينة في أهل الغنم، السكينة الطمأنينة والسكون الوقار والتواضع، وهي مقابلة الفخر والخيلاء[2].

يريد أبا هريرة أن يجعل لأهل دوس فضيلة، فهو لم يهدأ له بال حتى وضع حديثاً في قومه، فكم كان هذا الدوسي نشطاً في وضعه للحديث، فكلما أراد شيئاً وضع فيه حديثاً ويريد أن يميز قومه عن بقية المسلمين! واقرأ هذه الخرافة أخي الكريم التي تأتي مكملة لحديث أبي هريرة:

يقول ابن حجر العسقلاني في شرحه: والطفيل بن عمرو... كان يقال له ذو النور... لأنه لما أتى النبيﷺ وأسلم بعثه إلى قومه فقال: اجعل لي آية، فقال: اللهم نور له فسطع نور بين عينيه، فقال يا رب أخاف أن يقولوا إنه مثله، فتحول إلى طرف سوطه وكان يضيء في الليلة المظلمة، ذكره هشام بن الكلبي في قصة طويلة وفيها أنه دعا قومه إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمه وأجابه أبو هريرة وحده.

---

(١) شرح الأبي والسنوسي على صحيح مسلم، ج١، ص٢٦٣.

(٢) فتح المنعم، ج١، ص١٩٨.

قلت: وهذا يدل على تقدم إسلامه، وقد جزم ابن أبي حاتم أنه قدم مع أبي هريرة بخيبر[1].

وقال ابن أبي حاتم الرازي: طفيل بن عمرو الدوسي قدم على النبيﷺ وهو بخيبر مع أبي هريرة[2].

ويقول الواقدي:... وقدم معه منهم المدينة سبعون أو ثمانون أهل بيت وفيهم أبو هريرة وعبدالله بن أزيهر الدوسي ورسول اللهﷺ بخيبر فساروا إليه فلقوه هناك[3].

الحاصل: أن أبا هريرة كان كلما أراد شيئاً وضع له حديثاً من كيسه ومزوده المزعوم، فمن كثرة رواياته جعل الصحابة يشكون فيما يرويه، وأخذوا يشيرون عليه بالبنان بل أخذوا يكذبونه أيضاً، وسوف نوافيك بالمزيد عن هذا الدوسي، فابق معنا.

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ج٨، ص١٢٦، كتاب المغازي، باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي.

(٢) الجرح والتعديل، ج٤، ص٤٨٩، ترجمة ٢١٤٩.

(٣) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد الواقدي، ج١، ص٢٣٩، وفد دوس.

باب بيان حال ايمان من رغب عن أبيه

٢٢. ... عن أبي عثمان قال لما ادّعي زياد لقيت أبا بكرة فقلت له ما هذا الذي صنعتم إني سمعت سعد بن أبي وقاص يقول سمع أذناي من رسول الله ﷺ وهو يقول من ادعى أباً في الإسلام غير أبيه يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام. فقال أبو بكرة وأنا سمعته من رسول الله ﷺ.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين: لما ادّعي زياد... أي ادعاه معاوية وصدقه زياد في ادعاءه فصار زياد مدعياً أنه ابن أبي سفيان وإنما خص أبو عثمان أبا بكرة بالإنكار لأن زياداً كان أخاه من أمه فحمل أبو عثمان أبا بكرة بعض تبعة إلحاق زياد بأبي سفيان، ولعله كان يجهل أن أبا بكرة بريء من هذا الفعل وأنه أنكره بشدة وهجر بسببه زياداً وحلف أن لا يكلمه أبدا[1].

كان زياد بن أبيه بن سمية والياً على فارس من قبل الإمام علي عليه السلام، فأراد معاوية مداراته واستمالته فأرسل إليه أنه أخوه وأطمعه في أن يلحق بأبي سفيان، ويعلن للناس أنه أخوه، فأصغى زياد إلى ذلك وتم الاستلحاق وصار من جملة أصحابه بعد أن كان من أصحاب علي عليه السلام، وأمّره معاوية على البصرة ثم الكوفة، فأنكر كثير من الصحابة والتابعين هذا العمل المشين، محتجين بحديث الولد للفراش وللعاهر الحجر، وكان أبو عثمان أحد المنكرين فقال لأبي بكرة كيف خالفتم الشريعة وكيف اجترأتم على حدود

(١) فتح المنعم، ج١، ص٢٣٢.

الله؟ قال أبو بكرة: مهلاً أبا عثمان لقد أنكرت هذا الفعل مثلما أنكرت وخاصمت فيه زياداً وهجرته وحلفت أن لا أكلمه أبدا، ولست أملك تغيير هذا المنكر بأكثر مما فعلت والله[1].

يقول ابن الأثير الجزري في تاريخه: ورأى معاوية أن يستميل زياداً واستصفى مودته باستلحاقه فاتفقا على ذلك، وأحضر الناس وحضر من يشهد لزياد، وكان فيمن حضر أبو مريم السلولي، فقال له معاوية: بم تشهد يا أبا مريم؟ قال: أنا أشهد أن أبا سفيان حضر عندي وطلب مني بغياً فقلت له ليس عندي إلا سمية، فقال ائتني بها على قذرها ووضرها[2]، فأتيته بها فخلا معها ثم خرجت من عنده وإن أسكتيها ليقطران منيا، فقال له زياد مهلاً أبا مريم إنك بعثت شاهداً ولم تبعث شاتماً! فاستلحقه معاوية وكان استلحاقه أول ما ردت به أحكام الشريعة علانية، فإن رسول الله ﷺ قضى بالولد للفراش وللعاهر الحجر[3].

وقال ابن عبدالبر في الاستيعاب: وكان أبو بكرة أخا زياد لأمه، أمهما سمية، فلما بلغ أبا بكرة أن معاوية استلحقه وأنه رضي بذلك، آلى يميناً لا يكلمه أبداً وقال: هذا زنّى أمه! وانتفى من أبيه، لا والله ما علمت سمية رأت أبا سفيان قط! ويله ما يصنع بأم حبيبة زوج النبي ﷺ، أيريد أن يراها، فإن حجبته فضحته، وإن رآها فيالها مصيبة يهتك من رسول الله ﷺ حرمة عظيمة، وحج زياد في زمن معاوية ودخل المدينة فأراد الدخول على أم حبيبة ثم ذكر قول أبي بكرة فانصرف عن ذلك[4].

وذكر المسعودي في مروجه أن جويرية بنت أبي سفيان كشفت عن شعرها بين يديه[5].

---

(١) نفس المصدر السابق ـ بتصرف ـ.

(٢) الوضر: ما يشمه الإنسان من ريح يجده من طعام فاسد ـ لسان العرب لابن منظور.

(٣) الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٢١، ذكر استلحاق معاوية زياداً، ط٤/١٤٠٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ليوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي، المتوفى ٤٦٣هـ، ج٢، ص١٠٢، ترجمة ٨٢٩، ط١/١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، وذكر اليعقوبي أيضاً في تاريخه، ج٢، ص١٦، وفاة الحسن بن علي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، والمسعودي في مروجه، ج٣، ص ٦، إلحاق زياد بن أبي سفيان.

(٥) ج٣، ص ٦، إلحاق زياد بن أبي سفيان، ط١/١٤٠٢هـ، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

قال العسكري في كتابه الأوائل: أول من استلحق في الإسلام معاوية، لما اجتمع الأمر لمعاوية قال للمغيرة بن شعبة إن داهية العرب متحصن في قلاع فارس معه الأموال ما يؤمنني أن يدعو إلى رجل من أهل البيت فيعيد على الأمر جذعه، قال أتحب أن أكون رسولك إليه قال نعم فخرج حتى ورد عليه فقال إن معاوية أقلقه الوجل منك وقد استقام له الأمر وبايعه الحسن وليس في أهل هذا البيت أحد يمد إليه الناس أعناقهم وأرى أن تصل حبلك بحبله وتنقل أصلك إلى أصله ففعل وقدم إلى معاوية فادعاه[1].

نعم هذا هو زياد بن أبيه الذي خلف من بعده ابنه عبيدالله بن زياد الذي كان له الدور الأكبر في قتال وقتل الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام يوم عاشوراء الدامي!!

قال تعالى: ﴿وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ الأعراف/٥٨.

(١) الأوائل للحسن بن عبدالله بن سهل العسكري المتوفى ٣٩٥هـ، ص١٧٨، ط١/١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

باب لا ترجعوا بعدي كفاراً

٢٣. ـ... عن علي بن مدرك سمع أبا زرعة يحدث عن جده جرير قال قال لي النبيﷺ في حجة الوداع استنصت الناس ثم قال لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.

٢٤. ... عن عبدالله بن عمر عن النبيﷺ أنه قال في حجة الوداع ويحكم أو قال ويلكم لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.

قال النووي في شرحه: قوله (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)... قال القاضي قال الصبري معناه بعد فراقي وموقفي هذا، وكان هذا يوم النحر بمنى في حجة الوداع، أو يكون بعدي أي خلافي، أي لا تخلفوني في أنفسكم بغير الذي أمرتكم به، أو يكون تحققﷺ أن لا يكون في حياته فنهاهم عنه بعد مماته، وقولهﷺ (استنصت الناس) معناه مرهم بالإنصات ليسمعوا هذه الأمور المهمة والقواعد التي سأقررها لكم، وقولهﷺ (ويحكم أو قال ويلكم) قال القاضي: هما كلمتان استعملتهما العرب بمعنى التعجب والتوجع، قال سيبويه: ويل كلمة لمن وقع في هلكة[1].

ويقول السنوسي في شرحه: قوله (لا ترجعوا بعدي كفاراً) تمسك به الخوارج في التكفير بالذنوب، وأجيب بأجوبة، الأول: أن كفاراً معناه مكفرين أي مستترين بالسلاح

(١) شرح صحيح مسلم للنووي، المجلد١، ج٢، ص٤١٦، ط١، دار القلم بيروت.

يضرب بعضكم رقاب بعض، وأصل الكفر الستر، والثاني: جملة على التشبيه، أي أشباه الكفار... والثالث: المراد الكفر اللغوي، أي لا تجحدوا ما علمتم من حرمة دمائكم، والرابع: يعني كفر نعمة الله تعالى عليهم في أن ألف الله بين قلوبهم، والخامس: قال الخطابي: المعنى لا يكفر بعضكم بعضاً فتستحلوا لذلك ضرب بعضكم رقاب بعض، والسادس: المراد أهل الردة، أي لا ترتدوا[1].

هذه الروايات التي مرت عليك ولو أنها مبتورة وأن الشراح لم يعطوها الاهتمام من حيث مكان الخطبة مثلاً وماذا قال النبي الأكرم في خطبته وذلك بعد أن أوقف الحجيج عند مفترق الطرق بالنسبة للحجاج وتحت الشمس الحارقة، على كل حال نحن راضون بما ورد في هذه الروايات وسوف نعلق على ما ورد فيها فقط!

ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال إنكم محشورون حفاة عراة غُرْلاً ثم قرأ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابي أصحابي! فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى قوله ﴿حَكِيمُ﴾[2].

وقد ورد هذا الحديث بصيغ مختلفة منها:

«لا تدري ما أحدثوا بعدك»، ومنها: «فأقول سحقاً سحقاً لمن غيّر وبدل»، ومنها: «ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فأقول يا رب أصحابي فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى»، وفي رواية «حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم قلت أين قال إلى النار قلت ما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى».

الحاصل: أن النبي ﷺ قال ذلك كما في الرواية التي نحن بصددها محذراً الصحابة وقال أيضاً وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا

---

(١) مكمل إكمال الإكمال لمحمد بن محمد السنوسي الحسني، المتوفى ٨٩٥هـ، ج١، ص٢٩٢.

(٢) كتاب بدء الخلق، باب قول الله تعالى ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾.

فيها[1]، نلاحظ أن الأحاديث التي تتحدث بهذا الخصوص جاء فيها ذكر كلمة أناس، وتارة أقوام، وفي بعضها ناس، وفي بعضها أقواماً وهذا دليل على الكثرة، راجع كتاب الرقاق في باب الحوض من صحيح البخاري، فعلى ضوء ذلك وما ورد في البخاري ومسلم وكتب السنن والتاريخ فإن الكثير من الصحابة ممن بدل وغيّر وأحدث وحرف!!

يقول الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه[2]!!

إذاً.. فهؤلاء الصحابة الذي يُدعَّون إلى النار دعّاً هم من أصحاب النبي الأكرم وممن كان معه ورآه وأسلم على يديه وكان في وقته وزمانه!!

نعم! ولنأخذ نموذجاً واحداً من هؤلاء الذين غيروا وبدلوا وحرفوا، ونحاول أن نختصر ذلك:

جاء في صحيح البخاري... عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذاك وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني فكتب إلي عثمان أن أقدم المدينة فقدمتها فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذاك لعثمان فقال لي إن شئت تنحيت فكنت قريباً فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمّروا علي حبشياً لسمعت وأطعت[3].

يقول البلاذري: لما أعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه وأعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم، وأعطى زيد بن ثابت الأنصاري مائة ألف درهم، جعل أبو ذر يقول: بشر الكانزين ـ الكافرين ـ بعذاب أليم، ويتلو قول الله عز وجل ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ التوبة/٣٤، فرفع ذلك مروان بن الحكم إلى عثمان فأرسل إلى أبي ذر ناتلاً مولاه أن انته عما يبلغني عنك! فقال: أينهاني عثمان عن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض.

(٢) ج٦، القسم الثاني، ص١٢٠٢، حديث ٢٩٨٢.

(٣) كتاب الزكاة، باب ما أدي زكاته.

قراءة كتاب الله؟!...

يقول البلاذري:

قال عثمان يوماً: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال فإذا أيسر قضى؟

قال كعب الأحبار: لا بأس بذلك.

فقال أبو ذر: يا ابن اليهوديين! أتعلمنا ديننا؟!

فقال عثمان: ما أكثر أذاك لي وأولعك بأصحابي[1]!

يقول اليعقوبي في تاريخه:

بلغ عثمان أيضاً أن أبا ذر يقع فيه، ويذكر ما غيَّر وبدَّل من سنن رسول الله، وسنن أبي بكر وعمر، فسيره إلى الشام إلى معاوية، وكان يجلس في المسجد فيقول كما كان يقول، ويجتمع إليه الناس حتى كثر من يجتمع إليه ويسمع منه.

وكان يقف على باب دمشق إذا صلى صلاة الصبح فيقول:

جاءت القطار تحمل النار، لعن الله الآمرين بالمعروف والتاركين له، ولعن الله الناهين عن المنكر والآتين له.

وكتب معاوية إلى عثمان: إنك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر.

فكتب إليه ان احمله على قتب بغير وطاء، فقدم به إلى المدينة وقد ذهب لحم فخذيه، فلما دخل إليه وعنده جماعة قال: بلغني أنك تقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا أكملت بني أمية ثلاثين رجلاً، اتخذوا بلاد الله دولاً وعباد الله خولاً ودين الله دغلاً؟

فقال: نعم، سمعت رسول الله يقول ذلك.

فقال لهم: أسمعتم رسول الله يقول ذلك؟

فبعث إلى علي بن أبي طالب فأتاه فقال: يا أبا الحسن أسمعت رسول الله يقول ما حكاه أبو ذر؟ وقص عليه الخبر.

---

(١) أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى البلاذري المتوفى ٢٧٩هـ، ج٢، ص٥٤٢، أمر أبي ذر جندب بن جنادة الغفاري ﷺ، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ط٣، القاهرة.

فقال علي: نعم.

قال: وكيف تشهد؟ قال: لقول رسول الله ما أضلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر.

فلم يقم بالمدينة إلا أياماً حتى أرسل إليه عثمان، والله لتخرجن عنها.

قال: أتخرجني من حرم رسول الله؟

قال: نعم، وأنفك راغم!

قال: فإلى مكة، قال: لا!

قال: فإلى البصرة، قال: لا!

قال: فإلى الكوفة، قال: لا! ولكن إلى الربذة التي خرجت منها، حتى تموت بها! يا مروان! أخرجه ولا تدع أحداً يكلمه حتى يخرج!

فأخرجه على جمل ومعه امرأته وابنته. فخرج علي والحسن والحسين وعبدالله بن جعفر وعمار بن ياسر ينظرون، فلما رأى أبو ذر علياً قام إليه فقبل يده ثم بكى وقال: إني إذا رأيتك ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله، فلم أصبر حتى أبكي، فذهب علي يكلمه فقال مروان: إن أمير المؤمنين قد نهى أن يكلمه أحد، فرفع علي السوط فضرب وجه ناقة مروان وقال: تنح نحاك الله إلى النار! ثم شيعه...(1).

أقول:

إن النبيﷺ حرَّم التعرُّب بعد الهجرة ـ أي أن يعود من هاجر إلى البادية والأعراب ـ مرة أخرى.

وعثمان هذا خالف هذا الأمر وهذه القاعدة التي أسسها الرسولﷺ، فنفى وأبعد أبا ذر هذا الصحابي الجليل إلى الربذة! ولماذا؟

لأنه فضحهم ـ أي عثمان وبني أمية قاطبة ـ وهذه من جنايات من تستحي منه الملائكة!!

---

(١) تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب بن وهب، المتوفى ٢٨٤هـ، ج٢، ص١٧٢، أيام عثمان بن عفان، ط دار صادر، بيروت.

ولو أردت المزيد من الذين بدلوا سنة رسول الله ﷺ، راجع كتابنا كشف المتواري في صحيح البخاري، المجلد٢، ص٤٤١، وكذلك ص٧١، وذلك لتعرف حقيقة هؤلاء الصحابة الذين بدلوا وغيروا سنة النبي الأكرم، وسوف نوافيك بالمزيد في الصفحات القادمة.

٢٥.... عن عدي بن ثابت عن زر قال قال علي والذي فلق الحبة وبرء النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق.

قال النووي في شرحه: وعرف من علي بن أبي طالب رضي الله عنه قربه من رسول الله ﷺ وحب النبي ﷺ له وما كان منه في نصرة الإسلام وسوابقه فيه وأما قوله (فلق الحبة) فمعناه شقها بالنبات وقوله (وبرء النسمة) هو بالهمزة أي خلق النسمة وهي بفتح النون والسين وهي الإنسان وقيل النفس... أن كل دابة في جوفها روح فهي نسمة[1]، انتهى.

لاحظ كيف يشرح النووي الحديث! وكأنه يريد أن يتخلص من الشرح بهذه السرعة ويحاول الانتقال إلى الحديث التالي! وإلا فمن يقول فيه النبي الأكرم أن حبه إيمان وبغضه نفاق أليس من الأجدر على الشارح أن يضع النقاط على الحروف ولكي يستفيد المسلمون من شرحه!

يقول الاستاذ الدكتور لاشين في شرحه فتح المنعم: علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ابن عم النبي ﷺ ولد قبل البعثة بعشر سنين ولازم النبي ﷺ من صغره ونام مكانه ليلة الهجرة معرضاً حياته لخطر المشركين من أجل الإسلام ومن أجل رسول الله ﷺ وتزوج ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها فنال حب النبي ﷺ وحب الله تعالى بالمبالغة في اتباع دينه حتى قال عنه ﷺ إن علياً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وقال لعلي أنت مني وأنا منك ولهذا كانت محبته علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق وقد عاش كرم الله وجهه حتى رأى مخالفيه وشاهد كثرة معارضيه وأحس ببغض مبغضيه وحاول أصحابه جمع الكلمة ودعوة المسلمين للالتفاف حوله بتذكيرهم بمناقبه وفضله بهذا الحديث وبأمثاله ولكن الغوغاء كانوا أكثر فعالية وتيار الفتنة كان أشد تأثيراً فلم تثمر العظة ولم تغن

---

(١) المجلد١، ج٢، ص٤٢٤.

النذر وانحدر بعض من ينتسبون إلى الإسلام إلى اتهامه وتآمروا على اغتياله وقتله ثم زادوا فحكموا بكفره! وأعلنوا على المنابر التشهير به ولعنه نكثوا عهد النبيﷺ ونقضوا وصاياه وحاربوا حبيبه وعادوا من فتح الله على يديه خيبر[1].

هل لاحظت أخي الكريم هذا الشارح أعني بذلك الأستاذ الدكتور موسى لاشين ولو أنه لم يعط الموضوع حقه ولكن شرحه للحديث أفضل من النووي الذي حاول التهرب من الشرح الوافي والذي حاول إخفاء فضائل الإمام عليعليه السلام.

ذكر البخاري في صحيحه عن عبدالله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال بعث النبيﷺ علياً إلى خالد ليقبض الخمس وكنت أبغض علياً وقد اغتسل فقلت لخالد ألا ترى إلى هذا فلما قدمنا على النبيﷺ ذكرت ذلك له فقال يا بريدة أتبغض علياً فقلت نعم قال لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك[2]!

لقد قام البخاري ووضع الحديث تحت مقص البتر كعادته والحديث بتمامه في مسند أحمد بن حنبل، فاقرأ ما يقوله ابن حنبل بعث رسول اللهﷺ سرية وأمّر عليهم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فأحدث شيئاً في سفره فتعاهد قال عفان فتعاقد أربعة من أصحاب محمدﷺ أن يذكروا أمره لرسول اللهﷺ قال عمران وكنا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول اللهﷺ فسلمنا عليه قال فدخلوا عليه فقام رجل منهم فقال يا رسول الله إن علياً فعل كذا وكذا فأعرض عنه ثم قام الثاني فقال يا رسول الله إن علياً فعل كذا وكذا فأعرض عنه ثم قام الثالث فقال يا رسول الله إن علياً فعل كذا وكذا فأعرض عنه ثم قام الرابع فقال يا رسول الله إن علياً فعل كذا وكذا قال فأقبل رسول الله على الرابع وقد تغير وجهه فقال: دعوا علياً دعوا علياً إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي[3].

لا يخفى عليك أن هؤلاء الصحابة الأربعة يبغضون الإمامعليه السلام! ولكن الصحابي بريدة الأسلمي أصبح كبش الفداء لهم، فاشتهر أمره كما في الرواية.

وقد جاء في سنن الترمذي بنفس اللفظ ولكن باختلاف يسير، فبدل قول دعوا علياً

---

(١) فتح المنعم، ج١، ص٢٥٢.

(٢) كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخالد بن الوليد إلى اليمن.

(٣) ج٤، ص٤٣٨، حديث عمران بن حصين، ط دار الفكر العربي، بيروت.

دعوا علياً يقول النبي الأكرم ما تريدون من علي ما تريدون من علي ما تريدون من علي إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي وقد صححه المحقق محمد ناصر الدين الألباني[1].

وفي مسند أحمد أيضاً عن بريدة قال غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت علياً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير فقال يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قلت بلى يا رسول الله قال من كنت مولاه فعلي مولاه[2].

قال المحقق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح!

راجع إن شئت الموسوعة الحديثية: مسند أحمد بن حنبل، ج٢٨، ص٣٨، حديث ٢٢٩٤٥.

هل لاحظت أخي الكريم ما ذكرناه لك كيف أن بريدة يجيب النبي الأكرم وبملء فيه ويقول نعم أبغض علياً!!

يقول ابن حجر: ولأحمد... عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال أبغضت علياً بغضاً لم أبغضه أحداً وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغضه أيضاً[3]!!

وفي سنن الترمذي: أبي سعيد الخدري إنا كنا لنعرف المنافقين معشر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب[4].

أقول:

اعلم أخي القارئ الكريم أن بريدة بن الحصيب الأسلمي هذا ممن بايع تحت الشجرة وهو صحابي ولن يدخل النار كما يدعي ابن تيمية ذلك لأنه بايع تحت الشجرة فعلى

---

(١) صحيح سنن الترمذي للألباني، المجلد ٣، ص٥٢١، حديث ٣٧١٢، باب من مناقب علي بن أبي طالب ﷺ، ط١/١٤٢٠هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

(٢) ج٥، ص٣٤٧، حديث بريدة الأسلمي.

(٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج٨، ص٨٣، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب ﷺ وخالد بن الوليد إلى اليمن، حديث ٤٣٥٠.

(٤) كتاب المناقب، باب٢١، حديث ٣٧١٧، ط المكتبة الإسلامية.

ضوء ما قرأنا وفهمنا فإنه يعتبر من المنافقين كما ورد في الحديث الذي نحن بصدده وذلك لأنه يبغض علياً!

إذن هو صحابي منافق، فكيف جاز لأهل العامة أن تجعل جميع الصحابة عدولاً، وكيف لا يجوز الطعن في أحد منهم، وبريدة هذا قال للنبي إني أبغض علياً وأمام الرسول قال ذلك، فكيف به بعد وفاة النبي ورحيله من هذه الدنيا الفانية!

واقرأ ما يقوله شيخ النواصب: إن بغض علي من علامات النفاق[1].

(١) منهاج السنة النبوية لأحمد بن عبدالحليم الحراني المتوفى ٧٢٨هـ، ج٤، ص٤٢، ط دار الكتب العلمية، بيروت، بتصرف.

باب بيان الكبائر

٢٦. ... عن أبي هريرة أن رسول اللهﷺ قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

قال القرطبي في شرحه: قوله (اجتنبوا السبع الموبقات) أي المهلكات، وسميت هذه الكبائر موبقات لأنها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات وفي الآخرة من العذاب ولا شك في أن الكبائر أكثر من هذه السبع.

(التولي يوم الزحف) والزحف القتال، وقد سمي الجيش بالزحف لأنه يزحف فيه، والتولي عن القتال إنما يكون كبيرة إذا فر، و (قذف المحصنات) رميهن بالزنا، والإحصان هنا العفة عن الفواحش، و(الغافلات) يعني عما رمين به من الفاحشة، أي هن بريئات من ذلك، لا خبر عندهن منه[1].

وفي مسند أحمد بن حنبل عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال بايعنا نبي اللهﷺ يوم الحديبية على أن لا نفر[2].

وفيه أيضاً: عن عبدالله بن مغفل... قال إني لآخذ بغصن من أغصان الشجرة أضل به

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأحمد بن عمر القرطبي، ج١، ص٢٨٤، ط١٤٢٠/٢هـ، دار ابن كثير، بيروت.

(٢) ج٣، ص٢٩٢، مسند جابر بن عبدالله.

النبي ﷺ وهم يبايعونه فقالوا نبايعك على الموت؟ قال لا ولكن لا تفروا[1]!

وفي صحيح مسلم: عن جابر قال لم نبايع رسول الله ﷺ على الموت إنما بايعناه على أن لا نفر[2].

وفي المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري عن أبي ليلى عن علي أنه قال يا أبا ليلى أما كنت معنا بخيبر قال بلى والله كنت معكم قال فإن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر إلى خيبر فسار بالناس وانهزم حتى رجع.

وفيه أيضاً: بعث عمر... وبعث معه الناس إلى مدينتهم أو قصرهم فقاتلوهم فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه، فجاءوا يجبنونه ويجبنهم! ويقول الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[3]!

وفي سنن ابن ماجه أن النبي الأكرم قال لأبعثن رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليس بفرار فتشرف له الناس فبعث إلى علي فأعطاها إياه[4].

أقول:

بما أن الرسول الأكرم ﷺ قال ليس بفرار كما ورد في سنن ابن ماجه فإن الذين بعثهم لفتح حصون خيبر قد فروا من ساحة القتال.

وفي صحيح البخاري: جاء رجل من أهل مصر وحج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال من هؤلاء القوم فقالوا هؤلاء قريش قال فمن الشيخ فيهم قالوا عبدالله بن عمر قال يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال نعم[5].

واعلم أخي الكريم أن صلح الحديبية كان قبل معركة حنين وبعد أن أخذ النبي الأكرم البيعة من الصحابة تحت الشجرة والتي سميت ببيعة الرضوان فقد نكثوا شروط البيعة وفروا من ساحة المعركة وذلك عندما أخذ الخوف منهم كل مأخذ وزاغت الأبصار

---

(١) نفس المصدر السابق، ج٥، ص٥٤، حديث عبدالله بن مغفل المزني.

(٢) كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام.

(٣) ج٣، ص٣٧، كتاب المغازي، ط بيروت.

(٤) ج١، ص٤٤، حديث ١١٧، المقدمة، فضل علي بن أبي طالب ﷺ.

(٥) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان.

وبلغت القلوب الحناجر وفر الصحابة!! أعيد وأكرر لقد نكث الصحابة شروط البيعة وفروا من ساحة القتال إلى أن صاح بهم العباس عم النبي وبأمر من النبي وذكرهم بالبيعة (يا أصحاب بيعة الشجرة والرضوان) وكان ذلك بأمر النبي ﷺ فرجع المسلمون وقاتلوا فكان النصر لهم.

وفي صلح الحديبية وقبل بيعة الرضوان أرسلت قريش عروة بن مسعود ليتفاوض مع النبي الأكرم وقد دار بينهما الأخذ والشد أثناء الكلام قبل كتابة «كتاب الصلح»، ومن جملة ما ذكره عروة للنبي قوله: «إني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك»! فقال له أبو بكر: امصص ببظر اللات! أنحن نفر عنه وندعه! إلى آخر الرواية، راجع إن شئت ذلك صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة.

الحاصل أن عروة هذا كان عالماً بأصحاب النبي، وكان له بعد نظر وكأن قريشاً أصابت في اختيار من يمثلها في المفاوضات مع النبي ﷺ، وكأن من عادة هؤلاء الصحابة الفرار، لذا ترى عروة يقول للنبي إن هؤلاء سيخذلونك ويدعونك في ساحة المعركة وحيداً بين سيوفنا ورماحنا!

الخلاصة: التولي يوم الزحف من الكبائر، فعندما استشعر النبي الأكرم من الصحابة الفرار إذا حمى الوطيس أخذ البيعة منهم على أن لا يفروا تحت الشجرة (بيعة الرضوان). قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح/١٨، والصحابة قد نكثوا شروط البيعة كما ذكرنا وفروا يوم حنين، فباستطاعتنا الآن أن نقول أن رضا الله سبحانه وتعالى عن الصحابة بعد البيعة تحت الشجرة كان رضا آنياً وليس أبدياً والسبب ما ذكرناه، فتأمل، وأما الذين لم ينهزموا وصمدوا مع رسول الله ﷺ في الدفاع عنه يقول ابن حجر العسقلاني في شرحه فتح الباري: لما فر الناس يوم حنين... لم يبق معه إلا أربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم، علي والعباس بين يديه وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان، وابن مسعود من الجانب الأيسر، قال وليس يقبل نحوه أحد إلا قتل[1].

---

(١) ج٨، ص٣٧، حديث٤٣١٥، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾.

باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه

٢٧.... عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا.

٢٨.... عن يحيى بن أبي كثير أن أبا قلابة أخبره أن ثابت بن الضحاك أخبره أنه بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة وأن رسول الله ﷺ قال من حلف على يمين بملة غير الإسلام كاذباً فهو كما قال ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة وليس على رجل نذر في شيء لا يملكه.

يقول القرطبي في شرحه: (خالداً مخلداً فيها أبداً) ظاهره التخليد الذي لا انقطاع له بوجه، وهو محمول على من كان مستحلاً لذلك، ومن كان معتقداً لذلك كان كافراً، وأما من قتل نفسه وهو غير مستحل فليس بكافر بل يجوز أن يعفو الله عنه، ويجوز أن يراد بقوله خالداً مخلداً فيها أبداً تطويل الآماد، ثم يكون خروجه من النار من آخر من يخرج من أهل التوحيد[1].

اعلم أخي الكريم أن نبيك ﷺ أراد الانتحار!! بأن يلقي بنفسه من الجبل كرات

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، ج١، ص٣١١.

ومرات! أتصدق ذلك؟!! نعم، يجب عليك أن تصدق ذلك!!

لأن الذي ذكر هذا الخبر صاحب الصحيح محمد بن إسماعيل البخاري! هذا الذي يأتي كتابه بعد كتاب الله ﷻ مباشرة من حيث المرتبة!! فكل ما فيه صحيح، وإلا لماذا سمي صحيح البخاري بالصحيح؟ فاقرأ ما يقوله البخاري في صحيحه والذي هو إلى التصحيح أحوج:

... عن عائشة ﵂ أنها قالت أول ما بُدِئَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَقِ الصبح فكان يأتي حراء فَيَتَحَنَّث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويَتَزَوَّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ فقال له النبي ﷺ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فَغَطَّني حتى بلغ مني الجَهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فَغَطَّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما لي وأخبرها الخبر وقال قد خشيت على نفسي فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخريك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكَلَّ وتُقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن قصي وهو ابن عم خديجة أخو أبيها وكان امرءاً تَنَصَّرَ في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة أي ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة ابن أخي ماذا ترى فأخبره النبي ﷺ ما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذي أُنزِل على موسى يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ أو مُخرِجي هم فقال ورقة نعم لم يأت رجل قط بما ما جئت به إلا عُودِي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يَتَرَدَّى من رؤوس شَواهِق الجبال فكُلَّما أَوْفَى بِذَروَةِ جَبَل لكي يُلقِي منه نفسه تَبَدَّى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جَأشُه

وتُقِرَّ نفسه فيرجع فإذا طالت عليه فَترَة الوحي غَدَا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تَبَدَّى له جبريل فقال له مثل ذلك[1].

قال ابن حجر في شرحه:

وفتر الوحي... فترة حتى حزن النبيﷺ فيما بلغنا... مكث أياماً بعد مجيء الوحي لا يَرَى جبريل فحزن حزناً شديداً (غَدَا منه مراراً كي يَتَرَدَّى من رؤوس شواهق الجبال)!! حتى كان يغدو إلى ثَبير مرة وإلى حراء أخرى يريد أن يُلقي نفسه فبينما هو كذلك عامداً لبعض تلك الجبال إذ سمع صوتاً فوقف فزعاً ثم رفع رأسه فإذا جبريل على كرسي بين السماء والأرض مُتَرَبِّعاً يقول يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل فانصرف وقد أَقَرَّ الله عينه وانبسط جأشه[2].

أقول:

لقد نَسَبَ البخاري إلى النبيﷺ بأنه أراد الانتحار وذلك عندما قال فتر الوحي أياماً وأراد أن يُلقِي بنفسه من أعالي الجبال وعند ذلك تَبَدَّى له جبريل فَقَرَّت عين النبي الأكرم.

أليس هو القائلﷺ كما ذكر البخاري في صحيحه في باب شرب السُّم والدواء من كتاب الطب عن أبي هريرة... عن النبيﷺ قال من تَرَدَّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مُخَلَّداً فيها أبداً....

قد يقول قائل أن فكرة الانتحار راودت النبي قبل تحريم الانتحار من قِبَل الله، فنقول: كذلك تحريم الخمر ووأد البنات وتحريم لبس الذهب بالنسبة للرجل ووو... هذه كلها جاءت بعد النبوة ولكن الله عَصَمَ نبيهﷺ أن يئد إحدى بناته مثلاً، ولو كان قد صدر ذلك منه لكان المشركون قد عابوا عليه وقالوا أنت بالأمس قد وأدت إحدى بناتك واليوم تُحَرِّمه علينا! وكذلك القول في الخمر أيضاً، والزنا والعياذ بالله وخيانة الأمانة والكذب والسرقة... فالنبي معصوم عن أي كبيرة وعن أي زلة قبل وبعد نبوته. وإلا كيف يَصح

---

(١) كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله.

(٢) فتح الباري، ج١٢، ص٤٣٧، حديث٦٩٨٢.

أن يكون الزاني والسارق والكذاب والقاتل ووو... نبياً! وكيف يسوغ للناس أخذ التعاليم الصحيحة عنه، وإن جَوَّزنا الانتحار عليه وهو من الذنوب الكبائر فإننا فتحنا الباب أمام جواز باقي المنكرات عليه، هذا وقد كان ذلك منه بعد بدء الوحي وبعد أن عاين الحق، فصدور تلك المناكير عنه قبل بدء الوحي أولى!!

وبهذا احتج عليهم ﷺ عند بداية الدعوة عندما قال لقريش أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مُصَدِّقِي؟

قالوا: (ما جَرَّبنا عليك كذباً)!!

قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد... الحديث[1]، وذلك لعلمهم بنزاهته وصدقه وعدم صدور أي عمل أو قول مُناف للأدب عنه.

أعود للرواية:

محاولة إلقاء النفس من أعالي الجبال وفكرة الانتحار عاودت النبي وأيضاً كان يظهر له جبريل كما في المرة الأولى فيسكن حزنه! كيف تصدق ذلك أخي الكريم وكيف تقبل لنفسك أن تكون مرتبة هذا الصحيح بعد القرآن مباشرة! وكيف تقبل بقول شيوخك بأن كل ما في صحيح البخاري صحيح؟!

نبي ومن أولي العزم وخاتم الأنبياء يحاول الانتحار من رؤوس الجبال، فلا حول ولا قوة إلا بالله!!

راجع كتابنا كشف المتواري في صحيح البخاري، ج ١، ص ٥٢، حديث ٢، كتاب كيف كان بَدء الوحي، باب بَدء الوحي.

٢٩.... عن أبي هريرة قال شهدنا مع رسول الله ﷺ حنيناً فقال لرجل ممن يدعى بالإسلام هذا من أهل النار فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً فأصابته جراحة فقيل يا رسول الله الرجل الذي قلت له آنفاً إنه من أهل النار فإنه قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات فقال النبي ﷺ إلى النار فكاد بعض المسلمين أن يرتاب فبينما هم على ذلك إذ قيل إنه لم يمت ولكن به جراحاً شديداً فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل

---

(١) صحيح البخاري، سورة تبت، من كتاب التفسير.

نفسه فأخبر النبيﷺ بذلك فقال الله أكبر أشهد أني عبدالله ورسوله ثم أمر بلالاً فنادى بالناس أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

٣٠.... عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول اللهﷺ التقى هو والمشركون فافتتلوا فلما مال رسول اللهﷺ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم وفي أصحاب رسول اللهﷺ رجل لا يدع لهم شاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه فقالوا ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان فقال رسول اللهﷺ أما إنه من أهل النار فقال رجل من القوم أنا صاحبه أبداً قال فخرج معه كلما وقف وقف معه وإذا أسرع أسرع معه، قال، فجرح الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل إلى رسول اللهﷺ فقال أشهد أنك رسول الله قال وما ذاك قال الرجل الذي ذكرت آنفاً أنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به فخرجت في طلبه حتى جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فقال رسول اللهﷺ عند ذلك إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه فتح المنعم: (فكاد بعض المسلمين أن يرتاب) ويتشكك في إخبار الرسولﷺ عن هذا الرجل.

(فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه)، ذباب السيف طرفه الأسفل حين يتدلى وأما طرفه الأعلى فمقبضه ونصله حديدته.

في سنة سبع من الهجرة وفي غزوة خيبر أو في سنة ثمان في غزوة حنين وفي معسكر المسلمين دخل قزمان الظفري على رسول اللهﷺ وحوله جماعة من أصحابه فلما انصرف الرجل قال الرسولﷺ لمن حوله من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى ذلك الرجل، وظن السامعون أنه منافق وحرصوا على متابعته والاطلاع على تصرفاته وبدأ القتال بين المسلمين والكفار وإذا بالرجل يصول ويجول ويعمل سيفه مرة ونبله أخرى في المشركين يقتل منهم ويجرح ولا يدع منهم شاردة ولا واردة... ودخل الجماعة على رسول اللهﷺ قالوا يا رسول الله الرجل الذي قلت عنه إنه من أهل النار قاتل اليوم

قتالاً لم يقاتله أحد منا!... قال ﷺ أما إنه من أهل النار!... نظر القوم بعضهم إلى بعضهم في حيرة من الأمر ودهشة من الخبر قال قائل منهم وهو أكثم بن أبي الجون الخزاعي: أنا أكفيكم أمر هذا الرجل دعوني أتبعه وألازمه... فجرح الرجل جرحاً شديداً فلم يصبر عليها فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه إلى أعلى وتحامل عليه فخرج من ظهره ومن بين كتفيه فقتل نفسه فقال النبي إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة بالقدر مسلمة بالقضاء إن الله يؤيد الإسلام بالرجل الفاجر(١).

جاء في صحيح البخاري: [قال النبي ﷺ] إن العبد ليعمل فيما يرى الناس عمل أهل الجنة وإنه لمن أهل النار، ويعمل فيما يرى الناس عمل أهل النار وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمل بخواتيمها(٢).

وفيه أيضاً أن عثمان رضي الله عنه حيث حوصر أشرف عليهم وقال: أنشدكم ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال من حفر رومة فله الجنة فحفرتها، ألستم تعلمون أنه قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزتهم، قال فصدقوه بما قال(٣).

لاحظ هذا الصحابي كيف يمن على الصحابة وعلى رأسهم النبي الأكرم؟!

يقول عز من قائل في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ البقرة/٢٦٤.

وقال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ﴾ الحجرات/١٧.

وقال تعالى في سورة إبراهيم، آية١١: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾.

أقول:

فلو صح أن عثمان هو الذي جهز جيش العسرة وحفر بئر رومة ولو أن الأقوال في

---

(١) ج١، ص٣٦٨.

(٢) كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم.

(٣) كتاب الوصايا، باب إذا أوقف أرضاً أو بئراً.

هذا الأمر متضاربة وكأن الوضاعين قد تباروا فيما بينهم وذلك لإرضاء الحاكم الأموي معاوية.

فلماذا لم ينفق عثمان ولو درهماً واحداً من أجل أن يناجي النبيﷺ؟! فاقرأ معي ما قاله ابن عباس في أسباب نزول الآيات ١٢ و١٣ من سورة المجادلة:

قال: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول اللهﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه فأنزل ﴿إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ﴾ الآية، فلما نزلت صبر الناس وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد ذلك ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ الآية.

عن علي قال: لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ قال لي النبيﷺ: ما ترى دينار؟ قلت: لا يطيقونه، قال: فنصف دينار؟ قلت: لا يطيقونه، قال: فكم؟ قلت: شعيرة...(١).

اعلم أخي الكريم أن عثمان خرج من مكة صفر اليدين كبقية المهاجرين، فمن أين جاء بالأموال حتى يحفر بئر رومة؟! وأين كان الأنصار؟! فلا وجود ولا ذكر لهم! هؤلاء الذين آووا المهاجرين وقاسموهم جميع ما يملكون، يبخلون بحفر بئر رومة! إن هذا لشيء عجاب! وكأن معاوية أراد أن يرفع شأن ابن عمه فوضع واختلق مثل هذه الرواية لعثمان، وكان هدفه طمس فضائل الإمام عليعليه السلام حتى أن المحدثين أخذوا يبالغون في الوضع حتى قالوا إن عثمان كان يحيى الليل ويقرأ القرآن في ركعة واحدة في حين أن هذا العمل رفضه النبي وحذر المسلمين منه فقال لعبدالله بن عمرو بن العاص كما في بعض الروايات: إقرأ القرآن في شهر... إلى أن قال له: اقرأ في ثلاث. أي اختم القرآن في كل ثلاثة أيام، وحذره أن يقرأ ويختم في أقل من ذلك، ولكن أهل الوضع أرادوا أن يعطوا فضيلة لعثمان فذكروا أنه كان يختم القرآن في ركعة واحدة! في حين أنهم قد قدحوا فيه من حيث لا يشعرون! واقرأ معي أخي الكريم خاتمة عمل عثمان:

يقول ابن كثير الدمشقي في كتابه البداية والنهاية:

صفة حصر... عثمان بن عفان

---

(١) تفسير وبيان القرآن الكريم مع أسباب النزول للسيوطي، ص٤٠٩، ط دار الرشد، دمشق.

... قال الأحنف: انطلقنا حجاجاً فمررنا بالمدينة، فبينما نحن في منزلنا إذ جاءنا آت فقال: الناس في المسجد فانطلقت أنا وصاحبي، فإذا الناس مجتمعون على نفر في المسجد، قال: فتخللتهم حتى قمت عليهم، فإذا علي بن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص، قال: فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشي فقال: ههنا علي؟ قالوا: نعم، قال: أههنا الزبير؟ قالوا: نعم، قال: أههنا طلحة؟ قالوا: نعم، قال: أههنا سعد؟ قالوا: نعم، قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من يبتاع مربد بني فلان غفر الله له؟ فابتعته فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إني قد ابتعته. فقال: اجعله في مسجدنا وأجره لك.

قالوا: نعم.

قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من يبتاع بئر رومة؟ فابتعتها بكذا وكذا، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إني قد ابتعتها ـ يعني بئر رومة ـ فقال: اجعلها سقاية للمسلمين ولك أجرها. قالوا: نعم.

قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال: من يجهز هؤلاء غفر الله له؟ فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقالاً.

قالوا: اللهم نعم.

فقال: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثم انصرف[1].

أقول:

أولاً: هذا المال الذي بذلته في سبيل الله، لا يجب عليك أن تمن به على المسلمين ولا داعي لذكره.

وهل لو كان النبي ﷺ حاضراً وجرت عليك مشكلة ما، فهل كنت تستشهد بذلك أيضاً وتمنّ على النبي والمسلمين؟!

ثانياً: بعد ذكر ذلك قلت: اللهم اشهد ثلاث مرات، وذلك كي تثبت أنك من أهل

---

(١) ج٥، ص٤٠٨، ط١/١٤٢١هـ، المكتبة العصرية، بيروت.

الجنة.

ولنقرأ التأريخ ونرى أعمال هذا الحاكم وخاتمة عمله.

اعلم أخي الكريم بأن الأحاديث الشريفة تكمل وتشد وتسند وتفسر بعضها بعضاً، فلا وجود للتناقض بين حديث صحيح وآخر.

قال الواقدي:

فلما وليهم عثمان لَانَ لهم، ووصلهم ثم توانى في أمرهم، واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الأواخر، وكتب لمروان بخُمس مصر! وأعطى أقرباءه المال! وتأول في الصلة التي أمر الله بها! واتخذ الأموال واستسلف من بيت المال، وقال: إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما وإني أخذته فقسمته في أقربائي فأنكر الناس عليه ذلك[1].

وحسبك ما جاء في الخطبة الشقشقية للامام علي عليه السلام حيث قال: إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث فتله وأجهز عليه عمله وكَبَتْ به بِطنته[2].

يقول ابن عبد ربه الأندلسي في كتاب العقد الفريد:

عن عبدالله بن سنان قال: خرج علينا ابن مسعود ونحن في المسجد، وكان على بيت مال الكوفة، وأمير الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال: يا أهل الكوفة! فقدت من بيت مالكم الليلة مائة ألف لم يأتيني بها كتاب من أمير المؤمنين، ولم يكتب لي بها براءة، قال: فكتب الوليد بن عقبة إلى عثمان في ذلك، فنزعه عن بيت المال[3]!

قال البلاذري:

قدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فلما رآه قال: ألا إنه قدمت عليكم دويبة سوء! من تمشي على طعامه يقيء ويسلح، فقال ابن مسعود:

---

(١) الطبقات الكبرى للواقدي، ج٢، ص٨٥ـ٨٦، القسم الأول في البدريين من المهاجرين، ذكر بيعة عثمان، ط١٤١٤هـ، دار الفكر، بيروت.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١، ص١٩٧، الخطبة الشقشقية، ط١٣٧٨/١هـ، دار إحياء الكتب العربية.

(٣) ج٤، ص٣٠٧، ط١٤٠٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

لست كذلك! ولكني صاحب رسول الله ﷺ ويوم بدر ويوم بيعة الرضوان...! ثم أمر عثمان به فأُخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً وضرب به عبدالله بن زمعة... بل احتمله... ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فدُقَّ ضلعه!!

فقال علي: يا عثمان! أتفعل هذا بصاحب رسول الله ﷺ بقول الوليد بن عقبة؟!

فقال: ما بقول الوليد فعلت هذا، ولكن وجهت زبيد بن الصلت الكندي إلى الكوفة فقال له ابن مسعود: إن دم عثمان حلال!

وأوصى (ابن مسعود) أن لا يصلي عليه عثمان[1].

ويقول البلاذري أيضاً:

قال عثمان يوماً: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال فإذا أيسر قضى؟!

فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك!

فقال أبو ذر: يا ابن اليهوديين! أتعلمنا ديننا!

فقال عثمان: ما أكثر أذاك لي وأولعك بأصحابي[2]!

لما توفي أبو ذر بالربذة: تذاكر علي وعبدالرحمن بن عوف فعل عثمان، فقال علي: هذا عملك! فقال عبدالرحمن: إذا شئت فخذ سيفك وآخذ سيفي! إنه قد خالف ما أعطاني!

وقال أيضاً ـ أي البلاذري ـ:

أن عبدالرحمن بن عوف كان حلف ألّا يكلم عثمان أبداً[3].

عن محمد بن شهاب الزهري قال:

قلت لسعيد بن المسيب: هل أنت مخبري كيف كان قتل عثمان؟ ما كان شأن الناس وشأنه؟ ولم خذله أصحاب محمد ﷺ؟

فقال:... لأن عثمان كان يحب قومه، فولي الناس اثنتى عشرة سنة وكان كثيراً ممن

---

(١) أنساب الأشراف، ج٢، ص٥٢٥، ط٣، القاهرة.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٥٤٢.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٥٤٧.

يولي بني أمية ممن لم يكن له مع رسول الله ﷺ صحبة!

فكان يجيء من أمرائه ما ينكره أصحاب محمد ﷺ، وكان عثمان يستعتب فيهم، فلا يعزلهم، فلما كان في الست حجج الأواخر استأثر بني عمه فولاهم وما أشرك معهم... ولى عبدالله بن أبي سرح مصر... فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه! وقد كان قبل ذلك من عثمان هنات[1] إلى عبدالله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر... فكتب إليه كتاباً يتهدده فيه فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان، وضرب بعض من أتاه من قِبَل عثمان من أهل مصر - وقتل رجلاً منهم - فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا المسجد وشكوا إلى أصحاب محمد ﷺ في مواقيت الصلاة، ما صنع ابن أبي سرح بهم، فقام طلحة بن عبيدالله فكلم عثمان بن عفان بكلام شديد، وأرسلت عائشة إليه فقالت: تقدم إليك أصحاب محمد ﷺ وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت إلا واحدة!

فهذا قد قتل منهم رجلاً فأنصفهم من عاملك.

ودخل عليه علي بن أبي طالب وكان متكلم القوم فقال:

إنما يسائلونك رجلاً مكان رجل وقد ادعوا قبله دماً، فاعزل عنهم، واقض بينهم فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه.

فقال لهم: اختاروا رجلاً أوليه عليكم مكانه!

فأشار الناس عليه بمحمد بن أبي بكر... فخرج محمد ومن معه فلما كان على مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير يخبط البعير خبطاً، كأنه رجل يطلب أو يطلب، فقال له أصحاب محمد: ما قصتك وما شأنك...؟! فقال لهم: أنا غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر، فقال له رجل: هذا عامل مصر!... فأقبل مرة يقول: أنا غلام أمير المؤمنين، ومرة يقول: أنا غلام مروان!... فقال له محمد: إلى من أرسلت؟ قال: إلى عامل مصر. قال: بماذا؟ قال: برسالة... ففتشوه... وكانت معه إداوة... فيها شيء يتقلقل... فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح... إذا أتاك فلان ومحمد وفلان فاحتل قتلهم وأبطل كتابه، وقر على عملك حتى يأتيك رأيي...!

---

(١) هنات: أي شدائد وأمور عظام.

فرجعوا إلى المدينة... فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعداً... وأقرؤوهم الكتاب... فلما رأى ذلك علي... دخل على عثمان... فقال له علي: هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم، قال: والبعير بعيرك؟ قال: نعم، قال: فأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: لا....

قال له علي... فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك لا تعلم به؟!

... وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان... وسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى، وكان مروان عنده في الدار.

... وأبى عثمان أن يخرج إليهم مروان، وخشي عليه القتل، وحاصر الناس عثمان[1].

كان الوليد بن عقبة والياً على الكوفة من قبل عثمان، وكان يشرب الخمر من أول الليل إلى الصباح، فتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح فصلى بهم أربعاً وقال: أتريدون أن أزيدكم؟! وظهر فسقه ومداومته على شرب الخمر، فشكوه لعثمان فقال عثمان: وما يدريكم أنه شرب خمراً؟! فزجرهم وطردهم!

فتكلم معه علي عليه السلام بشأن الوليد فأحضره وجلده وولى الكوفة بعده سعيد بن العاص وأيضاً ظهرت منه أمور منكرة، فاستبد بالأموال فشكوه لعثمان، وذكروا له مناكيره وسوء سيرته فكره عثمان أن يعزله، ومكث أهل الكوفة في المدينة أياماً لا يخرج إليهم عثمان! وجعل أمر سعيد معلقاً.

وقام بنفي أبي ذر إلى الربذة ومن أسباب ذلك أن عثمان قال: أترون باساً أن نأخذ مالاً من بيت المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه؟

فقال كعب: لا بأس بذلك! فرفع أبو ذر العصى فدفع بها صدر كعب وقال: يا ابن اليهودي ما أجرأك على القول في ديننا! فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لي، غيب وجهك عني فقد آذيتنا!

ومن ثم قام بفضح عثمان حتى سيره إلى الشام، فكتب معاوية إلى عثمان أن أبا ذر تجتمع إليه الجموع ولا آمن أن يفسدهم عليك، فكتب إليه عثمان بحمله على بعير عليه قتب يابس! ومعه خمسة يطيرون به! حتى أتوا به المدينة وقد تسلّخت بواطن

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٣٩، ص٤١٨، ط١٤١٦هـ، بيروت.

أفخاذه!

فقال له عثمان: وار وجهك عني!

فقال: أسير إلى مكة، قال: لا!

قال: إلى البصرة، قال: لا!

ثم قال عثمان: إلى الربذة! فسيَّره إلى الربذة ـ أي أن أبا ذر رجع أعرابياً بعد الهجرة! وهذا ما حرمه الشرع من أن من هاجر من الأعراب أن يعود أعرابياً مرة أخرى!! ـ.

وكان مما نقمه عثمان على عمار بن ياسر، أنه قال بعد أن بويع لعثمان، قال أبو سفيان بعد أن دخل على عثمان: أفيكم أحد غيركم؟ وكان قد عمي، قالوا: لا. قال: يا بني أمية! تلقفوها تلقف الكرة! فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة[1]!

قال اليعقوبي في تاريخه:

وكان بين عثمان وعائشة منافرة، وذلك أنه نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب، وصيرها أسوة غيرها من نساء رسول الله، فإن عثمان يوماً ليخطب إذ دلت عائشة قميص رسول الله ونادت يا معشر المسلمين! هذا جلباب رسول الله لم يُبْلَ وقد أبلى عثمان سنته[2]!!

يقول سيد قطب:

منح عثمان من بيت المال زوج ابنته الحارث بن الحكم يوم عرسه مائتي ألف درهم! وجاء زيد بن أرقم خازن مال المسلمين، وقد بدا في وجهه الحزن وترقرقت عينه بالدموع فسأله أن يعفيه من عمله! ولما علم منه السبب وعرف أن عطيته لصهره من مال المسلمين قال مستغرباً: أتبكي يا ابن أرقم أن وصلت رحمي! فرد الرجل الذي يستشعر روح الإسلام المرهف: لا يا أمير المؤمنين! ولكن أبكي لأني أظنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله، والله لو أعطيته مائة درهم لكان

---

(١) مروج الذهب للمسعودي، ج٢، ص٣٥٢، ط١٣٨٤هـ، مصر. بتصرف.

(٢) ج٢، ص١٧٥، ط دار صادر، بيروت.

كثيراً.

فغضب عثمان على ذلك الرجل الذي لا يطيق ضميره هذه التوسعة في مال المسلمين على أقارب خليفة المسلمين، وقال له: ألق بالمفاتيح يا ابن أرقم فإنا سنجد غيرك!

ومنح الزبير ذات يوم ستمائة ألف! ومنح طلحة مائتي ألف! ونفل مروان بن الحكم خمس خراج إفريقية!!! وآوى طريد رسول الله الحكم بن العاص! ووسع على معاوية في الملك، فضم إليه فلسطين وحمص.

ويقول سيد قطب:

... إنه لمن الصعب أن نتهم روح الإسلام في نفس عثمان، ولكن من الصعب كذلك أن نعفيه من الخطأ[1].

لاحظ أن سيد قطب يستصعب اتهام عثمان وكذلك إعفاءه من الخطأ، فإن هذا الرجل لا يعرف الحق إلا من خلال عثمان! وإلا كل تلك الجرائم والجنايات والبدع وسرقة بيت المال! يسميها سيد قطب (أخطاء) عثمان! بدل جنايات عثمان!

فسيد قطب هذا المتعصب للصحابي العدل! لا يتجرأ لا بقلمه ولا بلسانه ولا بقلبه أن يتهم عثمان، أو أن يعتب عليه، كونه صحابياً عدلاً! فأخذ سيد قطب مأخذ الحياد مع كل تلك الروايات والأدلة التي يقر بها سيد قطب بنفسه على جنايات عثمان خلال سني حكمه.

ومن الذي شاركوا في التحريض على قتل عثمان، عبدالرحمن بن عُديس، هذا الذي بايع تحت الشجرة، هذا الصحابي العدل الذي لا يجوز الطعن فيه!! هذا الذي لن يدخل النار كما يقول ابن تيمية:

كل من بايع تحت الشجرة أو ما تسمى ببيعة الرضوان فلن يدخل النار أبداً[2]، فكيف نوفق بين هذين الصحابيين، أي بين ابن عديس وبين عثمان؟! وكلاهما من أهل الجنة كما تدعي العامة!

---

(١) العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص٢١١، ط١٣٩٤هـ، دار الشروق، بيروت.

(٢) منهاج السنة لابن تيمية، ج٧، ص٥٦، الوجه السادس، ط١/١٤٠٦هـ.

وأين نذهب بحديث إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار؟! وكيف نوفق بين هذه الروايات المتضاربة؟!

أقول:

نعم، لقد رأى الصحابة والمسلمون أن عثمان خارج عن دائرة الإسلام ومفسد في الأرض فأباحوا دمه! كما أباح دمه ابن مسعود كما ذكر عثمان في الصفحات التي مرت عليك.

فعثمان بعد أن وصلت به الأهواء وحب الدنيا وقهر المسلمين وظلمهم إلى أعلى المراتب، وسلم بيت المال لمن ليس لهم أية فضيلة سوى أنهم من أقربائه! فعاثوا مرفهين واكتنزوا الأموال وبنوا القصور.

نرى من جهة أخرى أن المسلمين والصحابة المخلصين قد أزيحوا عن المناصب المهمة، وحل مكانهم قوم مستهترون أمثال الوليد بن عقبة ومروان بن الحكم.

يقول طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى:

إن عثمان قد كان قبل أن يلي الخلافة سخياً سمحاً معطاءً وكان كثير المال، ضخم التجارة كثير الاكتساب، فكان ماله يسعه ويسع أهله وذوي رحمه.

فلما تولى الخلافة شغلته عن التجارة والاكتساب، ولم يكن له بد من أن ينفق على نفسه وأهله وذوي قرابته بعد الخلافة كما كان ينفق قبلها فكان يرى فيما يظهر أن الخلافة يجب أن لا تغير من سيرته في المال شيئاً، فإذا لم يسعفه ماله الخاص وجب أن تسعفه الأموال العامة[1]!!

هل قرأت كلام طه حسين؟!

يعني بذلك أن يمد عثمان يده على أموال المسلمين من بيت المال، فيأخذ ما يشاء من دون حسيب ولا رقيب!!

لاحظ أنه لا يقول إلا ما يوافق رأيه في عثمان، ويريد أن يخرج صاحبه عثمان من ورطته ولو على حساب الأمة الإسلامية!

---

(١) ج١، ص١٩١، ط١١/١٩٩٦م، دار المعارف.

ويريد أن يخطئ جميع الصحابة والمسلمين الذين ثاروا على هذا الذي تستحي منه الملائكة!! وذبحوه بِعُقر داره كما يُذبح الكبش. ويأتينا طه حسين بالأعذار الواهية والرقيقة كرقة بيت العنكبوت ويحاول إخراج صاحبه من ورطته ولكن دون جدوى.

فهذه كتب التاريخ بين أيدينا فلن تستطيع إقناع المسلمين بتلك الأعذار الواهية.

واعلم أخي الكريم أن العامة تحاول أن تصور لنا أن عثمان صحابي جليل، وقد استشهد وهو يقرأ القرآن وقد قتل مظلوماً وأن الذين ثاروا عليه وقتلوه خارجون عن دائرة الإسلام، وأنهم همجيون وقلوبهم كانت مليئة بالحقد على الإسلام والمسلمين.

وتحاول العامة أيضاً أن تصور لنا كيفية قتله وأنه كان يقرأ القرآن وسال الدم على آية ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ إلى آخر اختراعاتهم للقصص الحزينة وكل ذلك كي يغطوا على صاحبهم بأنه كان بعيداً عن نهج الحق وعن كتاب الله والسنة النبوية وسيرة صاحبيه.

يقول الطبري في تاريخه:

(أن الناس اجتمعوا على باب دار عثمان مثل الجبال! فطلب عثمان من مروان أن يخرج إليهم) فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً، فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب؟! شاهت الوجوه! كل إنسان آخذ بإذن صاحبه، ألا من أريد جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا! اخرجوا عنا! أما والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم، ارجعوا إلى منازلكم فإنا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا[1].

ويقول:

فجاء علي عليه السلام مغضباً حتى دخل على عثمان فقال: أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الضعينة يقاد حيث يسار به، والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه! وأيم الله إني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك... فلما خرج علي دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة امرأته فقالت: أتكلم أو أسكت؟ فقال: تكلمي!

---

(١) لمحمد بن جرير الطبري، المجلد ٢، ج ٤، ص٤٩١، ثم دخلت سنة خمس وثلاثين، ط٢/١٤٠٧هـ، بيروت.

فقالت: قد سمعت قول علي لك وإنه ليس يعاودك وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء، قال: فما أصنع؟ قالت: تتقي الله وحده لا شريك له وتتبع سنة صاحبيك من قبلك، فإنك متى أطعت مروان قتلك، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة، وإنما تركك الناس لمكان مروان...[1].

وبعد الحصار الطويل كتب عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان وهو محاصر في داره:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن أهل المدينة قد كفروا! وأخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة! فابعث إلي من قبلك من مقاتلة الشام على كل صعب وذلول.

لاحظ قول عثمان (فإن أهل المدينة قد كفروا)! نعم!! لقد كَفَّرَ جميع المسلمين!!

فلما جاء معاوية الكتاب تربص به وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ! وقد علم اجتماعهم، فلما أبطأ أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن أسد بن كرز وإلى أهل الشام يستنفرهم... وذكَّرهم بلاءه عندهم وصنيعه إليهم، فإن كان عندكم غياث فالعجل العجل فإن القوم معاجلي[2].

وحصر عثمان اثنين وعشرين يوماً[3].

ويقول الطبري أيضاً:

أن محمد بن أبي بكر دخل عليه فأخذ بلحيته... ودخل عليه رجل يقال له الموت الأسود، قال: فخنقه ثم خفقه... في حديث ابن سعيد دخل على عثمان رجل فقال: بيني وبينك كتاب الله... قال: فيهوي له بالسيف فاتقاه بيده فقطعها... دخل عليه التجيبي فأشعره مشقصاً فانتضح الدم على هذه الآية ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[4].

عن أبي بشير العابدي قال: نبذ عثمان... ثلاثة أيام لا يدفن. (فتوسط الإمام عليه السلام لأهل عثمان من المسلمين والصحابة على أن يدفنوه).

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٤٩٤.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٥٠٦، ذكر الخبر عن قتله وكيف قتل.

(٤) نفس المصدر السابق، ص٥٠٢.

فلما سمع بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة... فلما خرج به على الناس رجموا سريره وهموا بطرحه[1].

وقد حمل عثمان على باب وأن رأسه ليقرع الباب من الإسراع به ويقول: طق طق، ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته، ودفن في حش كوكب وكانت اليهود تدفن فيه موتاهم.

فلما حكم معاوية بن أبي سفيان أمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين[2].

أقول:

هذا هو الاختبار الإلهي لعثمان.. فالاختبار والامتحان من الله تعالى لجميع البشر ومن دون استثناء ولو كان ذلك الشخص من كانت الملائكة تستحي منه!

ومن الناس من ينجح في ذلك الاختبار، ومنهم من يرسب ويسقط في الهاوية وفي مزبلة التاريخ، أو مزبلة اليهود! أو (حُش كوكب)!

فعثمان اعتلى سدة الحكم واختُبر بالجاه والأموال والقصور والبساتين وما أشبه، فسقط في الاختبار الإلهي وهوى وسحق بالأقدام من قبل الصحابة الكرام!

وكما قيل: عند الامتحان يُكرم المرء أو يُهان.

وختاماً، وعلى ضوء ما قرأنا، أقول:

إنما الأعمال بالخواتيم، فلا بئر رومة تنفعك غداً ولا تجهيزك جيش العسرة.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٥١٦، ذكر الخبر عن الموضع الذي دفن فيه عثمان.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٥١٧. بتصرف.

باب كون الإسلام يهدم ما قبله

٣١. ... عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت فبكى طويلاً وحول وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول يا أبتاه أما بشرك رسول اللهﷺ بكذا أما بشرك رسول اللهﷺ بكذا قال فأقبل بوجهه فقال إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إني كنت على أطباق ثلاث لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً لرسول اللهﷺ مني ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبيﷺ فقلت ابسط يمينك فلأبايعك فبسط يمينه قال فقبضت يدي قال مالك يا عمرو قال قلت أردت أن اشترط قال تشترط بماذا قلت أن يغفر لي قال أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله وما كان أحد أحب إلي من رسول اللهﷺ ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فإذا دفنتموني فشنوا علي التراب شناً ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي.

قال محمد الأبي في شرحه إكمال إكمال المعلم: كان عمرو داهية رأياً وعقلاً ولساناً، كان عمر بن الخطاب إذا خاطب رجلاً ولم يفهم يقول سبحان من خلقك وخلق عمرو

بن العاص وولي مصر عشر سنين وثلاثة أشهر، أربع لعمر وأربع لعثمان وسنتين وثلاثة أشهر لمعاوية... وترك ثلاثمائة ألف دينار وخمسة وعشرون ألف دينار ومن الورق ألفي درهم وغلة ألفي ألف دينار وضيعته المعروفة بالرهط وقيمتها عشرة آلاف ألف درهم، ولما حضرته الوفاة نظر إلى ماله فقال ليتك بعراً وليتني مت في غزوة ذات السلاسل، لقد دخلت في أمور ما أدري ما حجتي فيها عند الله، أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت آخرتي، عمي عني رشدي حتى حضر أجلي، لكأني به حوى مالي وأساء خلافتي في أهلي، ثم قال لابنه ائتني بجامعة فشد بها يدي إلى عنقي ففعل ثم رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إنك أمرتني فعصيت ونهيتني فتجاوزت ولست عزيزاً فأنتصر ولا بريئاً فأعتذر ولكني أشهد أن لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك، ثم وضع إصبعه في فمه كالمفكر المتندم حتى مات، وقال له ابنه عبدالله يا أبت كنت تقول ليتني أحضر رجلاً عاقلاً قد نزل به الموت يحدثني بما يجد وقد نزل بك فحدثني بما تجد قال يا بني لكأني قد ضغت[1] ولكأني أتنفس من سم الخياط ولكأن غصن شوك جر من قدمي إلى هامتي[2].

ويقول ابن عبدالبر في كتابه الاستيعاب دخل ابن عباس على عمرو بن العاص في مرضه فسلم وقال كيف أصبحت يا أبا عبدالله قال أصلحت من دنياي قليلاً وأفسدت من ديني كثيراً[3].

هذا عمرو بن العاص الصحابي الذي لا يجوز الطعن فيه فبلسانه يعترف بأنه أفسد دينه وأصلح دنيا معاوية، هذا الصحابي الذي لا يعرف مصيره إلى أين وفي حيرة من أمره فبعد اعترافه في قوله «ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها» وقوله «أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت آخرتي» فبهذه الجمل القليلة أقر واعترف الرجل على نفسه بذلك، فلا مجال لشراح الحديث أو الرواية أن يقوموا بتأويل كلامه، فالقضية لا مجال للتأويل فيها، ولنلق نظرة على التاريخ ولنر ما الذي جناه هذا الصحابي.

والظاهر من الرواية أن هذا الرجل دائماً وأبداً يشترط في معاملاته مع غيره فقد اشترط

---

(١) ضغت: وهو اللوك بالأنياب والنواجذ.

(٢) ج١، ص٣٨٢، ط١/١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) ج٣، ص٢٦٩، ١٩٥٣م، عمرو بن العاص، ط١/١٤١٥هـ، بيروت.

على النبي أن يغفر له قبل دخوله الإسلام كما اشترط على معاوية أيضاً أن يأتيه بالخلافة بشرط أن يهب له ولاية مصر، وذلك بعد التحكيم في صفين.

ذكر ابن كثير في تاريخه أن أهل الشام رفعوا المصاحف مكراً منهم بأهل العراق في صفين... أن الذي أشار برفع المصاحف هو عمرو بن العاص وذلك لما رأى أن أهل العراق قد ظهروا وانتصروا أحب أن ينفصل الحال وأن يتأخر الأمر، فإن كلاً من الفريقين صابر للآخر والناس يتفانون، فقال لمعاوية إني قد رأيت أمراً لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيد أهل العراق إلا تفرقاً واختلافاً، أرى أن نرفع المصاحف وندعوهم إليها، فإن أجابوا كلهم إلى ذلك برد القتال هذه الساعة، وإن اختلفوا فيما بينهم بأن يقول بعضهم نجيبهم وبعضهم لا نجيبهم فشلوا وذهبت ريحهم.

عن حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي بالنهروان فيم استجابوا له وفيم فارقوه؟ وفيم استحل قتالهم؟ فقال: كنا بصفين فلما استحر القتل بأهل الشام اعتصموا بتل فقال عمرو بن العاص لمعاوية أرسل إلى علي بمصحف فادعه إلى كتاب الله، فإنه لن يأبى عليك، فجاء به رجل فقال بيننا وبينكم كتاب الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ آل عمران/٢٣، فقال علي نعم أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله، قال فجائته الخوارج ونحن ندعوهم يومئذ القراء، وسيوفهم على عواتقهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تنتظر بهؤلاء القوم الذين على التل ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم فتكلم سهل بن حنيف فقال يا أيها الناس اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية يوم الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين ولو نرى قتالاً لقاتلنا فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على باطل؟

... فلما رفعت المصاحف قال أهل العراق نجيب إلى كتاب الله وننيب إليه.

قال أبو مخنف:... أن علياً قال: عباد الله! إمضوا إلى حقكم وصدقكم وقتال عدوكم، فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابي أبي سرح والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، وقد صحبتهم أطفالاً

وصحبتهم رجالاً، فكانوا شر أطفال وشر رجال، ويحكم والله إنهم ما رفعوها رفع من يقرؤها ويعمل بما فيها، وإنما رفعوها خديعة ودهاء ومكيدة، ومكراً وتخذيلاً لكم، وكسراً لحدتكم وقتالكم، ولم يبق إلا هزيمتهم وفرارهم ونصركم عليهم، فقالوا له: ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله ونجيب إليه! فقال لهم: إني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم الكتاب، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم به وتركوا عهده ونبذوا كتابه، فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصن الطائي ثم السنبسي في عصابة معهما من القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج: يا علي، أجب إلى كتاب الله إذ دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان! إنه لما ترك العمل بكتاب الله قتلناه، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك! قال: فاحفظوا عني نهيي إياكم واحفظوا مقالتكم لي، أما أنا فإن تطيعوني فقاتلوا وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم، قالوا: فابعث إلى الأشتر فليأتك ويكف عن القتال، فبعث إليه علي ليكف عن القتال[1].

ويقول ابن كثير أيضاً في قصة التحكيم: ثم تراوض الفريقان بعد مكاتبات ومراجعات يطول ذكرها على التحكيم، وهو أن يحكم كل واحد من الأميرين علي ومعاوية رجلاً من جهته ثم يتفق الحكمان على ما فيه المصلحة للمسلمين، فوكل معاوية عمرو بن العاص وأراد علي أن يوكل عبدالله بن عباس، وليته فعل! ولكنه منعه القراء الخوارج ممن ذكرنا وقالوا: لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري!... أول من أشار بأبي موسى الأشعري الأشعث بن قيس وتابعه أهل اليمن ووصفوه بأنه كان ينهى الناس عن الفتنة والقتال وكان أبو موسى قد اعتزل في بعض أرض الحجاز، قال علي: فإني أجعل الأشتر حكماً، فقالوا: وهل سعر الأرض إلا الأشتر! قال: فاصنعوا ما شئتم! فقال الأحنف لعلي: والله لقد رميت بحجر إنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يصير في أكفهم ويبعد عنهم حتى يصير بمنزلة النجم، فإن أبيت أن تجعلني حكماً فاجعلني ثانياً أو ثالثاً، فإنه لن يعقد عقدة إلا حللتها ولا يحل عقدة عقدتها إلا عقدت لك أخرى مثلها أو أحكم منها، قال: فأبوا إلا أبا موسى الأشعري، فذهبت الرسل إلى أبي موسى الأشعري، وكان قد

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي، المتوفى ٧٧٤هـ، ج٥، ص٥٠٥، ذكر رفع أهل الشام المصاحف مكراً منهم، ط١٤٢١/١هـ، المكتبة العصرية، بيروت.

اعتزل، فلما قيل له إن الناس قد اصطلحوا قال الحمد لله، قيل له: وقد جعلت حكماً، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! ثم أخذوه حتى أحضروه إلى علي ﷺ، وكتبوا بينهم كتاباً هذا صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين..

فقال عمرو بن العاص: اكتب اسمه واسم أبيه، هو أميركم وليس بأميرنا!

فقال الأحنف: لا تكتب إلا أمير المؤمنين!

فقال علي: امحه واكتب: هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب. ثم استشهد علي في قصة الحديبية حين امتنع أهل مكة من قوله «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله «فامتنع المشركون من ذلك وقالوا: اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله.

فكتب الكاتب: هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضي علي على أهل العراق ومن معهم من شيعتهم والمسلمين وقاضي معاوية على أهل الشام ومن كان معه من المؤمنين والمسلمين أنا ننزل عند حكم الله وكتابه ونحي ما أحيا الله عَزَّوَجَلَّ ونميت ما أمات الله، فما وجد الحكمان في كتاب الله وهما أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص، عملا به، وما لم يجدا في كتاب الله، فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة[1].

ويقول ـ ولا زال الحديث لابن كثير ـ:... ثم اصطلحا على أن يخلعا معاوية وعلياً ويتركا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على من يختاروه لأنفسهم ثم جاءا إلى المجمع الذي فيه الناس وكان عمرو لا يتقدم بين يدي أبي موسى بل يقدمه في كل الأمور أدباً وإجلالاً، فقال له يا أبا موسى قم وأعلم الناس بما اتفقنا عليه، فخطب أبو موسى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على رسول الله ﷺ ثم قال: أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أمراً أصلح لها ولا ألم لشعثها من رأي قد اتفقت أنا وعمرو عليه وهو أنا نخلع علياً ومعاوية ونترك الأمر شورى وتستقبل الأمة هذا الأمر، فيولوا عليهم من أحبوه واختاروه، وإني قد خلعت علياً ومعاوية. ثم تنحى وجاء عمرو فقام مقامه فحمد

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٥٠٨، قصة التحكيم.

الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا قال ما قد سمعتم وإنه قد خلع صاحبه وإني قد خلعته أيضاً كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية فإنه ولي عثمان بن عفان والطالب بدمه وهو أحق الناس بمقامه، وكان عمرو رأى من المصلحة أن ترك الناس بلا إمام والحالة هذه يؤدي إلى مفسدة طويلة عريضة أعظم مما الناس فيه من الاختلاف!! فأقر معاوية لما رأى ذلك من المصلحة فاجتهد!! والاجتهاد يخطئ ويصيب[1]!!

لاحظ أخي القارئ أن ابن كثير يصوب رأي عمرو بن العاص في حيلته وخدعته لأبي موسى الأشعري!! وكأن عمراً هذا حريص جداً على الإسلام والمسلمين! فخوفاً من المفسدة قال مقالته تلك، وثبت صاحبه، وكأن ما حدث لم يكن مدبراً بليل!

ويقال: إن أبا موسى تكلم مع عمرو بكلام فيه غلظة! ورد عليه عمرو بن العاص مثله! وذكر ابن جرير أن شريح بن هاني - مقدم جيش علي - وثب على عمرو بن العاص فضربه بالسوط وقام إليه ابن لعمرو فضربه بالسوط وتفرق الناس في كل وجه إلى بلادهم، فأما عمرو وأصحابه فدخلوا على معاوية فسلموا عليه بتحية الخلافة وأما أبو موسى فاستحيا من علي وذهب إلى مكة ورجع ابن عباس وشريح بن هاني إلى علي فأخبراه بما فعل أبو موسى وعمرو فاستضعفوا رأي أبي موسى وعرفوا أنهم لا يوازن عمراً، فذكر أبو مخنف عن أبي جناب الكلبي أن علياً لما بلغه ما فعل عمرو كان يلعن في قنوته معاوية وعمرو بن العاص وأبا الأعور السلمي وحبيب بن مسلمة والضحاك بن قيس وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد والوليد بن عقبة، فلما بلغ ذلك معاوية أيضاً كان يلعن في قنوته علياً وحسناً وحسيناً وابن عباس والأشتر النخعي[2].

الخلاصة

أن عمرو بن العاص عندما قال «أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت آخرتي «يعني بذلك أنه حرف مسير أمة محمد ﷺ إلى يوم القيامة وذلك بأن جعل الطليق معاوية خليفة على رقاب المسلمين!

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٥١٥، صفة اجتماع الحكمين.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٥١٥.

وبالمقابل جعله معاوية والياً على مصر وهذا ما شرط عمرو على معاوية.

يقول نصر بن مزاحم: دخل زيد بن أرقم على معاوية فإذا عمرو بن العاص جالس معه على السرير فلما رأى ذلك زيد جاء حتى رمى بنفسه بينهما فقال له عمرو بن العاص أما وجدت لك مجلساً إلا أن تقطع بيني وبين أمير المؤمنين فقال زيد إن رسول الله غزا غزوة وأنتما معه فرآكما مجتمعين فنظر إليكما نظراً شديداً ثم رآكما اليوم الثاني واليوم الثالث كل ذلك يديم النظر إليكما فقال في اليوم الثالث إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ففرقوا بينهما فإنهما لن يجتمعا على خير[1].

ويقول ابن حجر الهيتمي: جاء أن شداد بن أوس دخل على معاوية وعمرو معه على فراشه فجلس بينهما قال أتدرون ما أجلسني بينكما إني سمعت النبيﷺ يقول إذا رأيتموهما جميعاً ففرقوا بينهما فما اجتمعا إلا على غدر فأحببت أن أفرق بينكما.

ويعقب ابن حجر فيقول: أنهﷺ صح عنه ثناء ومدح لكل الرجلين فوجب تأويل هذا الحديث[2]!!

ولا يخفى عليك أيها القارئ أن في قول ابن حجر هذا تأكيد على صحة الرواية وثبوتها.

ويقول ابن حجر أيضاً: أن عمراً صعد المنبر فوقع في علي ثم فعل مثله المغيرة بن شعبة فقيل للحسن اصعد المنبر لترد عليهما فامتنع إلا أن يعطوه عهداً أنهم يصدقوه إن قال حقاً ويكذبوه إن قال باطلاً فأعطوه ذلك فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أنشدك الله يا عمرو ويا مغيرة أتعلمان أن رسول اللهﷺ لعن السائق والقائد أحدهما فلان قالا بلى ـ يعني معاوية ـ ثم قال أنشدك بالله يا معاوية ويا مغيرة ألم تعلما أن النبيﷺ لعن عمراً بكل قافية قالها لعنة؟ قالا: اللهم بلى[3]!

وفي البخاري أبو وائل قال كنا بصفين فقام سهل بن حنيف فقال أيها الناس اتهموا

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري المتوفى ٢١٢هـ، ص٢٤٦، ما ورد من الأحاديث في شأن معاوية، ط١/١٣٦٥هـ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

(٢) تطهير الجنان واللسان لأحمد بن حجر الهيتمي، المتوفى ٩٧٤، ص٤٣، ط٢/١٣٨٥هـ.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٥٥.

أنفسكم فإنا كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا إلى آخر الحديث[1].

سهل بن حنيف هذا يريد أن يبين للمسلمين أن موقفهم يوم صفين يشبه موقفهم يوم الحديبية وذلك عندما رأى أن الإمام علياً عليه السلام رفض التحكيم يوم صفين.

وسهل هذا كان موافقاً للتحكيم لذا قام ببيان ما جرى في صلح الحديبية وأن عمر بن الخطاب كان يوم الحديبية رافضاً وكارهاً لذلك الصلح ومع ذلك فقد أعقب خيراً كثيراً كما يقول ابن حجر في شرحه فنحن نسأل ابن حجر ومن على شاكلته ومنهم رواة هذه الرواية، هل بعد التحكيم في صفين أعقب خيراً كثيراً؟!

ألم يرتد كثير من المسلمين عن دينهم الصحيح، أعني بذلك الخوراج؟!

نعم، بعد التحكيم الذي كان فيه الإمام علي عليه السلام رافضاً له فقد جر الويلات على المسلمين منها.

١. معاوية بن أبي سفيان أصبح حاكماً وملكاً.

٢. معاوية قتل مالكاً الأشتر بالسم!

٣. معاوية قتل محمد بن أبي بكر ووضعه في جيفة حمار وأحرقه!

٤. معاوية قتل سبط النبي الأكرم الإمام الحسن عليه السلام بالسم أيضاً!

٥. معاوية قتل حجراً بن عدي الكندي هذا الصحابي الجليل الزاهد العابد القوام الصوام!

٦. معاوية جعل الحكم من بعده لابنه يزيد شارب الخمور واللاعب بالقرود والفهود!

٧. معاوية جعل الحكم كسروياً بعد أن كان شورى!

٨. لعبت بنو أمية في مقدرات المسلمين وجعلوا الحق باطلاً والباطل حقاً وقاموا بوضع ودس الأحاديث اليهودية فجعلوها من معتقدات المسلمين!

٩. معاوية قتل المسلمين الموالين للإمام عليه السلام وتتبعهم وسلط عليهم بسر بن أرطأة!

ولو أردنا أن نحصر المفاسد التي حصلت بعد التحكيم في دومة الجندل ـ صفين ـ لاحتجنا إلى مجلد بأكمله، وكل هذه المفاسد كان السبب الرئيسي فيها عمرو بن العاص

---

(١) كتاب الجزية والموادعة، باب حدثنا عبدان.

هذا الذي مهد لمعاوية للتسلط على رقاب المسلمين.

فأين الخير الكثير الذي أعقبه التحكيم كما زعم ابن حجر؟!

ومن عادة أهل العامة أن يزيفوا الواقع فيحاولوا أن يلمعوا شخصية الصحابي الذي أصبحت صحيفته داكنة سوداء من جناياته ومن هؤلاء الذين شملهم ذلك عمرو بن العاص، فماذا قالوا فيه؟

قال رسول الله ﷺ: أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص[1]!!

فعلى ضوء ما قرأنا يتبين لنا تفرد عمرو بن العاص بالإيمان وحده دون بقية الصحابة، وعلى ضوء ذلك فقد أصبح الناس والصحابة على رأس هؤلاء من الأعراب.

قال تعالى: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾! الحجرات/١٤.

وأخيراً.. نحن في الحقيقة لو أردنا أن نكتب عن مثل عمرو بن العاص فلو تركنا العنان للقلم لطال بنا المقام، لذا حاولنا أن نذكر الشيء اليسير اليسير كي لا يصبح كتابنا ضخماً فيتهرب من قراءته الكثير من الناس.

قال الذهبي في ترجمة عمرو بن العاص وبعد وفاته: خلف أموالاً كثيرة وعبيداً وعقاراً يقال خلف من الذهب سبعين رقبة جمل مملوءة ذهباً[2]!!

وكيف لا يخلف كل هذا! ألم يكن حاكماً ووالياً على مصر زمن معاوية! وإلا فهذا الذي باع آخرته بدنيا معاوية، لابد أن معاوية كان قد أعطاه الكثير الكثير قبال ذلك، وإلا فمن أين جاءت وتراكمت كل هذه الأموال؟! لذا يقول لابنه يا ليته كان بعراً[3].

ويقول الذهبي أيضاً: لما احتضر عمرو بن العاص نظر إلى صناديق فقال من يأخذها بما فيها يا ليته كان بعراً، ثم أمر الحرس فأحاطوا بقصره، فقال بنوه: ما هذا؟ فقال: ما

---

(١) صحيح سنن الترمذي، لناصر الدين الألباني، ج٣، ص٥٦٢، حديث ٤٩، كتاب المناقب، باب مناقب عمرو بن العاص، ط١/١٤٢٠هـ، الرياض.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٧٧، ترجمة١٥، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٧٤.

ترون هذا يغني عني شيئاً[1].

قال تعالى في محكم كتابه وفصل خطابه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ الفرقان/٢٧ـ ٢٩.

(١) نفس المصدر السابق، ص٧٤ـ٧٥.

باب بيان الوسوسة في الإيمان

٣٢.... عن أبي هريرة قال قال لي رسول اللهﷺ لا يزالون يسألونك يا ابا هريرة حتى يقولوا هذا الله فمن خلق الله قال فبينا أنا في المسجد إذ جائني ناس من الأعراب فقالوا يا أبا هريرة هذا الله فمن خلق الله قال فأخذ حصى بكفه فرماهم ثم قال قوموا قوموا صدق خليلي.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه: من وسوسة الشيطان أن يحدث إلى المؤمن من خلق السماء فيجيب المؤمن الله فيسأل من خلق الأرض فيجيب الله فيسأل الله هو الذي خلقنا وخلق كل شيء فمن خلق الله وقد يتجه المؤمن بهذا السؤال إلى العلماء لعله يجد جواباً تسكن إليه نفسه ويثبت يقينه وإيمانه(١).

أقول: إن النبيﷺ نهى عن الخذف ورمي الحصى على الغير وذلك خوفاً من أن تؤخذ عين الإنسان أو سنه.

ورد في البخاري نهى النبيﷺ عن الخذف وقال إنه لا يقتل الصيد ولا ينكأ العدو وإنه يفقأ العين ويكسر السن(٢).

ويقول الله جل وعلا: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾(٣).

---

(١) فتح المنعم، ج١، ص٤٣٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب النهي عن الخذف.

(٣) النحل/١٢٥

على ضوء ذلك كان من واجب هذا الدوسي أن يشرح لهؤلاء الأعراب شرحاً سهلاً ميسراً وعلى قدر عقولهم لا أن يرميهم بالحصى ويقوم بطردهم من المسجد، وإنما فعل ذلك لأنه لم يجد الجواب الشافي لهؤلاء الأعراب في مزوده المزعوم!

باب الوالي الغاش لرعيته

٣٣.... عن الحسن قال عاد عبيدالله بن زياد معقل بن يسار المزني في مرضه الذي مات فيه قال معقل إني محدثك حديثاً سمعته من رسول اللهﷺ لو علمت أن لي حياة ما حدثتك إني سمعت رسول اللهﷺ يقول ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة.

٣٤.... عن الحسن قال دخل عبيدالله بن زياد على معقل بن يسار وهو وجع فسأله فقال إني محدثك حديثاً لم أكن حدثتكه أن رسول اللهﷺ قال لا يسترعي الله عبداً رعية يموت حين يموت وهو غاش لها إلا حرم الله عليه الجنة. قال ألا كنت حدثتني هذا قبل اليوم، قال ما حدثتك أولم أكن لأحدثك.

يقول الأستاذ الدكتور موسى لاشين: قدم عبيدالله بن زياد أميراً على البصرة من قبل معاوية، قدم غلاماً سفيهاً يسفك الدماء سفكاً شديداً ولا يرعى حرمات الله ولا يقيم حدود الله وخشي الناس من ظلمه وبطشه ولم يجرؤ أحد أن يصارحه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا من قربت منيته!

روي أن عبدالله بن مغفل المزني دخل عليه ذات يوم فقال له انته عما أراك تصنع فقال له وما أنت وذاك فلما خرج ابن مغفل إلى المسجد قال له أصحابه لم صنعت ما صنعت ولم كلمت هذا السفيه على رؤوس الناس فقال إنه كان عندي علم فأحببت ألا أموت حتى أقول به على رؤوس الناس، ثم قام فما لبث أن مرض مرضه الذي توفي فيه فأتاه

عبيدالله بن زياد يعوده فوعظه....

وهذا معقل بن يسار الصحابي الجليل قد مرض مرضه الأخير يعوده أصحابه وفيهم الحسن البصري ثم يدخل عليهم عبيدالله بن زياد يعوده ويسأله الدعاء له فيقول له معقل سأحدثك حديثاً ما حدثتك به من قبل ولولا أني في عداد الموتى ما حدثتك به سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة. قال له عبيدالله بن زياد موبخاً ومهدداً لم لم تحدثني بهذا قبل اليوم؟ قال له: لم أكن لأفعل ولو علمت أن حياتي ستمتد بعد مرضي هذا ما حدثتك به، فخرج عبيدالله يضحك ساخراً من معقل غير عابئ بما حدث به وبلغ معقل الأمانة ولقي ربه راضياً مرضيا.

ويقول: (عاد عبيدالله بن زياد) ابن أبيه الذي يقال له زياد بن أبي سفيان (في مرضه الذي مات فيه) كانت وفاة معقل بالبصرة فيما بين الستين إلى السبعين من الهجرة في خلافة يزيد بن معاوية (لو علمت أن لي حياة ما حدثتك) أي لو علمت أن حياتي تطول بعد مرضي هذا ما حدثتك خوفاً من بطشك!

قال (ألا كنت حدثتني هذا قبل اليوم) (ألا) في الأصل للتحضيض وهي هنا للتوبيخ[1]!

لاحظ هذا الصحابي الذي كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معطلاً عنده، وكان كاتماً قول الحق، وذلك خوفاً من بطش ابن زياد!

إذن.. كان الصحابة على علم بحقائق الأمور، وخوفاً من بطش الخليفة أو الأمير كتموا تلك الحقائق مما جعل الحاكم يتمادى في طغيانه وغيه، هذا عبيدالله بن زياد ثمرة زياد بن أبيه الذي ادعاه معاوية وألحقه بأبيه! هذا الذي كان له الدور الأكبر في قتل ريحانة النبي الأعظم يوم عاشوراء وباستطاعتنا الجزم والقول أن من أسباب تلك الجريمة التي لم ير التأريخ مثلها هو عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ذكرنا وكما يؤكده صاحب هذه الرواية معقل المزني.

---

(١) فتح المنعم، ج١، ص٤٥١.

باب زيادة طمأنينة القلب

٣٥. حدثني حرملة بن يحيى أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبدالرحمن وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول اللهﷺ قال نحن أحق بالشك من إبراهيمﷺ إذ قال رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي.

من رواة هذه الرواية حرملة بن يحيى التجيبي.

قال الرازي في كتابه الجرح والتعديل: يكتب حديثه ولا يحتج به[١].

وذكره ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال قال: سألت عبدالله بن محمد بن إبراهيم الفرهاذاني أن يملي علي شيئاً من حديث حرملة فقال يا بني وما تصنع بحرملة حرملة ضعيف[٢]!

وذكره أيضاً ابن الجوزي في كتابه الضعفاء والمتروكين بهذا المعنى أيضاً وقال الحاكم وأهل مصر ليسوا عنه راضين[٣]!

وقال المزي في ترجمة المذكور: سمعت يحيى يقول: شيخ بمصر يقال له حرملة كان

(١) ج٣، ص٢٧٤، ترجمة ١٢٢٤، ط١/١٣٧١هـ، الهند.

(٢) ج٢، ص٤٥٨، ترجمة١٩٩.

(٣) ج١، ص١٩٦، ترجمة٧٩٠.

أعلم الناس بابن وهب، فذكر عنه يحيى أشياء سَمِجَة ـ أي قبيحة ـ كرهت ذكرها[1]!

ويقول ابن حجر في تهذيب التهذيب: أما حمل أحمد بن صالح عليه، فإن أحمد سمع كتب حرملة من ابن وهب فأعطاه نصف سماعه ومنعه النصف، فتولد بينهما العداوة من هذا[2]!

ومن الرواة أيضاً عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي، وقد ذكره ابن عدي في كتابه الكامل في ضعفاء الرجال.

يحيى بن معين يقول: وعبدالله بن وهب المصري ليس بذاك، وابن جريج كان يستصغره[3]!

وقال فيه ابن سعد: كان يدلس[4]!

ومن الرواة أيضاً يونس بن يزيد الأيلي!

قال المزي في ترجمة المذكور: قال وكيع: رأيت يونس بن يزيد الأيلي وكان سيء الحفظ! ويقول وكيع في موضع آخر: لقيت يونس بن يزيد الأيلي وذاكرته بأحاديث الزهري المعروفة وجهدت أن يقيم لي حديثاً فما أقامه!

وكان ابن حنبل يحمل على يونس ويضعف أمره. وقال فيه أيضاً: روى أحاديث منكرة!

قال أبو عبدالله: يونس كثير الخطأ عن الزهري.

وقال في موضع آخر: في حديث يونس بن يزيد منكرات عن الزهري[5]!!

ولا يخفى عليك أخي القارئ فإن يونس هذا روى عن الزهري هذه الرواية التي نحن بصددها!

يقول اسماعيل الكردي:

---

(١) تهذيب الكمال للمزي، ج٥، ص٥٥٠، ترجمة ١١٦٦.

(٢) ج٢، ص٢١٣، ترجمة١٢٤٣.

(٣) ج٤، ص٢٠٢، ترجمة٤٦.

(٤) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد الواقدي، ج٧، ص٥١٨، الطبقة السادسة، ط١٣٧٧هـ، دار صادر، بيروت.

(٥) تهذيب الكمال للمزي، ج٣٢، ص٥٥٥، ترجمة٧١٨٨.

أوّل بعضهم هذا الحديث بتأويلات مختلفة لأن ظاهره مرفوض، فالآية لا تدل على أن إبراهيم شك بل تفيد أنه أراد رؤية معجزة الإحياء الكبرى بعيني رأسه ليقوى إيمانه وينتقل من علم اليقين لعين اليقين بدليل أن الحق لما سأله أولم تؤمن؟ قال بلى!

ولاشك أنه صادق مصدق في قوله، فكيف يُدّعَي أنه شك! وهل يمكن أن يخفى فهم الآية لهذه الدرجة على سيدنا رسول الله؟! وهو سيد الفصحاء؟! والأنكى من ذلك أن الراوي لم يكتف باتهام إبراهيم بالشك، بل نسب لرسول الله أنه أكثر وأحق بالشك منه!! فكيف ينسب لإبراهيم أبي الأنبياء وخليل الرحمن ولمحمد خاتم الأنبياء وحبيب الرحمن الشك بوعد الله بالبعث أو بقدرته تعالى على إحياء الموتى في حين أن المؤمن العادي منا الذي لا يدنو من مقامهما مقدار أنملة ليس عنده ذرة شك في ذلك!

ويقول: ثم كيف يجوز رمي لوط بأنه كان يجهل أن الله تعالى ركنه وآواه وكذلك لا يصح أن يكون سيدنا رسول الله أقل مقاماً من يوسف الذي رفض بكل وجه حق أن يخرج من السجن إلا بعد أن تثبت للجميع براءته، فينسب الراوي إليه أنه يقول لو كنت مكانه لخرجت بسرعة ولم أنتظر!!

إن في هذا الحديث انتقاصاً من قدر أنبياء الله عليهم السلام عموماً! ومن قدر خاتمهم سيدنا محمد الذي رفعه الله تعالى فوق الأنبياء جميعهم درجات! خصوصاً أنه حديث مظلم بعيد عن نور النبوة وهذه علة قادحة في متنه تكفي للحكم بعدم صحته!! اللهم إلا أن يؤول تأويلات خلاف ظاهره، ولا ننسى أن هذه عادة شراح الأحاديث[1].

---

(١) نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث، ص١٩٤، ط١/٢٠٠٢م، الأوائل، دمشق.

باب نزول عيسى ابن مريم

٣٦.... عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول اللهﷺ والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريمﷺ حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد.

٣٧.... عن أبي هريرة أنه قال قال رسول اللهﷺ والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص، فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد.

٣٨.... أبا هريرة قال: قال رسول اللهﷺ كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم.

٣٩.... عن أبي هريرة أن رسول اللهﷺ قال كيف انتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم فقلت لابن أبي ذئب إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري عن نافع عن أبي هريرة وإمامكم منكم! قال ابن أبي ذئب تدري ما أمكم منكم؟ قلت: تخبرني: فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكمﷺ.

٤٠.... أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله يقول سمعت النبيﷺ يقول لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريمﷺ فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة.

يقول الأستاذ الدكتور موسى لاشين في شرحه فتح المنعم:

... أوشك أن ينزل فيكم المسيح بن مريم يحكم بينكم بالعدل، ويقضي بينكم بكتاب الله وسنتي ويبطل الديانات الباطلة ويدعو الناس إلى الإسلام ويدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، وتجمع له الصلاة ويكثر المال ويعطيه الناس حتى لا يقبله أحد وينشغل الناس بآخرتهم فتختفي بينهم العداوة والبغضاء والشحناء والتحاسد وتقع الأمنة في الأرض.

ليوشكن أن ينزل فيكم المسيح ابن مريم كعلامة من علامات الساعة الكبرى ينزل فيكم بينما رجل صالح منكم قد تقدم ليصلي بكم فيرجع الإمام فينكص ليتقدم عيسى فيقف عيسى بين كتفيه ثم يقول: تقدم فإنها لك أقيمت، يقول الناس تقدم يا روح الله فيقول إن الله كرمكم وجعل أمرائكم منكم فليتقدم إمامكم فليصل بكم[1].

قال القسطلاني في شرحه: قال ابن الجوزي: لو تقدم عيسى إماماً لوقع في النفس إشكال ولقيل أتراه نائباً أو مبتدأ شرعاً فصلى مأموماً لئلا يتدنس بغبار الشبهة. وجه قوله لا نبي بعدي[2].

ويقول ابن حجر في شرحه:... لابن ماجة في حديث أبي أمامة الطويل... قال وكلهم - أي المسلمون ببيت المقدس - وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليصلي بهم إذ نزل عيسى فرجع الإمام ينكص ليتقدم عيسى فيقف عيسى بين كتفيه ثم يقول تقدم فإنها لك أقيمت... تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه.

قوله (وإمامكم منكم) يعني أنه يحكم بالقرآن لا بالإنجيل.

وقال ابن الجوزي: وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة[3].

---

(١) ج١، ص٤٩٩.

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد القسطلاني المتوفى ٩٢٣هـ ،ج٧، ص٤٦٠، كتاب بد، الخلق، باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام، حديث ٣٤٤٩، ط١٤٢١هـ، دار الفكر، بيروت.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن حجر العسقلاني، ج٦، ص٥٩٩، حديث٣٤٤٩.

أقول:

لاحظ أخي الكريم تخبط أهل العامة في روايات المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ونزول النبي عيسى عليه السلام، فنحن نعلم أن الصلاة عمود الدين ومن يصلي بالمسلمين إماماً ومن يقدمه النبي عيسى إماماً ليصلي بهم ويصلي هو خلفه مأموماً أليس من الأولى أن يكون هذا الإمام هو الذي يحكم بين المسلمين بالعدل ويقضي بينهم بالكتاب والسنة ويبطل بقية الديانات الباطلة ويدعوهم إلى الإسلام ويدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتجمع له الصلاة!!

أليس من الأولى أن يقوم هذا الإمام بجميع الأمور التي ذكرناها وليس كما تدعي العامة بأن النبي عيسى هو الذي يقوم بذلك!

نعم.. جميع المسلمين من شيعة وغيرهم وكذلك اليهود وأهل الديانات الباطلة كالسيخ مثلاً، نعم.. جميع هذه الديانات بانتظار مخلص، فاليهود ينتظرون ظهور النبي موسى عليه السلام، وكذلك النصارى أيضاً بانتظار المخلص عيسى عليه السلام، وهكذا جميع الديانات، ومنها الدين الإسلامي الحنيف، فالمسلمون بانتظار الإمام الحجة المهدي، والفرق بين الشيعة وأهل العامة في هذا أن الشيعة قالوا بأن المهدي الموعود مولود وحي يرزق، أما أهل العامة فإنهم قالوا إنه لم يولد بعد بل يولد في آخر الزمان وهذا هو الفرق بينهم.

إذن.. هم متفقون على أن المهدي المنتظر سيظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت أو تملأ ظلماً وجورا.

أحاول أن أختصر.. نحن نعلم أن أكثر أهل الأرض يدينون بالمسيحية وهم أصحاب القوة الضاربة من حيث العدة والعتاد، والمسلمون لا حول لهم ولا قوة، والروايات مجمعة على أن بعد ظهور الإمام عليه السلام سيحكم بالسيف، فأين السيف والرمح من هذه القوة التي تملكها تلك الدول المسيحية؟!

فأقول:

بعد أن يرى أهل العالم وعلى شاشات التلفاز ويسمع عبر الأثير أن نبيهم عيسى عليه السلام قد صلى خلف المهدي كما في الأحاديث التي ذكرناها في أول البحث فإن

الكثير منهم سوف يتبع نبيهم ويتشهد الشهادتين، وتكون جميع هذه القوى تحت يدي وإمرة صاحب الأمر المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ويكون معنى ظهوره بالسيف أي القوة، هذا أولاً.

ثانياً: إن كان يعني الحديث بقوة السيف ومحاربة الأعداء بالسيف بعينه فأقول:

لو أبى البعض من هؤلاء الذين يمتلكون القوة الضاربة ورفضوا اتباع النبي عيسى عليه السلام فإن الله جل وعلا قادر على تعطيل جميع تلك الأسلحة والمسلمون يحاربونهم بالسيف وبقوة سواعدهم، وخوفاً من الإطالة على القارئ نكتفي بذلك وقد ذكرنا ذلك استطراداً.

الحاصل: إن أهل العامة طالما لم يأخذوا الأحاديث من منبعها الصافي فلابد لهم أن يتخبطوا فيها، لذا ترى نصفه صحيح والنصف الآخر يجعل فكر القارئ مشوشاً لا يعرف يمينه من شماله، والصحيح ما ذكرناه.

باب بدء الوحي

٤١.... عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبيﷺ أخبرته أنها قالت كان أول ما بدء به رسول اللهﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالي أولات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قال قلت ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فرجع بها رسول اللهﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة أي خديجة مالي وأخبرها الخبر قال لقد خشيت على نفسي قالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً والله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى وهو ابن عم خديجة أخي أبيها وكان امرءاً تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة أي عم اسمع

من ابن أخيك قال ورقة بن نوفل يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رآه فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى ﷺ يا ليتني فيها جذعاً يا ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك. قال رسول الله ﷺ أو مخرجي هم؟ قال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً.

٤٢.... يونس قال قال ابن شهاب أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن أن جابر بن عبدالله الأنصاري وكان من أصحاب رسول الله ﷺ كان يحدث قال قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي قال في حديثه فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جائني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض قال رسول الله ﷺ فجاءت منه فرقاً فرجعت فقلت زملوني زملوني فدثروني فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ وهي الأوثان، قال ثم تتابع الوحي.

٤٣.... يحيى يقول سألت أبا سلمة أي القرآن أنزل قبل قال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ فقلت أو اقرأ فقال سألت جابر بن عبدالله أي القرآن أنزل قبل قال يا أيها المدثر فقلت أو اقرأ قال جابر أحدثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ قال جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحداً ثم نوديت فنظرت فلم أر أحداً ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء يعني جبريل عليه السلام فأخذتني رجفة شديدة فأتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني فصبوا علي ماء فأنزل الله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾.

يقول الأستاذ الدكتور موسى لاشين: لقد حبب إلى رسول الله ﷺ الخلاء والعزلة والبعد عن الأوثان والرجس فكان يهرب بنفسه إلى جبل قريب من مكة وفي فجوة من فجواته وكهف من كهوفه وغار من غيرانه يسمى غار حراء كان يخلو ويتعبد ويتفكر في الإله الخالق المدبر ويأسف لقومه الذين يعبدون ما لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن الحق شيئاً لقد رحل في تجارته إلى الشام والتقى في طريقه ببعض الرهبان وبشروا به عمه وأوصوه به خيراً إنه يطمع فيما قاله الرهبان أن نبياً من العرب يبعث في آخر الزمان لقد شهد العرب له بالأمانة والصدق وشهد له معارفه بمكارم الأخلاق فلم لا يكمل نفسه

ولم لا يطرق باب التبتل ولو شهراً من كل عام لقد اختار شهر رمضان أو هكذا ألهمه ربه ليكون شهر التعبد في غار حراء، فكان يأخذ زاد أيام وماذا عساه أن يكون الزاد إنه لقيمات وتمرات وقليل من اللبن يأكل منه ما تيسر ويطعم منه ابن السبيل ويمنح بقاياه للطيور ثم يعود إلى مكة وإلى زوجه خديجة ليأخذ زاداً جديداً لمدة جديدة وإنها لنعمت الزوج لم تكن تقدم مصلحتها ولا مصلحة بناتها عليه فتطلب منه بقاءه بجوارها ولم تكن تتقاعس عن تزويده بما يريد بل كانت عوناً له وسنداً تسارع بإعداد زاده وتحمله عنه خطوات تودعه بها متمنية أن لو كانت بجواره في الغار لو لا بناتها الصغيرات وكان التبتل عندهﷺ فوق مطالب النفس وشهوة الجسد فكان ما أسرع أن يودع أهله ليعيش في خلوته وعزلته حتى إذا فقد زاده عاد فتزود حتى ينتهي آخر شهر رمضان فينزل ليعيش بين أهله إلى شهر رمضان من العام الآخر وهكذا لقد صفت نفسه واستنارت مرآة بصيرته فكانت الرؤيا الصادقة بشرى من بشريات الله ومقدمة من مقدمات الوحي فكانﷺ لا يرى الرؤيا إلا جاءت واضحة صادقة مثل ضوء الصبح وفي خلوة من خلواته بغار حراء سمع صوتاً يقول له اقرأ ماذا يقرأ وليس أمامه كتاب ولا مكتوب وكيف يقرأ وهو أمي لا يعرف القراءة قال للصوت متعجباً مجيباً ما أنا بعارف للقراءة وشعر بشيء يضمه ويضغط عليه! حتى لتكاد ضلوعه تتداخل! وحتى ليكاد نفسه يضيق ثم أطلق وتنفس الصعداء وسمع الصوت ثانياً يقول له اقرأ وأجاب بنفس الجواب الأول ما تعلمت القراءة وشعر ثانية بالضغط الشديد ثم أطلق وسمع الصوت يقول له اقرأ قال ما أنا بقارئ فشعر بالضغط ثالثة ثم أطلق فسمع الصوت يقول ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ الذي خلقك وخلق القوى والقدر ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ فسواه في أحسن تقويم ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ كرمك بالشرف والنبوة وبالقدرة على القراءة وإن كنت أمياً فهو ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ العلق/٤ـ٥. وسكت الصوت والتفت الرسولﷺ حوله فلم ير شيئاً.

لقد فزع في مكانه الموحش وارتعدت فرائصه ونفرت عروقه وهرول إلى خديجة يستنجد برأيها السديد ويشكو لها ما به ويحكي لها ما رأى.

يقول لها إني أخاف على نفسي إن ما أجد فوق طاقة البشر إنني أخشى أن لا أطيق.

قالت له خديجة: أبشر ولا تخف، إنك تتحلى بكريم الصفات، تصل الأقارب

وتساعد المحتاج وتكرم الضيف وتعين المنكوب، أبشر فمثلك لا يخزيه الله أبدا.

وفكرت فيما تفسر به ما رأى وما حكى وماذا عساها تفسر له ما لم يسبق لعلمها مثله، لكنها تطمئن إلى أن التفسير عند ابن عمها ورقة بن نوفل الرجل المثقف القارئ والكاتب بالعربية والعبرانية، المطلع على الكتب المنزلة المهتد إلى النصرانية الصحيحة قبل تحريفها ذهبت إليه وحدها وحكت له قصة زوجها فقال لها إنه النبي المنتظر الذي نقرأ عنه في التوراة والإنجيل والذي يحذر اليهود والنصارى أبنائهم منه والذي محا الأساقفة ذكره من الكتب المنزلة خوفاً على سلطتهم، وعادت خديجة لتصحب زوجها إلى ابن عمها ليسمع كل من الآخر، قالت له: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة قل يا ابن أخي ماذا ترى؟ فقص عليه ما رأى قال ورقة أبشر هذا أمين الوحي وصاحب السر الذي أنزله الله على موسى يا ليتني أبقى حياً إلى أن يحاربك قومك ويخرجوك من بلدك، وفزعﷺ لخبر إخراجه من أحب بلد إلى نفسه فقال أيصل بهم عدائي إلى إخراجي؟! قال: نعم، ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عاداه قومه وإن يدركني يوم إخراجك أنصرك نصراً عظيماً، نصراً لا يعادله نصر! وكان ورقة شيخاً كبيراً قد عمي فلم يلبث بعد هذا الحديث إلا قليلاً حتى توفي[1].

قبل الخوض في الحديث يجب عليك أيها القارئ الكريم أن تعلم أن عائشة ولدت بعد البعثة فأين كانت حتى تروي لنا ذلك؟ وعمن أخذت هذه الرواية؟

ثم أليس النبي الأكرم كان يتعبد في غار حراء قبل البعثة؟ ألم تسأل نفسك أيها القارئ لماذا كان يذهب إلى غار حراء؟ ألم يكن يعد نفسه لاستقبال الوحي؟

يقول السيد جعفر العاملي في كتابه الصحيح من سيرة النبي الأعظمﷺ في الجزء الثاني، طبعة دار السيرة، بيروت:

... سائر الروايات تذكر أن جبريل قد أخذ النبيﷺ فغطه أي عصره وحبس نفسه أو خنقه حتى بلغ منه الجهد، أو حتى ظن أنه الموت ثم أرسله وأمره بالقراءة، فأخبره النبيﷺ أنه لا يعرفها فلم يقنع منه، بل عاد فغطّه، ثم أرسله وهكذا ثلاث

---

(١) فتح المنعم، ج١، ص٥١٤، ط١/١٤٢٣هـ، دار الشروق، بيروت.

مرات... فإننا لا نعرف ما هو المبرر لذلك كله؟! وكيف جاز لجبرئيل أن يروِّع النبي الأعظمﷺ؟! وأن يؤذيه بالعصر والخنق إلى حد أنهﷺ يظن أنه الموت، يفعل به ذلك وهو يراه عاجزاً عن القيام بما يأمره به ولا يرحمه ولا يلين له! ولماذا يفعل به ذلك ثلاث مرات لا أكثر ولا أقل؟! ولماذا صدَّقه في الثالثة ولا يصدقه في المرة الأولى أو الثانية؟ وإذا كان النبيﷺ قد كذب عليه أولاً فكيف بقي أهلاً للنبوة؟! وإذا كان قد صدقه فلماذا لم يقتنع جبرئيل بكلامه وعاد فخنقه حتى ليظن أنه الموت...؟!

ثم لماذا يرجع مرعوباً خائفاً؟ ألم يكن باستطاعته أن يلطمه...! كما فعل موسى بملك الموت...؟!

ويقول: كيف يجوز إرسال نبي يجهل نبوة نفسه ويحتاج في تحقيقها إلى الاستعانة بامرأة أو نصراني؟!

ألم تكن هي فضلاً عن ذلك النصراني أجدر بمقام النبوة من ذلك الخائف المرعوب الشاك؟!

وحتى لو قبلنا ذلك فمن أين علم أن تلك المرأة وذلك الرجل قد صدقاه وقالا الحقيقة؟!

ولماذا لم يستطع هو أن يدرك ما أدركته تلك المرأة وذلك النصراني؟!

أم يعقل أن يكون كلاهما أكبر عقلاً وأكثر معرفة بالله وتفضلاته منه؟!

وإذا جاز أن يرتاب هو مع معاينته لما يأتيه من ربه فكيف ينكر على من ارتاب من سائر الناس مع عدم معاينتهم لشيء من ذلك؟!

... وأيضاً كيف يبعث الله رجلاً قبل أن يربيه تربية صالحة ويعدّه إعداداً تاماً بحيث يستطيع أن يكون في مستوى الحدث العظيم الذي ينتظره؟!

نعم، كيف أهمله هكذا حتى إنه حين بعثته ليبدو مذعوراً خائفاً ظاناً بنفسه الجنون....

وأين ذهبت عن ذاكرته تلك الكرامات التي كان يواجهها دون أحد كتسليم الشجر والحجارة عليه والرؤيا الصادقة؟!

ويقول ـ والحديث لا زال للسيد العاملي ـ: والذي نطمئن إليه هو أنه قد أوحي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في غار حراء فرجع إلى أهله مستبشراً مسروراً بما أكرمه الله به مطمئناً إلى المهمة التي أوكلت إليه.

وسئل عليه السلام ـ أي الإمام الصادق عليه السلام ـ كيف علمت الرسل أنها رسل؟

قال: كشف عنهم الغطاء، وقال الطبرسي: إن الله لا يوحي إلى رسوله إلا بالبراهين النيرة والآيات البينة الدالة على ما يوحى إليه، إنما هو من الله تعالى فلا يحتاج إلى شيء سواها ولا يفزع ولا يفرق.

ويقول: لماذا الكذب والافتعال إذن...

نرى أن افتعال تلك الأكاذيب يعود لأسباب أهمها:

إن حديث الوحي هو من أهم الأمور التي يعتمد عليها الاعتقاد بحقائق الدين وتعاليمه وله أهمية قصوى في إقناع الإنسان بضرورة الاعتماد في التشريع والسلوك والاعتقاد والإخبارات الغيبية وكل المعارف والمفاهيم عن الكون وعن الحياة على الرسل والأنبياء والأئمة والأوصياء وله أهمية كبرى في إقناعه بعصمة ذلك الرسول وصحة كل مواقفه وسلوكه وأقواله وأفعاله...

... نستطيع أن نعرف سر محاولات أعداء الإسلام الدائبة للتشكيك في اتصال نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالله تعالى، فافتعلوا الكثير مما رأوه مناسباً لذلك من الوقائع والأحداث التي رافقت الوحي في مراحله الأولى أو حرَّفوه وحوَّروه حسب أهوائهم وخططهم ومذاهبهم....

ويقول العاملي: فإننا نستطيع أن نتهم يد أهل الكتاب في موضوع الأحداث غير المعقولة التي تنسب زوراً وبهتاناً إلى مقام نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حين بعثته... كما أنه لا بد أن يحتاج نبينا صلوات الله عليه وآله إليهم لإمضاء صك نبوته! وتصديق وحيه! ويكون مديناً لهم! وعلى كل مسلم أن يعترف بفضلهم وبعمق وسعة اطلاعهم ومعرفتهم بأمور لا يمكن أن تعرف إلا من قبلهم! فكان اختراع هذا الدور لورقة!... فليس غريباً أن نجد ملامح هذه القصة موجودة في العهدين، فقد جاء في الكتابين الذين يطلق عليهما اسما

التوراة والإنجيل أن دانيال خاف وخر على وجهه وزكريا اضطرب ووقع عليه الخوف ويوحنا سقط في رؤياه كميِّت وعيسى تغيَّرت هيئة وجهه وبطرس حصلت له غيبوبة وإغماء... ولكن ذلك لا يعني أننا ننكر ثقل الوحي عليه ﷺ... ولكننا ننكر اضطرابه وخوفه...[1].

أضيف على ذلك فأقول: إن من عادة الملائكة طمأنة النبي المرسل وتسكين خوفه وروعه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰٓ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ هود/٦٩ـ٧٠.

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ الحجر/٥١ـ٥٣.

وقال تعالى مخاطباً النبي موسى: ﴿وَنَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ النمل/١٠.

فكيف نوفق بين هذه الآيات وبين خوف نبينا الأعظم وضغطة جبريل عليه حتى كادت ضلوعه أن تتداخل من قوة تلك العصرة وكادت روحه أن تزهق؟!!

نكتفي بهذا القدر وذلك خوفاً من الإطالة على القارئ.

---

(١) ص٣١١.

باب الإسراء

٤٤.... عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال أُتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجائني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل ﷺ اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد ﷺ قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف صلِّ اللهم عليه وسلم إذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قال وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب ودعا لي بخير قال الله عز وجل ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح

لنا فإذا أنا بهارون صلِّ اللهم عليه وسلم فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى صلى اللهم عليه وسلم فرحب ودعا لي بخير ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى اللهم عليه وسلم قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم صلى اللهم عليه وسلم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى صلى اللهم عليه وسلم فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف على أمتي فحط عني خمساً فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمساً قال إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى صلى اللهم عليه وسلم فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله ﷺ فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه.

يقول الأبي في شرحه:

قوله (ففرض علي خمسين صلاة) يدل على شرف الصلاة من حيث إنها لا تفرض إلا بالمحل الأعلى.

قوله (ارجع إلى ربك) اختص موسى عليه السلام بأمره بالمراجعة لأنه لقيه في السابعة فهو أول من لقي، لا يصح التعليل بذلك لأنه إنما لقيه في السادسة! فإبراهيم عليه السلام بهذا التعليل أولى لأنه أول من لقي، فيحتمل أن وجه اختصاصه هو أن بني إسرائيل كلفت

من الصلاة مثل ذلك فثقلت عليهم فخاف موسى على أمته مثل ذلك!

ويدل على ذلك قوله (فإني بلوت بني إسرائيل قبلك)[1].

يقول ابن تيمية في كتابه منهاج السنة: واليهود قالوا افترض الله علينا خمسين صلاة، وكذلك الرافضة[2].

يعني بذلك أن الشيعة واليهود عقائدهم متشابهة! فبالله عليك أيها القارئ من القائل الآن بفرض الخمسين صلاة ببادئ الأمر؟! نحن أم هذا الناصبي!

راجع إن شئت ذلك جميع كتب أهل العامة لترى ذلك بأم عينيك بأن الصلاة فرضت في بادئ الأمر خمسين صلاة ثم راجع كتبنا وما نعتقده فلن ترى من يصدق ويعتقد بهذه الرواية اليهودية! فنحن ولله الحمد جميع فقهائنا وعلمائنا وعلى رأس هؤلاء من نعتقد بإمامتهم فإنهم يرفضون هذه الرواية جملة وتفصيلا، ويضربونها بعرض الجدار.

ثم ألا يعلم الله تعالى مقدار تحمل أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى يكلفهم ما لا يطيقون؟!

ويريد أهل الكتاب أن يجعلوا لنبيهم موسى عليه السلام الفضل على نبينا الأكرم وعلى الأمة الإسلامية، ويريدون أن يقولوا لنا نحن لنا الفضل عليكم في أمور كثيرة منها أن نبينا موسى قد خفف عنكم الصلاة ولولاه لكانت صلاتكم خمسين صلاة بدل خمسة!

٤٥.... عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك! ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأَمَهُ ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ضئره فقالوا إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس وقد كنت أرئي أثر ذلك المخيط في صدره.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين: جاءت الدعوة من الرب إلى العبد على لسان أمين الوحي جبريل وأخيه ميكائيل جاءا إلى محمد ﷺ وهو نائم في المسجد الحرام بين

---

(١) إكمال إكمال المعلم، ج١، ص٥٠٩.

(٢) منهاج السنة النبوية، المجلد١، ج١، ص٦، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

حمزة وجعفر ﷺ فقال جبريل لرفيقه إنه أحد الثلاثة إنه الذي بين الرجلين فأيقظاه ثم شقا صدره فغسلاه بماء زمزم ثم جاءا بطست من الذهب مملوء حكمة وإيماناً فأفرغاه في صدره ثم أطبقاه بعد هذا الإعداد وذلك التطهير جيء له بالبراق تلك الدابة العجيبة الشأن...[1].

أقول:

لنا على هذه الرواية وهذا الشرح عدة ملاحظات:

أولاً: من كان نبياً وهو في صلب آدم ومن ولد مختوناً طاهراً من السهل على الله أن يجعل الحكمة والإيمان في صدره من دون فتح وشق ذلك الصدر الشريف وغسله بماء زمزم.

ثانياً: لقد أوتي لقمان الحكيم الحكمة مع العلم أنه لم يكن رسولاً نبياً، ومن يأتي بذكر لقمان يقول «لقمان الحكيم «وهو المشهور عنه، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ لقمان/١٢.

ألم يكن نبينا الأكرم أشرف وأفضل من لقمان الحكيم؟!

ثالثاً: الخضر عليه السلام أيضاً جاء ذكره في القرآن الكريم فقد ملئ إيماناً وحكمة ومن دون إجراء مثل هذه العملية الجراحية! ثم إن الحكمة نور يقذفه الله سبحانه وتعالى في قلب من يشاء من عباده.

رابعاً: إن أراد أهل العامة القول بـ (المعجزة) فأقول: إن الصدر غالباً يكون مخفياً عن الرائي، فالملابس أو القميص يغطي ذلك الشق أو المخيط وهو مخفي لا يرى، فليس من الحكمة أن الله أراد أن يرى الناس صدر النبي وأثر ذلك المخيط.

خامساً: قال جبريل عليه السلام لميكائيل إنه أحد الثلاثة (الأوسط) أي أن ميكائيل لم يتعرف على النبي عندما كان نائماً بين حمزة وجعفر عليهما السلام!!

سادساً: لماذا الملك صرع النبي قبل شق صدره؟! نعم.. لماذا هذا العنف مع خاتم الأنبياء؟! وهل يا ترى أن النبي الأكرم قاوم ذلك الملك أو الجراح بالمعنى الأصح؟!

---

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ج١، ص٥٤١.

سابعاً: هل يكون حظ الشيطان من النبي الأكرم وافراً إن لم تخرج تلك العلقة مثلاً؟!

أسئلة محيرة طالما موازين أهل العامة تزن الأمور وهي مقلوبة.

٤٦. حدثني حرملة بن يحيى التجيبي أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول اللهﷺ قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريلعليه السلام ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريلعليه السلام لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قال هل معك أحد قال نعم معي محمدﷺ قال فأرسل إليه قال نعم ففتح قال فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحباً بالنبي الصالح والإبن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدمعليه السلام وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح قال فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح فقال أنس بن مالك فذكر أنه وجد في السماوات آدم وإدريس وعيسى وموسى وإبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه قد وجد آدمعليه السلام في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل ورسول اللهﷺ بإدريس صلوات الله عليه قال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح قال ثم مر فقلت من هذا فقال هذا إدريس قال ثم مررت بموسىعليه السلام فقال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح قال قلت من هذا قال هذا موسى قال ثم مررت بعيسى فقال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا قال هذا عيسى بن مريم قال ثم مررت بإبراهيمعليه السلام فقال مرحباً بالنبي الصالح والإبن الصالح قال قلت من هذا قال هذا إبراهيم قال ابن شهاب وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان قال رسول اللهﷺ ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول اللهﷺ ففرض

الله على أمتي خمسين صلاة قال فرجعت بذلك حتى أمر بموسى فقال موسى عليه السلام ماذا فرض ربك على أمتك قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى عليه السلام فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فوضع شطرها قال فرجعت إلى موسى عليه السلام فأخبرته قال راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي قال فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي قال ثم انطلق بي جبريل حتى نأتي سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك.

راجع كتاب الإيمان باب أول الإيمان لتعلم حقيقة هذه الرواية ورواتها.

٤٧.... عن أنس بن مالك لعله قال عن مالك بن صعصعة رجل من قومه قال قال نبي الله ﷺ بينا أنا نائم عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول أحد الثلاثة بين الرجلين فأتيت فانطلق بي فأتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم فشرح صدري إلى كذا وكذا قال قتادة فقلت للذي معي ما يعني قال إلى أسفل بطنه فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حشي إيماناً وحكمة ثم أتيت بدابة أبيض يقال له البراق فوق الحمار ودون البغل يقع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا فاستفتح جبريل ﷺ فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد ﷺ قيل وقد بعث إليه قال نعم قال ففتح لنا وقال مرحباً به ولنعم المجيء جاء قال فأتينا على آدم ﷺ وساق الحديث بقصته وذكر أنه لقي في السماء الثانية عيسى ويحيى عليهما السلام وفي الثالثة يوسف وفي الرابعة إدريس وفي الخامسة هارون صلوات الله عليهم قال ثم انطلقنا حتى انتهينا إلى السماء السادسة فأتيت على موسى عليه السلام فسلمت عليه فقال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما جاوزته بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي قال ثم انطلقنا حتى انتهينا إلى السماء السابعة فأتيت على إبراهيم وقال في الحديث وحدث نبي الله ﷺ أنه رأى أربعة أنهار يخرج من أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت يا جبريل ما هذه الأنهار قال أما النهران الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور فقلت يا جبريل ما هذا قال هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون

ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم ثم أتيت بإنائين أحدهما خمر والآخر لبن فعرضا علي فاخترت اللبن فقيل أصبت أصاب الله بك أمتك على الفطرة ثم فرضت علي كل يوم خمسون صلاة ثم ذكر قصتها إلى آخر الحديث....

في هذه الرواية زيادة على بقية الروايات ففيها أن النبي موسى عليه السلام بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي.

وفي رواية البخاري قال موسى رب لم أظن أن يرفع علي أحد[1]!!

أقول:

ألم يعلم النبي موسى بأن نبينا الأعظم أفضل منه وهو خاتم الأنبياء والرسل؟!

ألم يصل النبي موسى خلف نبينا الأعظم في بيت المقدس قبل المعراج؟!

ألم يعلم أن نبينا الأعظم طالما صلى بالأنبياء والرسل إماماً فهو أفضل منهم؟!

وفي جميع الروايات نقرأ أن جميع الأنبياء والرسل كانوا يبشرون أقوامهم بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ألم يعلم النبي موسى بأن هذا الذي ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ النجم/٨ـ٩ أفضل من هذا الذي قيل له ﴿لَن تَرَانِي﴾؟!

وعلى ضوء بكاء وقول النبي موسى نستنتج من ذلك أن الحسد بين الناس له الحظ الوافر في عالم البرزخ أيضاً!!

راجع ما قبله.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾.

باب في ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال

٤٨.... قال عبدالله بن عمر ذكر رسول الله ﷺ يوماً بين ظهراني الناس المسيح الدجال فقال إن الله تبارك وتعالى ليس بأعور ألا إن المسيح الدجال أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية قال وقال رسول الله ﷺ أراني الليلة في المنام عند الكعبة فإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من أدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماءً واضعاً يديه على منكبي رجلين وهو بينهما يطوف بالبيت فقلت من هذا فقالوا المسيح ابن مريم ورأيت وراءه رجلاً جعداً قططاً أعور عين اليمنى كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن واضعاً يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت فقلت من هذا قالوا هذا المسيح الدجال.

٤٩.... عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال رأيت عند الكعبة رجلاً آدم سبط الرأس واضعاً يديه على رجلين يسكب رأسه أو يقطر رأسه فسألت من هذا فقالوا عيسى ابن مريم أو المسيح ابن مريم لا ندري أي ذلك قال ورأيت وراءه رجلاً أحمر جعد الرأس أعور العين اليمنى أشبه من رأيت به ابن قطن فسألت من هذا فقالوا المسيح الدجال.

قال الأبي في شرحه: قوله (إنه ليس بأعور وإن الدجال أعور العين اليمنى) هو تنبيه على وصف الدجال بسمات الحدوث وتنزيه الله سبحانه وتعالى عنها، والمشهور أن الدجال أعور العين اليمنى وروي اليسرى.

ويقول: وطواف عيسى عليه السلام إن كان رؤية عين فعيسى لم يمت وإن كان مناماً فرؤيا الأنبياء عليهم السلام حق، ويحتج بطوافه على منكبي رجلين من يجيز الطواف راكباً وكذلك

يحتج بطواف النبيﷺ راكباً وكره مالك ذلك إلا من عذر ويجيب عن طواف النبيﷺ بأنه كان لعذر ويؤيده ما في أبي داود من أنه دخل مكة وهو يشتكي وأنه طاف راكباً ليراه الناس فيأخذوا عنه مناسكهم.

وعن طواف عيسىعليه السلام بأنه أيضاً يحتمل أن يكون لعذر أو أنها رؤيا منام أو أنه شرع من قبلنا فلا يلزمنا وأما طواف الدجال فإن كانت رؤيا منام أيضاً فبين وإن كانت رؤية عين فلا يعارض ما صح من أنه لا يدخل مكة ولا المدينة لأن ذلك إنما هو أيام فتنته.

وتشبيهه بابن قطن لا يوجب ذماً لابن قطن! وفي البخاري أن ابن قطن كان كافراً[1]!!

ويقول ابن حجر في شرحه: قوله (إنه أعور وإن الله ليس بأعور) إنما اقتصر على ذلك مع أن أدلة الحدوث في الدجال ظاهرة لكون العور أثر محسوس يدركه العالم والعامي ومن لا يهتدي إلى الأدلة العقلية، فإذا ادعى الربوبية وهو ناقص الخلقة والإله يتعالى عن النقص علم أن كاذب[2].

أقول:

إن خروج الدجال من الأمور الحتمية وهذا مما لا شك فيه وهو من علامات آخر الزمان ويعتقد به كل مسلم على وجه هذه البسيطة وقد ثبت أنه يخرج بعد حدوث أمور ذكرت في بطون الكتب وأن النبي عيسىعليه السلام ينزل من السماء وكذلك الإمام الحجةعليه السلام يخرج بعد أن تملأ الأرض ظلماً وجوراً وهذه الأمور والحوادث حتمية كما ذكرنا.

ومحل الشاهد هنا (إنه أعور وإن الله ليس بأعور) أو (أعور عين اليمنى) (إن الله تبارك وتعالى ليس بأعور)!!

جاء في لسان العرب لابن منظور: العور ذهاب حس إحدى العينين إذا ذهب بصرها.

تمعن أخي القارئ في كلمة (إحدى)، أي أن لله عينين!! أي له عينان وليست عين

---

(١) إكمال إكمال المعلم لمحمد بن خليفة الأبي، ج١، ص٥٣٤، ط١/١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن حجر العسقلاني، ج١٣، ص١١٧، حديث ٧١٢٧.

واحدة كالدجال!

يقول ابن عثيمين وهو من كبار علماء أهل العامة: ونؤمن بأن الله تعالى عينين اثنتين حقيقيتين!!

وأجمع أهل السنة على أن العينين اثنتان[1]!!

وهذا قول واعتقاد أهل العامة في ربهم!! تعالى الله عما يصفون.

(١) عقيدة أهل السنة لابن عثيمين، ص١٤ـ١٥، ط وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية.

باب في ذكر سدرة المنتهى

٥٠.... عباد وهو ابن العوام حدثنا الشيباني قال سألت زر بن حبيش عن قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قال أخبرني ابن مسعود أن النبي ﷺ رأى جبريل له ست مائة جناح.

٥١.... عن زر عن عبدالله قال ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ قال رأى جبريل عليه السلام له ست مائة جناح.

٥٢.... زر بن حبيش عن عبدالله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ست مائة جناح.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه: شغل موضوع رؤية الرسول ﷺ لربه ليلة الإسراء أذهان كثير من الصحابة والتابعين والعلماء والفقهاء والمحدثين فترة طويلة من الزمن فقد لقي ابن عباس كعباً بعرفة فقال ابن عباس إنا بنو هاشم نقول إن محمداً رأى ربه مرتين فكبر كعب ورفع صوته بالتكبير حتى جاوبته الجبال ثم قال إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين.

وعلمت عائشة بهذا الرأي وهي تعتقد نقيضه فأخذت تعلن من حدث أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الكذب والافتراء وأصبح الباحثون وراء الحقيقة في حيرة من الأمر!

مرة يذهبون إلى ابن مسعود وأخرى إلى أبي ذر وثالثة إلى ابن عباس ورابعة إلى عائشة وهكذا!!

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ النجم/٨ـ١٠، فقالت عائشة أنا أول من سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها إلا هاتين المرتين، ورأيته منهبطاً إلى السماء عظيم الخلقة له ستمائة جناح على رفرف خضر يسد الأفق بين السماء والأرض[1]!

ويقول النووي في شرحه صحيح مسلم قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس: ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس!!

ثم إن ابن عباس أثبت شيئاً نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي!!

ويقول: فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره[2]!!

ويقول: ثم أن عائشة رضي الله عنها لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله ﷺ ولو كان معها فيه حديث لذكرته وإنما اعتمدت الاستنباط من الآيات!

ويقول ـ أي النووي ـ: رأى بقلبه ربه رؤية صحيحة وهو أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده أو خلق لفؤاده بصراً حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين[3]!!

أقول:

إن أقوال أهل العامة كثيرة في الرؤية ومتضاربة في نفس الوقت! ألم تسأل نفسك أيها القارئ لم كل هذه الأقوال المختلفة في رؤية الرب جل وعلا؟!

يقول السيد عبدالحسين شرف الدين قدس سره: أما رؤية الله عز وجل بالعين الباصرة فقد أجمع الجمهور على إمكانها في الدنيا والآخرة! وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة! وأن المؤمنين والمؤمنات سيرونه يوم القيامة بأبصارهم! وأن الكافرين والكافرات لا يرونه

---

(١) فتح المنعم، ج١، ص٥٧٤.

(٢) المجلد٢، ج٣، ص٩.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٩ـ١٠.

أبداً!

وأكثر هؤلاء على أن الرؤيا لا تقع في الدنيا وربما قال بعضهم بوقوعها أيضاً، ثم إن المجسمة من هؤلاء زعموا أنهم سيرونه يوم القيامة باتصال الأشعة من أبصارهم بجسمه ماثلاً أمامهم، فينظرون إليه كما ينظر بعضهم إلى بعض لا يمارون فيه كما لا يمارون في الشمس والقمر ليس دونهما سحاب على ما يقتضيه حديث أبي هريرة وقد خالف هؤلاء حكم العقل والنقل وخرقوا إجماع الأمة بأسرها وخرجوا عليها ومرقوا من الدين[1].

ويقول الأبي في شرحه: (الحديث القادم) نور أنى أراه، أراه عائد على الله، أي حجبني نور فكيف أراه!

والتقدير في الثانية: رأيت نوراً حجبني فتتفق الروايتان على أن النور مانع كعادة الأنوار الساطعة في أنها تغشى البصر من رؤية ما خلفها.

ولكن الأبي يخالف هذا الشرح ويصر على الرؤية فيقول: كونه خالقاً أو هادياً أو منوراً لا يمنع من رؤيته[2]!!

---

(١) أبو هريرة للسيد شرف الدين، ص٦١، ط٤، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

(٢) إكمال إكمال المعلم، ج١، ص٥٤٧، كتاب الإيمان، باب نور أنى أراه.

باب في قوله عليه السلام نور أنى أراه

٥٣.... عن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك قال نور أنى أراه.

٥٤.... عبدالله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته، فقال عن أي شيء كنت تسأله قال كنت أسأله هل رأيت ربك قال أبو ذر قد سألت فقال رأيت نوراً.

قال النووي في شرحه: أما قوله ﷺ (نور أنى أراه) فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة في أنى وتشديد النون وفتحها... ومعناه أن النور مغني من الرؤية.

وقوله ﷺ (رأيت نوراً) معناه رأيت النور فحسب ولم أر غيره[1].

راجع ما قبله.

---

(١) المجلد ٢، ج٣، ص١٥.

باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم

٥٥. ... عن صهيب عن النبيﷺ قال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عَزَّوَجَلَّ.

باب معرفة طريق الرؤية

٥٦.... عن عطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبره أن ناساً قالوا لرسول اللهﷺ يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول اللهﷺ هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب من شوك السعدان أرأيتم السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن بقي بعمله ومنهم المجازى حتى يُنَجّى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار

أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة فيقول أي رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره فيقول لا أسألك غيره ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أي رب قدمني إلى باب الجنة فيقول الله له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول أي رب ويدعوا الله حتى يقول له فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره فيقول لا وعزتك فيعطي ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أي رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول أي رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه فإذا ضحك الله منه قال ادخل الجنة فإذا دخلها قال الله له تمنه فيسأل ربه ويتمنى حتى أن الله ليذكره من كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله تعالى ذلك لك ومثله معه.

قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئاً حتى إذا حدث أبا هريرة أن الله قال لذلك الرجل ومثله معه قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة قال أبو هريرة ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله معه، قال أبو سعيد أشهد أني حفظت من رسول الله ﷺ قوله ذلك لك وعشرة أمثاله، قال أبو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً الجنة.

٥٧. ... عن أبي سعيد الخدري أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله ﷺ نعم قال هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون

في رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغُبَّر أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا قال فيشار إليهم الا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال فما تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقناالناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك!! لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً حتى أن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة ففال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيب وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم بأحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ويقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها

أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيراً وكان أبو سعيد الخدري يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فيقول الله عَزَّوَجَلَّ شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلى أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة من حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس مصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون يا ربنا أي شيء أفضل من هذا فيقول رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبداً...

باب آخر أهل النار خروجاً

٥٨.... عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول اللهﷺ إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة رجل يخرج من النار حبواً فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا قال فيقول أتسخر بي أو تضحك بي وأنت الملك قال لقد رأيت رسول اللهﷺ ضحك حتى بدت نواجذه قال فكان يقال ذاك أدنى أهل الجنى منزلة.

٥٩.... عن عبدالله قال قال رسول اللهﷺ إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار رجل يخرج منها زحفاً فيقال له انطلق فادخل الجنة قال فيذهب فيدخل الجنة فيجد الناس قد أخذوا المنازل فيقال له أتذكر الزمان الذي كنت فيه فيقول نعم فيقال له تمن فيتمنى فيقال له لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا قال فيقول أتسخر بي وأنت الملك قال فلقد رأيت رسول اللهﷺ ضحك حتى بدت نواجذه.

٦٠.... عن ابن مسعود أن رسول اللهﷺ قال آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين فترفع له شجرة فيقول أي رب

أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله ﷻ يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها فيقول لا يا رب ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره بأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها فيقول لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين فيقول أي رب أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها قال بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره لأنه يرى أن لا صبر له عليها فيدنيه منها فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول أي رب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم يصريني منك أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها قال يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين فضحك ابن مسعود فقال ألا تسألوني مم أضحك فقالوا مم تضحك قال هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا مم تضحك يا رسول الله قال من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزئ مني وأنت رب العالمين فيقول إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين:

كان رسول الله ﷺ يذكر أصحابه باليوم الآخر وما يقع فيه من الأهوال وفي ليلة مقمرة بدرها يسطع في السماء حدثهم ﷺ عن الحشر وعن قول الله ﴿لتتبع كل أمة ما كانت تعبد﴾ وقوله المسلمين هذا مكاننا حتى نرى ربنا حينئذ سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فنظر رسول الله ﷺ إلى القمر فقال إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر هل يضر بعضكم بعضاً إذا نظرتم إلى القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال وهل يزاحم بعضكم بعضاً ويؤذيه حين ترون الشمس في وسط السماء ليس دونها حجاب قالوا لا يا رسول الله قال فإنكم ترونه بسهولة ويسر ووضحوح كما ترون القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب ثم أخذ يحدثهم عن هذه الرؤية وعن ظروفها ووقتها فقال يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين

في صعيد واحد وفي مكان واحد في أرض واسعة مستوية لا يخفى منهم أحد لو دعاهم داع لسمعوه ولو نظر إليهم ناظر لأدركهم يقومون أربعين عاماً شاخصة أبصارهم إلى السماء لا يكلمهم ربهم والشمس على رؤوسهم حتى يلجم العرق كل بر منهم وفاجر غير أنه يخفف على المؤمن فيكون ذلك اليوم أقصر عليه من ساعة من نهار حتى إذا أذن جل شأنه بالانصراف من هذا الموقف تطايرت الصحف وتم العرض والميزان ونادى مناد من كان يعبد شيئاً فليتبعه.

أيها الناس أليس عدلاً من ربكم الذي خلقكم وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم وأحسن إليكم ثم توليتم غيره أن يولى كل عبد منكم ما كان قد تولى؟

أيها الناس لتنطلق كل أمة مع ما كانت تعبد ويتمثل لهم الصنم والشيطان والصليب والشمس والقمر فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت والأصنام الطواغيت والأصنام ويتبع من كان يعبد الصليب صليبهم، فيساقون هم ومعبوداتهم إلى النار فلا يبقى في الموقف أحد كان يعبد الأصنام والأنصاب والأوثان والشمس والقمر والنار والإنسان والحيوان والشيطان والملائكة إلا تساقط في النار ثم يدعى المنحرفون من اليهود فيقال لهم ماذا كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد عزير ابن الله فيقال لهم كذبتم في ادعائكم أن لله ولداً سبحانه لم يتخذ من صاحبة ولا ولد وضللتم في عبادتكم هذه ولا نجاة لكم اليوم. فيقولون يا ربنا عطشنا فاسقنا فتبدو جهنم أمامهم كأنها ماء فيقال لهم هيا ألا تردون فيحشرون إلى النار.

ثم يدعى المبدلون والمحرفون من النصارى فيقال لهم ماذا كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم في ادعائكم أن المسيح ابن الله، ما اتخذ الله من ولد ولم تكن له صاحبة فماذا بعد الكفر والضلال فأنى تصرفون، فيقولون يا ربنا عطشنا فاسقنا فتبدو لهم جهنم كأنها ماء فيشار إليها ويقال لهم هيا الا تردون فيحشرون إلى النار فيجدونها يحطم بعضها بعضاً حتى إذا لم يبق من الخلائق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم أمر الله يقول لهم ماذا تنتظرون ماذا يحبسكم وقد ذهب الناس فيقولون يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا حفاظاً على ديننا منهم ونحن أحوج ما نكون إليهم هجرنا الأهل والأوطان فراراً بديننا وأخرجنا من ديارنا وأموالنا ونحن أحوج ما

نكون إليهم فكيف نتابعهم اليوم لقد سمعنا لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فنحن ننتظر معبودنا ننتظر ربنا فيقال لهم هل تعرفونه فيقولون إذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله بصورة لم يعهدوها يقول لهم أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لست ربنا، ربنا ليس كمثله شيء فيقال لهم هل بينكم وبينه علامة فيقولون نعم فيكشف عن الساق ويتجلى لهم رب العالمين فيسجد له كل مؤمن يسجد له كل من كان يعبده بإخلاص أما المنافقون الذين كانوا يسجدون اتقاء ورياء فإن أصلابهم تتجمد كأصلاب البقر كلما حاول أحدهم أن يسجد تقليداً للمؤمنين سقط على قفاه ثم يقال للمؤمنين ارفعوا رؤوسكم إلى نوركم بقدر أعمالكم فيعطون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة ومنهم من يعطى دون ذلك حتى يكون آخرهم من يعطى نوره على إبهام قدمه ثم يوجهون إلى الصراط يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم فيقول لهم المنافقون انظرونا وتمهلوا نسير في ركابكم ونقتبس من نوركم فيقولون لهم تبكيتاً وخذلاناً ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً فيرجعون إلى المكان الذي وزع فيه النور فلا يجدون شيئاً فيحاولون اللحاق بالمؤمنين فيضرب بينهم بسور له باب فيقذفون في النار وينصب الصراط على شاطئ جهنم جسر ممدود أدق من الشعر وأحد من السيف على جانبيه كلاليب وخطاطيف ذات أسهم من كل جانب تشبه شوكة السعدان التي تلصق بأصواف الغنم ويقف الأنبياء وقلوبهم وجلة يتضرعون إلى الله ويقولون يا رب سلم يا رب سلم وتقف الملائكة ممسكة بالكلاليب المأمورة وهي تقول يا رب سلم يا رب سلم فتقف الأمة الإسلامية ولسانها يلهج بالدعاء يا رب سلم يا رب سلم ومن حولها سائر الرسل وأتباعهم في انتظار أمر الله ثم ينادي المنادي أين محمد وأمته فيقوم ﷺ وتتبعه أمته برها وفاجرها فتفرج الأمم لهم عن الطريق فيمرون غراً محجلين من أثر الطهور فتقول الأمم كادت هذه الأمة أن يكونوا أنبياء فيأخذون الجسر فيطمس الله أبصار أعدائه فيتهافتون من يمين وشمال وتتخطفهم الكلاليب ويكون رسول الله ﷺ أول من يجتاز الصراط وأمته أول الأمم ويتسع الصراط لبعض المؤمنين حتى يكون مثل الوادي وإن بعضهم يمر عليه كطرف العين وبعضهم كالبرق وبعضهم كالسحاب وبعضهم كانقضاض الكوكب وبعضهم كالريح وبعضهم كجياد الخيل وبعضهم كالطير وبعضهم كجياد الإبل

وبعضهم كأسرع البهائم وبعضهم يسعى سعياً وبعضهم يمشي مشياً تجري بهم أعمالهم حتى يمر الرجل الذي أعطي نوره على إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يتكفأ به الصراط يتلبط على بطنه يجر نفسه بيد ويتعلق بيد يجر نفسه برجل ويتعلق برجل وتضرب جوانبه النار يقول يا رب لم أبطأت بي فيقول أبطا بك عملك ويضل يحبو حتى ينجو فيلتفت إلى النار فيقول تبارك الذي نجاني منك حتى إذا خلص المؤمنون من النار وقعت المقاصة بينهم على قنطرة بين الجنة والنار حتى إذا انتهوا إلى الجنة تفقدوا إخوانهم فوجدوا العصاة منهم في النار فرقت لهم أفئدتهم واشتدت عليهم حسراتهم فيجأرون إلى الله بالدعاء ويناشدونه بكل تذلل أن يعفو عن إخوانهم وأن يخرجهم من النار يقولون يا ربنا إخواننا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون معنا يا ربنا آباؤنا وأجدادنا أعمامنا أخوالنا أبناؤنا أزواجنا اغفر لهم شفعنا فيهم فيقول لهم اذهبوا فأخرجوا من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان ويأمر ملائكته بإخراجهم ثم يعودون فيستشفعون في غيرهم فيشفعون وهكذا حتى يخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من خير فيقول الله تعالى شفع الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً أبداً قد صاروا فحماً فيلقيهم في نهر في مقدمة الجنة يسمى نهر الحياة فيخرجون منه كالنبتة الصغيرة في نضارتها وحسنها ويقال يا أهل الجنة أفيضوا عليهم من ماءكم فيرشون عليهم من ماء الجنة فيزدادون نضارة وبهاء ثم يؤذن لهم بدخول الجنة.

يقولﷺ لأصحابه: إني أعلم حال آخر أهل النار خروجاً من النار وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، هو رجل يبقى مقبلاً بوجهه على النار فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار فقد آذاني ريحها وأحرقني حرها يا رب اقبلني واعف عني يا رب أقر بذنبي وأعترف بتقصيري وأرجو واسع رحمتك، ويدعو الله ما شاء أن يدعوه فيقول الله لملائكته اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت كذا وكذا يوم كذا... فيقول نعم يا رب وهو مشفق من كبار ذنوبه خائف أن تعرض عليه ويؤخذ بها فيقول يا رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا فيضحك رب العزة ويرضى عن عبده العاصي ويقول له: لعلك إن صرفت وجهك عن النار أن تسألني غير ذلك فيقول لا لا اسألك غيره

ويقسم ويعطي ربه من العهود والمواثيق ما شاء الله فيصرف وجهه عن النار فيقول لها تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله من الفضل والرحمة ما لم يعط أحداً من الأولين والآخرين ويسكت ما شاء الله أن يسكت ثم ترفع له شجرة ذات ظل ظليل فيقول يا رب ادنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها فقد آذاني الحر والعطش فيقول له ربه يا ابن آدم لعلي إن أعطيتك ما تطلب أن تسألني غيره فيقول لا يا رب لا أسألك غيره ويعطي ربه من العهود والمواثيق ما شاء الله وربه يقبل عذره لأنه يرى شيئاً لا يستطيع الصبر عليه فيدنيه من الشجرة فيستظل بظلها ويشرب من مائها ويسكت ما شاء الله أن يسكت ثم ترفع له شجرة أحسن من الأولى فيقول مقالته السابقة وربه يعذره فيدنيه منها ثم ترفع له شجرة ثالثة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين فيقول مقالته السابقة فيقول له ربه ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ألم تعطني عهودك ومواثيقك ألا تسأل غيره فيقول لا أسألك غيره يا رب ويعطي ربه من العهود والمواثيق ما شاء الله فيدنيه منها فيسمع أصوات أهل الجنة أصواتاً كالمزامير فيتسمع ويتطلع فتنفتح أمامه أبواب الجنة فيرى ما فيها من نعيم وسرور وحبور فيقول يا رب أدخلني الجنة فيقول له يا ابن آدم ما يقطع مسألتك مني أين عهودك ومواثيقك ألا تسأل فيقول كرمك أوسع من مسألتي وفضلك لا ينقصه عطائي فيقول له اذهب فادخل الجنة فيدخلها فيخير إليه أنها ملأى وأن الناس قد أخذوا منازلهم فيها فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيتخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة فإذا دخلها قال الله له تمنه اطلب تعط فيتمنى قصوراً وحدائق وطعاماً وشراباً وفرشاً وأرائك فإذا طلب ما يشتهي ذكره ربه بأشياء لم يذكرها يقول له اطلب كذا وكذا وكذا مما لا يخطر على قلب بشر حتى إذا ما انقضت به الأماني قال الله له ذلك لك وعشرة أمثاله معه فيقول يا رب لا أستحق شيئاً من ذلك لا تكاد عيني تصدق ما ترى ولا تكاد أذني تصدق ما أسمع أكاد أغيب عن صوابي فيضحك رب العزة ويقول إني لا استهزء منك ولكني على ما أشاء قادر فيدخل بيته وتدخل عليه زوجتاه من الحور العين فتحتضنانه وتقبلانه وتقولان له الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك فيعيش في سعادة دائمة وسرور خالد وهو يقول في نفسه ما أعطي أحد مثلما أعطيت ذلك أدنى

أهل الجنة منزلة يوم القيامة أما أعلاهم منزلة فأولئك الذين اختارهم ربهم واصطفاهم لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ السجدة/١٧[1].

أقول:

ورد في هذه الروايات الطويلة أن المؤمنين عرفوا ربهم في المرة الثانية عندما قال لهم أنا ربكم فقالوا أنت ربنا، فكيف عرفوه؟ وهل كانوا قد رأوه من قبل، وأين الدليل على ذلك؟!

وفي الرواية أيضاً أن الله حَرَّمَ على النار أن تأكل أثر السجود فيخرج الملائكة من النار من على جبهته ذلك الأثر.

والسؤال هو: هل يشمل ذلك الخوارج أيضاً؟! فكما في بعض الروايات أن جباههم سود من أثر السجود!

فإن قلنا بشموله للخوارج، فقد كذبنا النبي ﷺ وخطأناه إذ قال بأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ولا مكان لقوله لو أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وفي رواية لأقتلنهم قتل ثَمود، وطالما هذه النار التي تصهر الحجر والمدر، والخوارج من أهل النار فكيف بهذه النار لا تصهر تلك الجباه؟!

وإن قلنا بعدم شموله، كَذَّبنا هذا الحديث.

وفي الرواية أيضاً أن آخر الناس دخولاً الجنة كان يعطي العهود والمواثيق الكاذبة لله سبحانه وتعالى بأن لا يسأله غير ذلك وكان ينقض تلك العهود بطلباته الكثيرة، فهل كان الله جل وعلا يتسلى مع هذا الرجل؟!

وفيها أيضاً اختلاف قول أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وهما في مجلس واحد!! وهو قول أبي هريرة (لك ومثله) وقول أبو سعيد الخدري (وعشرة أمثاله)!!

راجع كتابنا كشف المتواري في صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٦٥، حديث ٧٥٧، باب الصراط جسر جهنم من كتاب الرقاق.

---

(١) فتح المنعم، ج١، ص٦٠٢.

قال القسطلاني في شرحه:

وتبقى هذه الأمة المحمدية... فيها... (منافقوها فيأتيهم الله) ﷻ إتياناً لا نُكَيِّفُه عار عن الحركة والانتقال! إذ ذلك من نعوت الحدوث المتعالي عنه ربنا علواً كبيراً وطريقة السلف المشهورة في هذا ونحوه أسلم... وقيل معناه هنا أنه يشهدهم رؤيته إذ العادة أن كل من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته إلا المجيء إليه فَعَبَّرَ عن الرؤية بالإتيان مجازاً أي يتجلى لهم تعالى حتى يَرَوه (في غير الصورة التي يعرفون) لأجل من معهم من المنافقين الذي لا يستحقون الرؤية وهم عن ربهم محجوبون... فيقول الله لهم أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لأنه أتاهم بصورة الآمر باتباع الباطل فلذا يقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا ربنا عرفناه بما سبق لنا من معرفته ﷻ أنه لا يأمرنا بباطل وأنه مُنَزَّه عن صفات هذه الصورة إذ سماتها سمات المحدثات.

ورَجَّحَ القاضي عياض أن في قوله فيأتيهم الله محذوفاً تقديره فيأتيهم بعض ملائكة الله قال ولعل هذا المَلَك جاءهم في صورة أنكروها لما فيها من سمة الحدوث الظاهرة لأنه مخلوق.

قال القرطبي:

هذا مقام الامتحان، يمتحن الله به عباده ليميز المحق من المبطل وذلك أنه لما بقي المنافقون والمرائون مختلطين بالمؤمنين والمخلصين زاعمين أنهم منهم وأنهم عملوا مثل عملهم وعرفوا الله مثل معرفتهم ظانين أن ذلك يجوز في ذلك الوقت كما جاز في الدنيا، امتحنهم الله بأن أتاهم بصورة هائلة قال للجميع أنا ربكم فأجابه المؤمنون بإنكار ذلك حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب أي يزل فيوافق المنافقين...[1].

ويقول القسطلاني أيضاً في شرحه:

فيأتيهم الله فيتجلى للمسلمين بعد تمييز المنافقين في الصورة التي يعرفون، أي في صفته التي هو عليها من الجلال والكمال والتعالي عن صفات الحدوث بعد أن عرفهم بنفسه الشريفة ورفع الموانع عن أبصارهم فيقول لهم أنا ربكم فيقولون أنت ربنا

---

(١) إرشاد الساري، ج١٣، ص٦٦٩، حديث ٦٥٧٣، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم.

فيتبعونه... أي أمر الله أو ملائكته الذين وكلوا بذلك[1].

وفي رواية أن الله يأتيهم في غير الصورة التي يعرفون، يا ترى هل رأوه قبل هذه المرة؟! وأين؟!!

وفي الرواية أيضاً: فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون! فكيف عرفوه؟!

وفي رواية أشنع من هذه: فيسألهم هل بينكم وبينه علامة تعرفونها؟ فيقولون: الساق! فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن[2]!!

وفي رواية: يقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساقه فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود!!

ثم لاحظ أخي الكريم أن سؤال الله تعالى لهؤلاء يعتبر اختباراً لهم، ونحن نعلم أن دار الدنيا هي محل اختبار البشر، وليس في عالم الآخرة، فتأمل ذلك!

أقول باختصار:

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾[3].

بعدما طلب النبي موسى عليه السلام ذلك من الرب جل وعلا تاب من قوله كما جاء في الآية ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الأعراف:١٤٣.

أي أُنَزِّهُكَ يا رب من ذلك، فأنت لا ترى.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ المطففين:١٥.

عن رؤيته.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ الشورى:٥١.

يقول سيد عبدالحسين شرف الدين رحمة الله عليه:

... وهذا حديث مهول ألفت إليه أرباب العقول فهل يجوز عندهم أن تكون لله صور مختلفة ينكرون بعضها ويعرفون البعض الآخر... وهل يجوز عليه الضحك وأي وزن

(١) نفس المصدر السابق، ص٦٦٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾، وراجع أيضاً فتح الباري، حديث ٧٤٣٧.

(٣) الأعراف:١٤٣

لهذا الكلام؟

ويقول:

أما رؤية الله عَزَّوَجَلَّ بالعين الباصرة فقد أجمع الجمهور على إمكانها في الدنيا والآخرة وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين والمؤمنات سيرونه يوم القيامة بأبصارهم وأن الكافرين والكافرات لا يرونه أبداً وأكثر هؤلاء على أن الرؤيا لا تقع في الدنيا وربما قال بعضهم بوقوعها أيضاً ثم إن المجسمة من هؤلاء زعموا أنهم سيرونه يوم القيامة باتصال الأشعة من أبصارهم بجسمه ماثلاً أمامهم فينظررون إليه كما ينظر بعضهم إلى بعض لا يمارون فيه كما لا يمارون في الشمس والقمر ليس دونهما سحاب على ما يقتضيه حديث أبي هريرة.

وأما غيرهم من الجمهور وهم المنزهون من الأشعرية فقد قالوا بأن الرؤية قوة سيجعلها الله تعالى يوم القيامة بأبصار المؤمنين والمؤمنات خاصة لا تكون باتصال الأشعة ولا بمقابلة المرئي ولا بتحيُّزه ولا بتكيُّفه ولا ولا فهي على غير الرؤية المعهودة للناس بل هي رؤية خاصة تقع من أبصار المؤمنين والمؤمنات على الله عَزَّوَجَلَّ لا كيف فيها ولا جهة من الجهات الست، وهذا محال لا يعقل ولا يمكن أن يتصور متصور إلا إذا اختص الله المؤمنين في الدار الآخرة ببصر آخر لا تكون فيه خواص الابصار المعهودة في الحياة الدنيا على وجه تكون فيه الرؤية البصرية كالرؤية القلبية وهذا خروج عن محل النزاع في ظاهر الحال ولعل النزاع بيننا وبينهم في الواقع ونفس الأمر لفظي[1].

أقول:

وفي الرواية «فيضحك الله عَزَّوَجَلَّ منه».

يقول الألباني:

... حدثنا إسحاق بن منصور به إلا أنه زاد وسمعت رسول الله ﷺ يقول حتى تبدو لهواته وأضراسه[2]!!

---

(١) أبو هريرة للسيد شرف الدين، ص٦٠ـ٦٣، ط٤، دار التعارف للمطبوعات بيروت.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، المجلد ٦، القسم الأول، ص٥٧٥، ط١/١٤١٥هـ، الرياض.

ومن العامة من يقول أن معنى الضحك ـ الرضا ـ فهذه الجملة التي ذكرناها آنفاً تُفنِّد ما تزعمه العامة فالضحك هو الضحك الذي نعرفه من حيث فتح الفم ورؤية الأضراس واللهاة كما ذكر الألباني.

ويقول ابن حجر: (يضحك الله...) أن الله يعجب....

قال الخطابي: الضحك الذي يعتري البشر... غير جائز على الله تعالى، وإنما هذا مثل ضرب لهذا الصنيع الذي يحل محل الإعجاب عند البشر، فإذا رأوه أضحكهم، ومعناه الإخبار عن رضا الله بفعل أحدهما وقبوله للآخر ن ومجازاتهما على صنيعهما بالجنة مع اختلاف حاليهما!

قال: وقد تأول البخاري الضحك... على معنى الرحمة.

يضحك الله، أي: يجزل العطاء.

وقال ابن الجوزي: أكثر السلف يمتنعون من تأويل مثل هذا! ويمرونه كما جاء، وينبغي أن يراعى في مثل هذا الإمرار، اعتقاد أنه لا تشبه صفات الله صفات الخلق.

ومعنى الإمرار: عدم العلم بالمراد منه مع اعتقاد التنزيه[1]!!

أقول:

لاحظ أن العامة تحاول أن تجد معنى لكلمة (الضحك) فتلف وتدور وتحاول أن تجد مخرجاً، فيأتي ابن الجوزي وينسف كل ما قالوه في كلمة الضحك، فيقول عدم العلم بالمراد من كلمة الضحك!

فبأي رأي نأخذ؟!

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج٦، ص٥٠، حديث ٢٨٢٦، كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم.

باب أدنى أهل الجنة منزلة

٦١.... عن أنس بن مالك قال قال رسول اللهﷺ يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وقال ابن عبيد فيلهمون بذلك فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا قال فيأتون آدمﷺ فيقولون أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله قال فيأتون نوحاًﷺ فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا إبراهيمﷺ الذي اتخذه الله خليلاً فيأتون إبراهيمﷺ فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا موسىﷺ الذي كلمه الله وأعطاه التوراة قال فيأتون موسىﷺ فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمداً صلى اللهم عليه وسلم عبداً قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال قال رسول اللهﷺ فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع رأسك يا محمد قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي

بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود قال ابن عبيد في روايته قال قتادة أي وجب عليه الخلود.

٦٢.... عن أنس قال قال رسول اللهﷺ يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيهتمون بذلك أو يلهمون ذلك بمثل حديث أبي عوانة وقال في الحديث ثم آتيه الرابعة أو أعود الرابعة فأقول يا رب ما بقي إلا من حبسه القرآن.

٦٣.... عن أنس بن مالك أن نبي اللهﷺ قال يجمع الله المؤمنين يوم القيامة فيلهمون لذلك بمثل حديثهما وذكر في الرابعة فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود.

٦٤.... عن حذيفة قال قال رسول اللهﷺ يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله قال فيقول إبراهيم لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء وراء اعمدوا إلى موسىﷺ الذي كلمه الله تكليماً فيأتون موسىﷺ فيقول لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسىﷺ لست بصاحب ذلك فيأتون محمداًﷺ فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق قال قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق قال ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً.

يقول النووي في شرحه: الخطايا التي ذكرت للأنبياء:

أكل آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة ناسياً. دعوة نوحعليه السلام على قوم كفار. وقتل موسىﷺ لكافر لم يؤمر بقتله، ومدافعة إبراهيمﷺ الكفار بقوله عرض به هو فيه

من وجه صادق، وهذه كلها في حق غيرهم ليست بذنوب لكنهم أشفقوا منها إذ لم تكن عن أمر الله تعالى وعتب على بعضهم فيها بقدر منزلتهم من معرفة الله تعالى[1].

يقول الأستاذ الدكتور موسى لاشين:

فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم روح منه وكلمت الناس في المهد صبياً، إشفع لنا عند ربك، ألا ترى ما نحن فيه، فيقول: إني عبدت من دون الله واتهمت بأنني قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، نفسي نفسي، إذهبوا إلى محمدﷺ[2].

أقول:

إن في الأحاديث التي مرت علينا لم نقرأ خطيئة للنبي عيسى عليه السلام ولم تذكر خطيئته كما ذكرت خطايا الأنبياء الآخرين، فمن أين جاء ابن لاشين بهذه الخطيئة؟ وما ذنب النبي عيسى لو عبد الناس إلهاً آخر بعد وفاته أو رفعه؟ وهل تعتبر خطيئة بحقه؟!!

الحاصل: إن هذه الروايات تبين عظمة نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأنه أفضل من جميع الأنبياء والرسل وسوف تقرأ لاحقاً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا تخيروني على يونس وفي رواية ولا تخيروني على موسى[3]، وفي رواية من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب!!

أعني بذلك أن أهل العامة في رواياتهم يدعون ويزعمون أن النبي موسى أفضل من نبينا الأكرم وسوف نذكر ذلك وفي محله إن شاء الله.

---

(١) المجلد ٢، ج٣، ص٥٦، حديث٣٢٢.

(٢) فتح المنعم، ج٢، ص١٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة.

باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار

٦٥. ... عن أنس أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبي قال في النار فلما قفى دعاه فقال إن أبي وأباك في النار.

يقول العثماني في شرحه فتح الملهم: قال العلامة ابن حجر في الزواجر إن نبيناﷺ قد أكرمه الله تعالى بحياة أبويه له حتى آمنا به كما في حديث صححه القرطبي وابن ناصر الدين حافظ الشام وغيرهما فانتفعا بالإيمان بعد الموت على خلاف القاعدة إكراماً لنبيهﷺ، كذا في رد المحتار[1].

ويقول الأبي في شرحه: ولعله يصح ما جاء في أنهﷺ سأل الله سبحانه فأحيا له أبويه فآمنا به وقدر رسول اللهﷺ فوق هذا ولا يعجز الله شيء[2].

لاحظ أن أهل العامة لم يستسيغوا هذا الحديث ـ إن ابي وأباك في النار ـ وأن يكون عبدالله والد نبينا الأعظم في النار! فقالوا ما قرأته آنفاً، أن الله أحياه فآمن بالنبي ورسالته.

نحن نعتقد ونقول أنه ليس كل ما صح سنده صح متنه، فالحديث يخالف ويعارض آيات القرآن الكريم ويتضارب مع السيرة والحديث وما ستقرؤه لاحقاً والشواهد على إيمان آباء الأنبياء كثيرة لذا ترى أن أهل العامة قد لفظوا هذا الحديث في قولهم أن الله

---

(١) فتح الملهم مع التكملة الكاملة، لشبير أحمد العثماني، ج٢، ص٣٨٣، ط١/١٤٢٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) إكمال إكمال المعلم، لمحمد بن خليفة الأبي، ج١، ص٦١٧، ط١/١٤١٥هـ، دارالكتب العلمية، بيروت.

سبحانه وتعالى أحيا والدي النبي ﷺ فآمنا به.

قال تعالى في محكم كتابه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الشعراء/٢٢٠.

فأهل العامة لو اعتقدوا بهذه الآية وقالوا بأن آباء الأنبياء موحدون مؤمنون وهو الصحيح أفضل بكثير من قولهم أن الله أحيا أبوي النبي ﷺ!

وأقول باختصار:

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن المسيب أنه قال قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه جمع لي رسول الله ﷺ يوم أحد أبويه كليهما يريد حين قال (فداك أبي وأمي وهو يقاتل)[1].

لاحظ أخي القارئ كيف أن النبي الأكرم يفدي سعداً بأبويه الموحدين المؤمنين ولو كانا مشركين كما يدعي البعض لما افتخر سعد بن أبي وقاص بذلك، وإن صح ما ذكره أهل العامة جدلاً، فسعد هذا من العشرة المبشرة بالجنة، أيعقل أن سعداً هذا يساوي هذين المشركين؟ وهل هذه قيمة سعد بن أبي وقاص، وهل هذه منزلته عند النبي الأكرم؟!

قال النووي في شرحه:

وقوله ﷺ إنَّ أبي وأباك في النار، هو من حسن العشرة للتسلية! بالاشتراك في المصيبة!

ومعنى قَفَّى وَلَّى قفاه مُنصرفاً[2].

لاحظ أخي القارئ أن النبي ﷺ يُسَلِّي هذا الرجل ويشاركه في مصيبته فيقول له إن أبي أيضاً في النار!!

أقول:

لما قدم أبرهة ملك الحبشة مكة ليهدم الكعبة يقول اليعقوبي:

---

(١) كتاب المغازي، باب ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾.

(٢) المجلد ٢، ج ٣، ص ٧٩.

بعث عبدالمطلب ابنه عبدالله ليأتيهم بالخبر، فأتى عبدالله على فرس شقراء يركض وقد جرّدت ركبته فقال عبدالمطلب قد جاءكم عبدالله بشيراً ونذيراً، والله ما رأيت ركبته قط قبل اليوم. فأخبرهما ما صنع الله بأصحاب الفيل[1].

لاحظ كيف أن عبدالله عليه السلام قدم مسرعاً إلى والده ليخبره ويبشره ما أنزل الله من العذاب على أبرهة وجيشه بواسطة الطير الأبابيل، وجعلهم كعصف مأكول.

أقول:

ألا تنم هذه النفسيات عن إيمان راسخ بالله سبحانه وتعالى كعبدالمطلب وابنه عبدالله عليه السلام كما قرأت آنفاً، ومن تكون هذه حاله، ألا يكون مؤمناً وموحداً الله تعالى؟ هل هذه نفسية رجل كافر بالله تعالى؟!

ويوم حنين عندما فر الصحابة وتركوا النبي الأكرم في ساحة القتال صاح فيهم العباس بأمر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكما ورد في صحيح البخاري قال النبي أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب[2].

فلو كان جده عبدالمطلب مشركاً لما استشهد به! ولو أن جده عبدالمطلب لم يكن مسلماً موحداً مؤمناً لأجابه البعض ـ المنافقون ـ أنت تستشهد بمشرك!!

يقول عبدالملك النيسابوري في كتابه شرف المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما خلق الله آدم أبقى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأهبطني الله تعالى الأرض في صلب آدم عليه السلام فحملني في صلب نوح عليه السلام في السفينة ثم قذف بي في النار في صلب إبراهيم عليه السلام ولم يزل ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط[3].

روى النسائي في سننه باب زيارة قبر المشرك من كتاب الجنائز:

---

(١) تاريخ اليعقوبي، لأحمد بن يعقوب بن وهب، المتوفى ٢٨٤هـ، ج١، ص٢٥٣، ولد إسماعيل بن إبراهيم، ط دار صعب.

(٢) كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾.

(٣) شرف المصطفى لعبدالملك بن أبي عثمان محمد بن إبراهيم الخركوشي النيسابوري، المتوفى ٤٠٦هـ، ج١، ص٣٠٥، حديث٧٨، باب ظهور النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانقلابه في أصلاب آبائه، ط١/١٤٢٤هـ، دار البشائر الإسلامية، مكة المكرمة.

عن أبي هريرة قال زار رسول الله ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله وقال استأذنت ربي عَزَّوَجَلَّ في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنت في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تُذَكِّرُكم الموت!

هذه الرواية تبين أن أم النبي الأكرم أيضاً في النار!

هذا ما يريد أهل العامة قوله، ولكن بماذا نفسر بكاء النبي؟! وهل البكاء على المشرك حسن عقلاً؟! وقد أبكى النبي الصحابة من حوله من أثر بكائه على أمه؟! ولماذا أذن الله تعالى لنبيه بزيارة قبر أمه آمنة كلما سنحت له الفرصة؟! وهل زيارة قبر من أمره معلوم أنه من أهل النار يعتبر مندوباً في الشريعة؟!

فهل باستطاعتنا القول أن نصف عشيرة بني هاشم وأهل بيت النبي الأكرم في النار؟!

نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

عبدالمطلب في النار! سيد البطحاء أبو طالب في النار! وأم النبي في النار! وأبوه وأجداده بأجمعهم في النار أيضاً!

قال الرازي في تفسيره الكبير:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الشعراء: ٢٢٠.

وأما الخبر فقوله عليه السلام: لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات....

﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ الأنعام:٧٤... إن لفظ الأب قد يطلق على العم كما قال أبناء يعقوب له: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ البقرة: ١٣٣.

فسموا إسماعيل أباً له مع أنه كان عَمّاً له. وقال عليه السلام: ردوا على أبي، يعني العباس.

ويحتمل أيضاً أن يكون متخذ الأصنام أب أمّه، فإن هذا قد يقال له الأب.

قال تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ إلى قوله ﴿وَعِيسَىٰ﴾ الأنعام:٨٤ـ٨٥، فجعل عيسى من ذرية إبراهيم مع أَنَّ إبراهيم كان جده من قبل الأم[1].

---

(١) تفسير الرازي، لمحمد بن عمر بن الحسين الطبرستاني الرازي، المتوفى٦٠٦هـ، ج٢٣، ص١٧٤، ط٣.

أقول:

إن الرازي يعني بذلك أن أبوي النبيﷺ كانا على الحنيفية ودين إبراهيمعليه السلام وأن آباء الأنبياء كلهم ما كانوا كفاراً وكذلك أمهاتهم وأن آزر لم يكن أباً للنبي إبراهيم بل كان عمه ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

وجاء في هامش السيرة الحلبية:

وقال القاضي عَيَّاض في الأحاديث التي فيها أنهﷺ جاء قبر أُمِّه فبكى إنما هو أسف على ما فاتها من إدراك أيامه والإيمان به.

قال الزرقاني:

وقد رحم الله بُكاءه فأحياها له حتى آمنت به ثم قال وما ألطف هذه العبارة من القاضي عياض.

وقد ارتضى كلام الرازي هذا أئمة محققون منهم العلامة السنوسي والتلمساني فقالا: إنه عليه الصلاة والسلام انتقل من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة (ولا يكون ذلك إلا مع الإيمان بالله تعالى)، وما نقله المؤرخون قلة حياء وأدب!! وهذا لازم في جميع الآباء[1]!!

---

(١) السيرة النبوية، بهامش السيرة الحلبية، لأحمد زيني دحلان، ج١، ص٦٢، ط بيروت، بتصرف.

باب في قوله تعالى{وأنذر عشيرتك الأقربين}

٦٦.... عن عائشة قالت لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قام رسول الله ﷺ على الصفا فقال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبدالمطلب يا بني عبدالمطلب لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم.

٦٧.... يونس عن ابن شهاب قال أخبرني ابن المسيب وأبو سلمة بن عبدالرحمن أن أبا هريرة قال قال رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً يا بني عبدالمطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً يا فاطمة بنت سول الله سليني بما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً.

٦٨.... عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا إليه فقال يا بني فلان يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبدمناف يا بني عبدالمطلب فاجتمعوا إليه فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا ما جربنا عليك كذباً قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال فقال أبو لهب تباً لك أما جمعتنا إلا لهذا ثم قال فنزلت هذه السورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ (وقد تب)، كذا قرأ الأعمش ، إلى آخر السورة.

أقول:

إن نبي الرحمة ﷺ جاء بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى بالتي هي أحسن كما أمره الله جل وعلا في قوله ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ النحل/١٢٥، وذلك لأسباب عديدة منها ترغيب الناس للدخول في هذا الدين الجديد، لا أن يهدد عشيرته وقومه بأكملهم في قوله لا أغني عنكم من الله شيئاً، وفي قوله (اشتروا أنفسكم).

وهذا أسلوب تهديد، والناس تنفر منه، ولا يصغون إلى ما يقوله الرسول، وليس لدى الناس أي استعداد لسماع مثل ذلك وخصوصاً إذا كان يتعارض مع عقائدهم!

وأيضاً يقول ﷺ: يا فاطمة بنت محمد... لا أغني عنك من الله شيئاً!

وأقول:

إن كان حقاً ما يقول! فإن فاطمة كانت صغيرة السن، وهي غير مكلفة شرعاً!

ثم ألم تكن فاطمة عليها السلام على دين أبيها، وهي مسلمة كأمها أيضاً! فكيف جاز لهذا النبي أن يشمل ابنته مع المشركين كما تدعي العامة؟!

ولا ننسى أيضاً أن في الرواية أبا هريرة الدوسي! فأين كان حتى شهد وروى ذلك! وبين أبي هريرة ودخوله الإسلام وبين هذه الحادثة سبع عشرة سنة!!

هذا بالإضافة إلى أن من رواة الرواية سعيد بن المسيب! والزهري! فإن هؤلاء كانوا مخالفين لأهل البيت، فلا عجب أن يرووا مثل تلك الأحاديث!

وأخيراً.. في الرواية يونس بن يزيد!! الذي تعرضنا لحاله في الصفحات السابقة، وما جاء فيه من طعن من العامة أنفسهم! راجع باب زيادة طمأنينة القلب من كتاب الإيمان.

يقول الطبري في تاريخه:

عن عبدالله بن عباس عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1] دعاني رسول الله ﷺ فقال لي يا علي: إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين. قال: فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أني متى ما أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمتُّ عليه حتى جائني جبرائيل فقال يا محمد إنك إلا تفعل ما

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عُساً[1] من لبن، ثم اجمع لي بني عبدالمطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ حذية من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلا مواضع أيديهم وأيم الله الذي نفس علي بيده وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال لقدَّما سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ فقال الغد يا علي إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم لي قال ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة ثم قال اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال يا بني عبدالمطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ قال فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله! أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا قال فقام القوم يضحكون يقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع[2].

ولكن ابن كثير يذكر الرواية على طريقته:

---

(١) العس: القدح الكبير.

(٢) تاريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري، المجلد ١، ج٢، ص٤٧٨، ذكر بعض من قال ذلك ممن حضرنا ذكره، ط١٤٠٧هـ، مؤسسة عز الدين، بيروت، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٤٢، ص٤٧ـ٤٨، علي بن أبي طالب، ط١٤١٧/١هـ، دار الفكر، بيروت.

... فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا! قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت - أي علي - ولأني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله! أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي فقال: إن هذا أخي وكذا وكذا!! فاسمعوا له وأطيعوا...[1].

يقول الحلبي في سيرته:

ومن الغريب ما في الكشاف من زيادة (يا عائشة بنت أبي بكر يا حفصة بنت عمر) ويقول:

وعندي أن ذكر عائشة وحفصة بل وفاطمة هنا من خلط بعض الرواة[2]!

ومن أراد المزيد في رواية الإنذار وما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في علي عليه السلام وأنه خليفته من بعده فليراجع من كتب العامة وسنذكر منها:

١. مسند أحمد بن حنبل، المجلد ١، ص١٥٩، مسند علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، ط دار الفكر العربي.

٢. الكامل في التاريخ، لابن الأثير الجزري، ج٢، ص٤١-٤٢، إنذار النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشيرته الأقربين، ط٥/١٤٠٥هـ، بيروت.

٣. المختصر في أخبار البشر، المعروف بتاريخ أبي الفداء، لعماد الدين اسماعيل أبي الفداء، المجلد ١، ج١، ص١١٧، ذكر أول من أسلم من الناس، ط بيروت.

ولنقرأ معاً ما يقوله هيكل في كتابه حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

بعد ثلاث سنين من حين البعث أمر الله رسوله أن يظهر ما خفي من أمره وأن يصدع بما جاءه منه ونزل الوحي أن ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾...ودعا محمد عشيرته إلى طعام في بيته وحاول أن يحدثهم داعياً إياهم إلى الله فقطع عمه أبو لهب حديثه واستنفر القوم

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، المجلد ٢، ج٣، ص٤٠، باب الأمر بإبلاغ الرسالة، ط١/١٩٦٦م، مكتبة المعارف، بيروت.

(٢) السيرة الحلبية من إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون، لعلي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، ج١، ص٢٨٥، باب استخفائه صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في دار الأرقم، ط دار الفكر، بيروت.

ليقوموا ودعاهم محمد في الغداة كرة أخرى فلما طعموا قال لهم: ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر وأن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأعرضوا عنه وهموا بتركه لكن علياً نهض وما يزال صبياً دون الحلم وقال: أنا يا رسول الله عونك أنا حرب على من حاربت فابتسم بنو هاشم وقهقه بعضهم وجعل نظرهم يتنقل من أبي طالب إلى ابنه ثم انصرفوا مستهزئين.

انتقل محمد بعد ذلك بدعوته من عشيرته الأقربين إلى أهل مكة جميعاً...(١).

لاحظ أخي الكريم أن هيكل ينقل الرواية في كتابه «حياة محمد «في الطبعة الأولى، ولا بأس من إلقاء نظرة على مقدمة كتاب حياة محمد وما قاله الشيخ المراغي في الكتاب وصاحبه هيكل.

يقول الشيخ مصطفى المراغي:

وقد أخرج الدكتور هيكل للناس كتابه «حياة محمد «في سيرة محمدﷺ... والدكتور هيكل معروف لقراء اللغة العربية غني بآثاره فيها عن التعريف. وقد درس القانون واطلع على المنطق والفلسفة ومكّنته ظروفه وطبيعة عمله من الاتصال بالثقافة القديمة والثقافة الحديثة وأوفى منهما على حظ عظيم.

وناظر وجادل وهجم ودافع في المعتقدات والآراء وقواعد الاجتماع وفي السياسة وغيرها، فنضج عقله وكمل علمه واتسع اطلاعه وامتد أفقه فأصبح ينافح عن آرائه بمنطق قوي وحجج باهرة وأسلوب اختص به لا تخفى نسبته إليه.

بهذه الثقافة وهذه القوة نسج الدكتور كتابه وقال في مقدمته: لست مع ذلك أحسب أني أوفيت على الغاية من البحث في حياة محمد، بل لعلي أكون أدنى إلى الحق إذا ذكرت أني بدأت هذا البحث في العربية على الطريقة الحديثة، وقد تأخذ القارئ الدهشة إذا ذكرت ما بين دعوة محمد والطريقة العلمية الحديثة من شبه قوي فهذه الطريقة العلمية تقتضيك إذا أردت بحثاً أن تمحو من نفسك كل رأي وكل عقيدة سابقة في هذا

---

(١) ص١٠٤، ط١/١٩٣٥م، مصر.

البحث وأن تبدأ بالملاحظة والتجربة ثم بالموازنة والترتيب ثم بالاستنباط القائم على هذه المقدمات العلمية، فإذا وصلت إلى نتيجة من ذلك كله كانت نتيجة علمية خاضعة بطبيعة الحال للبحث والتمحيص[1].

ويقول:

ويطول بي القول إذا أنا عرضت لما في كتاب الدكتور هيكل حسنات وحسبي أن أنبه إلى تلك الحسنات إجمالاً وسيدرك الناس جماله بأنفسهم ويستمتعون بلذة نتاج الفكر تهديه الأسانيد الصحيحة ويهديه المنطق الدقيق تسعده الفطرة الصادقة. وسيرون أن الدكتور كان مخلصاً الإخلاص كله للحقيقة عامر القلب بما في الوحي المحمدي من هدي ونور... وقد وفق الدكتور في تنسيق الحوادث وربط بعضها ببعض فجاء كتابه عقداً منضداً وسلسلة متينة محكمة الحلقات وقد أبدع في بيان الأسباب والأغراض والحكم بياناً قوياً واضحاً يجعل القارئ مطمئن النفس رضي القلب يستمتع بما يقرأ ويثلج صدره ببرد اليقين فيملك عليه أمره ويجبره على متابعة القراءة حتى يوفي على آخر ما بيده من البحث.

ويقول:

وأختم كلمتي هذه بقول سيد الخلق صلوات الله عليه وعلى آله الأطهار ومن اتبعه: أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات... إلى آخر كلامه.

١٥ فبراير ١٩٣٥م، محمد مصطفى المراغي[2]

أقول:

لقد عرض هيكل كتابه على علماء الأزهر ومنهم الشيخ محمد المراغي، فما كان من المراغي إلا أن أخذ بمدح المؤلف وذكر حسناته وطول باعه في التأليف والمناظرة والجدال وقدرته على الدفاع عن المعتقدات، ويذكر أيضاً بأن في كتاب الدكتور هيكل من حسنات فيقول: وسيدرك الناس جماله بأنفسهم ويستمتعون بلذة نتاج الفكر تهديه

---

(١) حياة محمد لهيكل، ط١، مقدمة الكتاب.

(٢) نفس المصدر السابق.

الأسانيد الصحيحة ويهديه المنطق الدقيق... إلى آخر كلامه.

وأقول:

أن المراغي قد قرأ كتاب هيكل قبل طباعته وقرأه بتمعن وروية ودرس ما فيه من جميع الجوانب حتى أعطاه الضوء الأخضر لطباعته ونشره بين المسلمين، فما كان من هيكل إلا أن قام بطبع كتابه ونشره وتوزيعه إلى أن جاء ما لم يكن في الحسبان!

فقد أخذ شيوخ الأزهر بلوم المؤلف وما جناه على الإسلام والمسلمين فيما رواه عن الرسول الأكرم في الآية الكريمة ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ وأقاموا الدنيا على رأس هيكل، فمن أين جاء هيكل بتلك الرواية (... أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم)؟ وكيف دونها في كتابه، وكيف أن المراغي ورجال الأزهر قبلوا بها في أول الأمر ثم أخذوا يلومونه ويؤنبونه على ذكره لتلك الجملة وأخذوا يوبخونه على فعلته تلك وحاربوه بشتى الوسائل واتهموه بأعنف الاتهامات فما كان من هيكل إلا أن قال مدافعاً عن نفسه: أنا لم آت بشيء من تلقاء نفسي فلا تلوموني ولوموا التاريخ!

واتفقت كلمة شيوخ الأزهر على أن يجمعوا كتاب هيكل من الأسواق والمكتبات وقاموا وعلى عجالة بجمع هذا الكتاب وقد تكرر طبع الكتاب مرات أخرى ولنر ما يقوله هيكل في كتابه في طبعته الثانية:

... فأيكم يؤازرني على هذا الأمر، فأعرضوا عنه وهموا بتركه، لكن علياً نهض وهو ما يزال صبياً دون الحلم وقال: أنا يا رسول الله عونك أنا حرب على من حاربت فابتسم بنو هاشم وقهقه بعضهم...!

لاحظ أن الجملة التي في الطبعة الأولى غير موجودة في هذه الطبعة، وكما يقول هيكل في مقدمة الطبعة الثانية أنه وفق في وضعه توفيقاً أرضاهم ونال تقديرهم - أي رجال الأزهر - فإنا لله وإنا إليه راجعون، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة:٤٢.

باب شفاعة النبي(ص) لأبي طالب

٦٩.... عن العباس بن عبدالمطلب أنه قال يا رسول االله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك قال نعم هو في ضحضاح من نار ولو لا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار!

٧٠.... عن عبدالله بن الحارث قال سمعت العباس يقول قلت يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح.

٧١.... عن أبي سعيد الخدري أن رسول اللهﷺ ذكر عنده أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه.

باب أهون أهل النار عذاباً

٧٢.... عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال إن أدنى أهل النار عذاباً ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه.

٧٣.... عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه.

٧٤.... أبا إسحاق يقول سمعت النعمان بن بشير يخطب وهو يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه.

٧٥.... عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله ﷺ إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي بالمرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً.

يقول الأبي في شرحه: قوله (في ضحضاح من نار) الضحضاح ما رق من الماء بوجه الأرض و(الدرك الأسفل) هي الطبقة السفلى من جهنم، وقيل هي توابيت من نار تطبق على أهلها[1].

---

(١) إكمال إكمال المعلم، ج١، ص٦٢٦.

أقول:

هذه النار التي تصهر كل شيء كيف بها لم تصهر تلك الجمرة المزعومة؟! ثم ألم يكن من الأفضل على الراوي أن يقول قال الرسول الأكرم إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة أبو طالب، دون ذكر القدم والجمرة والغليان والضحضاح والتابوت إلى آخر الادعاءات المزعومة؟!

وأقول أيضاً:

يا رسول الله شفاعتك لعمك أن تخرجه من النار وتدخله الجنة وأما أن يكون في النار بعد شفاعتك له فلا فائدة من تلك الشفاعة طالما هو في النار!

نحيلك أيها القارئ الكريم إلى كتاب الإيمان، باب أول الإيمان، فقد شرحنا وعقبنا على ذلك هناك وبإسهاب، فراجع.

باب موالاة المؤمنين والبراءة من موالاة الكافرين

٧٦. ... عن عمرو بن العاص ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ جهاراً غير سر يقول ألا إن آل أبي (يعني فلاناً) ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين.

يقول الأستاذ الدكتور موسى لاشين:

ألا (إن آل أبي) يعني فلاناً منطوق الرسول ﷺ كان إسماً معيناً قيل هو الحكم بن أبي العاص فكأنه قال ألا إن آل أبي العاص ليسوا لي بأولياء ولكن الراوي أبهم الإسم وكنى عنه بفلان!!

ويقول:

يؤخذ من الحديث:

١. التبرؤ من المخالفين وإعلان ذلك ما لم يخف ترتب فتنة عليه.

٢. وما كان عليه الصحابة والرواة من الستر على المجروح والتكنية عنه دفعاً للمفاسد المترتبة على التصريح به كفتنته هو أو جرح شعور أقاربه المؤمنين(١)!

وأما العثماني فيقول: وقال عياض إن المكنى عنه هنا هو الحكم بن أبي العاص... وجزم الدمياطي بأنه آل أبي العاص بني أمية وإليه جنح الحافظ في الفتح بل هو كالمتعين

---

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ج٢، ص٥٣ـ٥٤، ط١/١٤٢٣هـ، دار الشروق، القاهرة.

عنده[1]!

الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس الأموي عم عثمان بن عفان وأبو مروان بن الحكم كان من مسلمة الفتح وأخرجه رسول الله ﷺ وطرده عنها فنزل الطائف وخرج معه ابنه مروان وقيل إن مروان ولد بالطائف فلم يزل الحكم بالطائف إلى أن ولي عثمان فرده عثمان إلى المدينة وبقي فيها وتوفي في آخر خلافة عثمان قبل القيام على عثمان بأشهر فيما أحسب واختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله ﷺ إياه فقيل كان يتحيل ويستخفي ويتسمع ما يسره رسول الله ﷺ إلى كبار الصحابة في مشركي قريش وسائر الكفار والمنافقين فكان يفشي ذلك عنه حتى ظهر ذلك عليه وكان يحكيه في مشيته وبعض حركاته إلى أمور غيرها كرهت ذكرها!

ذكروا أن رسول الله ﷺ كان إذا مشى يتكفأ وكان الحكم بن أبي العاص يحكيه فالتفت النبي ﷺ يوماً فرآه يفعل ذلك فقال ﷺ فكذلك فلتكن. فكان الحكم مختلجاً يرتعش من يومئذ فعيره عبدالرحمن بن حسان بن ثابت فقال في عبدالرحمن بن الحكم يهجوه: إن اللعين أبوك فارم عظامه إن ترم ترم مخلّجاً مجنونا

يمسي خميص البطن من عمل التُقى ويظل من عمل الخبيث بطينا

فأما قول عبدالرحمن بن حسان إن اللعين أبوك فروي عن عائشة من طرق أبي خيثمة وغير أنها قالت لمروان إذ قال في أخيها عبدالرحمن ما قال أما أنت يا مروان فأشهد أن رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت في صلبه!

... عبدالله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ يدخل عليكم رجل لعين قال عبدالله وكنت قد تركت عمراً يلبس ثيابه ليقبل إلى رسول الله ﷺ فلم أزل مشفقاً أن يكون أول من يدخل فدخل الحكم بن أبي العاص[2]!

لا يفوتك أخي القارئ أن عبدالله بن عمرو بن العاص في قوله ذلك (لم أزل مشفقاً أن يكون «أبي «أول من يدخل) لدليل على أنه كان يشك في إسلام أبيه، أو على أقل

---

(١) فتح الملهم للشيخ شبير أحمد العثماني، ج٢، ص٣٩٤، ط١/١٤٢٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ليوسف بن عبدالبر القرطبي، المتوفى ٤٦٣هـ، ج١، ص٤١٥، ترجمة٥٤٧، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ن ط١/١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت..

التقادير أنه كان يشك في أن خاتمة عمله ستكون سيئة ووخيمة، فتأمل!

جاء في صحيح البخاري كتاب اللباس باب الامتشاط:... عن سهل بن سعد أن رجلاً اطَّلَعَ من جُحرٍ في دار النبيﷺ والنبيﷺ يَحُكُّ رأسه بالمِدْرَى فقال لو علمت أنك تنظر لطعنت بها في عينك إنما جُعِلَ الإذنُ من قِبَل الأبصار.

قال القسطلاني:

أن رجلاً... هو الحكم بن أبي العاص بن أمية والد مروان.

اطَّلَع... من جُحر... من ثقب في دار النبيﷺ... والحال أن النبيﷺ يَحُكُّ رأسه... بالمِدْرَى... عود تدخله المرأة في رأسها لتضم بعض شعرها إلى بعض أو هو المشط أوله أسنان يسيرة أو عود أو حديدة كالخلال لها رأس مُحَدَّد أو خشبة على شكل سن من أسنان المشط لها ساعد يحك بها الكبير ما لا يصل إليه يده من جسده.

لو علمت أنك تنظر... لطعنت... أي بالمدرى في عينيك إنما جُعِلَ الإذن... من قِبَل الأبصار... أي إنما جعل الشارع الاستئذان في الدخول من جهة البصر، أي لئلا يقع بصر أحدهم على عورة من في الدار فلو رماه صاحب الدار بنحو حصاة فأصابت عينه فعمي أو سرت إلى نفسه فَتَلَف فهدر[1].

قال ابن حجر في شرحه:

قوله أن رجلاً اطلع... أنه الحكم بن أبي العاص بن أمية والد مروان.

من طريق أبي سفيان عن الزهري وعطاء الخراساني أن أصحاب رسول اللهﷺ دخلوا عليه وهو يلعن الحكم بن أبي العاص وهو يقول اطلع علي وأنا مع زوجتي فلانة فكلح في وجهي[2]!

يقول ابن الأثير الجزري:

... نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال كنا مع النبيﷺ فَمَرَّ الحكم بن أبي العاص فقال النبيﷺ وَيْلٌ لِأُمَّتي مما في صُلبِ هذا.

---

(١) إرشاد الساري، ج١٢، ص٧٠٧، الحديث٥٩٢٤.

(٢) فتح الباري، ج١٢، ص٢٩١، حديث ٦٩٠٠، كتاب الديات، باب من اطلع في بيت قوم.

وهو طريد رسول الله ﷺ نفاه من المدينة إلى الطائف وخرج معه ابنه مروان وقيل إن مروان وُلِدَ بالطائف.

وقد اختُلِفَ في السبب الموجب لنفي رسول الله ﷺ إياه، فقيل كان يَتَسَمَّع سر رسول الله ﷺ ويطلع عليه من باب بيته وإنه الذي أراد رسول الله ﷺ أن يفقأ عينه بِمِدْرَى في يده لما اطلع عليه من الباب.

ويقول ـ أي الجزري ـ:

عن عائشة... أنها قالت لمروان بن الحكم حين قال لأخيها عبدالرحمن بن أبي بكر لما امتنع من البيعة ليزيد بن معاوية بولاية العهد ما قال والقصة مشهورة أما أنت يا مروان فأشهد أن رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت في صُلبِه!

وقد روي في لعنه ونفيه أحاديث كثيرة.

ويقول:

ولم يزل مَنفِيّاً حياة النبي ﷺ فلما ولي أبو بكر الخلافة قيل له في الحكم ليَرُدَّه إلى المدينة فقال: ما كنت لأحل عُقدَةً عَقَدَها رسول الله ﷺ وكذلك عمر فلما ولي عثمان... الخلافة رَدَّه[1].

وقد ذكرنا في كتابنا كشف المتواري في صحيح البخاري في مَحَلِّه ما دار بين مروان بن الحكم وعبدالرحمن بن أبي بكر وقد أورده البخاري في كتاب التفسير باب ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ فمن أراد ذلك فليراجع ج٢، ص٥٧١، حديث٥٨٣.

الحاصل:

أن البخاري يذكر أن رجلاً اطَّلَعَ من جُحر في حين أن هذا الرجل مُتَّفَقٌ عليه وأنه الحكم بن أبي العاص الأموي، ولكن إرضاء لهواه قام بإخفاء اسمه (الحكم) ونعته (أن رجلاً)!

وفي حياة الحيوان للدميري:

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعلي بن محمد الجزري، المتوفى ٦٣٠هـ، ج٢، ص٤٩، ترجمة١٢١٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

عن عبدالرحمن بن عوف... أنه قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به إلى النبيﷺ فيدعو له، فدخل عليه مروان بن الحكم فقال هو الوزغ بن الوزغ! الملعون بن الملعون! قال الحاكم: صحيح الإسناد(١).

هذا هو الملعون على لسان النبيﷺ وهو مروان بن الحكم! وقد ذَكَّرَتْهُ عائشة بذلك دفاعاً عن أخيها كما مَرَّ عليك في الصفحات السابقة.

فهل من يلعنه النبي الأكرم يكون هذا اللعن آنيّاً أم دائماً؟! أي إلى موت ذلك الشخص؟!

فالنبي الكريم لا ينطق عن الهوى وعائشة قالت لمروان أن النبي لعن أباك وأنت في صُلبِه! أي أنه لعنك مع أباك فكيف بها تخرج معه يوم الجمل؟!

وكيف تخرج ضد إمام زمانها مع ذلك الملعون باللعن الأبدي؟!

ولا بأس أن نتصفح التاريخ ونقرأ ما ذكر في هذا الصحابي (!) الحكم بن أبي العاص.

جاء في السيرة الحلبية:

(أن عثمان بن عفان) أدخل عمه الحكم بن أبي العاص والد مروان المدينة وكان يقال له طريد رسول اللهﷺ ولعينه وقد كانﷺ طرده إلى الطائف ومكث به مدة رسول اللهﷺ ومدة أبي بكر بعد أن سأله عثمان في إدخاله المدينة فأبى فقال له عثمان عمي فقال عمك إلى النار هيهات هيهات أن أغير شيئاً فعله رسول اللهﷺ والله لا رددته أبداً.

فلما توفي أبو بكر وولي عمر كلمه عثمان في ذلك فقال له: ويحك يا عثمان تتكلم في لعين رسول اللهﷺ وطريده وعدو الله وعدو رسوله!

فلما ولي عثمان رده إلى المدينة فاشتد ذلك على المهاجرين والأنصار فأنكر ذلك عليه أعيان الصحابة فكان ذلك من أكبر الأسباب على القيام عليه واعتذر عثمان على ذلك أن النبيﷺ كان وعده برده وهو في مرض موته! قال: فشهدت عند أبي بكر فقال

---

(١) لكمال الدين محمد بن موسى الدميري المتوفى ٨٠٨، ج٢، ص٤٢٢، باب الوزغة، ط٣.

إنك شاهد واحد ولا تقبل شهادة الواحد ثم قال لي عمر كذلك...[1].

ويقول الذهبي في الحكم بن أبي العاص:... كان فيما قيل يفشي سر رسول الله ﷺ فطرده وسبه وأرسله إلى بطن وج[2]! فلم يزل طريداً إلى أن ولي عثمان فأدخله المدينة ووصل رحمه وأعطاه مائة ألف درهم لأنه كان عم عثمان بن عفان!

وقيل إنما نفاه رسول الله ﷺ إلى الطائف لأنه كان يحكيه في مشيته وبعض حركاته!!

وقد رويت أحاديث منكرة في لعنه لا يجوز الاحتجاج بها وليس في الجملة خصوص الصحبة بل عمومها[3]!

لاحظ أخي القارئ أن الذهبي يحاول الدفاع عن طريد رسول الله ﷺ الحكم بن أبي العاص ولو بالإشارة!!

ويقول الذهبي أيضاً: عن أبي هريرة إن رسول الله ﷺ رأى في المنام كأن بني الحكم ينزون على منبره فأصبح كالمتغيظ وقال مالي أريت بني الحكم ينزون على منبري نزو القرود!

ويقول: (أن الحسين كان يساب مروان مع وجود الإمام الحسن عليه السلام) فقال مروان إنكم أهل بيت ملعونون فغضب الحسن وقال والله لعن الله أباك على لسان نبيه وأنت في صلبه!

ويقول الشعبي: سمعت ابن الزبير يقول: ورب هذا البيت إن الحكم بن أبي العاص وولده ملعونون على لسان محمد ﷺ. يقول الذهبي: إسناده صحيح[4]!

ولكن اليافعي يرد على الذهبي ويلومه على ما ذكره في حق عثمان فيقول: وأما قول الذهبي طرده النبي ﷺ فلما استخلف عثمان أدخله المدينة وأعطاه مائة ألف من غير ذكر عذر لعثمان فإطلاق قبيح يستشنعه كل ذي إيمان بفضل الصحابة أولي الحق

---

(١) السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي، ج٢، ص٧٦ـ٧٧، ط المكتبة الإسلامية، بيروت.

(٢) وج وهو الطائف.

(٣) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى٧٤٨هـ، عهد الخلفاء الراشدين، ص٣٦٦، الوفيات الحكم بن أبي العاص، ط١/١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٤) نفس المصدر السابق، ص٣٦٦ و٣٦٨.

والإحسان[1]!

هذا هو ديدن أهل العامة في الصحابة وفضلهم وأنه لا يجوز الطعن في أحد منهم طالما يطلق عليه إسم صحابي!

وأقول:

إن بعض المؤلفين يحاولون أن يجدوا مخرجاً لعثمان بن عفان في طريد رسولنا الأكرم ومن هؤلاء من ران على قلبه الصدأ فينكر حادثة رد الحكم بن أبي العاص فماذا يقول ابن العربي:

وأما رد الحكم فلم يصح!!

ويقول: وقال علماؤنا في جوابه: قد كان أذن له فيه رسول الله ﷺ وقال (أي عثمان) لأبي بكر وعمر فقالا له إن كان معك شهيد رددناه، فلما ولي قضى بعلمه في رده وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله ﷺ ولو كان أباه ولا لينقض حكمه[2]!

لاحظ أخي القارئ أن ابن العربي يناقض نفسه بنفسه في ادعائه أن قضية رد الحكم لم تصح، وذلك في قوله أن العلماء أجابوا عن هذه المسألة، أي التي تصحح موقف عثمان (فلا يفوتك ذلك).

من خلال قرائتنا للصفحات السابقة يتبين لنا أن أبا بكر وعمر رفضا رد الحكم بن أبي العاص ولم يقتنعا بما ادعاه عثمان، لذا طلبا منه شاهداً معه.

ومخالفة عثمان لأوامر وحكم النبي الأكرم في رده الحكم بن أبي العاص إلى المدينة تلقي الشكوك حوله ولو كانت هذه الحادثة الوحيدة مثلاً لالتمسنا العذر له ولكن!

أليس هو الذي آوى ابن أبي سرح حين لجأ إليه؟!

يقول القرطبي في ترجمة المذكور: أسلم عبدالله بن سعد بن أبي سرح أيام الفتح،

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لعبدالله بن سعد اليافعي المتوفى ٧٦٨هـ، ج١، ص٨٥، سنة إحدى وثلاثين، ط٢/١٣٩٠هـ، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

(٢) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة لمحمد بن عبدالله بن العربي المعافري، المتوفى٥٤٣هـ، ص٧٧، ط٣/١٣٨٧هـ، المطبعة السلفية، القاهرة.

وقيل قبل الفتح، وهاجر وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتد مشركاً إلى قريش بمكة، فقال لهم: إني كنت أصرف محمداً حيث أريد، كان يملي علي: (عزيز حكيم) فأقول: أو عليم حكيم؟ فيقول: نعم كل صواب. فلما كان يوم الفتح أمر رسول الله ﷺ بقتله، وقتل عبدالله بن خطل، ومِقْيَس بن حبابة، ولو وجدوا تحت أستار الكعبة، ففر عبدالله بن سعد بن أبي السرح إلى عثمان وكان أخاه من الرضاعة، أرضعت أمه عثمان، فغيبه عثمان حتى أتى به رسول الله ﷺ بعدما اطمأن أهل مكمة، فاستأمنه له، فصمت رسول الله ﷺ طويلاً، ثم قال: نعم. فلما انصرف عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله: ما صمت إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه. وقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إلي يا رسول الله؟ فقال: إن النبي لا ينبغي أن يكون له خائنة الأعين[1].

ويقول ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: قال: وذكروا أن أهل مصر جاؤوا يشكون ابن أبي سرح عاملهم فكتب إليه عثمان كتاباً يتهدده فيه فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان من أهل مصر حتى قتله، فخرج من أهل مصر سبع مئة رجل فنزلوا المسجد وشكوا إلى أصحاب رسول الله ﷺ في مواقيت الصلاة ما صنع بهم ابن أبي سرح فقام طلحة فتكلم بكلام شديد وأرسلت عائشة إلى عثمان فقالت له: قد تقدم إليك أصحاب رسول الله وسألوك عزل هذا الرجل، فأبيت إلا واحدة، فهذا قد قتل منهم رجلاً فأنصفهم من عاملك. ودخل عليه علي وكان متكلم القوم فقال له: إنما يسألونك رجلاً مكان رجل، وقد ادعوا قبله دما، فاعزله عنهم واقض بينهم فإن وجب لهم عليه حق، فأنصفهم منه، فقال اختاروا رجلاً أوليه عليهم[2].

---

(١) الاستيعاب للقرطبي، ج٣، ص٥٠_٥١، ترجمة١٥٧١، عبدالله بن سعد العامري، ط١/١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) الإمامة والسياسة لعبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفى٢٧٦هـ، ج١، ص٣٩، شكوى أهل مصر من ابن أبي سرح، تحقيق الدكتور طه الزيني، ط١/١٤٠٥هـ، دار المنتظر، بيروت.

عود على بدء

شيخ ابن تيمية أيضاً أدلى بدلوه، فماذا يقول عن طريد رسول الله الحكم بن أبي العاص:

لم تكن الطلقاء تسكن بالمدينة في حياة النبيﷺ فإن كان قد طرده فإنما طرده من مكة لا من المدينة ولو طرده من المدينة لكان يرسله إلى مكة...! وقصة نفي الحكم ليست في الصحاح!!

ويقول: وإذا كان النبيﷺ قد عزر رجلاً بالنفي لم يلزم أن يبقى منفياً طول الزمان، فإن هذا لا يعرف في شيء من الذنوب، ولم تأت الشريعة بذنب يبقي صاحبه منفياً دائماً!!

وكذلك أدلى بدلوه في قضية ابن أبي سرح، فاقرأ معي:

وقد كان عثمان شفع في عبدالله بن أبي سرح إلى النبيﷺ وكان كاتباً للوحي وارتد عن الإسلام وكان النبيﷺ قد أهدر دمه فيمن أهدر ثم جاء به عثمان فقبل النبيﷺ شفاعته فيه وبايعه فكيف لا يقبل شفاعته في الحكم وقد رووا أن عثمان سأل النبيﷺ أن يرده فأذن له في ذلك ونحن نعلم أن ذنبه دون ذنب عبدالله بن سعد بن أبي سرح وقصة عبدالله ثابتة معروفة بالإسناد الثابت[1].

إن قول ابن تيمية أن قصة نفي الحكم ليست في الصحاح فنحن نعلم أن الصحاح لم تشتمل على كثير من الأمور والحوادث، فلماذا يا شيخ النواصب تستميت لإثبات قصة عبدالله بن سبأ التي لم تشتمل عليها الصحاح.

وقوله أيضاً (إن نفي الحكم لا يستلزم بقاؤه منفياً أبد الدهر) عجباً لهذا الناصبي! كيف خفي ما ذكره شيخ النواصب عن أبي بكر وعمر! وكيف لم يفطنا إلى ما فطن إليه شيخ النواصب؟! وذلك عندما رفضا رد الحكم إلى المدينة وهما أعلم الناس بشرع محمدﷺ!!

أعيد وأكرر.. لو كانت هذه الحادثة الوحيدة لعثمان لالتمسنا له العذر، لكن إليك

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية، المجلد ٢، ج٣، ص١٩٧، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

الحادثة القادمة التي ستقرؤها أيضاً:

ورد في البخاري:... عن أنس رضي الله عنه قال: شهدنا بنت رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالس على القبر فرأيت عينيه تدمعان فقال: هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة؟ فقال أبو طلحة: أنا، قال: فانزل في قبرها فنزل في قبرها فقبرها، قال ابن مبارك قال فُليح أراه يعني الذنب، قال أبو عبدالله ليقترفوا أي ليكتسبوا[1].

قال ابن حجر في شرحه:

قوله شهدنا بنتاً للنبي ﷺ هي أم كلثوم زوج عثمان.

قوله لم يُقارِف... معناه لم يجامع تلك الليلة وبه جزم ابن حزم.

ويقول: ويقوّيه أن رواية ثابت المذكورة بلفظ لا يدخل القبر أحد قارف أهله البارحة، فَتَنَحَّى عثمان.

ويقول ابن حجر:

... احتمال أن يكون مرض المرأة طال واحتاج عثمان إلى الوقاع، ولم يظن عثمان أنها تموت تلك الليلة.

وحكى عن ابن حبيب أن السر في إيثار أبي طلحة على عثمان، أن عثمان قد جامع بعض جواريه في تلك الليلة، فتلطَّف ﷺ في منعه من النزول في قبر زوجته بغير تصريح... فلم يدخل عثمان القبر[2]!

أقول:

هذا ما قاله ابن حجر في هذه الرواية واختصر كثيراً حتى لا يعرض لسانه وقلمه على صاحبه عثمان، ولكن!

قال البلاذري في أنساب الأشراف: وكان معاوية بن المغيرة بن أبي العاص الذي جَدَعَ أنف حمزة! ومثَّل به فيمن مثَّل! قد انهزم يوم أُحُد فمضى على وجهه فبات قريباً من

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من يدخل قبر المرأة.

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج٣، ص١٩٥، حديث١٢٨٥، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه.

المدينة، فلما أصبح دخل المدينة فأتى منزل عثمان بن عفان بن أبي العاص، فضرب بابه فقالت له امرأته ـ أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ـ ليس هو هاهنا.

فقال: ابعثي إليه، فإن له عندي ثمن بعير ابتعته عام أول وقد جئته به. فأرسلت إليه وهو عند رسول الله ﷺ فلما جاء، قال لمعاوية أهلكتني ونفسك! ما جاء بك؟ قال: يا ابن عم! لم يكن أحد أقرب إلي ولا أمسَّ رحِماً بي منك فجئتك لتجيرني.

فأدخله عثمان داره، وصيَّره في ناحية منها، ثم خرج إلى النبي ﷺ ليأخذ له منه أماناً. فسمع رسول الله ﷺ يقول: إن معاوية بالمدينة وقد أصبح بها فاطلبوه!

فقال بعضهم: ما كان ليعدو منزل عثمان فاطلبوه فيه!

فدخل منزل عثمان فأشارت أم كلثوم إلى الموضع الذي صيره عثمان فيه، فاستخرجوه من تحت حمارة لهم فانطلقوا به إلى النبي ﷺ.

فقال عثمان حين رآه: والذي بعثك بالحق ما جئت إلا لأطلب له الأمان منك فهبه لي، فوهبه له وأجله ثلاثاً وأقسم لئن وُجد بعدها بشيء من أرض المدينة وما حولها ليُقتلنَّ.

وخرج عثمان فجهزه واشترى له بعيراً ثم قال له:

ارتحل وصار رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد، وأقام معاوية إلى اليوم الثالث ليتعرف أخبار النبي ﷺ ويأتي بها قريشاً.

فلما كان في اليوم الرابع قال رسول الله ﷺ: إن معاوية أصبح قريباً لم ينفد فاطلبوه واقتلوه.

فأصابوه قد أخطأ الطريق فأدركوه.

وكان اللذان أسرعا في طلبه زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وعمار بن ياسر، فأخذاه بالجماء. فضربه زيد بن حارثة وقال عمار: إن لي فيه حقاً ورماه بسهم فقتلاه ثم انصرفا إلى النبي ﷺ بخبره...[1].

---

(١) أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري، ج١، ص٣٣٨، خبر ٧٢١، ط٣، دار المعارف، مصر.

أقول:

اعلم أن معاوية بن المغيرة كان مع المشركين يوم أحد، وبعد أن مثَّل في جثة حمزة رضوان الله تعالى عليه وجدع أنفه ومثَّل به مع هند بنت عتبة مضى على وجهه منهزماً إلى المدينة، حتى دخل دار عثمان كما مر عليك.

وقد كان من واجب عثمان طرد هذا المجرم، لا أن يخفيه في داره وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على حب عثمان أهل بيته الأموي ولو كان هذا الحب والتودد لمشرك!

فالترسبات الجاهلية لا زالت عالقة في أذهان هؤلاء، لذا تراه قد فر من ساحة القتال يوم أحد مراعاة لمن يودهم.

ثم لاحظ أخي الكريم أليس من المحتمل أن أم كلثوم هي التي أخبرت النبي الأكرم عن مكان تواجد هذا الجاسوس؟ لذا قال النبي الكريم للصحابة: إن معاوية في المدينة فاطلبوه فيه. ولم يحدد المكان خوفاً على أم كلثوم، وفي الوقت نفسه فإن معاوية لن يتعدى منزل ابن عمه عثمان.

وبعد إلقاء القبض عليه أيضاً يطلب عثمان من النبي الأكرم أن يشفع له، فيشفع له ولكن.. يشترط عليه أن يخرج من المدينة بعد ثلاثة أيام.

ولكن.. أيضاً لم يخرج، بل كان في أطراف المدينة يتجسس على المسلمين.

ومرة أخرى يقول النبي الأكرم: إن معاوية لا زال في المدينة ولكن هذه المرة كان الخبر من جبريل عليه السلام فألقي القبض عليه وقُتل وكان مصيره جهنم وبئس المصير.

وأقول:

بما أن عثمان قام بإخفاء ابن عمه في داره، وبعد إلقاء القبض عليه طلب عثمان من النبي الأكرم أن يشفع له إلى أن قتل آخر الأمر.

فبعد قتل معاوية لابد أن عثمان استشاط غضباً فانتفخت أوداجه وذهب إلى داره وقام بضرب أم كلثوم ضرباً مبرِّحاً قائلاً لها:

لماذا أخبرت أباك عن مخبأ ابن عمي؟! لذا تراها أصبحت عليلة من أثر ذلك الضرب إلى أن توفيت من أثر ذلك كما ذكرنا.

نعم! لقد وصل الخبر إلى النبي ﷺ من قبل الله تعالى عن طريق جبريل عليه السلام بأن أم كلثوم ماتت من أثر الضرب من قِبَل عثمان وأن هذا الأخير أيضاً قد قارف ـ أي نكح ـ جاريته غير مُعير أي اهتمام لجريمته تلك.

وعندما رأى النبي الأكرم بأن عثمان مع جريمته النكراء قد حضر التشييع غير مهتم بفعلته قال: لا يدخل القبر أحد قارف أهله البارحة.

يقول ابن حجر: فتنحَّى عثمان.

ثم أقول لعثمان: كيف تستسيغ الجماع بعد جريمتك وقيامك بضرب امرأتك ذلك الضرب الذي على أثره توفيت أم كلثوم؟!

وأقول أيضاً:

كما أن جبريل عليه السلام قد أخبر النبي بمكان معاوية فكذلك أخبره بأن عثمان قد جامع أهله كما ذكرنا.

ثم ألا تعتقد بأن لا شيء يخفى على النبي الأكرم لاتصاله بالملأ الأعلى.

فكونك أخفيت ابن عمك في دارك بعيداً عن أعين المسلمين وعلى رأسهم النبي الأعظم فإنك لم تكن قد آمنت بالنبي ولم تكن تعتقد بأنه متصل بالله تعالى.

وهنا أيضاً قد افتضح أمرك! ولو لم تَتَنَحَّ بعد سماعك من النبي ذلك لناداك باسمك ولقال: يا عثمان أنت قد جامعت جاريتك البارحة فتنح عنا. ولكن خوفاً من الفضيحة وقد علمت أن النبي الأكرم يقصدك بذلك فقد تنحيت عن مراسم التشييع.

وكأنك قد تيقنت أخيراً بأن النبي الأكرم متصل بالله تعالى، وأن جبريل يأتيه بالأخبار وذلك بعد تكرار فضائحك بداية من إخفاء ابن عمك إلى أن قُتِل ومن ثم ضربك لأم كلثوم وإتيانك جاريتك.

أعود وأقول: إن البخاري يختصر الرواية ويبترها ويجعلها مُمَوَّهَة وناقصة فلا يستفيد منها القارئ استفادة جيدة.

وكذلك الشارح للرواية فابن حجر كذلك، يشرح شرحاً غير مستوف وذلك لأن الرواية تقدح في عثمان فيحاول أن لا يعيرها أي اهتمام، ولكن الصحيح ما ذكرناه.

الحاصل: إن من الأسباب الرئيسية في قتل عثمان وفي عقر داره ما ذكرناه.

وأخيراً.. إن هذه الروايات قد أوقعت أهل العامة في حيرة من أمرهم وذلك لأنها تتنافى مع اعتقادهم في الصحابة، لذا قاموا بتبريراتهم تلك ولو كان حقاً ما ادعاه أهل العامة من تلك التبريرات الواهية فلماذا عاب عبدالله بن عمرو بن العاص وابن الزبير وعائشة بأن النبي الأكرم لعن الحكم ومروان في صلبه! فتأمل!

وكذلك نحن نعلم أن هذا المطرود الملعون (الحكم بن أبي العاص) قد حكم ابنه مروان وتسلط على رقاب المسلمين وكذلك من بعده حكم أبناؤه أيضاً وتسلطوا على رقاب المسلمين بالقوة والقهر ولا شك ولا ريب في أن هؤلاء الحكام قاموا بشراء ضمائر النفوس المريضة فوجهوا الروايات لصالحهم، ومن بعد ذلك جاء شيخ النواصب ابن تيمية مثلاً وأخذ يردد كالببغاء مقولة أسياده.

قال تعالى في محكم كتابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ البقرة/١٥٩.

باب صفة الوضوء

٧٧. حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبدالله بن عمرو بن سرح وحرملة بن يحيى التجيبي قالا أخبرنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب أن عطاء بن يزيد الليثي أخبره أن حمران مولى عثمان أخبره أن عثمان بن عفان ﷺ دعا بوضوء فتوضأ فغسل كفيه ثلاث مرات ثم مضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلاث مرات ثم غسل يده اليمنى ثلاث مرات ثم غسل يده اليسرى مثل ذلك ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاث مرات ثم غسل اليسرى مثل ذلك ثم قال رأيت سول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال رسول الله ﷺ من توضأ نحو وضوئي هذا ثم قام فركع ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه قال ابن شهاب وكان علماؤنا يقولون هذا الوضوء أسبغ ما يتوضأ به أحد للصلاة!!

باب آخر في صفة الوضوء

٧٨. حدثني محمد بن الصباح حدثنا خالد بن عبدالله بن عمرو بن يحيى بن عمارة عن ابيه عن عبدالله بن زيد بن عاصم الأنصاري وكانت له صحبة قال قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله ﷺ فدعا بإناء فأكفأ منها على يديه فغسلهما ثلاثاً ثم أدخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحدة ففعل ذلك ثلاثاً ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثاً ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل يديه إلى المرفقين مرتين مرتين ثم أدخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فأقبل بيده وأدبر ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله ﷺ.

٧٩. حدثني إسحاق بن موسى الأنصاري حدثنا معن حدثنا مالك بن أنس عن عمرو بن يحيى بهذا الإسناد وقال مضمض واستنثر ثلاثاً ولم يقل من كف واحدة وزاد بعد قوله فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه وغسل رجليه.

قبل الخوض في الشرح يجب علينا أن نضع بعض رواة هذه الروايات على طاولة التشريح، حيث أن البعض منهم تحوم حولهم الشبهات وعلامات الاستفهام، فمن الرواة حرملة التجيبي.

فقد عده ابن الجوزي من الضعفاء في كتابه الضعفاء والمتروكين، وقال عن الرازي:

لا يحتج به[1]!

وفي وفيات الأعيان أن يحيى بن معين أثنى عليه وضعفه غيره لكثرة ما روى وانفرد بغرائب[2]!

وقال فيه شيخ الإسلام الرازي: يكتب حديثه ولا يحتج به[3]!

وجاء في معرفة الرواة للذهبي: أن حرملة بن يحيى التجيبي ثقة مضطرب بكثرة روايته[4]!

وقد ذكره ابن عدي في كتابه الكامل في ضعفاء الرجال فقال: ذكر عنه يحيى أشياء ثمجة كرهت ذكرها. ويقول: سألت عبدالله بن محمد بن إبراهيم الفرهاذاني يملي علي شيئاً من حديث حرملة قال يا بني وما تصنع بحرملة؟ حرملة ضعيف[5]!

ومن الرواة أيضاً يونس بن يزيد الأيلي!

قال المزي في ترجمة المذكور:

قال وكيع: رأيت يونس بن يزيد الأيلي وكان سيء الحفظ!

قال أبوبكر الأثرم: قال أبو عبدالله: قال عبدالرزاق عن ابن المبارك: ما رأيت أحداً أروى عن الزهري من معمر إلا ما كان من يونس، فإنه كتب كل شيء، قيل لأبي عبدالله: فإبراهيم بن سعد؟ قال: وأي شيء روى إبراهيم بن سعد عن الزهري، إلا أنه في قلة روايته أقل خطأ من يونس! قال: ورأيته يحمل على يونس!

قال أبو بكر الأثرم: أنكر أبو عبدالله على يونس وقال كان يجيء عن سعيد بأشياء

---

(١) لجمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، المتوفى ٥٩٧هـ، ج١، ص١٩٦، ترجمة٧٩٠.

(٢) لشمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان المتوفى ٦٨١هـ، ج٢، ص٦٤، ترجمة١٥٤، (هامش الكتاب) تحقيق الدكتور إحسان عباس.

(٣) الجرح والتعديل لعبدالرحمن بن أبي حاتم بن المنذر الحنظلي الرازي، المتوفى٣٢٧هـ، ج٣، ص٢٧٤، ترجمة١٢٢٤، ط١/١٣٧١هـ، الهند.

(٤) معرفة الرواة لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى٧٤٨هـ، ص٨٦، ترجمة٨٣، تحقيق: إبراهيم إدريس، ط دار المعرفة، بيروت.

(٥) الكامل لعبدالله بن عدي الجرجاني، المتوفى٣٦٥هـ، ج٢، ص٤٥٨، ترجمة١٩٩.

ليس من حديث سعيد، وضعف أمر يونس وقال لم يكن يعرف الحديث وكان يكتب أُرى أول الكتاب فينقطع الكلام فيكون أوله عن سعيد وبعضه عن الزهري فيشتبه عليه.

قال أبو عبدالله: يونس كثير الخطأ عن الزهري.

سئل أحمد بن حنبل: من أثبت في الزهري؟ قال: معمر، قيل له فيونس: قال روى أحاديث منكرة[1]!

لا يخفى عليك أخي القارئ أن الرواية التي نحن بصددها قد رواها يونس عن الزهري، فتأمل!

وقال محمد بن سعد الواقدي في طبقاته الكبرى: يونس بن يزيد الأيلي كان حلو الحديث كثيره وليس بحجة، وربما جاء بالشيء المنكر[2]!

وقال الرازي: مقاتل بن محمد قال: سمعت وكيعاً يقول: لقيت يونس بن يزيد الأيلي وذاكرته بأحاديث الزهري المعروفة وجهدت أن يقيم لي حديثاً فما أقامه[3]!

ومن الرواة أيضاً حمران مولى عثمان بن عفان!

قال الذهبي: أورده البخاري في الضعفاء[4]!

وقال فيه ابن سعد: كان كثير الحديث ولم أرهم يحتجون بحديثه[5].

ويقول أيضاً: وكان سبب نزوله البصرة أنه أفشى على عثمان بعض سره، فبلغ ذلك عثمان فقال: لا تساكني في بلد، فرحل عنه ونزل البصرة واتخذ بها أموالاً[6].

وقال الخياط في تأريخه: وكان عثمان أول من اتخذ صاحب شرط... وحاجبه عمران بن أبان[7].

---

(١) تهذيب الكمال، ج٣٢، ص٥٥٥، ترجمة٧١٨٨.

(٢) الطبقات الكبرى، ج٧، ص٥٢٠، ط١٣٧٧هـ، دار صادر، بيروت.

(٣) الجرح والتعديل، ج٩، ص٢٤٨، ترجمة١٠٤٢.

(٤) ميزان الاعتدال، ج١، ص٦٠٤، ترجمة٢٢٩١، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١٣٨٢/١هـ، دار إحياء الكتب العربية.

(٥) الطبقات الكبرى للواقدي، ج٥، ص٢٨٣.

(٦) نفس المصدر السابق، ج٧، ص١٤٨.

(٧) تاريخ خليفة الخياط، لخليفة بن خياط بن هبيرة العصفري الملقب بشباب، المتوفى٢٤٠هـ، ص١٠٦. صاحب شرطة

ويقول ابن حجر العسقلاني: وحكى الليث بن سعد أن عثمان أسر إليه سراً فأخبر به عبدالرحمن بن عوف فاستأمن له عبدالرحمن عثمان وأخبره بما أخبره به فغضب عليه عثمان ونفاه!

عن المسور أن عثمان مرض فكتب العهد لعبدالرحمن بن عوف ولم يطلع على ذلك إلا حمران ثم أفاق عثمان فأطلع حمران عبدالرحمن على ذلك فبلغ عثمان فغضب عليه فنفاه[1]!

وأخيراً.. من الرواة محمد بن مسلم بن شهاب الزهري!

يقول الدكتور عبدالله بن محمد حسن دمفو:... ولادته كانت في أواخر سنة خمسين أو أوائل سنة إحدى وخمسين[2].

ويقول: توفي سنة أربع وعشرين ومائة، وذلك بضيعته التي أقطعها إياه الأمويون بشغب ـ ضيعة خلف وادي القرى كان للزهري وبها قبره ـ[3]!

ويقول: لم تحدد المصادر وقت بداية طلبه العلم، لكن يظهر أنها بداية مبكرة تقريباً، حيث قال عن نفسه نشأت وأنا غلام لا مال لي مقطعاً من الديوان....

كما يظهر أن حفظه القرآن وتعلمه لم يستغرق معه فترة طويلة....

وعندما التقى بعبدالملك بن مروان وجعل عبدالملك يسأل الزهري ويقول: من لقيت؟ فجعلت أسمي له وأخبره بمن لقيت من قريش لا أعدوهم فقال عبدالملك فأين أنت من الأنصار فإنك واجد عندهم علماً أين أنت عن ابن سيدهم خارجة بن زيد بن ثابت....

نشأ الإمام الزهري بالمدينة المنورة وبها ابتدأ في طلب العلم....

أما عن رحلته إلى الشام ففي فترات مقطعة بدأت إبان خلافة مروان بن الحكم وهو

وحاجبه ومن على بيت المال وكاتبه.

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني المتوفى٨٥٢هـ، ج٣، ص٢٢، ترجمة١٥٨٨.

(٢) مرويات الإمام الزهري المعلة، ج١، ص١٩، ط١/١٤١٩هـ، مكتبة الرشد، الرياض.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٢٢.

في سن الاحتلام ثم وفادته على عبدالملك بن مروان وهو قد جاوز الثانية والثلاثين من عمره... ثم استيطانه الشام آخر حياته وملازمته لعمر بن عبدالعزيز وهشام ويزيد ابني عبدالملك فترة خلافتهم....

وأيضاً فقد صحب بعض الأمراء في حجهم كهشام بن عبدالملك[1]!

أما الانتقادات التي وجهت إلى الزهري من جهة رواياته، يقول الدكتور دمفو: لم أتعرض للانتقادات التي وجهت إلى أمور تتعلق بالجانب الشخصي للزهري، مثل صحبته الملوك ومحاباته...!

قال يحيى بن سعيد القطان: مرسل الزهري شر من مرسل غيره، لأنه حافظ، وكلما قدر أن يسمى سمى وإنما يترك ما لا يستجيز أو يستحي أن يسميه!!

وقال الشافعي: إرسال الزهري عندنا ليس بشيء....

وقال يحيى بن معين: مرسل الزهري ليس بشيء....

وسئل ابن المديني... قال:... إن مرسلات الزهري ردية[2]!!

أما التدليس، فأول من وقفت عليه ممن وصفه بذلك، الإمام الشافعي والدارقطني كما نقله ابن حجر في تعريف أهل التقديس، ثم تبعهما في ذلك المتأخرون، فقد ذكره الذهبي في منظومته التي أورد فيها الرواة المدلسين! وقال في الميزان: كان يدلس...!

وذكره العلائي عند كلامه عن المدلسين وطبقاتهم!

كما ذكره الحافظ أبو محمد المقدسي في قصيدته في المدلسين! وبرهان الدين الحلبي في التبيين وقال: مشهور به!!... والسيوطي في أسماء المدلسين وقال: مشهور بالتدليس!! وكذلك من ألف في التدليس والمدلسين من المعاصرين[3]!!

ويقول الدكتور: أما الوهم والاضطراب فإن الإمام الزهري مع إمامته وجلالته وحفظه وإتقانه لا يخرج عن كونه واحداً من بني البشر الذين يطرأ عليهم الوهم والنسيان

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٢٣_٢٧.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٤٨.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٥٤_٥٥.

والاضطراب بحكم هذه البشرية[1]!

وفي سير أعلام النبلاء: ابن أبي ذئب قال: ضاقت حال ابن شهاب ورهقه دين فخرج إلى الشام فجالس قبيصة بن ذؤيب، قال ابن شهاب: فبينا نحن معه نسمر إذ جاءه رسول عبدالملك فذهب إليه ثم رجع إلينا فقال من منكم يحفظ قضاء عمر ﷺ في أمهات الأولاد؟ قلت: أنا، قال: قم، فأدخلني على عبدالملك بن مروان، فإذا هو جالس على نمرقة بيده مخصرة وعليه غلالة ملتحف بسبيبة[2] بين يديه شمعة فسلمت فقال من أنت فانتسبت له فقال إن كان أبوك لنعّاراً في الفتن[3] قلت يا أمير المؤمنين عفا الله عما سلف قال اجلس فجلست قال تقرأ القرآن؟ قلت نعم، قال فما تقول في امرأة تركت زوجها وأبويها قلت لزوجها النصف ولأمها السدس ولأبيها ما بقي قال أصبت الفرض وأخطأت اللفظ، إنما لأمها ثلث ما بقي ولأبيها ما بقي، هات حديثك، قلت حدثني سعيد بن المسيب فذكر قضاء عمر في أمهات الأولاد فقال عبدالملك هكذا حدثني سعيد قلت يا أمير المؤمنين اقض ديني قال نعم قلت وتفرض لي قال لا والله لا نجمعهما لأحد قال فتجهزت إلى المدينة...[4].

وفي رواية بعد دخوله على عبدالملك بن مروان يقول الزهري: ثم جعل يسألني عن أنساب قريش فلهو كان أعلم بها مني وجعلت أتمنى أن يقطع ذلك لتقدمه علي في النسب ثم قال لي قد فرضت لك فرائض أهل بيتك ثم أمر قبيصة أن يكتب ذلك في الديوان ثم قال أين تحب أن يكون ديوانك مع أمير المؤمنين ههنا أم في بلدك؟ قلت: يا أمير المؤمنين أنا معك ثم خرج قبيصة فقال: إن أمير المؤمنين أمر أن تثبت في صحابته وأن يجري عليك رزق الصحابة وأن يرفع فريضتك إلى أرفع منها فالزم باب أمير المؤمنين! وكان على عرض الصحابة رجل فتخلفت يوماً أو يومين فجبهني جبهاً شديداً فلم أتخلف بعدها، قال وجعل يسألني عبدالملك من لقيت فأذكر من لقيت

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٥٧.

(٢) هي الثوب الرقيق.

(٣) رجل نقار في الفتن، خرّاج فيها، سعّاء.

(٤) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج٥، ص٣٢٩، ترجمة١٦٠.

من قريش قال أين أنت عن الأنصار فإنك واجد عندهم علماً أين أنت عن ابن سيدهم خارجة بن زيد وسمى رجالاً منهم قال فقدمت المدينة فسألتهم وسمعت منهم قال وتوفي عبدالملك فلزمت ابنه الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبدالعزيز ثم يزيد فاستقضى يزيد بن عبدالملك على قضاءه الزهري وسليمان بن حبيب المحاربي جميعاً قال ثم لزمت هشام بن عبدالملك وصير هشام الزهري مع أولاده يعلمهم ويحج معهم[1]!!

ويقول ـ أي الذهبي ـ:

قلت: كان رحمه الله محتشماً جليلاً بزي الأجناد له صورة كبيرة في دولة بني أمية[2]!!

ويقول الذهبي: الوليد بن مسلم حدثنا سعيد بن عبدالعزيز أنبأنا الزهري قال لهشام إقض ديني قال وكم هو قال ثمانية عشر ألف دينار قال إني أخاف إن قضيتها عنك أن تعود فقال قال النبي صلى الله عليه وآله لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فقضاها عنه قال فما مات الزهري حتى استدان مثلها فبيعت شغب[3] فقضي دينه[4].

وجاء في المصنف للصنعاني:... سماك الحنفي أنه سمع ابن عباس يقول كاتب الكتاب يوم الحديبية علي بن أبي طالب.

... معمر قال سألت عن الزهري فضحك وقال هو علي بن أبي طالب ولو سألت عنه هؤلاء قالوا عثمان، يعني بني أمية[5]!

لاحظ كيف أن الزهري كان يعترف ويقر في بعض الأحيان ويصرح بما في قرارة نفسه بتلك الحقائق للمقربين منه.

إذن المذكور هذا كان مدفوعاً من السلطة الأموية لتزييف الحقائق ومحاولة طمس فضائل الإمام علي عليه السلام، هذا ما نفهمه من خلال قرائتنا ولو أننا قد ذكرنا الشيء اليسير

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٣٣١.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٣٣٧.

(٣) شغب: ضيعة خلف وادي القرى.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج٥، ص٣٤٢.

(٥) المصنف لعبدالرزاق بن همام الصنعاني، المتوفى٢١١هـ، ج٥، ص٣٤٣، ط١/١٣٩٢هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.

في ترجمة ابن شهاب الزهري!

نعم، لقد نشط التدوين في العصر الأموي بشكل رهيب وكان توزع الجوائز على من يأتي بحديث فيه فضيلة للخلفاء الثلاثة مثلاً، ولكن لعدم التنسيق فيما بين المحدثين والرواة نرى أن الخليفة الثاني ـ عمر ـ قد كثرت فضائله على صاحبه أبي بكر وكذلك عثمان بن عفان أيضاً وكان من جملة المدونين ابن شهاب الزهري الذي أخذ بتدوين الحديث والسيرة طمعاً في الجائزة!

يقول الذهبي: عن مكحول وذكر الزهري فقال: أي رجل هو لو لا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك[1]!

هذا ما قاله أهل العامة في هؤلاء الرواة. نعود لمتن الحديث وما فيه:

يقول الأستاذ الدكتور موسى لاشين: عن حمران مولى عثمان... كان من سبي عين التمر، سباه خالد بن الوليد ﷺ فوجده غلاماً كيساً فوجهه إلى عثمان ﷺ فأعتقه، وكان كاتبه وحاجبه وولي نيسابور من الحجاج وهو تابعي.

(فغسل كفيه)، الفاء تفسيرية لأنه غسل الكفين وما بعده هو الوضوء، (ثم مضمض)، يقال: مضمض وتمضمض إذا حرك الماء في فمه، وأصل المضمضة الحركة.

(واستنثر)، قال جمهور أهل اللغة والفقهاء والمحدثون: الاستنثار هو إخراج الماء من الأنف من مخاط وشبهه. وقال ابن الأعرابي وابن قتيبة: هو الاستنشاق، قال النووي: والصواب الأول.

(ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق)، المرفق على وزن منبر، وهو موصل الذراع في العضد، أي العضم الناتئ في آخر الذراع، قيل: سمي بذلك لأنه يرتفق به في الاتكاء ونحوه.

(ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين)، قال النووي: اتفق العلماء على أن المراد بالكعبين العظمان الناتئان بين الساق والقدم وفي كل رجل كعبان.

قال النووي:... اختلفوا في وجوب المضمضة والاستنشاق على أربعة مذاهب:

---

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج٥، ص٣٣٩، ترجمة١٦٠.

أحدها: مذهب مالك والشافعي وأصحابهما أنهما سنتان في الوضوء والغسل وهو رواية عن عطاء وأحمد.

والمذهب الثاني: أنهما واجبتان في الوضوء والغسل، لا يصحان إلا بهما وهو المشهور عن أحمد بن حنبل لورود الأمر بهما.

والمذهب الثالث: أنهما واجبتان في الغسل دون الوضوء وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه.

والمذهب الرابع: أن الاستنشاق واجب في الوضوء والغسل والمضمضة سنة فيهما، وهو مذهب داود الظاهري ورواية عن أحمد.

وقال الأبي: المضمضة تحريك الماء في الفم بالأصابع أو بقوة الفم، زاد بعضهم ثم يمجه... ثم قال: والاستنثار أن يدفع الماء من أنفه بنفسه مع وضع اليد على الأنف... وإذا استنثر بيده فالمستحب أن يكون باليسرى....

وأما غسل الوجه فواجب في الوضوء بالكتاب والسنن المتظاهرة والإجماع والخلاف بين العلماء في حده الواجب غسله، فالجمهور على أنه ما بين منابت شعر الرأس إلى الذقن ومنتهى اللحيين طولاً ومن الأذن إلى الأذن عرضاً والاعتبار بالمنابت المعتادة لا بمن يصلع الشعر عن ناصيته ولا بمن نزل الشعر إلى جبهته ولا يدخل وتد الأذن في الوجه، أما البياض الذي بين الأذن والعذار فهو من الوجه عند الشافعية، وهو محكي عن أبي حنيفة ومحمد وأحمد وداود وعن مالك أنه ليس من الوجه وعن أبي يوسف يجب على الأمرد غسله دون الملتحي، واللحية الكثيفة أي التي تستر البشرة بحيث لا ترى البشرة عند المواجهة يجب غسل ظاهرها بلا خلاف ولا يجب غسل باطنها ولا البشرة تحتها في المذهب الصحيح المشهور وهو مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة وأحمد وذهب المزني إلى وجوب غسل البشرة في الوضوء قياساً على غسل الجنابة وعلى الشارب والحاجب.

... أما اللحية الخفيفة فإنه يجب غسل ظاهرها وباطنها والبشرة تحتها عند الشافعية ومالك وأحمد وداود وقال أبو حنيفة لا يجب غسل ما تحتها كداخل الفم... هذا وتخليل اللحية الكثيفة سنة، ولو أخذ للتخليل ماء آخر كان أفضل، وعند المالكية أن التخليل

غير مشروع واحتج مالك على عدم التخليل بعدم وروده في هذه الأحاديث، لكن الشافعية يستدلون بما رواه أبو داود عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا توضأ أخذ كفاً من ماء فأدخله تحت حنكه فخلل بها لحيته وقال هكذا أمرني ربي.

... ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات، ثم غسل يده اليسرى مثل ذلك.

... يقول النووي: وأجمع العلماء على أن تقديم اليمين على اليسار من اليدين والرجلين في الوضوء سنة لو خالفها فاته الفضل وصح وضوؤه، وقالت الشيعة هو واجب ولا اعتداد بخلاف الشيعة.

واعلم أن الابتداء باليسار وإن كان مجزياً فهو مكروه، نص عليه الشافعي وهو ظاهر....

وأما المرفقان فقد قال النووي اتفق الجماهير على وجوب غسل المرفقين وانفرد زفر وداود الظاهري بقولهما لا يجب.

قال الحافظ ابن حجر: وقد اختلف العلماء هل يدخل المرفقان في غسل اليدين أم لا، فقال المعظم نعم، وخالف زفر وحكاه بعضهم عن مالك واحتج بعضهم للجمهور بأن ﴿إِلَى﴾ في الآية ﴿فَاغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ المائدة/٦ بمعنى (مع)، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ النساء/٢.

ويقول الدكتور لاشين:... ثم مسح رأسه، (وفي رواية) ثم مسح برأسه... فمسح برأسه فأقبل بيديه وأدبر... بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه... وقد اختلف العلماء في القدر الواجب رأسه من الرأس عند الوضوء بعد أن أجمعوا على وجوب المسح، فجاحد أصل المسح كافر! لأنه إنكار لقطعي وجاحد المقدار لا يكفر لأن النص في حق المقدار ظني. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ المائدة/٦.

وسر اختلافهم في المقدار هو الباء في قوله تعالى ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ فمن رأى أنها للتبعيض اكتفى بمسح بعض الرأس، وممن أثبت أن الباء تأتي للتبعيض الأصمعي

والفارسي وابن مالك قيل والكوفيون وجعلوا منه قوله تعالى ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ الإنسان/٦. ومن جعل الباء للتعدية يجوز حذفها وإثباتها كقولك مسحت رأس اليتيم ومسحت برأسه أو جعلها زائدة أوجب مسح الرأس كله مع استناد كل فريق إلى الأحاديث، فالإمام مالك وأحمد وجماعة على وجوب استيعاب الرأس بالمسح ويؤيدهم... ثم مسح رأسه ورواية فأقبل بيديه وأدبر ورواية بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه، قال ابن القيم: إنه لم يصح عنه ﷺ في حديث واحد أنه اقتصر على مسح بعض رأسه البتة، وسئل مالك عن الرجل يمسح مقدم رأسه في وضوءه أيجزؤه ذلك؟ فقال:... عبدالله بن زيد قال مسح رسول الله ﷺ في وضوءه من ناصيته إلى قفاه ثم رد يديه إلى ناصيته فمسح رأسه كله كما استدل أصحاب هذا الرأس بأن الكل متفق على تعميم غير الرأس من أعضاء الوضوء فلتعمم الرأس أسوة ببقية الأعضاء.

والحنفية والشافعية على أن الواجب مسح بعض الرأس، لكن أراد الحنفية بالبعض ربع الرأس وأراد الشافعية بالبعض ما يطلق عليه الإسم ولو شعرة واحدة، ويستدل هذا الفريق بما رواه أبو داود من حديث أنس بلفظ أنه صلى الله عليه وسل أدخل يده من تحت العمامة فمسح مقدم رأسه ولم ينقض العمامة... حديث المغيرة بلفظ إنه ﷺ توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة... حديث عطاء أن رسول الله ﷺ توضأ فحسر العمامة عن رأسه ومسح مقدم رأسه، قال الشافعي: احتمل قوله تعالى ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ جميع الرأس أو بعضه فدلت السنة على أن بعضه يجزئ ويرد هذا الفريق دليل الفريق الأول بأن الفعل بمجرده لا يدل على الوجوب، فإن رسول الله ﷺ كان يحافظ على الأفضل والأحاديث التي استدلوا بها إنما وردت في كما الوضوء وليس فيما لابد منه، ومسح الرأس كله مستحب باتفاق العلماء، وأما استدلالهم بقياس الرأس على بقية أعضاء الوضوء فهو قياس مع الفارق إذ كون المسح مبنياً على التخفيف واضح بما لا شبهة فيه، ويضعف الفريق الأول أن أصحاب مالك لم يتفقوا معه على هذا الحكم فقد قال ابن مسلمة إن مسح ثلثيه أجزأه وقال أبو الفرج إن مسح ثلثه أجزأه وقال أشهب إن مسح الناصية أجزأه. وعنه أيضاً إن مسح أي شيء منه أجزأه، بل يزيده ضعفاً أن ما نسب إلى الإمام مالك

نفسه هو المشهور عنه إذ عبارة الأبي المالكي أن المشهور لمالك ما ذكر من أن الفرض مسح جميعه ومعنى هذا أن هناك رأي آخر له غير مشهور وأن ما نسب إلى الإمام أحمد إنما هو إحدى الروايات عنه، وقد تعرضت الروايات... إلى كون مسح الرأس بماء جديد غير فضل يديه وقد نقل عن القاضي عياض أن السنة تجديد الماء بمسح الرأس وأجاز الحسن والأوزاعي وعروة مسحه ببل اليدين، وعند بعض المالكية إن كان بلحيته بلل وبعد عن الماء مسح به... روى أبو داود في وصف علي كرم الله وجهه للوضوء: ثم مسح رأسه وظهور أذنيه... وروى النسائي ثم مسح برأسه وأذنيه باطنهما بالسبابتين وظاهرهما بإبهاميه... ولا خلاف بين العلماء في مشروعية مسح الأذنين في الوضوء لكن الخلاف بينهم في اعتبارهما من الرأس أو من الوجه أو منهما فذهب جمهور من العلماء إلى أنهما من الرأس فيمسحان معه مستدلين برواية لابن ماجة عن النبيﷺ قال الأذنان من الرأس... والذي تستريح إليه النفس أنهما عضوان مستقلان....

ويقول ـ والكلام لا يزال للأستاذ الدكتور موسى لاشين ـ: وعن غسل الرجلين تقول الرواية... ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاث مرات ثم غسل اليسرى مثل ذلك.

قال النووي ذهب جمهور الفقهاء من أهل الفتوى في الأعصار والأمصار إلى أن الواجب غسل القدمين مع الكعبين ولا يجزئ مسحهما ولا يجب المسح مع الغسل ولم يثبت خلاف هذا عن أحد يعتد به في الإجماع. ويشير النووي في كلامه إلى الإمامية من الشيعة حيث قالوا إن فرض الرجلين المسح وإنه لا يجزئ الغسل محتجين بقراءة الجر في قوله تعالى ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ قالوا وهي قراءة صحيحة سبعية مستفيضة وجعلوا قراءة النصب عطفاً على محل بروسكم.

كما يشير بقوله ولا يجب المسح مع الغسل إلى ما ذهب إليه بعض أهل الظاهر من أنه يجب الجمع بين الغسل والمسح.

وقد ذهب محمد بن جرير الطبري والجبائي والحسن البصري إلى أنه مخير بين الغسل والمسح لاختلاف القرائتين. ويوجه الجمهور قراءة الجر بأن الجر للجوار وقد أجازه جماعة من أئمة الإعراب كسيبويه والأخفش كما في قوله تعالى ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٍ﴾ هود/٢٦، حيث جر ﴿أَلِيمٍ﴾ على الجوار ليوم وإن كان صفة للعذاب

وحملت عليه هذه القراءة مع أنه قليل نادر لمداومتهﷺ على غسل الرجلين وعدم ثبوت المسح عنه من وجه صحيح وتوعده على المسح بقوله ويل للأعقاب من النار! ولإجماع الصحابة على الغسل وهناك جواب ثان وهو أن الأرجل عطفت على الرؤوس لأنها تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة الإسراف المنهي عنه لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وجيء بالغاية ليعلم أن حكمها مخالف لحكم المعطوف عليه لأنه لا غاية في الممسوح، قاله الزمخشري.

وجواب ثالث وهو أن قراءة الجر للمسح لكن في حالة لبس الخف وقراءة النصب على الغسل عند عدم الخف، قال الحافظ أبو بكر بن العربي: قرائتا النصب والجر مشهورتان وبينهما تعارض والحكم في تعارض الروايتين كالحكم في تعارض الآيتين وهو أنه إن أمكن العمل بهما مطلقاً يعمل وإن لم يمكن يعمل بهما بالقدر الممكن وهنا لا يمكن الجمع بين الغسل والمسح في عضو واحد في حالة واحدة لأنه لم يقل به أحد من السلف، ولأنه يؤدي إلى تكرار المسح لأن الغسل يتضمن المسح والأمر المطلق لا يقتضي التكرار فيعمل في حالتين فيحمل في قراءة النصب على ما إذا كانت الرجلان باديتين وتحمل قراءة الخفض على ما إذا كانتا مستورتين بالخفين توفيقاً بين القراءتين وعملاً بهما بالقدر الممكن... هذا وفي غسل الكعبين نفسيهما ما في غسل المرفقين من خلاف سابق وكذلك في تقديم الرجل اليمنى على اليسرى ما في تقديم اليد اليمنى من أحكام... ومن العطف بثم بين الأعضاء في بعض الروايات يؤخذ وجوب الترتيب بين أركان الوضوء وبه قال الشافعي وهو المشهور عن أحمد واستدلوا بأنهﷺ لم يتوضأ إلا مرتباً ولو لم يجب لتركه في وقت بيانه للجواز....

في رواية النسائي صريح بوجوب الترتيب وقالوا إن آية الوضوء وإن كانت مجملة بينتها السنة بفعلهﷺ ثم إن الآية الكريمة ذكرت ممسوحاً بين مغسولات وتفريق التجانس لا ترتكبه العرب إلا لفائدة وقصد وهي هنا الوجوب... قال ابن رشد: وسبب اختلافهم شيئان: أحدهما الاشتراك الذي في واو العطف وذلك أنه قد يعطف بها الأشياء المرتبة بعضها على بعض وقد يعطف بها غير المرتبة وذلك ظاهر من استقراء كلام العرب ولذلك انقسم النحويون فيها قسمين فقال نحاة البصرة لا تقتضي نسقاً ولا ترتيباً وإنما

تقتضي الجمع فقط وقال الكوفيون بل تقتضي النسق والترتيب فمن رأى أن الواو في آية الوضوء تقتضي الترتيب قال بإيجاب الترتيب ومن رأى أنها لا تقتضي لم يقل بإيجابه.

السبب الثاني اختلافهم في أفعاله ﷺ هل هي محمولة على الوجوب أو على الندب فمن حملها على الوجوب قال بوجوب الترتيب لأنه لم يرد عنه ﷺ أنه توضأ قط إلا مرتباً ومن حملها على الندب قال إن الترتيب سنة ومن فرق بين المسنون والمفروض من الأفعال قال إن الترتيب الواجب إنما ينبغي أن يكون في الأفعال الواجبة ومن لم يفرق قال إن الشروط الواجبة قد تكون في الأفعال التي ليست واجبة....

والروايات تصرح بالوضوء ثلاثاً ثلاثاً، قال النووي: وقد أجمع المسلمون على أن الواجب في غسل الأعضاء مرة مرة وعلى أن الثلاث سنة وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بالغسل مرة مرة وثلاثاً ثلاثاً وبعض الأعضاء ثلاثاً وبعضها مرتين وبعضها مرة.

قال العلماء: فاختلافها دليل على جواز ذلك كله وأن الثلاث هي الكمال والواحدة تجزئ....

ثم قال في موضع آخر: وقد أجمع العلماء على كراهة الزيادة على ثلاث....

وما حكاه النووي من إجماع المسلمين على أن الواجب في غسل الأعضاء مرة مرة وعلى أن الثلاثة سنة هو المشهور... وما حكاه من إجماع العلماء على كراهة الزيادة على الثلاث هو المشهور أيضاً.

... وفي المرقاة قال الإمام النسفي: هذا إذا زاد معتقداً أن السنة هذا، فأما لو زاد لطمأنينة القلب عند الشك أو نية وضوء آخر فلا بأس... فتعبير الإمام النووي في الحالتين بإجماع المسلمين محمول على التسامح... ولا يفوتنا أن ننبه أن كراهة الزيادة على الثلاث مقصورة على حالة قصد الوضوء، فإن كان على العضو وسخ وقصد إزالته أزيل بقطع النظر عن العدد....

أما مسح الرأس فالجمهور على عدم التثليث... بل نص بعضها على أنه مسح مرة واحدة، وقال أبو داود في السنن / أحاديث عثمان الصحاح كلها تدل على أن مسح الرأس مرة واحدة، وكذا قال ابن المنذر أن الثابت عن النبي ﷺ في المسح مرة واحدة

وبأن المسح مبني على التخفيف، فلا يقاس على الغسل المراد منه المبالغة في الإسباغ... وبالغ أبو عبيدة فقال: لا نعلم أحداً من السلف استحب تثليث مسح الرأس إلا إبراهيم التيمي لكن الشافعي يستحب التثليث في المسح كما في الغسل وتكرار المسح مسنون عند أبي حنيفة أيضاً... وقد وردت أحاديث كثيرة بالمسح ثلاثاً... وفي سنن الدارقطني عن عمر ﷺ في وصف وضوء النبي ﷺ (ومسح برأسه ثلاثاً).

ولم تتعرض الروايات للنية، ومذهب المالكية والشافعية وأحمد أنها واجبة في الوضوء والغسل كبقية العبادات واستدلوا بقوله تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ البينة/٥....

قال ابن رشد: وسبب اختلافهم هو تردد الوضوء بين أن يكون عبادة محضة أي مقصوداً بها القربة فقط كالصلاة وغيرها وبين أن يكون عبادة معقولة في المعنى كغسل النجاسة، فإنهم لا يختلفون في أن العبادة المحضة مفتقرة إلى النية والعبادة المفهومة المعنى غير مفتقرة إلى النية والوضوء فيه شبه من العبادتين، ولذلك وقع الخلاف فيه، وذلك أنه يجمع عبادة ونظافة، والنية محلها القلب وإن جمع اللفظ مع القلب كان آكد وأفضل عند الشافعية وجمهور العلماء....

وأما التسمية عند الوضوء فلم تأت في شيء من الأحاديث الصحيحة، بل قال أحمد: لا أعلم فيها حديثاً له سند جيد[1].

وجاء في كتاب كشاف القناع في باب الوضوء:

من الوضاءة وهي النظافة... وهو شرعاً استعمال ماء طهور في الأعضاء الأربعة وهي الوجه واليدان والرأس والرجلان... بأن يأتي بها مرتبة متوالية مع باقي الفروض والشروط... وسمي وضوءاً لتنظيفه المتوضأ وتحسينه والحكمة في غسل الأعضاء المذكورة في الوضوء دون غيرها أنها أسرع ما يتحرك من البدن للمخالفة فأمر بغسلها ظاهراً تنبيهاً على طهارتها الباطنة ورتب غسلها على ترتيب سرعة الحركة في المخالفة فأمر بغسل الوجه وفيه الفم والأنف فابتدئ بالمضمضة لأن اللسان أكثر الأعضاء وأشدها حركة إذ

---

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ج٢، ص٩٨ـ١١٤.

غيره ربما سلم وهو كثير العطب قليل السلامة غالباً، ثم بالأنف ليتوب عما يشم به؛ بالوجه ليتوب عما نظر، ثم باليدين لتتوب عن البطش، ثم خص الرأس بالمسح لأنه مجاور لما تقع منه المخالفة ثم بالأذن لأجل السماع ثم بالرجل لأجل المشي ثم أرشده بعد ذلك إلى تشديد الإيمان بالشهادتين[1].

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب (في فروض الوضوء): غسل الوجه ومنه المضمضة والاستنشاق وحده طولاً من منابت شعر الرأس إلى الذقن وعرضاً إلى فروع الأذنين وغسل اليدين إلى المرفقين ومسح جميع الرأس ومنه الأذنان وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب والموالاة[2].

على ضوء ما قرأنا بكيفية الوضوء ومستحباته وواجباته إلى آخر تلك الاختلافات فيما بين الفقهاء والعلماء والمحدثين، فماذا يقول القرطبي؟

قوله (ثلاث مرات)، هو تعديد الغسلات لا تعديد الغَرَفات، كما ذهب إليه بعضهم وليس بشيء إذ لم يجر للغَرَفات في هذا الحديث ذكر وإنما قال غسل يديه ثلاث مرات[3].

نلاحظ أن القرطبي أيضاً خالف الجمهور في هذه المسألة!

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، يقول السائل:

قمت لصلاة الفجر متأخراً والناس في المساجد يصلون وتوضأت وذهبت إلى المسجد فلحقت الصلاة معهم ولكن عندما أنا في الركعة الثانية تذكرت أنني لم أستنشق فقط، فما حكم صلاتي؟

فجاءه الجواب كالبرق من حيث السرعة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد: الاستنشاق واجب

---

(١) كشاف القناع عن متن الإقناع، لمنصور بن البهوتي، ج١، ص٧٧، باب الوضوء، ط١٤١٧/١هـ، تحقيق محمد الضناوي، عالم الكتب، بيروت.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عصرنا هذا، جمع: عبدالرحمن النجدي الحنبلي، المتوفى١٣٩٢هـ، ج٤، ص١٥٥، باب الوضوء، ط١٤٢٥/٧هـ.

(٣) المفهم لما أشكال من تلخيص كتاب مسلم لأحمد بن عمر القرطبي، ج١، ص٤٨٠، ط١٤٢٠/٢هـ، دار ابن كثير، بيروت.

في الوضوء لما ثبت من فعل النبيﷺ وأمره بقوله (من توضأ فليستنثر) وقوله (من توضأ فليستنشق) ومن لم يستنشق فوضوءه غير صحيح، والواجب عليك إعادة الوضوء والصلاة المذكورة وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو / عبدالله بن غديان، نائب الرئيس عبدالرزاق عفيفي

الرئيس / عبدالعزيز بن عبدالله بن باز[1]

لاحظ أخي القارئ أن هؤلاء جعلوا الاستنشاق من واجبات الوضوء لذا أجابوا السائل بأن عليه إعادة الوضوء والصلاة أيضاً، فأقول: على كثرة هذه الأقوال والاختلافات فبأي هذه الأقوال نأخذ ورأي من نصوب؟!

وأقول:

يقول النبي الأكرم: إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ماء ثم لينتثر، ويقول أيضاً كما جاء في صحيح مسلم: إذا توضأ أحدكم فليستنشق بمنخريه من الماء ثم لينتثر[2].

وفي صحيح البخاري: رسول اللهﷺ يقول: أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ما تقول ذلك يبقي من درنه؟ قالوا لا يبقي من درنه شيئاً، قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا[3].

يقول الكشميري الحنفي في شرحه: (يمحو) والوضوء أيضاً يمحو الخطايا كما في الترمذي[4].

فعلى ضوء ما قرأنا من روايات مسلم والبخاري وما جاء في جواب فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية وقولهم للسائل عليه إعادة الوضوء والصلاة لأنه لم يستنثر حال الوضوء، أقول:

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، جمع وترتيب: الشيخ أحمد الدويش، ج٥، ص٢٠٩، فتوى١٣٤٠٥، ط٣/١٤٢١هـ، دار بلنسية، الرياض.

(٢) كتاب الطهارة، باب الإيتار في الاستنثار.

(٣) كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة.

(٤) فيض الباري شرح صحيح البخاري، ج٢، ص٢٦٢، حديث٥٢٨.

طالما أمر النبي بالاستنشاق والاستنثار، إذن يريد النبي الأكرم من المسلم أن ينظف أنفه من التراب الذي علق في أنفه أو ما أشبه، وكذلك عندما ذكر صلوات الله عليه وآله في قوله (لو أن نهراً بباب أحدكم...) أيضاً يريد منا أن نتخلص من الأوساخ وما علق على أبداننا من غبار أو ما أشبه، ويعني بذلك الوضوء ومقدمات الصلاة وقد شبه ﷺ صغائر المعاصي بالأوساخ فيجب غسل هذه الأوساخ قبل الصلاة، هذا باختصار شديد.

فأقول: كيف بهذا المتوضئ الذي استنشق ونثر ما في أنفه من الأوساخ يأتي ويتوضأ منكوساً من أصابع يديه إلى المرافق؟ فالأوساخ سوف تعلق على زنده ولن يستطيع أن يتخلص منها!!

وذلك لأنه دفعها بيده من رؤوس أصابعه إلى أعلى المرفق حتى وصلت هذه الأوساخ إلى زنده كما ذكرنا!

أليس من الأولى أن يأخذ بالأوساخ بدءاً من مرفقه ودفعه إلى رؤوس أصابع يديه ليتخلص من تلك الأوساخ ويرميها جانباً؟! أليس من البديهي أن يقوم بما ذكرنا؟!

يقول السيد أبو الطيب صديق بن حسن البخاري: ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الاستنشاق واجب في الغسل والوضوء... وذهب مالك... والشافعي... والأوزاعي... والليث... ويحيى بن سعيد... والزهري... وربيعة... ويحيى بن سعيد... وقتادة... والحكم بن عتيبة... ومحمد بن جرير الطبري... إلى أنهما غير واجبين[1].

ويقول الشوكاني: عشرة من سنن المرسلين وهو حديث صحيح ومن جملتها المضمضة والاستنشاق، ورد بأنه لم يرد بلفظ عشر من السنن بل بلفظ عشر من الفطرة، وعلى فرض وروده بذلك اللفظ فالمراد بالسنة الطريقة وهي تعم الواجب[2].

وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: عشر من الفطرة: قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء.

---

(١) الروضة الندية شرح الدرر البهية، ج١، ص٦٦، باب الوضوء، تحقيق: عبدالله الأنصاري، ط قطر.

(٢) الدراري المضية شرح الدرر البهية، لمحمد بن علي الشوكاني، المجلد١، ج١، ص٤٨ـ٤٩، باب الوضوء، ط١٣٩٨هـ، دار المعرفة، بيروت.

قال زكريا قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة، زاد قتيبة قال وكيع انتقاص الماء يعني الاستنجاء[1].

يقول النووي: وأما الفطرة فقد اختلف في المراد بها هنا، فقال أبو سليمان الخطابي: ذهب أكثر العلماء إلى أنها السنة وكذا ذكره جماعة غير الخطابي، قالوا معناه إنها من سنن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وقيل الدين، ثم أن معظم هذه الخصال ليست بواجبة عند العلماء، وفي بعضها خلاف في وجوبه كالختان والمضمضة والاستنشاق[2].

وجاء في الموسوعة الفقهية:

اتفق الفقهاء على أن غسل ظاهر الوجه بكاملة مرة فرض من فروض الوضوء... قال الحنفية: غسل الوجه هو إسالة الماء مع التقاطر ولو قطرة حتى لو لم يسل بأن استعمله استعمال الدهن لم يجز في ظاهر الرواية، وكذا لو توضأ بالثلج ولم يقطر منه شيء لم يجز. وعن أبي يوسف هو مجرد بل المحل بالماء، سال أو لم يسل... وقال الشافعية: المراد بالغسل الانغسال، سواء كان بفعل المتوضأ أو بفعل غيره، أم بغير فعل أصلاً، كأن ينزل عليه المطر ولو بغسل غيره بلا إذنه أو سقوطه في نهر إن كان ذاكراً للنية فيهما... وقال الفقهاء: حد الوجه عرضاً ما بين الأذنين وحده طولاً ما بين منابت شعر رأسه عالياً، أي ما من شأنه أن ينبت عليه الشعر المذكور ويعبر عنه بعضهم من مبدأ أعلى جبهته إلى أسفل الذقن.

وقال المالكية والحنابلة: ذلك فيمن لا لحية له، وأما من له لحية فمنتهى لحيته.

وقال الحنفية: المسترسل أي الخارج عن دائرة الوجه من الشعر لا يجب غسله لأنه إنما يواجه إلى المتصل عادة لا إلى المسترسل، فلم يكن وجهاً فلا يجب غسله لا يجب مسحه كذلك....

وقال الشافعية: الشعور الخارجة عن حد الوجه يجب غسل ظاهرها وباطنها مطلقاً إن خفت وظاهرها مطلقاً إن كثفت....

---

(١) كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة.

(٢) المجلد ٢، ج٣، ص١٤٩، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، حديث٤٩ـ٥١.

وقال المالكية: يجب غسل الوجه مع تخليل شعر من لحية أو حاجب أو شارب أو عنفقة أو هدب تظهر البشرة تحته في مجلس المخاطبة... قال الدردير: ولا ينافي أنه يجب تحريكه ليدخل الماء بين ظاهره وإن لم يصل إلى البشرة... وقال الشافعية: شعور الهدب والحاجب والشارب والعذار والعنفقة تغسل شعراً وبشراً ظاهراً وباطناً وإن كثفت لأن كثافتها نادرة... وقالوا: لحية المرأة كهذه الشعور تغسل ظاهراً وباطناً لندرة كثافتها....

قال الفقهاء: يغسل مع الوجه في الوضوء مآق العين أي طرفها أو مؤخرها... أما داخل العين فقد اختلف الفقهاء في غسله مع الوجه في الوضوء فذهب جمهور الفقهاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة في المذهب إلى أنه لا يغسل مع الوجه في الوضوء باطن العينين لأن النبيﷺ لم يفعله ولا أمر به ولأنه شحم يضره الماء الحار والبارد.

ذهب الفقهاء إلى وجوب غسل جزء من الرأس عند غسل الوجه وزاد الشافعية وغسل جزء من الحلق ومن تحت الحنك ومن الأذنين مع غسل الوجه في الوضوء... ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الصدغ وموضع الصلع والنزعتين ليست من الوجه وإنما هي من الرأس والصدغ هو الشعر الذي بعد انتهاء العذار يحادي رأس الأذن وينزل عنه قليلاً، وموضع الصلع هو مقدم الرأس إذا خلا من الشعر والنزعتان هما ما انحسر عنه الشعر من جانبي مقدمة الرأس....

اتفق الفقهاء على أن غسل اليدين إلى المرفقين ركن من أركان الوضوء وفرض من فروضه... وأما السنة فيما روي في صفة وضوء النبيﷺ من أنه توضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد... ذهب جمهور الفقهاء المالكية والشافعية والحنابلة في المذهب والحنفية ما عدا زفر إلى وجوب غسل المرفقين مع اليدين لقوله تعالى ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾...

وعن أبي هريرةرضي الله عنه أنه توضأ فغسل يديه حتى أشرع في العضدين وغسل رجليه حتى أشرع في الساقين ثم قال هكذا رأيت رسول اللهﷺ يتوضأ...[1].

وفيه أيضاً: اتفق الفقهاء على أن مسح الرأس في الوضوء من أركانه أو فروضه لقوله

---

(١) الموسوعة الفقهية، ج٤٣، ص٣٤٢، ط١/١٤٢٥هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

تعالى وامسحوا برؤوسكم﴾ وللأحاديث الواردة في وصف وضوءﷺ وخاصة حديث عثمان رضي الله عنه وقوله (ثم مسح برأسه) ولإجماع الفقهاء على ذلك... اختلف الفقهاء في القدر المجزئ في مسح الرأس في الوضوء على أقوال:

فذهب المالكية على المشهور والحنابلة على الصحيح من المذهب إلى أنه يجب مسح الرأس كله لكنهم اختلفوا في بعض التفصيل فقد نص المالكية على المشهور من المذهب على أنه يجب على المتوضأ مسح جميع رأسه من جلد أو شعر وذلك من منابت الشعر المعتاد غالباً من مقدم الرأس إلى نقرة القفا مع مسح شعر صدغيه مما فوق العظم الناتئ في الوجه... ويدخل في الرأس البياض الذي فوق وتدي الأذنين، وقال أشهب: يكفي مسح النصف... وذهب الحنابلة في الصحيح من المذهب إلى أنه يجب مسح جميع ظاهر الرأس... ونص الحنفية على أن ركن الوضوء مسح الرأس مرة فوق الأذنين واختلفوا في المقدار المفروض مسحه... وقال الشافعية من فروض الوضوء مسمى مسح فيجزئ مسح لبعض بشرة الرأس أو بعض شعر الرأس ولو واحدة أو بعضها في حد الرأس بأن لا يخرج بالمد عنه من جهة نزوله... يرى الحنفية على الأصح أنه يجب أن يستعمل في مسح الرأس ثلاث أصابع من اليد فلو مسح بإصبع أو بإصبعين لا يجوز في ظاهر الرواية، ولو مسح بالسبابة والإبهام مفتوحتين فيضعهما مع ما بينهما من الكف على رأسه فحينئذ يجوز... وقال الحنابلة يجزئ المسح على أي كيفية فعل بيده وبحائل....

ذهب جمهور الفقهاء الحنفية والمالكية في المشهور والشافعية في الأصح والحنابلة على الصحيح من المذهب إلى أنه إذا غسل المتوضأ رأسه عوضاً عن مسحه أجزأه لأنه مسح وزيادة... كما نص الحنفية والمالكية في الأظهر والحنابلة إلى أنه يكره غسل الرأس بدلاً من مسحه ابتداءاً لأنه خلاف المأمور به وذهب بعض المالكية والشافعية في مقابل الأصح والحنابلة في قول إلى أنه لا يجزئ غسل الرأس عن مسحه لأنه لا يسمى مسحاً وزاد الحنابلة وإن أمرّ يده... نص الحنفية والمالكية والحنابلة على أن المسح على الرأس يكون مرة واحدة، قال الحنفية لأنه بالتكرار يصير غسلاً والمأمور به المسح وقال الحنابلة: لا يستحب تكرار مسح الرأس...

اختلف الفقهاء في غسل الرجلين أو مسحهما على أربعة أقوال:

القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة إلى أن من أركان الوضوء غسل الرجلين الظاهرتين السليمتين غير المستورتين بخف أو جبيرة إلى الكعبين مرة واحدة لقول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ وللأحاديث الصحيحة المستفيضة في صفة وضوء النبي ﷺ.

... وثبت غسل الرجلين بالوضوء في الإجماع، قال عبدالرحمن بن أبي ليلة: أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على غسل القدمين...

القول الثاني: فرض الرجلين المسح دون الغسل... وحكي عن ابن عباس أنه قال: ما أجد في كتاب الله إلا غسلتين ومسحتين... وروي عن أنس بن مالك أنه ذكر له قول الحجاج: إغسلوا القدمين ظاهرهما وباطنهما وخللوا ما بين الأصابع فإنه ليس شيء من ابن آدم أقرب إلى الخبث من قدميه، فقال أنس صدق الله وكذب الحجاج، وتلى الآية ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ قرأها جراً، وحكي عن الشعبي أنه قال: الوضوء مغسولان وممسوحان، فالممسوحان يسقطان في التيمم....

القول الثالث: ذهب الحسن والبصري والجبائي وابن جرير الطبري في إحدى الروايات عنه إلى أن المتوضأ مخير بين غسل الرجلين ومسحهما.

القول الرابع: ذهب بعض أهل الظاهر إلى وجوب الجمع بين الغسل والمسح بحجة أن القرائتين في آية واحدة بمنزلة آيتين، فيجب العمل بهما ما أمكن[1].

ويقول ابن كثير في تفسيره:... وجوب الترتيب في الوضوء كما هو مذهب الجمهور خلافاً لأبي حنيفة حيث لم يشترط الترتيب بل لو غسل قدميه ثم مسح رأسه وغسل يديه

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٣٥٤. إن هذه الموسوعة الفقهية تصدر في دولة الكويت واعلم بأن أكثر من ثلث سكان هذه الدولة من الشيعة الاثنى عشرية وأنت قرأت في الصفحات السابقة، فهل رأيت أو قرأت رأي الشيعة في المسح على الرأس مثلاً، فيا حبذا لو أن هؤلاء المسؤولين عن هذه الموسوعة يضيفوا رأي الشيعة الاثنى عشرية وذلك لتتم الفائدة من هذه الموسوعة الضخمة.

ووجهه أجزأه ذلك لأن الآية أمرت بغسل هذه الأعضاء والواو لا تدل على الترتيب[1].

أعيد وأكرر.. بقول من نأخذ ورأي من نتبع؟!

يقول المتقي الهندي في كتابه كنز العمال: عن ابن عباس قال الوضوء غسلتان ومسحتان.

عن ابن عباس قال: افترض الله غسلتين ومسحتين، ألا ترى انه ذكر التيمم فجعل مكان الغسلتين مسحتين وترك المسحتين[2].

ويقول الرازي في تفسيره الكبير: اختلف الناس في مسح الرجلين وفي غسلهما فنقل القفال في تفسيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وعكرمة والشعبي وأبي جعفر محمد بن علي الباقر أن الواجب فيهما المسح وهو مذهب الإمامية من الشيعة وقال جمهور الفقهاء والمفسرين فرضهما الغسل وقال داود الأصفهاني يجب الجمع بينهما وهو قول الناصر للحق من أئمة الزيدية وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف مخير بين المسح والغسل.

حجة من قال بوجوب المسح مبني على القرائتين المشهورتين في قوله ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ فقرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر عنه بالجر وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه بالنصب، فنقول:

أما القراءة بالجر فهي تقتضي كون الأرجل معطوفة على الرؤوس، فكما وجب المسح بالرأس فكذلك بالأرجل، فإن قيل لم لا يجوز أن يقال هذا كسر على الجوار كما في قوله جحر ضب خرب وقوله كبير أناس في بجاد مزمل، قلنا: هذا باطل من وجوه:

الأول: أن الكسر على الجوار معدود في اللحن الذي قد يتحمل لأجل الضرورة في الشعر وكلام الله يجب تنزيهه عنه.

وثانيها: أن الكسر إنما يصار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس كما في قوله جحر

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ، ج١، ص٤٩١، سورة المائدة، آية٦، ط١٤١٤هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، المتوفى ٩٧٥هـ، ج٩. ص٤٣٣، ح٢٦٨٤٠ و٢٦٨٤٢، فرائض الوضوء.

ضب خرب، فإن من المعلوم بالضرورة أن الخرب لا يكون نعتاً للضب بل للجحر، وفي هذه الآية الأمن من الالتباس غير حاصل.

وثالثها: أن الكسر بالجوار إنما يكون بدون حرف العطف وأما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب.

وأما القراءة بالنصب فقد قالوا أيضاً إنها توجب المسح وذلك لأن قوله ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ فرؤوسكم في محل النصب ولكنها مجرورة بالباء، فإن عطفت الأرجل على الرؤوس جاز في الأرجل النصب عطفاً على محل الرؤوس، والجر عطفاً على الظاهر وهذا مذهب مشهور للنحاة، إذا ثبت هذا فنقول: ظهر أنه يجوز أن يكون عامل النصب في قوله ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ هو قوله ﴿وَٱمْسَحُواْ﴾ ويجوز أن يكون هو قوله ﴿فَٱغْسِلُواْ﴾ لكن العاملين إذا اجتمعا على معمول واحد كان إعمال الأقرب أولى، فوجب أن يكون عامل النصب في قوله ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ هو قوله ﴿وَٱمْسَحُواْ﴾ فثبت أن قراءة وأرجلكم بنصب اللام توجب المسح أيضاً، فهذا وجه الاستدلال بهذه الآية على وجوب المسح.

ثم قالوا: ولا يجوز دفع ذلك بالأخبار لأنها بأسرها من باب الآحاد، ونسخ القرآن بخبر الواحد لا يجوز[1].

وماذا يقول الشافعي:... لم أعلم المضمضة والاستنشاق على المتوضئ فرضاً ولم أعلم اختلافاً في أن المتوضئ لو تركهما عامداً أو ناسياً وصلى لم يعد[2].

ويقول أيضاً في مسح الرأس: قال الله تعالى: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ وكان معقولاً في الآية أن من مسح من رأسه شيئاً فقد مسح برأسه، ولم تحتمل الآية إلا هذا وهو أظهر معانيها أو مسح الرأس كله ودلت السنة على أن ليس على المرء مسح الرأس كله وإذا دلت السنة على ذلك فمعنى الآية أن من مسح شيئاً من رأسه أجزأه.

ويقول: إذا مسح الرجل بأي رأسه شاء إن كان لا شعر عليه وبأي شعر رأسه شاء

---

(١) التفسير الكبير لمحمد بن عمر بن الحسين الطبري الرازي المتوفى ٦٠٦هـ، ج١١، ص١٦٢، المسألة الثامنة والثلاثون، سورة المائدة :٦، ط٣.

(٢) كتاب الأم لمحمد بن إدريس الشافعي المتوفى ٢٠٤هـ، المجلد١، ج١، ص٢٤، كتاب الطهارة، باب المضمضة والاستنشاق، ط١٣٩٣/٢هـ، دار المعرفة، بيروت.

بإصبع واحدة أو بعض إصبع أو بطن كفه أو أمر من يمسح به أجزأه ذلك، فكذلك إن مسح نزعتيه أو إحداهما أو بعضهما أجزأه لأنه من رأسه.

ويقول: ان رسول الله ﷺ توضأ فحسر العمامة عن رأسه ومسح مقدم رأسه أو قال ناصيته بالماء[1].

ويقول مالك في الموطأ:... أن جابر بن عبدالله الأنصاري سئل عن المسح على العمامة فقال لا حتى يمسح الشعر بالماء.

عن هشام بن عروة أن أبا عروة بن الزبير كان ينزع العمامة ويمسح رأسه بالماء.

عن نافع أنه رأى صفية بنت أبي عبيد امرأة عبدالله بن عمر تنزع خمارها وتمسح على رأسها بالماء ونافع يومئذ صغير.

وسئل مالك عن المسح على العمامة والخمار فقال: لا ينبغي أن يمسح الرجل ولا المرأة على عمامة ولا خمار وليمسحا على رؤوسهما.

وسئل مالك عن رجل توضأ فنسي أن يمسح على رأسه حتى جف وضوءه قال أرى أن يمسح برأسه وإن كان قد صلى أن يعيد الصلاة[2].

نحن نعلم أن الله سبحانه وتعالى أرسل نبيه الكريم للبشرية عموماً وحمله رسالته وشريعته السمحة، فمن غير المعقول أن يكون الجميع على صواب في كيفية الوضوء مع كثرة الاختلافات والخلافات والآراء المتفرقة!

نعم.. لابد أن تكون إحدى هذه الفرق على صواب والبقية على خطأ في كيفية الوضوء، فلماذا حصل كل هذا الاختلاف، ولماذا تعددت الأقوال المتضاربة بين هؤلاء في مقدمات الصلاة التي هي عمود الدين؟! فهل للسياسة دخل في ذلك؟ وهل لليهود والنصارى نصيب من ذلك التدخل؟ وهل للأمويين نصيب الأسد كعادتهم في تغيير الحقائق؟ فهذه الصلاة التي هي عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٢٦.

(٢) الموطأ لمالك بن أنس بن مالك بن أنس الأصبحي، المتوفى ١٧٩هـ، كتاب الطهارة، باب ما جاء في المسح بالرأس، ص٣٣، ح٦٧ـ٦٩، رواية يحيى بن يحيى الليثي، ط٢، ١٣٩٧هـ، دار النفائس.

والوضوء كما ذكرنا من مقدمات هذه الصلاة (لا صلاة لمن لا وضوء له) فكيف ببقية الشعائر والمناسك والعبادات عموماً، فجميع هذه الآراء المختلفة التي مرت علينا تجعل المسلم متحيراً بأي رأي يأخذ ويصوب قول من من هؤلاء الفقهاء والصحابة!

نعم.. لقد أثبت النبي الأكرم الولاية لأهل البيت عليهم السلام وأكد على الصحابة أيضاً أن الطريق إلى الله وإلى رضوانه وجناته التمسك بالثقلين وهما كتاب الله عز وجل وعترته، وهذان الثقلان متممان لبعضهما البعض والتمسك بهما يؤدي إلى ذلك الحوض يوم القيامة، وقد ربط الرب جل وعلا بين أهل البيت وبين كتابه الكريم، فهم المفسرون له والمحافظون عليه ولكن الصحابة اختارت الثقل الأول وهو كتاب الله ورفضت الثقل الثاني وهم أهل البيت عليهم السلام، فماذا كانت النتيجة؟!

النتيجة.. ما قرأته أخي الكريم وهو الاختلاف الكثير والكبير بين الفقهاء وعلى رأس هؤلاء، الصحابة، ومنها ما مر عليك في مقدمات الصلاة وهي الوضوء!! وذلك كما ذكرنا بسبب أنهم لم يأخذوا كيفية الوضوء من منبعه الصافي الذي أمرنا النبي الأكرم باتباعهم، ومن أراد المزيد فليراجع تفسير الرازي، سورة المائدة، آية٦، فإنه قد فصل ذلك هناك.

راجع الحديث التالي.

باب وجوب غسل الرجلين

٨٠. ... عن عبدالله بن عمرو قال تخلف عنا النبيﷺ في سفر سافرناه فأدركنا وقد حضرت صلاة العصر فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى ويل للأعقاب من النار.

يقول الأستاذ الدكتور موسى لاشين في شرحه فتح المنعم: القصة... يرويها عبدالله بن عمرو بن العاص فيقول: رجعنا مع رسول اللهﷺ من مكة إلى المدينة، جمع غفير من الصحابة، وكان من تواضعهﷺ أن يترك للركب حرية التقدم عليه وسبقه بل كان يتعمد كثيراً المؤخرة رفقاً بضعافهم وإيناساً لهم واطمئناناً عليهم، فأسرع قوم وفيهم عبدالله بن عمرو وتقدموا وجاء وقت العصر وهم على غير ماء فتابعوا المسير رجاء الوصول إلى ماء حتى إذا وصلوا إليه كان وقت العصر قد ضاق وخشوا فواته فأسرعوا إلى الوضوء وهم عجال ولعجلتهم لم يسبغوا الوضوء وأدركهم رسول اللهﷺ وهم على هذه الحال نظر إليهم فإذا أرجلهم تلوح وتبدو جافة بيضاء كالحة كأنها لم يمسها الماء ولم يستوعبها الغسل فنادى رسول اللهﷺ أسبغوا الوضوء واستوعبوا الأعضاء بالغسل ولا تتساهلوا حتى في الأعقاب فما أكثر عذاب الأعقاب يوم القيامة بسبب إهمال استيعابها بالغسل عند الوضوء[1].

يقول عبدالله بن عمرو بن العاص: (فجعلنا نمسح على أرجلنا).

---

(١) ج٢، ص١٣٤، ط دار الشروق، القاهرة.

لنا ملاحظات على ذلك، منها:

نستنتج من ذلك أن المسح هو الأصل الذي عمل به الصحابة.

وإن قلنا أن الأصل في الوضوء الغسل، فإن الصحابة هنا اجتهدوا مقابل النص مع وجود النبي الأكرم معهم!!

ولماذا قام الصحابة بمخالفة أوامر الله تعالى في الغسل؟!

وهل قاموا بمخالفات أخرى وفي غير هذا الموقع طيلة حياتهم ولم ير منهم النبي تلك المخالفة كي يحذرهم من ذلك ويردعهم كما فعل هنا؟!

وهذه الصلاة التي هي عمود الدين من أسباب قبولها الإتيان بمقدماتها على الوجه الصحيح، ومن مقدماتها الوضوء.

جاء في الطيوريات: عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أول ما يسأل العبد عنه ويحاسب به صلاته فإن قبل منه قبل سائر عمله وإن ردت رد عليه سائر عمله[1].

يقول الأستاذ الدكتور لاشين: فأسرعوا ـ الصحابة ـ إلى الوضوء وهم عجال، ولعجلتهم لم يسبغوا الوضوء وأدركهم رسول الله ﷺ وهم على هذه الحال نظر إليهم فإذا أرجلهم تلوح وتبدوا جافة بيضاء كالحة.

أولاً قال الأستاذ الدكتور أن الرسول الأكرم كان قد تأخر عن الركب كما ورد في شرحه، أي أنه جاء بعد وصول الصحابة قبله وبفترة.

ثانياً: لاشك ولا ريب أن المنطقة التي كانوا فيها كانت حارة وجافة ولاشك أن بعد المسح أو الغسل يُنشف الأرجل وبسرعة وذلك من حرارة الجو كما ذكرنا، وكذلك لو فرضنا أنهم كانوا في هذه المنطقة أيام الشتاء الباردة، أيضاً الهواء البارد يجفف الأرجل، وذلك أمر طبيعي، أيا ترى ألم يحتمل النبي الأكرم هذه الاحتمالات؟!

ولمزيد من التفاصيل راجع الحديث السابق.

---

(١) الطيوريات للشيخ أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني الطيوري الحنبلي، المتوفى ٥٠٠هـ، المجلد ٢، ج٥، ص٤٧٣، ح٤١٠، ط١/١٤٢٥هـ، مكتبة أضواء السلف، الرياض، تحقيق: عباس صخر الحسن ودسمان يحيى معالي.

باب استحباب إطالة الغرة

٨١.... عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ترد علي أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنهم كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله قالوا يا نبي الله أتعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لأحد غيركم تردون علي غراً محجلين من آثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون فأقول يا رب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك.

٨٢.... عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنّا قد رأينا إخواننا قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله قال أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا كيف تعرف من لم يأتوا بعد من أمتك يا رسول الله فقال أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهرى خيل دُهم بُهم ألا يعرف خيله قالوا بلى يا رسول الله قال فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقاً سحقا.

ورد في صحيح البخاري:... عن ابن عباس قال: قام فينا النبي ﷺ يخطب فقال إنكم محشورون حُفاة عُراة غُرلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ الآية. وإن أول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم وإنه سَيُجَاء برجال من أمتي فَيُؤْخَذُ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ

شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى قوله ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ قال: فَيُقال إنهم لم يزالوا مُرتَدِّين على أعقابهم[1].

قال ابن حجر في شرحه: يقول.. عن الخطابي: لم يَرتَدَّ من الصحابة أحد وإنما ارتد قوم من جُفاة الأعراب ممن لا نصرة له في الدين وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين ويدل قوله (أصيحابي) بالتصغير على قلة عددهم[2]!

لاحظ أن أهل العامة تحاول اللعب بالألفاظ وتحاول أن تُطَبِّق الحديث على المرتدين[3] الذين قاتلهم أبو بكر بعد وفاة النبي الأكرم!

أقول للخطابي:

جاء في روايات عديدة عن النبيﷺ حيث يقول أصحابي أصحابي ومن دون تصغير للكلمة كما ذكرت ذلك، فلماذا التمسك بهذا الحديث فقط، أي أصيحابي؟!

جاء في رواية أخرى عن النبي حيث يقول (أعرفهم ويعرفوني) فأقول يا رب أصحابي أصحابي فيقول الرب جل وعلا لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سُحقاً سُحقاً لمن بَدَّلَ بعدي!

راجع صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾.

فيتبين لنا أن هؤلاء هم صحابة النبي الأكرم لا غيرهم! نعم! هؤلاء الذين تركهم النبي وفارقهم ولأن للحديث الذي نحن بصدده شواهد كما ذكرنا!

ومنها أيضاً: من أصحابي من لا أراه ولا يراني بعد أن أموت أبداً[4]!!

وفي المعجم الكبير للطبراني: عن أم سلمة... سمعت رسول اللهﷺ يقول: إن من أصحابي من لن يرني بعد أن أموت... فجاء عمر فدخل عليها فقال: أنا منهم؟ الحديث[5].

---

(١) كتاب الرقاق، باب كيف الحشر.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن حجر العسقلاني، ج١١، ص٤٥١، حديث٦٥٢٦، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر.

(٣) يدعي أهل العامة أن هؤلاء ارتدوا بعد وفاة النبيﷺ ومنهم مالك بن نويرة!

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر، المتوفى٥٧١هـ، ج٤٤، ص٣٠٧، عمر بن الخطاب، ط١/١٤١٧هـ، دار الفكر، بيروت.

(٥) لسليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى٣٦٠هـ، ج٢٣، ص٣٩٤، حديث ٩٤١، أبو وائل عن أم سلمة، ط مكتبة ابن

وقول عمر بن الخطاب ـ أنا منهم؟ ـ يؤكد أن المرتدين سيكونون من خصوص مجموعة الصحابة في ذلك العصر لا من سيأتي بعدهم!

ويقول ابن حجر: وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين[1]!

أقول وباختصار:

من الصَّحابة المشهورين الذين عنيتهم طلحة بن عبيدالله التميمي والزبير بن العوام، وهؤلاء من العشرة المبشرين بالجنة عند أهل العامة! وقد خرجوا على إمام زمانهم علي عليه السلام يوم الجمل وكانت حصيلة هذه المعركة من القتلى خمساً وعشرين ألف قتيل وفي رواية ثمانية عشر ألف قتيل!! وقد قُتل طلحة في هذه المعركة، قتله مروان بن الحكم! هو الذي رماه بسهم فقتله! وكان مُتَعَمِّداً في قتله! فماذا نقول في شأن هذا القتيل هل كان على الحق أم على الباطل وذلك في وقوفه ضد الإمام علي عليه السلام.

وأيضاً صاحبه الزبير الذي خرج من ساحة القتال بعد أن ذَكَّرَه الإمام بقول النبي الأكرم (ستقاتله وأنت له ظالم) فهل خروجه من ساحة القتال كان صواباً أم لا!

لاحظ التناقض بين عمل هذين الصحابيين! طلحة والزبير.

فإن كان وقوف طلحة في وجه الإمام صحيحاً وكان مُحِقّاً في ذلك، فلماذا خرج الزبير من ساحة الميدان؟!

وقد كان في عمله ذلك ـ أي الزبير ـ فراراً من الزحف وهذا من السبع الموبقات وقد نهى النبي الأكرم عن الفرار من الزحف، وإليك الرواية كما جاءت في البخاري:

اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا يا رسول الله ما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حَرَّمَ الله إلا بالحق وأكل الرِّبا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات[2].

فكيف نوفق بين هذه الروايات وقول أهل العامة بعدالة جميع الصحابة؟! ولماذا لم

تيمية، القاهرة.

(١) فتح الباري، ج١١، ص٤٥١، حديث٦٥٢٦.

(٢) كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾.

يشمل الارتداد هؤلاء الكبار من الصحابة؟! فإن ابن حجر وأهل العامة عموماً يقولون بعدالة الصحابة ويعتقدون بها وأنه لا يجوز الطعن في أحد منهم، فعمار بن ياسر في الجنة وكذلك قاتله في الجنة! وأيضاً عبدالرحمن بن عديس البلوي الذي بايع تحت الشجرة في الجنة وقاتله كذلك!

موازين مقلوبة وآراء وأقوال مشبوهة، كل ذلك لإخراج الصحابة من وحل التاريخ!

نعم، فقط لهذا السبب قالوا بعدم جواز سب أحد من الصحابة! لأن أغلب من يوالونهم قد غَيَّروا وبَدَّلوا وحَرَّفوا سنة النبي الأكرم! وهذا التاريخ بين أيدينا، فهم الذين كتبوا التاريخ وبأمر من يعادي أهل البيت من الحكام! كتبوا ذلك التاريخ المُحَرَّف والمزور والمُبَدِّل للحقائق، كل ذلك ونحن راضون به حَكَماً بيننا.

وإلا فكيف لا يجوز الطعن في ذي الخويصرة مثلاً؟! هذا الخارجي الذي حَذَّر منه النبي الأكرم؟! ومفهوم الصحابي عند العامة مضطرب أيضاً! فتارة يقولون من رأى النبي وأسلم ومات على الإسلام، وتارة أخرى يقولون من رآه وأقام معه سنة وغزا معه غزوة، ومنهم من يقول من صحب النبي ولو ساعة من نهار ومنهم من اشترط البلوغ في الصحابي ومنهم من قال إن الملائكة هل هم من الصحابة أم لا؟! كل ذلك الاختلاف في تعريفهم للصحابي حتى يَسُدُّوا الثغرات التي يُهاجَمون منها! فلو قلت أن الحسن عليه السلام قال كذا، قالوا لم يبلغ الحلم وتوفي النبي وكان الحسن صغيراً في العمر.

ولو قلت أن عبدالله بن أُبَي بن سلول هذا أيضاً من الصحابة، قالوا: لا لأنه كان منافقاً!

وهكذا! أي أنهم يحكمون بأهوائهم على الصحابي!

فإن كان ممن يوالي أصحابهم قالوا واستشهدوا به!

وإن كان مخالفاً لأصحابهم فيحاولون إيجاد العذر والعلة فيه وذلك بقدر استطاعتهم! وإلا فاسأل ابن حجر ماذا تعني بالصحابة المشهورين؟! أهم المبشرون بالجنة ومن على شاكلتهم أم من على سلوك ونهج الثلاثة فقط؟!

قال ابن حجر ناقلاً عن ابن التين:

يحتمل أن يكونوا منافقين أو من مرتكبي الكبائر وقيل هم قوم من جفاة الأعراب دخلوا الإسلام رغبة ورهبة[1].

قال النووي:... لم يموتوا على ظاهر ما فارقتهم عليه[2]!

نعم.. لقد ارتد الصحابة بعد وفاة الرسول الأكرم مباشرة!

قال أنس: ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا[3]! إسناده صحيح على شرط الشيخين.

نعم، لقد أصاب هؤلاء الصحابة ما أصاب الأمم الأخرى في ارتدادهم، والروايات كثيرة جداً بخصوص ارتداد الصحابة وطرقها كثيرة أيضاً.

أراد النبي من ذلك القول كما في الرواية أن يذكر الصحابة بأن الصحبة له لا تكفي لنجاتهم من نار جهنم لو أحدثوا بعده وجاؤوا بأمور مخالفة للشريعة والسنة، فأهل العامة ينزهون الصحابة ويعطونهم العصمة من حيث لا يشعرون، في حين أنهم قد سلبوها من النبي الأكرم!! وكذلك كل عمل يقوم به الصحابي ولو كان منافياً للشريعة وسنة النبي، يقومون بتأويله وتزييفه، وكذلك يغضون عن ذكر أي قدح في صحابي، ولا يقبلون الطعن في أحد منهم، وكأنهم النخبة المميزة! والقدوة الحسنة، فسواء كان قدوتك عمر بن الخطاب أو حاطب بن أبي بلتعة أو معاوية بن أبي سفيان فالجميع عندهم عدول، والأنكى من ذلك أن جميع ما يصدر من الصحابي من قول أو فعل يعتبر فتوى بحد ذاته، ولو كان هذا مناف لقول وعمل النبي كما ذكرنا.

يقول القسطلاني في شرحه إرشاد الساري: إنهم لم يزالوا مرتدين... من الأعراب الذين ارتدوا عن الإسلام على عهد أبي بكر... في خلافته، وهذا وصله الإسماعيلي ولا ريب أن من ارتد سلب الصحبة لأنها نسبة شريفة إسلامية فلا يستحقها من ارتد بعد أن

---

(١) فتح الباري، ج١١، ص٤٥١، ح٦٥٢٦.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي، الهالك ٥٤٣هـ، ص٤٩، قاصمة الظهر، ط١/١٤٢٤هـ، المطبعة العصرية، بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب. وقد رواه أيضاً ابن كثير في البداية والنهاية، ج٥، ص٢٧٤، ما أصاب المسلمين من المصيبة بوفاته ﷺ. ويقول ابن كثير: رواه الترمذي وابن ماجة.

اتصف بها[1]!!

لاحظ القسطلاني والإسماعيلي كيف يوجهون الرواية حسب أهوائهم، يريدون بذلك إخراج كثير من الصحابة من مزبلة التاريخ في ادعائهم ذلك!

أقول:

إن الادعاء بأن هؤلاء الصحابة هم من الأعراب الذين ارتدوا عن الإسلام على عهد أبي بكر لا صحة له، لأن جميع الصيغ التي نطق بها نبينا الكريم لَتؤكد على صحة قولنا لأنه صلوات الله عليه وآله قال مخاطباً الصحابة (رجال منكم) وفي رواية (أصحابي) و(ناس من أصحابي) وفي رواية (ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني) و(رجال ممن صاحبني) وفي رواية (إن من أصحابي من لا يراني) أي يوم القيامة وفي الجنة، فجميع هذه الدلالات واضحة بأن أولئك الصحابة هم ممن يعرفون النبي ويعرفهم، والشواهد على ذلك كثيرة، فكلام وشرح ابن حجر والقسطلاني ومن على شاكلتهما بأن هؤلاء الصحابة كانوا من الأجلاف الأعراب مردود، فردة بعض الصحابة كانت في زمن النبي وفي حياته أيضاً، كالرجل المسيحي الذي أسلم وكان كاتباً للنبي فارتد وقال: إن محمداً لا يعلم ماذا كنت أكتب له! هذا مضمون ما قاله ذلك المسيحي المرتد، وعندما مات لفظته الأرض كرات ومرات كما ذكر ذلك البخاري في صحيحه[2]، فهذا نموذج من الصحابة الذين ارتدوا في زمن النبي الكريم، فمحاولة شراح الحديث بالتشويش على فكر القارئ وأن الصحابة الكبار المشهورين لا يشملهم ذلك، فقولهم باطل والأدلة النقلية أيضاً تدل على أن الرسول ﷺ كان يعني بذلك ارتداد الصحابة المقربين إليه.

فهذا التاريخ بين أيدينا، وكتب التفسير والسيرة والحديث أيضاً تؤكد أن كثيراً من الصحابة ارتدوا وغيروا وبدلوا سنة النبي، ومنهم أيضاً من سن السنن التي لا ترضي الله ولا رسوله.

وقول القسطلاني ناقلاً عن الإسماعيلي (ولا ريب أن من ارتد سلب اسم الصحبة لأنها

---

(١) ج٧، ص٤٥٧، ح٣٤٤٧، كتاب بدء الخلق، أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾.

(٢) كتاب المناقب، باب علامات النبوة.

نسبة شريفة إسلامية فلا يستحقها من ارتد بعد أن اتصف بها).

أقول:

إن قول الإسماعيلي يؤيد ما ذكرناه آنفاً وأن الذين ارتدوا بعد النبي الأكرم كانوا صحابة كما قال الإسماعيلي (من ارتد سلب اسم الصحبة) أي أن مَن مِن الصحابة ارتد بعد النبي لا يجوز لنا أن نطلق عليه اسم صحابي، هذا صريح كلام الإسماعيلي!!

واقرأ معي أخي الكريم ما جاء في صحيح البخاري وكيف أن الصحابة غيروا وبدلوا سنة النبي الأكرم:

... عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فإن كان يريد أن يقطع بعثاً قطعه، أو يأمر بشيء أمر به، ثم ينصرف. قال أبو سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي، فجبذت بثوبه فجبذني، فارتفع فخطب قبل الصلاة فقلت له: غيَّرتم والله، فقال: أبا سعيد قد ذهب ما تعلم، فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة[1].

يقول ابن حجر:

قوله: فجبذته بثوبه، أي ليبدأ بالصلاة قبل الخطبة على العادة.

وقوله: فقلت له غيرتم والله... أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان[2].

أقول:

لقد ضيعوا الصلاة وزادوا فيها، وسَنُّوا التراويح التي نهى عنها النبي ﷺ، وكذلك غَيَّروا في صلاة العيدين فجعلوا الخطبة قبل الصلاة وحين قال أبو سعيد غَيَّرتُم والله كانت الإجابة الفورية من مروان: (قد ذهب ما تعلم!!) أي دع ثوبي ولا شأن لك في

---

(١) كتاب العيدين، باب الخروج إلى المصلى.

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج٢، ص٥٤٦، ح٩٥٦، كتاب العيدين، باب الخروج إلى المصلى.

ذلك!

واقرأ معي أيضاً ما يناقض عمل وفعل هذا الصحابي مروان بن الحكم:

... عن ابن عباس قال: شهدت العيد مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكلهم كانوا يصلون قبل الخطبة[1].

يقول ابن حجر: عن البراء بن عازب قال: خطبنا النبي ﷺ يوم الأضحى بعد الصلاة[2].

أقول:

نحن نأخذ بقول الرسول الأكرم وسنته وما صدر منه من عمل، ولا شأن لنا بسواه، فهؤلاء الثلاثة ليسوا ميزان عدل أو سنة لنا، فبما أن ابن عباس قال: شهدت العيد مع رسول الله ﷺ فهو كاف وشاف.

واقرأ معي أيضاً هذه الرواية لتعلم أن هؤلاء الصحابة كيف تركوا الدين والصلاة التي غيروا فيها:

... عن أنس قال: ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي ﷺ قيل الصلاة: أليس ضيَّعتم ما ضيَّعتم فيها؟!

... عن عثمان بن أبي رواد أخي عبدالعزيز قال: سمعت الزهري يقول: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضُيِّعت[3].

سبحان الله! إذا كانت الصلاة التي هي عمود الدين قد ضيعوها فكيف بالسنن؟!

يقول ابن حجر العسقلاني في شرحه:

قوله: (قيل الصلاة) أي قيل له الصلاة هي شيء مما كان على عهده ﷺ وهي باقية فكيف يصح هذا السلب العام؟

فأجاب بأنهم غيروها أيضاً بأن أخرجوها عن الوقت.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب الخطبة بعد العيد .

(٢) فتح الباري، ج٢، ص٥٥١، ح٩٦٢، كتاب العيدين، باب الخطبة بعد العيد .

(٣) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب تضييع الصلاة عن وقتها .

... ثابت البناني قال: كنا مع أنس بن مالك فأخَّر الحجاج الصلاة فقام أنس يريد أن يكلمه فنهاه إخوانه شفقة عليه منه فخرج فركب دابته فقال في مسيره ذلك والله ما أعرف شيئاً مما كنا عليه على عهد النبيﷺ إلا شهادة أن لا إله إلا الله فقال الرجل فالصلاة يا أبا حمزة! قال: قد جعلتم الظهر عن المغرب أفتلك كانت صلاة رسول اللهﷺ[1]؟!

ويقول: إطلاق أنس محمول على ما شاهده من أمراء الشام والبصرة خاصة.

أقول:

إن ابن حجر العسقلاني يكذب في ذلك محاولاً الدفاع عن الصحابة ولكن هيهات!

فالذين ضيعوا الصلاة ليسوا أمراء الشام والبصرة فقط كما يدَّعي ابن حجر، بل المسلمون جميعاً ضيعوا الصلاة من جميع جوانبها أعني بذلك تأخيرها عن وقتها، والتغيير في كيفية السجود والركوع والقراءة أيضاً، وقد حدث هذا التغيير في المدينة والكوفة، فاقرأ معي ما جاء في البخاري كتاب الأذان باب إتمام التكبير في السجود:

... عن مُطَرِّف بن عبدالله قال: صليت خلف علي بن أبي طالبرضي الله عنه أنا وعمران بن حصين فكان إذا سجد كبر، وإذا رفع رأسه كبر، وإذا نهض من الركعتين كبر، فلما قضى الصلاة أخذ بيدي عمران بن حصين فقال: قد ذكَّرني هذا صلاة محمدﷺ أو قال: لقد صلى بنا صلاة محمدﷺ...! قال ابن حجر في شرحه: فقد رواه أحمد من رواية سعيد... بلفظ صلى بنا هذا مثل صلاة رسول اللهﷺ[2]!

فكيف كانت صلاة الصحابة؟ وكيف كان ركوعهم وسجودهم؟ وهؤلاء كانوا قد صلوا ولمدة طويلة خلف النبي الأكرم، ولهذا لاحظ هذا الصحابي وتذكر صلاة رسول اللهﷺ، فهل كان الإمام هو الوحيد الذي كان يصلي الصلاة الصحيحة كما أمر الله عزوجل؟!!

ويقول أبو هريرة كما جاء في صحيح البخاري: أنه كان يصلي بهم فيُكبِّر كلما خفض ورفع، فإذا انصرف قال: إني لأشبهكم صلاة برسول اللهﷺ[3].

---

(١) فتح الباري، ج٢، ص١٧ـ١٨، حديث٥٢٩.

(٢) نفس المصدر السابق، ص١٩، ح٥٣٠.

(٣) كتاب الأذان، باب إتمام التكبير في الركوع.

ونحن نعلم أن أبا هريرة كان في المدينة وقوله هذا دليل على أن الصحابة كانوا يصلون خلاف صلاة أبي هريرة التي هي صلاة رسول الله ﷺ كما ادَّعى هذا الدوسي! فكيف كانت صلاة هؤلاء الصحابة؟! وكيف كانت صلاة من كان ساكناً في مدينة الرسول من المسلمين؟!

ألا تسأل نفسك أيها المسلم كيف كان يصلي من كان على دكة الحكم قبل الإمام علي عليه السلام وبعده؟!

وعمران بن حصين هذا يقول قد ذكرني هذا صلاة محمد، أي أن ذلك كان نسياً منسياً حتى تذكر بعد الصلاة خلف الإمام عليه السلام والرسول ﷺ يقول: صلوا كما رأيتموني أصلي[1]، فهؤلاء غيروا وبدلوا ومحوا معالم الدين وهذه الصلاة التي هي عمود الدين قد غيروها فماذا نقول في بقية العبادات والفرائض والسنن.

وأخيراً.. يقول الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه[2].

إذن.. فهؤلاء الصحابة الذين يُدَعُّون إلى النار دعاً هم من أصحاب رسول الله ﷺ وممن كان معه ورآه وأسلم على يديه وكان في وقته وزمانه!

والعامة تريد أن تؤول وتُحرِّف الحديث بأن هؤلاء الذين يؤخذون إلى النار هم من أمة محمد ﷺ ولكن الأحاديث تناقض أقوال هؤلاء وقد قرأت ما قاله الألباني بأن من أصحاب النبي الأكرم من لا يراه بعد أن (يفارقه!). أي في يوم القيامة، فتأمل ذلك.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.

(٢) ج٦، القسم الثاني، ص١٢٠٢، حديث ٢٩٨٢.

باب الاستطابة

٨٣. ... عن أبي أيوب أن النبيﷺ قال إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ببول ولا غائط ولكن شرقوا أو غربوا. قال أبو أيوب فقدمنا الشام فوجدنا مراحيض قد بنيت قبل القبلة فننحرف عنها ونستغفر الله قال نعم.

٨٤. ... عن محمد بن يحيى عن عمه واسع بن حبان قال كنت أصلي في المسجد وعبدالله بن عمر مسند ظهره إلى القبلة فلما قضيت صلاتي انصرفت إليه من شقي فقال عبدالله يقول ناس إذا قعدت للحاجة تكون لك فلا تقعد مستقبل القبلة ولا بيت المقدس قال عبدالله ولقد رقيت على ظهر بيت فرأيت رسول اللهﷺ قاعداً على لبنتين مستقبلاً بيت المقدس لحاجته.

٨٥. ... عن ابن عمر قال رقيت على بيت أختي حفصة فرأيت رسول اللهﷺ قاعداً لحاجته مستقبل الشام مستدبر القبلة.

قال الأبي في شرحه صحيح مسلم:

قوله (فننحرف عنها ونستغفر الله)... إنه إنما استغفر لباني تلك الكنف على غير الوضع المطلوب[1].

ويقول: قوله (فرأيته على لبنتين مستدبر الكعبة مستقبل بيت المقدس) قيل لعل

---

(١) إكمال إكمال المعلم، ج٢، ص٧٣، ح٢٦٤، كتاب الطهارة، باب الاستطابة.

اطلاعه بغير قصد وقيل إنه يقصد أن يعلم حكم الجلوس لقضاء الحاجة وذلك يظهر برؤية الوجه دون رؤية غيره[1].

أقول:

إن عبدالله بن عمر يقول رأيت رسول الله قاعداً على لبنتين، أي أنه رأى اللبنتين، فيكون قد رأى شخص النبي الأكرم من رأسه إلى قدميه، وشارح الحديث يقول أن ابن عمر أراد رؤية الوجه دون رؤية غيره!

رسول اللهﷺ المعروف عنه أنه كان يبالغ في التستر حال الخلاء، وهذه الروايات التي نحن بصددها تخالف ما هو المشهور عنه صلوات الله عليه وآله.

ورد في صحيح البخاري:... عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول اللهﷺ: إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولِّها ظهره، شرِّقوا أو غرِّبوا[2].

يقول أهل العامة: لا يجوز استقبال واستدبار القبلة حال التخلي في الصحراء ومن دون ساتر، أما مع وجود الساتر فقد جوزوا ذلك، هذه هي الخلاصة.

أقول:

أنت الآن في الصحراء ومن دون ساتر، تستقبل القبلة وتصلي، فاتجاهك للقبلة جائز وصحيح، وكذلك عند وجود ساتر حال الصلاة أيضاً فصلاتك واتجاهك للقبلة صحيح، فكما أن صلاتك صحيحة بوجود الساتر أو عدم وجود ذلك الساتر، فكذلك حال التخلي سواء بوجود الساتر أو عدم وجود الساتر، فأنت مستقبل القبلة في كلا الحالتين! ولا يجوز لك استقبال أو استدبار القبلة حال الخلاء، فتأمل ذلك.

يقول ابن حجر في شرحه:... لما اتفقت له رؤيته في تلك الحالة عن غير قصد أحب أن لا يخلي ذلك من فائدة، فحفظ هذا الحكم الشرعي وكأنه إنما رآه من جهة ظهره حتى ساغ له تأمل الكيفية المذكورة من غير محذور ودل ذلك على شدة حرص الصحابي

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٧٤، ح٢٦٦.

(٢) كتاب الوضوء، باب لا تستقبل القبلة بغائط أو بول.

على تتبع أحوال النبيﷺ ليتبعها[1].

وجاء في صحيح مسلم:... عن سلمان قال قال لنا المشركون إني أرى صاحبكم يعلمكم حتى يعلمكم الخراءة فقال أجل... الحديث[2].

أقول:

ماذا نفهم من الروايات وشرحها؟ فقد جال وصال الشراح ولكنهم اختلفوا آخر الأمر! فهل تستقبل القبلة عند الخلاء أو نستدبرها؟! أم نشرق أم نغرب؟! وهل نستقبل دون الاستدبار أو نستدبر دون الاستقبال؟! وهل الساتر يجب أن يكون ارتفاعه كذا مثلاً أو له حد معين لعلوه؟! وهل هذا الساتر يعفينا لاستقبال القبلة كونه جاجزاً أم لا؟!

شرقوا! غربوا! لا تستقبلوا! لا يولها ظهره! لا تستقبلوا القبلة! ولا بيت المقدس! وفي رواية: مستقبل الشام نتستر! نتعرى! تحريم الاستقبال! التفريق بين البنيان والصحراء! قال ابن المنير! قال أبو حنيفة! قال أحمد! فننحرف عنها ونستغفر الله!

بأي هذه الأقوال نأخذ؟! رحم الله علماءنا وفقهاءنا فقد أراحونا في هذه المسألة وذلك لأنهم أخذوا جواب هذه المسألة من منبعه الصافي وهو جعفر بن محمد الصادقعليه السلام ومن دون الرجوع إلى الأفرع وأطال الله أعمار فقهائنا المعاصرين، لقد اتفقت كلمتهم في هذه المسألة وأراحونا بخلاف هؤلاء الذين وضعوا عشرات الأجوبة لهذه المسألة الواحدة فجعلوا المسلم لا يعرف يمينه من شماله وبأي جواب يأخذ ويطبق.

قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة:

من لم يستقبل القبلة ولم يستدبرها في الغائط، كتب له حسنة، ومحي عنه سيئة[3].

---

(١) فتح الباري، ج١، ص٣١٢، ح١٤٥.

(٢) كتاب الطهارة، باب الاستطابة.

(٣) ج٣، ص٨٨، حديث ١٠٩٨، ط١٤١٥هـ، الرياض.

باب المسح على الخفين

٨٦. ... عن حذيفة قال كنت مع النبيﷺ فانتهى إلى سباطة قوم فبال قائماً فتنحيت فقال ادنه! فدنوت حتى قمت عند عقبيه فتوضأ فمسح على خفيه.

٨٧. ... عن أبي وائل قال كان أبو موسى يشدد في البول ويبول في قارورة ويقول إن بني إسرائيل كان إذا أصاب جلد أحدهم بول قرضه بالمقاريض، فقال حذيفة لوددت أن صاحبكم لا يشدد هذا التشديد، فلقد رأيتني أنا ورسول اللهﷺ نتماشى فأتى سباطة خلف حائط فقام كما يقوم أحدكم فبال فانتبذت منه فأشار إلي فجئت فقمت عند عقبه حتى فرغ.

قال النووي في شرحه صحيح مسلم: أما السباطة ... وهي ملقى القمامة والتراب ونحوها، تكون بفناء الدور.

ويقول: يكون ذلك في الغالب سهلاً منثاً لا يحد فيه البول ولا يرتد على البائل[1].

نعم.. يريد النووي في قوله ذلك أن من يبول واقفاً فمن الطبيعي أن يرتد البول على البائل، لذا جعل النووي مكان البول أو هذه السباطة فيها من التراب الناعم وكما قال في الغالب سهلاً منثاً لكي يتحاشى الانتقاد.

ولقد مر عليك أخي القارئ حديث ابن عمر عندما ارتقى على ظهر بيت حفصة

---

(١) المجلد ٢، ج٣، ص١٦٨، ح٢٧٣.

ورأى النبي على لبنتين مستقبلاً الشام!

فأقول لابن عمر وشراح الأحاديث السابقة التي مرت علينا:

لماذا الصعود على ظهر البيت يا ابن عمر؟ ولماذا تضع نفسك في موضع الشك والريبة لمن يراك؟ فهذا النبي الأكرم أمام الجميع وفي سكك المدينة يبول واقفاً فانظر إليه، هل هو مستقبل القبلة أو مستدبرها.

وأقول:

هل هذا العمل الذي نُسب إلى النبي الأكرم يتفق مع ما وصفه الله تعالى به ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾؟!

وهذا الذي جاء معلماً يصدر منه ما تنفر النفوس منه، ألا يتنافى ذلك مع أدب النبوة؟!

وهل يقبل صدور هذا العمل أمام مرأى من الناس من عالم من العلماء وفي زماننا هذا؟!

ثم إن هذا الحديث يناقض حديثاً روي في النسائي:

عن عائشة قالت: من حدثكم أن رسول الله ﷺ بال قائماً فلا تصدقوه ما كان يبول إلا جالساً[1].

وفي صحيح البخاري أيضاً:

... عن ابن عباس قال مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في كبير ثم قال بلى كان أحدهما لا يستتر من بوله وكان الآخر يمشي بالنميمة ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة فقيل له يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا أو إلى أن ييبسا[2].

ومما لا شك فيه أن عدم التستر والتحرز من البول وما يصيب الإنسان من ذلك البول

---

(١) سنن النسائي، لأحمد بن شعيب النسائي، المتوفى ٣٠٣هـ، المجلد١، ج١، ص٢٦، كتاب الطهارة، باب البول في البيت جالساً، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله.

يكون موجباً للعذاب، وأيضاً يجب أن نعلم أن من يبول واقفاً فمن البديهي أن ذلك البول النازل على الأرض ومن أثر وقوف الشخص ينتثر ويصيب صاحبه وينجسه كما ذكر النووي ذلك ملمحاً.

٨٨.... عن المغيرة بن شعبة قال كنت مع النبيﷺ في سفر فقال يا مغيرة خذ الإداوة فأخذتها ثم خرجت معه فانطلق رسول اللهﷺ حتى توارى عني فقضى حاجته ثم جاء وعليه جبة شامية ضيقة الكمين فذهب يخرج يده من كمها فضاقت عليه فأخرج يده من أسفلها فصببت عليه فتوضأ وضوءه للصلاة ثم مسح على خفيه ثم صلى.

٨٩.... عن المغيرة بن شعبة قال خرج رسول اللهﷺ ليقضي حاجته فلما رجع تلقيته بالإداوة فصببت عليه فغسل يديه ثم غسل وجهه ثم ذهب ليغسل ذراعيه فضاقت الجبة فأخرجهما من تحت الجبة فغسلهما ومسح رأسه ومسح على خفيه ثم صلى بنا.

٩٠.... عن عامر قال أخبرني عروة بن المغيرة عن أبيه قال كنت مع النبيﷺ ذات ليلة في مسير فقال لي أمعك ماء قلت نعم فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى في سواد الليل ثم جاء فأفرغت عليه من الإداوة فغسل وجهه وعليه جبة من صوف فلم يستطع أن يخرج ذراعيه منها حتى أخرجهما من أسفل الجبة فغسل ذراعيه ومسح برأسه ثم أهويت لأنزع خفيه فقال دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين ومسح عليهما.

باب المسح على الناصية والعمامة

٩١.... عن ابن المغيرة عن أبيه أن النبيﷺ مسح على الخفين ومقدم رأسه وعلى عمامته.

٩٢.... عن ابن المغيرة بن شعبة عن أبيه قال بكر وقد سمعت من ابن المغيرة أن النبيﷺ توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة وعلى الخفين.

قال الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه فتح المنعم: كان المسلمون منذ بزغ نور الإسلام في كفاح وجهاد... ما رجعوا من غزوة إلا وتأهبوا لغزوة، في عشر سنين خرج النبيﷺ بنفسه في سبع وعشرين غزوة وأرسل بعوثاً وسرايا بلغت ستاً وخمسين أو تزيد... ركباناً تارة ومشاة تارات لبسوا خفافاً ونعالاً تصون أقدامهم من الغوص في الرمال والتآكل فوق صخور الجبال... ومن هنا راعت الشريعة السمحة ظروفهم وقدرت قلة مائهم فرخصت لهم المسح على الخفين بدل غسل الرجلين في الوضوء يوماً وليلة للمقيم وثلاثة أيام بلياليهن للمسافر[1].

أقول:

طالما أن النبي الأكرم كان قد أدخل رجليه في الخفين طاهرتين فلماذا المسح على الخف؟!

---

(١) ج٢، ص٢٠٥.

ولماذا لا يكون المسح لأسفل الخف حيث أنه أجمع للقذارة من ظاهره؟!!

على كل حال.. إن جميع هذه الروايات جاءت على لسان المغيرة بن شعبة! ويقول ابن الأثير الجزري:

عن المغيرة بن شعبة: أن النبيﷺ مسح أعلى الخف وأسفله[1]!

ويعقب ابن الأثير الجزري فيقول: إن أبا زرعة ومحمد بن إسماعيل البخاري قالا ليس بصحيح[2] ـ أي المسح أسفل الخف ـ!

ويقول: إن المغيرة بن شعبة أول من رشى في الإسلام! أعطى يَرْفَأ حاجب عمر شيئاً حتى أدخله إلى دار عمر[3]!

ويقول: ولاه عمر البصرة ولم يزل عليها حتى شهد عليه بالزنا فعزله[4]!

ولا بأس من ذكر الشيء اليسير عن هذا الصحابي الذي اشتهر بزنّاء البصرة!

يقول ابن خلكان: وأما حديث المغيرة بن شعبة الثقفي والشهادة عليه فإن عمر بن الخطابﷺ كان قد رتب المغيرة أميراً على البصرة وكان يخرج من دار الإمارة نصف النهار وكان أبو بكرة... يلقاه فيقول: أين يذهب الأمير؟ فيقول: في حاجة. فيقول: إن الأمير يزار ولا يزور!

قالوا: وكان يذهب إلى امرأة يقال لها أم جميل بنت عمرو وزوجها الحجاج بن عتيك بن الحارث بن وهب الجشمي!

وقال ابن الكلبي في كتاب جمهرة النسب: هي أم جميل بنت الأفقم بن محجم بن أبي عمرو بن شعيثة بن الهزم وعدادهم في الأنصار...

فبينما أبو بكرة في غرفة مع إخوته وهم نافع وزياد... وشبل بن معبد والجميع

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير علي بن محمد الجزري، المتوفى٦٣٠هـ، ج٥، ص٢٣٩، ترجمة٥٠٧١، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) نفس المصدر السابق.

أولاد سمية... فهم إخوة لأم وكانت أم جميل المذكورة في غرفة أخرى قبالة هذه الغرفة فضربت الريح باب غرفة أم جميل ففتحته ونظر القوم فإذا هم بالمغيرة مع المرأة على هيئة الجماع! فقال أبو بكرة: هذه بلية قد ابتليتم بها فانظروا فنظروا حتى أثبتوا، فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة فقال له: إنه قد كان من أمرك ما قد علمت، فاعتزلنا! قال: وذهب المغيرة ليصلي بالناس الظهر! ومضى أبو بكرة فقال: لا والله لا تصلي بنا وقد فعلت ما فعلت، فقال الناس دعوه فليصل! فإنه الأمير، واكتبوا بذلك إلى عمر ﷺ، فكتبوا إليه فأمرهم أن يقدموا عليه جميعاً المغيرة والشهود، فلما قدموا عليه جلس عمر ﷺ فدعا بالشهود والمغيرة فتقدم أبو بكرة فقال له: رأيته بين فخذيها قال نعم، لكأني أنظر إلى تشريم جدري بين فخذيها، فقال له المغيرة: لقد ألطفت في النظر! فقال أبو بكرة: لم آل أن أثبت ما يخزيك الله به! فقال عمر ﷺ: لا والله حتى تشهد لقد رأيته يلجه فيها ولوج المرود في المكحلة، فقال: نعم، أشهد على ذلك، فقال: فاذهب عنك مغيرة، ذهب ربعك، ثم دعا نافعاً فقال له: علام تشهد؟ قال: على مثل شهادة أبي بكرة، قال: لا، حتى تشهد أنه ولج فيها ولوج الميل في المكحلة، قال: نعم حتى بلغ قذذه، قلت: القذذ ـ بالقاف المضمومة وبعدها ذالان معجمتان وهي ريش السهم ـ... فقال له عمر ﷺ: إذهب مغيرة، ذهب نصفك، ثم دعا الثالث فقال له: على ما تشهد؟ فقال: على مثل شهادة صاحبي، فقال له عمر ﷺ: إذهب عنك مغيرة، ذهب ثلاثة أرباعك، ثم كتب إلى زياد وكان غائباً فقدم فلما رآه جلس له في المسجد واجتمع عنده رؤوس المهاجرين والأنصار فلما رآه مقبلاً قال: إني أرى رجلاً لا يخزي الله على لسانه رجلاً من المهاجرين! ثم إن عمر... رفع رأسه إليه فقال: ما عندك يا سلح الحبارى[1]؟ فقيل: إن المغيرة قام إلى زياد فقال: لا مخبأ لعطر بعد عروس[2]... فقال له المغيرة: يا زياد اذكر الله تعالى واذكر موقف يوم القيامة فإن الله تعالى وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمي إلا أن تتجاوز إلى ما لم تر مما رأيت فلا يحملنك سوء

---

(١) سلح الحبارى: غائط الحبارى، وهو خاص بالطير والبهائم. المنجد في اللغة والأعلام.

(٢) يضرب لمن لا يدخر عنه نفيس. مجمع الأمثال لأحمد النيسابوري المتوفى٥١٨هـ، ج٢، ص٢١٢، رقم المثل ٣٤٩١، ط١٤١٢هـ، المكتبة العصرية، بيروت.

منظر رأيته على أن تتجاوز إلى ما لم تر فوالله لو كنت بين بطني وبطنها ما رأيت أن يسلك ذكري فيها، قال: فدمعت عينا زياد واحمر وجهه وقال: يا أمير المؤمنين أما إن أحق ما حق القوم فليس عندي ولكن رأيت مجلساً وسمعت نفساً حثيثاً وانتهازاً ورأيته مستبطنها، فقال عمر: رأيته يدخل كالميل في المكحلة؟ فقال: لا، وقيل: قال زياد: رأيته رافعاً رجليها فرأيت خصييه تتردد إلى بين فخذيها ورأيت حفزاً شديداً وسمعت نفساً عالياً، فقال عمر: رأيته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة؟ فقال: لا، فقال عمر...: الله أكبر! قم إليهم فاضربهم! فقام إلى أبي بكرة فضربه ثمانين وضرب الباقين، وأعجبه قول زياد ودرأ الحد عن المغيرة، فقال أبو بكرة بعد أن ضرب: أشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا، فهم عمر... أن يضربه حداً ثانياً! فقال له علي بن أبي طالب ﷺ إن ضربته فارجم صاحبك! فتركه، واستتاب عمر أبا بكرة فقال: إنما تستيبني لتقبل شهادتي، فقال: أجل، فقال: لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا، فلما ضربوا الحد قال المغيرة: الله أكبر الحمد لله الذي أخزاكم، فقال عمر... بل أخزى الله مكاناً رأوك فيه!

وذكر عمر بن شبة في كتاب أخبار البصرة أن أبا بكرة لما جلد أمرت أمه بشاة فذبحت وجعلت جلدها على ظهره فكان يقال: ما ذاك إلا من ضرب شديد، وحكى عبدالرحمن بن أبي بكرة أن أباه حلف لا يكلم زياداً ما عاش، فلما مات أبو بكرة كان قد أوصى أن لا يصلي عليه زياد وأن يصلي عليه أبو برزة الأسلمي، وكان النبي ﷺ آخى بينهما، وبلغ ذلك زياداً فخرج إلى الكوفة وحفظ المغيرة بن شعبة ذلك لزياد وشكره.

ثم إن أم جميل وافقت عمر بن الخطاب... بالموسم، والمغيرة هناك، فقال له عمر: أتعرف هذه المرأة يا مغيرة؟ قال: نعم، هذه أم كلثوم بنت علي! فقال له عمر: أتتجاهل علي؟ والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك! وما رأيتك إلا خفت أن أرمى بحجارة من السماء!

قلت: ذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في أول باب عدد الشهود في كتاب المهذب: وشهد على المغيرة ثلاثة: أبو بكرة ونافع وشبل بن معبد، وقال زياد: رأيت استاً تنبو ونفساً يعلو ورجلين كأنهما أذنا حمار ولا أدري ما وراء ذلك، فجلد عمر الثلاثة ولم يحد المغيرة!

قلت: وقد تكلم الفقهاء على قول علي ﷺ لعمر ﷺ (إن ضربته فارجم صاحبك)، فقال أبو نصر بن الصباغ... وهو صاحب كتاب «الشامل «في المذهب: يريد أن هذا القول إن كان شهادة أخرى فقد تم العدد وإن كان هو الأول فقد جلدته عليه....

وذكر عمر بن شبة في أخبار البصرة أن العباس بن عبدالمطلب ﷺ قال لعمر بن الخطاب ﷺ: إن رسول الله ﷺ أقطعني البحرين، فقال: ومن يشهد لك بذلك، قال: المغيرة بن شعبة، فأبى أن يجيز شهادته[1]!

لاحظ أخي القارئ قول عمر بن الخطاب لزياد عند قدومه عليه حين قال إني أرى رجلاً لا يخزي الله على لسانه رجلاً من المهاجرين، أي أن عمر ينبه زياد بن أبيه أن يشهد كما شهد أخوته على المغيرة بمعنى آخر: يا زياد أنا لا أريد أن أرجم المغيرة، وأرجو أن تقف معه ضد هؤلاء الشهود، فانتبه لذلك!

نعم.. هذا ما أراده عمر من زياد في قوله ذلك، ومما يؤكد جريمة زناء البصرة وعدم إجراء عمر بن الخطاب الحد عليه، ما قاله الإمام الحسن عليه السلام كما ورد في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: وأما أنت يا مغيرة... إن حد الله في الزنا لثابت عليك ولقد درأ عمر عنك حقاً الله سائله عنه، ولقد سألتَ رسول الله صلى الله عليه وآله هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها؟ فقال: لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينوِ الزنا لعلمه بأنك زان[2]!

الحاصل أن عمر بن الخطاب قام بعزل المغيرة عن البصرة وولاه الكوفة بعد ذلك! فصار مثلاً يضرب بين الناس.

يقول ابن قتيبة: كان الرجل يقول: غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة! عزله عن البصرة واستعمله على الكوفة[3]!!

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأحمد بن محمد بن خلكان، المتوفى٦٨١هـ، ج٦، ص٣٦٧، ط١٣٩٧هـ، دار صادر، بيروت.

(٢) المجلد٣، ج٦، ص٢٩٤، مفاخرة بين الحسن بن علي ورجالاً من قريش، ط١٣٧٩/١هـ، دار إحياء الكتب العربية، تحقيق: محمد أبو الفضل.

(٣) عيون الأخبار لعبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفى٢٧٦هـ، ج٢، ص٢١٧، كتاب الحرب، ذكر الأمصار، ط١٣٤٣/١هـ، القاهرة.

وقال ابن هلال الثقفي في كتابه الغارات: ذكر المغيرة بن شعبة عند علي عليه السلام وجدّه مع معاوية، فقال: وما المغيرة، إنما كان إسلامه لفجرة وغدرة[1] لمطمئنين إليه من قومه فتك بهم وركبها منهم فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كالعائذ بالإسلام، والله ما أرى أحد عليه منذ ادعى الإسلام خضوعاً ولا خشوعاً ألا وإنه كان من ثقيف فراعنة قبل يوم القيامة يجانبون الحق ويسعرون نيران الحرب ويوازرون الظالمين ألا إن ثقيفاً قوم غُدُر...[2].

يقول الواقدي في طبقاته: المغيرة بن شعبة، أبا عبدالله، وكان يقال له مغيرة الرأي، وكان داهية لا يشتجر في صدره أمراً إلا وجد في أحدهما مخرجاً....

قال المغيرة بن شعبة: كنا قوماً من العرب متمسكين بديننا ونحن سدنة اللات فأراني لو رأيت قومنا قد أسلموا ما تبعتهم، فأجمع نفر من بني مالك الوفود على المقوقس وأهدوا له هدايا، فأجمعت الخروج معهم فاستشرت عمي عروة بن مسعود فنهاني وقال ليس معك من بني أبيك أحد، فأبيت إلا الخروج فخرجت معهم وليس معهم من الأحلاف غيري، حتى دخلنا الاسكندرية فإذا المقوقس في مجلس مطل على البحر، فركبت زورقاً حتى حاذيت مجلسه فنظر إليه فأنكرني وأمر من يسألني من أنا وما أريد، فسألني المأمور فأخبرته بأمرنا وقدومنا عليه، فأمر بنا أن ننزل في الكنيسة وأجرى علينا ضيافة، ثم دعا بنا فدخلنا عليه، فنظر إلى رأس بني مالك فأدناه إليه وأجلسه معه، ثم سأله: أكل القوم من بني مالك؟ فقال: نعم إلا رجل واحد من الأحلاف، فعرفه إياي، فكنت أهون القوم عليه، ووضعوا هداياهم بين يديه، فسر بها، وأمر بقبضها وأمر لهم بجوائز، وفضل بعضهم على بعض، وقصر بي فأعطاني شيئاً قليلاً لا ذكر له، وخرجنا فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهليهم وهم مسرورون ولم يعرض علي رجل منهم مواساة وخرجوا وحملوا معهم الخمر فكانوا يشربون وأشرب معهم وتأبى نفسي تدعني ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا وما حباهم الملك ويخبرون قومي بتقصيره بي وازدراءه إياي، فأجمعت على قتلهم، فلما كنا ببساق تمارضت وعصبت رأسي فقالوا لي

---

(١) يشير إلى قصة غدره ببني مالك لما رجعوا من المقوقس وقتله لهم طمعاً في أموالهم ثم لاذ بالإسلام.

(٢) الغارات في الاستنفار والغارات لإبراهيم بن محمد بن سعيد المعروف بابن الهلال الثقفي، المتوفى ٢٨٣هـ، ص٣٥٤، فيمن انتقص علياً عليه السلام وعاداه، ط١/١٤٠٧هـ، دار الأضواء، بيروت.

مالك؟ قلت: أُصدّع، فوضعوا شرابهم، ودعوني فقلت: رأسي يصدع، ولكني أجلس فأسقيكم، فلم ينكروا شيئاً، فجلست أسقيهم وأُشرِب القدح بعد القدح، فلما دبت الكأس فيهم اشتهوا الشراب، فجعلت أصرف لهم وأنزع الكأس فيشربون ولا يدرون فأهمَدَتهم الكأس حتى ناموا ما يعقلون، فوثبت إليهم فقتلتهم جميعاً وأخذت جميع ما كان معهم فقدمت على النبيﷺ فأجده جالساً بالمسجد مع أصحابه وعلي ثياب سفري، فسلمت بسلام الإسلام، فنظر إلي أبي بكر بن أبي قحافة وكان بي عارفاً فقال ابن أخي عروة قلت نعم جئت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقال رسول اللهﷺ الحمد لله الذي هداك للإسلام فقال أبو بكر أمن مصر أقبلتم؟ قلت: نعم، قال: فما فعل المالكيون الذين كانوا معك؟ قلت: كان بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشرك فقتلتهم وأخذت أسلابهم وجئت بها إلى رسول اللهﷺ ليخمسها أو يرى فيها رأيه فإنما هي غنيمة من مشركين وأنا مسلم مصدق بمحمدﷺ، فقال رسول اللهﷺ: أما إسلامك فقبلته ولا آخذ من أموالهم شيئاً ولا أخمسه لأنه هذا غدر، والغدر لا خير فيه، قال: فأخذني ما قرب وما بعد، وقلت: يا رسول الله إنما قتلتهم وأنا على دين قومي، ثم أسلمت حين دخلت عليك الساعة، قال: فإن الإسلام يجب ما كان قبله[1].

ويقول الجزري أن المغيرة بن شعبة اعتزل الفتنة بعد قتل عثمان[2]!

هذا هو ديدن أهل العامة، ويعنون بذلك أن أيام خلافة الإمام علي عليه السلام كانت فتنة، لذا سموها بالفتنة!! وكأن أيام أبي بكر واستيلاءه على الخلافة وارتداد الناس كما يدعي أهل العامة ذلك لم تكن فتنة!

الحاصل.. قالوا وصرحوا بذلك كي يتهربوا من البيعة للإمام!

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: قال أبو جعفر ـ الإسكافي ـ: وكان المغيرة بن شعبة يلعن علياً عليه السلام لعناً صريحاً على منبر الكوفة، وكان بلغه عن علي عليه السلام في أيام عمر أنه قال: لئن رأيت المغيرة لأرجمنه بأحجاره ـ يعني واقعة الزنا بالمرأة التي

---

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد الواقدي، ج٤، ص٢٨٤، ومن ثقيف واسمه قسي بن منية بن بكر، ط١٣٧٧هـ، دار صادر، بيروت.

(٢) أسد الغابة، ج٥، ص٢٣٩، ترجمة٥٠٧١.

شهد عليه فيها أبو بكرة ونكل زياد عن الشهادة ـ فكان يبغضه لذاك ولغيره من أحوال اجتمعت في نفسه[1].

وفيه أيضاً: كان المغيرة بن شعبة صاحب دنيا يبيع دينه بالقليل النزر منها، يرضي معاوية بذكر علي بن أبي طالب عليه السلام، قال يوماً في مجلس معاوية: إن علياً لم ينكحه رسول الله ابنته حباً ولكنه أراد أن يكافئ بذلك إحسان أبي طالب إليه[2]!

ـ أبو جعفر الإسكافي قال ـ وقد صح عندنا أن المغيرة لعنه على منبر العراق مرات لا تحصى[3]!

يقول الطبري: لما حضر الموسم ـ يعني في العام الذي قتل فيه علي عليه السلام ـ كتب المغيرة بن شعبة كتاباً افتعله على لسان معاوية، فأقام للناس الحج سنة أربعين ويقال أنه عرف يوم التروية ونحر يوم عرفة! خوفاً أن يفطن بمكانه، وقد قيل: إنما فعل ذلك المغيرة لأنه بلغه أن عتبة بن أبي سفيان مصبحه والياً على الموسم، فعجل الحج من أجل ذلك[4].

يقول الشيخ التستري ناقلاً عن تاريخ الطبري: لو أن المغيرة جعل في مدينة لا يخرج من أبوابها كلها إلا بالغدر، لخرج منها[5].

هذا هو حال هذا الراوي الغادر الفاجر الذي روى لنا أحاديث في إحدى أهم مسائل الدين وهي مقدمة الصلاة الواجبة التي إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها، ولم تحمه حتى صفة الصحبة التي اتصف بها من كثرة ما استفاض من نقل الطعون والقدح الجارح عليه في حياته من قبل من عاصره من الصحابة!

فكيف بالله عليك يستحل أخذ الدين ممن كان هذا حاله؟!

---

(١) المجلد٢، ج٤، ص٦٩، فصل في ذكر الأحاديث الموضوعة في ذم علي، ط١٣٧٩هـ، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، تحقيق: محمد أبو الفضل.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٧٠.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٧١.

(٤) تاريخ الأمم والملوك المشهور بتاريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري، المتوفى٣١٠هـ، المجلد٣، ج٥، ص٨٢ـ ٨٣، ذكر بيعة الحسن بن علي، ط١٤٠٧/٢هـ، مؤسسة عز الدين، بيروت.

(٥) قاموس الرجال، للشيخ محمد تقي التستري، ج١٠، ص١٩٥، ترجمة٧٦٨٨.

باب التوقيت في المسح على الخفين

٩٣.... عبدالرزاق... عن شريح بن هانئ قال: أتيت عائشة أسالها عن المسح على الخفين فقالت: عليك بابن أبي طالب فسله فإنه كان يسافر مع رسول الله ﷺ فسألناه فقال: جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوماً وليلة للمقيم.

٩٤.... عن شريح بن هانئ قال سألت عائشة عن المسح على الخفين فقالت ائت علياً فإنه أعلم بذلك مني فأتيت علياً فذكر عن النبي ﷺ بمثله.

قال الأبي في شرحه: (عليك بابن أبي طالب)... قال ابن العربي... ومن ورع عائشة وإنصافها ﷺ إرشادها إلى الأخذ عن الأعلم، الإرشاد إلى الأخذ عنه مستحب.

ويعقب الأبي على قول ابن العربي فيقول: لا يقال فيه الإرشاد إلى الأخذ عن الأعلم إلا إذا ثبت أن لها به علماً، وإلا فالإرشاد متعين على من يسأل عما ليس له به علم[1].

قوله (ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوماً وليلة للمقيم) قلت: التوقيت أن ينزع الخف لأجل وقته بما في الحديث الشافعي وأبو حنيفة وروي عن مالك والمشهور عنه عدم التوقيت حقيقة وحده بعضهم من الحدث إلى الحدث.

قلت: قال ابن العربي: سمع مطرف مالكاً يقول: التوقيت بدعة واستبعده لصحة أحاديثه وما ذكر عن مالك من تحديده بما في الحديث هو الذي نسب إليه في كتاب

---

(١) إكمال إكمال المعلم، ج٢، ص٩٤، ح٢٧٦، باب التوقيت في المسح على الخفين من كتاب الطهارة.

السير الذي يقال أنه كتبه إلى الرشيد رخص له فيه أشياء[1]!!

ويقول الأبي: المسح على الخفين في الحضر والسفر أجازه مالك مرة ومنعه مرة، وأجازه مرة في السفر دون الحضر، ورواية المنع شاذة أنكرها أكثر أصحابه وأظن صيغتها أنه قال لا أمسح فإن كانت هكذا فهو شيء أخذ به في نفسه وإن كان لفظ الرواية يقتضي المنع فهو لأنه قدم الآية على الحديث[2].

هذه عائشة التي ما سئلت عن شيء إلا وأجابت عنه! بل وفصلت الجواب تفصيلاً دقيقاً حتى كأنه يخيل إلى السائل أنه يرى ما يسمع من دقة وتفصيل جوابها، يا ترى، ما بال عائشة هنا لم تحر جواباً عن هذا السؤال؟!

يقول الذهبي في سيره: ولا أعلم في أمة محمدﷺ بل ولا في النساء مطلقاً إمرأة أعلم منها[3]!

وقال الترمذي في سننه: عن أبي موسى قال: ما أشكل علينا اصحاب رسول اللهﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً[4].

ويقول المزي: وكانت عائشة أعلم الناس يسألها الأكابر من أصحاب رسول اللهﷺ[5].

ويقول الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء: عن ابن الضحى عن مسروق قال: قلنا له: هل كانت عائشة تحسن الفرائض؟ قال: والله لقد رأيت أصحاب محمدﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض[6].

وجاء في أعلام النساء لعمر كحالة:... إن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب كانا

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٩٥.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٨٠، ح٢٧٢، باب المسح على الخفين.

(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج٢، ص١٤٠، ترجمة١٩.

(٤) صحيح سنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي، المتوفى٢٧٩هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ج٣، ص٥٧٦، ح٣٨٨٣، ط١/١٤٢٠هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

(٥) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ليوسف المزي، ج٣٥، ص٢٣٤، ترجمة٧٨٨٥.

(٦) ج٢، ص١٨٢، ترجمة١٩.

يسألاها في مسائل فقهية عديدة[1].

واختلف في عائشة، هل كانت تكتب، فقال البلاذري: إن عائشة كانت تقرأ المصحف ولا تكتب[2].

الحاصل.. كل هذه العلوم لم تسعفها في الرد على السائل، لذا أحالت السائل إلى الذي عنده علم الأولين والآخرين، الذي قال فيه النبي الأكرم ﷺ: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب[3].

يقول الراوي أن الإمام علي عليه السلام أجاب السائل بأن النبي أجاز المسح على الخفين ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوماً وليلة للمقيم.

أقول:

لو أن الإمام كان قد قال ذلك لكانت شيعته أول من يعمل بقوله، ولكانوا يمسحون على الخفين، وكذلك لو كان الإمام قال ذلك لسمعناه وقرأناه في بطون الكتب المعتبرة على لسان أبنائه وأحفاده المعصومين عليهم السلام، ومنهم الإمام جعفر الصادق عليه السلام معلم أئمة المذاهب الأربعة.

يقول محمد جواد مغنية: أجازت المذاهب الأربعة المسح على الخفين والجوارب بدلاً عن غسل الرجلين، وقال الإمامية بعدم الجواز لقول الإمام علي: ما أبالي أمسح على الخفين أو على ظهر عير بالفلاة[4].

ثم إن لنا ملاحظة أخيرة على أحد الرواة وهو عبدالرزاق بن همام الصنعاني!

قالوا في ترجمته: ما أفسد جعفراً غيره! ـ يعني في التشيع ـ كان يتشيع ويفرط في التشيع.

وقالوا عنه أيضاً: قد روى أحاديث في الفضائل ـ لأهل البيت ـ مما لا يوافقه عليه

---

(١) أعلام النساء، ج٣، ص١٠٦، ط مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) نفس المصدر السابق، ص١٠٧.

(٣) المستدرك على الصحيحن للحاكم النيسابوري، ج٣، ص١٢٧، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه.

(٤) الفقه على المذاهب الخمسة، ص٣٧، فرائض الوضوء، الرجلان، ط١٩٧٩/٦م، دار العلم للملايين، بيروت.

أحد من الثقات، فهذا أعظم ما ذموه من روايته لهذه الأحاديث[1]!

يا سبحان الله! لماذا لم يركنوه جانباً كغيره طالما كان مفرطاً في التشيع! نعم.. كأنهم وجدوا ضالتهم في هذه الرواية المزعومة على لسان الإمام علي عليه السلام، وأنه وافقهم بالمسح على الخفين لذا أخذوا بروايته!

(١) تهذيب الكمال للمزي، ج١٨، ص٥٩_٦١، ترجمة٣٤١٥.

باب حكم ولوغ الكلب

٩٥.... عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه ثم ليغسله سبع مرار.

قال النووي في شرحه: وفي رواية (إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه ثم ليغسله سبع مرات)... ولغ الكلب في الإناء يلغ بفتح اللام ولوغاً إذا شرب بطرف لسانه... وفيه وجوب غسل نجاسة ولوغ الكلب سبع مرات... وقال أبو حنيفة: يكفي غسله ثلاث مرات... وفي رواية سبع مرات، أولاهن بالتراب... وفي رواية سبع مرات، السابعة بالتراب، وفي رواية سبع مرات وعفروه الثامنة بالتراب(١).

ويقول الأبي في شرحه إكمال إكمال المعلم:... ويستعمل الولوغ في الكلب والسباع ولا يستعمل في الآدمي... وقيل ليس شيء من الطير يلغ إلا الذباب(٢).

ويقول العثماني في شرحه:... ألحق النبي ﷺ سؤر الكلب بالنجاسات وجعله من أشدها لأن الكلب حيوان ملعون تنفر منه الملائكة وينقص اقتناءه والمخالطة معه بلا عذر من الأجر كل يوم قيراطاً، والسر في ذلك أنه يشبه الشيطان في جِبِلَّتِه، لأن ديدنه لعب وغضب وإطراح في النجاسات وإيذاء للناس ويقبل الإلهام من الشياطين، فرأى منهم صدوداً وتهاوناً ولم يكن سبيل إلى النهي بالكلية لضرورة الزرع والماشية والحراسة

(١) المجلد ٢، ج٣، ص١٨٦ و ١٨٨، ح٢٧٩.

(٢) ج٢، ص٩٩، ح٢٧٩.

والصيد، فعالج ذلك باشتراط أتم الطهارات وأوكدها وما فيها بعض الحرج ليكون بمنزلة الكفارة في الردع والمنع[1].

ويقول: قال العلامة الشعراني...: وقد أجمع أهل الكشف على أن الأكل والشرب من سؤر الكلب يورث القساوة في القلب حتى لا يصير العبد يحن إلى موعظة ولا فعل شيء من الخيرات، وقد جرب ذلك شخص من أصحابنا المالكية، فشرب من لبن شرب منه كلب فمكث تسعة أشهر وهو مقبوض القلب من كل خير حتى كاد أن يهلك، ولما كان سؤر الكلب يورث في القلب الذي عليه مدار الجسد موتاً أو ضعفاً يمنعه من قبول المواعظ التي تدخله الجنة، بالغ الشارعﷺ في الغسل من أثره سبعاً، إحداها بتراب دفعاً لذلك الأثر بالكلية، فإنه جمع فيه بين الماء والتراب الذين إذا اجتمعا أنبتا الزرع... قلت: ومن لطائف اعتبار عدد السبع في التطهير من سؤر الكلب أن الكلب الذي هو من أخس الحيوانات وأنجسها قد ألحق ذكراً بزمرة الطاهرين المتبتلين المعتكفين في جوار الله... بمصاحبة أصحاب الكهف الذين كانوا على التحقيق سبعة كما أشير إليه في القرآن العزيز.

قال الحافظ عماد الدين بن كثير...: وشملت كلبهم بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحالة وهذه فائدة صحبة الأخيار فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن ولنعم ما قال السعدي الشيرازي... بالفارسية:

سك أصحاب كهف روز جند بي نيكان كرفت ومردم شد

فكما أن مجاورة السبعة قد أثرت في نحو من تطهير الكلب كذلك يرجى تأثير هذا العدد من المياه في تطهير ما ولغ فيه....

وأما المالكية فلم يقولوا بالتتريب أصلاً مع إيجابهم التسبيع على المشهور عندهم، لأن التتريب لم يقع في رواية مالك.

قال القرافي منهم: قد صحت فيه الأحاديث، فالعجب منهم كيف لم يقولوا بها...!

---

(١) فتح الملهم مع التكملة، لشبير أحمد العثماني، ج٣، ص٤٣ـ٤٤، ح٦٤٨.

قال الزرقاني: هذا القول مدفوع بأن أحاديث التتريب شاذة وإن صحت...[1].

يقول الأستاذ الدكتور موسى لاشين: أما المالكية فيقولون بالغسل من ولوغ الكلب سبع مرات، ولا يقولون بالتتريب لأنه لم يقع في رواية مالك....

وعن مالك رواية أن الأمر بالتسبيع للندب والغسل عندهم للتعبد، لأن الكلب طاهر!

ويقول... اتفقوا على اقتناء الكلب للصيد ولحراسة الماشية ولحراسة الزرع للنص على الترخيص بها[2].

ورد في صحيح مسلم... عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب إلا كلب صيد أو كلب غنم أو ماشية، فقيل لابن عمر: إن أبا هريرة يقول: أو كلب زرع، فقال ابن عمر: إن لأبي هريرة زرعاً[3].

لاحظ أخي الكريم أن أبا هريرة كيف به يضع الحديث ويختلقه متى شاء! وإلا فإن قول ابن عمر (إن لأبي هريرة زرعاً) ما هو إلا توهين لروايته وشك في قوله، ويريد ابن عمر أن يقول: ما دام أبا هريرة أضاف على الحديث (أو كلب زرع) إذاً فإن لأبي هريرة زرعاً!

وإليك شاهد آخر بأن هذا الدوسي يضع ويختلق الحديث متى شاء وكيفما أراد:

ففي صحيح البخاري عن ابن عمر... عن النبي ﷺ قال دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض، قال وحدثنا عبيدالله عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ مثله[4].

نعم.. أدخلت هذه المرأة النار بهذه المعصية التي لا تغتفر عند أبي هريرة، وكأن الأمر يخصه! أليس هو صاحب اللقب (أبو هريرة)، وكذلك صاحب فكرة اقتناء الهر وتربيته وتدليله! فكما أنه وضع حديثاً في القطط السائبة في سكك المدينة وذلك لكسب عطف المسلمين عليها بعدم إهانتها أو ضربها، كذلك قام بوضع واختلاق حديث (أو

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٤٤ـ٤٥.

(٢) فتح المنعم، ج٢، ص٢٢٨ و ٢٣٠، ح٤٩٧، باب حكم نجاسة الكلب من كتاب الطهارة.

(٣) كتاب المساقاة، باب الأمر بقتل الكلاب.

(٤) كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق.

كلب زرع) وذلك لأن له زرعاً.

يقول القسطلاني في شرحه لحديث أبي هريرة: وهذا ما استدركته عائشة على أبي هريرة وقالت له أتدري ما كانت المرأة إن المرأة مع ما فعلت كانت كافرة! إن المؤمن أكرم على الله من أن يعذبه في هرة! فإذا حدثت عن رسول الله ﷺ فانظر كيف تحدث[1]!!

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأحمد القسطلاني، ج٧، ص٢٥٤، حديث٣٣١٨، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق.

باب حكم المني

٩٦. ... عن علقمة والأسود أن رجلاً نزل بعائشة فأصبح يغسل ثوبه فقالت عائشة إنما كان يجزئك إن رأيته أن تغسل مكانه، فإن لم تر نضحت حوله، ولقد رأيتني أفركه من ثوب رسول الله ﷺ فركاً فيصلي فيه.

باب غسل المني من الثوب

٩٧.... عن عبدالله بن شهاب الخولاني قال كنت نازلاً على عائشة فاحتلمت في ثوبي فغمستهما في الماء فرأتني جارية لعائشة فأخبرتها فبعثت إلي عائشة فقالت ما حملك على ما صنعت بثوبيك؟ قال قلت رأيت ما يرى النائم في منامه، قالت هل رأيت فيهما شيئاً؟ قلت لا قالت فلو رأيت شيئاً غسلته، لقد رأيتني وإني لأحكه من ثوب رسول الله ﷺ يابساً بظفري.

جاء في فيض الباري شرح صحيح البخاري: قال ابن العربي: وحديث عائشة رضي الله عنها بزيادة قوله (فيصلي فيه) من رواية علقمة والأسود متكلم فيه! وغمزه الدارقطني، فلم يبق إلا حديث الفرك وحده دون صلاة فيه، فلا حجة فيه...(١).

يقول الأستاذ الدكتور موسى لاشين: كانت عائشة زوج النبي ﷺ أماً للمؤمنين بحق! إليها يلجأ المؤمنون عند شدائدهم ويقصدونها في مشاكلهم ويأوون إلى دارها في أسفارهم، وكانت نعم الأم، أعدت دارها لاستقبال الفقير والمسكين والسائل وابن السبيل، أعدت داراً للضيافة، ملحقة بدارها، وأسندت خدمة الضيوف والنازلين إلى جاريتها، ونزل بساحتها عبدالله بن شهاب الخولاني، فبات ليلة، فأصبح يذكر أنه رأى في منامه ما يرى النائم، رأى في منامه أنه مع امرأة يجامعها!! وظن أنه بذلك نجس

---

(١) للشيخ محمد أنور الكشميري الحنفي، المتوفى١٣٥٢هـ، ج١، ص٥٠٤، كتاب الوضوء، باب غسل المني وفركه، ح٢٣٠، ط١/١٤٢٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد عزو عناية.

الفراش الذي نام عليه، فأخذ الفراش المكون من ثوبين وغمسهما كلهما في الماء! رأته جارية عائشة، فأخبرت بذلك أم المؤمنين، فأسفت لما فعل، وقالت: لم أفسد علينا ثوبنا، إنما كان يكفيه أن يفركه بإصبعه إن كان قد أمنى، فربما فركته من ثوب رسول الله ﷺ بأصبعي، ثم أمرت خادمتها أن تدعوه إليها فجاء ومن وراء حجاب، سلم على أم المؤمنين، فردت السلام، ثم قالت: ما حملك على ما صنعت بثوبيك؟ ولماذا غمستهما كلهما بالماء؟ قال: يا أم المؤمنين، رأيت ما يرى النائم في منامه، فأردت تطهير الثوبين. قالت له: هل رأيت فيهما بللاً؟ قالت: لو كنت رأيت بللاً لكفاك غسل مكان البلل دون غمس الثوب كله، ولو كنت رأيت يابساً لكفاك فركه بإصبعك، أما وقد اشتبه عليك الأمر ولم تعرف إن كان قد أصاب الثوب شيء أو لم يصبه، ولم تعرف مكان الإصابة إن كان قد أصاب، فقد كان يكفيك أن ترش المكان المشتبه فيه ببعض الماء، وأن تنضح المكان المظنون وحوله طرداً للوسوسة والشك، وتثبيتاً للاطمئنان، ولقد كنت أحك المني اليابس من ثوب رسول الله ﷺ بأظافري فيخرج بثوبه هذا فيصلي فيه.

ويقول: ولقد رأيتني أفركه فركاً... أي: ولقد رأيتني فاركة إياه من ثوب رسول الله ﷺ!

عن المني يصيب ثوب الرجل... وسمي المني منياً لأنه يمنى، أي يصب... وللمني صفات يتميز بها عن غيره مما يخرج من القبل.

قال النووي: فمني الرجل في حال صحته أبيض ثخين، يتدفق في خروجه دفعة بعد دفعة، ويخرج بشهوة ويتلذذ بخروجه، ثم إذا خرج يعقبه فتور، ورائحته كرائحة طلع النخل، قريبة من رائحة العجين، وإذا يبس كانت رائحته كرائحة البيض، هذه صفات، وقد يفقد بعضها مع أنه مني موجب للغسل بأن يرق ويصفر لمرض أو يخرج بغير شهوة ولا لذة لاسترخاء وعاءه أو يحمر لكثرة الجماع فيصير كماء اللحم، وربما خرج دماً عبيطاً ويكون طاهراً موجباً للغسل، وأما مني المرأة فأصفر رقيق ولا خاصية له إلا التلذذ وفتور شهوتها عقب خروجه.

أن رسول الله ﷺ كان يغسل المني من ثوبه، أي يزيله عن ثوبه بالغسل أو يغسل مكانه من الثوب... فعل ذلك بنفسه مرة تواضعاً ومشاركة.

فاحتلمت في ثوبي... واحتلم، رأى رؤيا والاحتلام الجماع في النوم... رأيت ما يرى

النائم في منامه... رؤيا الجماع، لا أي رؤيا، وهذا أدب رفيع في التعبير عما يستهجن.

هل رأيت فيهما شيئاً؟ المراد من الشيء، المني، والمعنى: هل رأيت في الثوبين بلل المني أو جرمه أو أثره؟

وقال النووي: قولها (فلو رأيت شيئاً غسلته) هو استفهام إنكار، حذفت منه الهمزة وتقديره (أكنت غاسله معتقداً وجوب غسله).

(أحكه يابساً بظفري) أي أفركه جافاً وأحكه بظفري.

ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق وداود إلى أن المني طاهر وأنه لا يفسد الماء إن وقع فيه وأن حكمه في ذلك حكم النخامة، واستدلوا بأحاديث الباب وهي تفيد الغسل تارة والفرك أخرى، فحملوا الغسل على الاستحباب للتنظيف لا على الوجوب، قالوا وبهذا يعمل بالأحاديث وبالقياس معاً، لأنه لو كان نجساً لكان القياس وجوب غسله دون الاكتفاء بفركه كالدم وغيره، وقالوا ما لا يجب غسل يابسه لا يجب غسل رطبه كالمخاط، فسقوط الغسل في يابسه يدل على طهارته كما استدلوا بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ الإسراء/٧٠ وتكريمه لا يتناسب وجعل أصله نجساً وبقوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ الفرقان/٥٤، فقد سماه ماء، وهو في الحقيقة ليس بماء، فدل على أنه أراد به التشبيه في الحكم، ومن حكم الماء أن يكون طاهراً، وقالوا إن المني أصل الأنبياء والأولياء فيجب أن يكون طاهراً!! كما استدلوا بما رواه ابن خزيمة عن عائشة رضي الله عنها كانت تسلت المني من ثوبه بعرق الإذخر، أي تمسح المني الرطب بعود من الإذخر، وهو نبت طيب الرائحة، ثم يصلي فيه وتحته من ثوبه يابساً ثم يصلي فيه، فإن هذا الحديث يتضمن ترك الغسل في الحالتين، وبما رواه أيضاً عن عائشة أنها كانت تحكه من ثوبه ﷺ.

قالوا وعلى تقدير عدم ورود شيء من ذلك فليس في حديث الغسل ما يدل على نجاسة المني، لأن غسلها فعل وهو لا يدل على الوجوب بمجرده، قاله الحافظ ابن حجر.

وذهب مالك وأبو حنيفة وآخرون إلى أن المني نجس، أما المالكية فلم يعرفوا الفرك والعمل عندهم على وجوب غسله رطباً ويابساً.

وحمل بعضهم أحاديث الفرك على الدلك بالماء، وهو مردود! برواية مسلم... وفيها (وإني لأحكه من ثوب رسول الله ﷺ بظفري) وقال بعضهم: الثوب الذي اكتفت فيه بالفرك، ثوب النوم، والثوب الذي غسلته، ثوب الصلاة، والثياب النجسة بالغائط والبول والدم لا يطهرها الفرك، ومع ذلك لا بأس بالنوم فيها ولا تجوز الصلاة فيها حتى تغسل، فالمني كذلك، وهذا القول مردود أيضاً بما جاء في مسلم... (ولقد رأيتني أفركه من ثوب رسول الله ﷺ فركاً فيصلي فيه) فهذا الحديث نص في فرك ثوب الصلاة.

قالوا يحتمل أن يكون في هذا الحديث حذف وأصله: ولقد رأيتني أفركه من ثوب رسول الله ﷺ فركاً (فأغسله) فيصلي فيه، فالفاء في (فيصلي فيه) عاطفة على محذوف.

قلنا: هذا احتمال بعيد واه، إذ الأصل في الفاء أنه للترتيب والتعقيب.

وقال بعضهم: إن أحاديث فرك ثوب الرسول ﷺ لا تدل على تطهير المني بالفرك، لاحتمال ان مني النبي ﷺ طاهر خصوصية له.

قلنا: إن الخصوصية لا تثبت بالاحتمال، ولو كان خصوصية لكانت عائشة أعلم الناس بها، ولما أنكرت على ضيفها الغسل ولما قالت عنه لجاريتها في رواية الترمذي (إنما يكفيه أن يفركه باصبعه).

قال الحافظ ابن حجر: وعن تقدير صحة كونه من الخصائص أن منيه كان عن جماع فيخالط مني المرأة، يعني إن كان منيه ﷺ طاهراً وصح فركه فكيف صح فركه حين امتزج بمني غيره!

وهذا الرد ضعيف لاحتمال أن المرأة لم تمن في هذه المرة، فالامتزاج غير ثابت، والأولى ما رددنا به أولاً.

وأما الحنفية فقد قالوا: إن المني نجس والقياس وجوب غسله مطلقاً رطباً ويابساً، ولكن خص هذا العموم بحديث الفرك يابساً، فالفرك بخصوص المني اليابس مطهر.

قال العيني مدافعاً عن الحنفية: فإن قلت مالا يجب غسل يابسه لا يجب غسل رطبه كالمخاط، قلت: لا نسلم أن القياس صحيح، لأن المخاط لا يتعلق بخروجه حدث ما أصلاً، والمني موجب لأكبر الحدثين وهو الجنابة، وهذا دفاع واه كما لا يخفى، لأن

موطن النزاع عين المني وجرمه هل هو طاهر أو نجس وليس النزاع في أثر خروجه، فقد تحدث الجنابة بالطاهر كالتقاء الختانين دون إنزال.

ودافع مرة ثانية فقال: فإن قلت سقوط الغسل في يابسه يدل على الطهارة، قلت: لا نسلم ذلك، كما في موضع الاستنجاء، وهذه مغالطة مكشوفة، لأن النزاع هل الفرك يطهر النجاسة أو لابد من غسلها؟ ولم يقل الحنفية ولا غيرهم إن الأحجار تطهر من الغائط وإنما تبيح الصلاة مع وجود أثر النجاسة، بل الغسل ساقط في الرطب في الاستنجاء بالأحجار، فالمقصود من قولهم هو سقوط الغسل في اليابس عند تطهير ما يجب تطهيره يدل على الطهارة، وسقوط الغسل عند الاستنجاء ليس عند تطهير المحل، بل عند استباحة الصلاة.

ثم دافع مرة ثالثة فقال: قياسكم المني على الدم قياس فاسد، لأنه لم يأت نص بجواز الفرك في الدم ونحوه، وإنما جاء في يابس المني على خلاف القياس، فيقتصر على مورد النص، وكان الأولى بالعيني أن يقول قياسكم قياس صحيح، لكنا ـ أهل الرأي والقياس ـ تركنا القياس هذه المرة واقتصرنا على النص.

ودافع مرة رابعة فقال: الرد على الحنفية برواية ابن خزيمة عن عائشة رضي الله عنها كانت تسلت المني من ثوبه بعرق الإذخر ثم يصلي فيه وتحته من ثوبه يابساً ثم يصلي فيه وأن هذه الرواية تدل على ترك الغسل في الحالتين، قال: هذا الرد غير صحيح وليس فيه دليل على طهارته، وقد يجوز أن يكون عليه الصلاة والسلام كان يفعل ذلك فيطهر الثوب والحال أن المني في نفسه نجس، وهذا الدفاع من العيني أوهى دفاع، إذ لم يقل الحنفية ولا قوله أن نجاسة ما رطبه أصابت ثوباً فتشربها يمكن تطهيره بمسحها بعود من نبات.

قال النووي: وقد استدل جماعة من العلماء بهذا الحديث على طهارة رطوبة فرج المرأة وفيها خلاف مشهور عندنا وعند غيرنا، والأظهر طهارتها وتعلق المحتجون بهذا الحديث بأن قالوا الاحتلام مستحيل في حق النبي ﷺ لأنه من تلاعب الشيطان بالنائم فلا يكون المني الذي على ثوبه ﷺ إلا من الجماع، ويلزم من ذلك مرور المني على موضع أصاب رطوبة الفرج، فلو كانت الرطوبة نجسة لتنجس بها المني، ولما تركه في ثوبه

ولما اكتفى بالفرك[1].

ويقول الشيخ شبير العثماني: قال العلامة القاضي أبو الوليد المالكي في البداية: اختلفوا في المني هل هو نجس أم لا، فذهبت طائفة منهم مالك وأبو حنيفة إلى أنه نجس، وذهبت طائفة إلى أنه طاهر، وبهذا قال الشافعي وأحمد وداود، وسبب اختلافهم فيه شيئان، أحدهما: اضطراب الرواية في حديث عائشة، وذلك في أن في بعضها كنت أغسل ثوب رسول الله ﷺ من المني فيخرج إلى الصلاة وإنه فيه لبقع الماء، وفي بعضها كنت أفركه من ثوب رسول الله ﷺ وفي بعضها فيصلي فيه، خرّج هذه الزيادة مسلم.

والسبب الثاني: تردد المني بين أن يشبه بالأحداث الخارجة من البدن وبين أن يشبه بخروج الفضلات الطاهرة كاللبن وغيره، فمن جمع الأحاديث كلها بأن حمل الغسل على باب النظافة واستدل من الفرك على الطهارة على أصله في أن الفرك لا يطهر نجاسة وقاسه على اللبن وغيره من الفضلات الشريفة لم يره نجساً ومن رجح حديث الغسل على الفرك وفهم منه النجاسة وكان بالأحداث عنده أشبه منه مما ليس بحدث قال إنه نجس، وكذلك أيضاً من اعتقد أن النجاسة تزول بالفرك قال الفرك يدل على نجاسته كما يدل الغسل وهو مذهب أبي حنيفة، وعلى هذا فلا حجة لأولئك في قولها فيصلي فيه، بل فيه حجة لأبي حنيفة في أن النجاسة تزال بغير الماء وهو خلاف قول المالكية.

قال الحافظ ابن حجر: ويرد ما يذهب إليه الحنفية من التفريق بين المني الرطب واليابس بالغسل والفرك ما في رواية ابن خزيمة عن عائشة: كانت تسلت المني من ثوبه بعرق الإذخر ثم يصلي فيه وتحكه من ثوبه يابساً ثم يصلي فيه فإنه يتضمن ترك الغسل في الحالتين.

قلت: هذه الرواية لم يسق الحافظ إسنادها، ولم يحكم عليها بشيء من الصحة أو الضعف، وقد وقع مثل سياق هذه الرواية في مسند أحمد من طريق عكرمة بن عمار عن عبدالله بن عبيد عن عائشة رضي الله عنها قال ابن التركماني: فيه علتان،:

إحداهما: أن ابن عمار غمزه القطان، وابن حنبل، وضعفه البخاري جداً، ذكره

---

(١) فتح المنعم، ج٢، ص٢٥٧، ح٥١٩.

البيهقي في باب مس الفرج بظهر الكف، وسكت عنه، في بباب المني يصيب الثوب، إلا أنه قال ابن التركماني في باب مس الفرج: احتج به مسلم واستشهد به البخاري، وأخرج له ابن حبان وابن خزيمة في صحيحهما، والحاكم في المستدرك، وقال ابن المديني: كان عند أصحابنا ثقة ثبتاً، وثقه وكيع والعجلي، وقال ابن معين: صدوق لا بأس به.

والعلة الثانية: عدم سماع عبدالله بن عبيد من عائشة، انتهى.

قلت: فهذا المنقطع إن كان مراده إجزاء السلت بالإذخرة في الرطب، وإن لم يقع التصريح به، والحك في اليابس: فلا يقاوم الحديث الصريح المسند عند الدارقطني والطحاوي وأبي عوانة والبزار عن عائشة قالت: كنت أفرك المني من ثوب رسول الله ﷺ إذا كان يابساً، وأغسله إذا كان رطباً، قال البزار لا نعلم أحداً أسنده غير الحميدي، وغيره يرويه عن عمرة مرسلاً.

قال النيموي: عبدالله بن الزبير الحميدي، ثقة، حافظ، إمام، وهو أحد شيوخ البخاري، فزيادته هذه تقبل جداً، لأنها ليست منافية لمن هو أوثق منه، انتهى.

والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن الحديث واحد، وسقط من بعض رواة المنقطع ذكر الغسل بعد السلت، أي كانت تسلت، ثم تغسل، ثم يصلي فيه.

فالسلت حينئذ من مبادئ الغسل، كما ثبت كون الحت والقرص من مبادئ الغسل في دم الحيض، أو يقال: إن السلت بالإذخر كان يقع في حال كون المني رطباً لتقليل النجاسة، فإذا جف دَلَك...

ومما يؤيد كون المني نجساً ما أخرجه الشيخان عن ميمونة رضي الله عنها قالت: أدنيت لرسول الله ﷺ غسله من الجنابة، فغسل كفيه مرتين أو ثلاثاً ثم أدخل يده في الإناء ثم أفرغ به على فرجه، وغسله بشماله، ثم ضرب بشماله الأرض فدلكها دلكاً شديداً، ثم توضأ وضوءه للصلاة، الحديث.

قال النيموي...: غسل اليد على وجه المبالغة بعد ما غسله من الفرج لا يدل إلا على إزالة النجاسة لا على التنظيف المجرد....

وما رواه الطحاوي عن عائشة بإسناد صحيح أنها قالت في المني إذا أصاب الثوب إذا رأيته فاغسله وإن لم تره فانضحه.

وعن أبي هريرة بإسناد صحيح: إن رأيته فاغسله وإلا فاغسل الثوب كله.

وعن جابر بن سمرة بإسناد حسن قال: صل فيه إلا أن ترى فيه شيئاً فتغسله، ولا تنضحه، فإن النضح لا يزيده إلا شراً.

وعن أنس بن مالك بإسناد صحيح: سئل عن قطيفة أصابتها جنابة لا يدري أين موضعها؟ قال: اغسلها....

أن رجلاً سأل عمر ﷺ فقال: إني احتلمت على طنفسة، فقال: إن كان رطباً فاغسله، وإن كان يابساً فاحككه، وإن خفي عليك فارششه.

والطنفسة مثلثة الطاء والفاء وبكسر الطاء وفتح الفاء، وبالعكس، واحدة طنافس، البسط، والثياب والحصير من سعف عرضه ذراع....

وأما الاكتفاء بالفرك فلا يدل على الطهارة، وإنما يدل على كيفية التطهير وعدم انحصاره في الغسل، وكذا تشبيه المني بالمخاط أو البزاق في قول ابن عباس ﷺ.

قال الشوكاني... فغاية الأمر أنه نجس خفف في تطهيره بما هو أخف من الماء، والماء لا يتعين لإزالة جميع النجاسات، وإلا لزم طهارة العذرة التي في النعل، لأن النبي ﷺ أمر بمسحها في التراب، ورتب على ذلك الصلاة فيها.

قالوا: قال ﷺ: إنما هو بمنزلة المخاط، والبزاق، والبصاق، كما في الحديث السابق.

وأجيب بأنه موقوف، كما قال البيهقي (أو يقال: إن التشبيه في عدم وجوب غسله).

قالوا: الأصل الطهارة، فلا ننتقل عنها إلا بدليل.

وأجيب: بأن التعبد بالإزالة ـ غسلاً أو مسحاً، أو فركاً، أو حتاً، أو سلتاً، أو حكاً، ثابت ولا معنى لكون الشيء نجساً إلا أنه مأمور بإزالته بما أحال عليه الشارع، فالصواب أن المني نجس يجوز تطهيره بأحد الأمور الواردة[1].

أعود لصلب الموضوع:

---

(١) فتح الملهم، ج٣، ص٦٠ـ٦٣، ح٦٦٦.

ألم يكن من الأفضل أن تجيب عائشة الرجل السائل باختصار مفيد، أي على قدر السؤال تكون الإجابة من دون ذكر التفاصيل والقصص والأمور التي دارت بينها وبين النبي الأكرم؟!

وهذا المني الذي كان على ثوب النبي مصدره من ثلاث: إما أن يكون عن احتلام، وإما أن يكون عن مداعبته لعائشة من دون جماع، وإما أن يكون عن جماع.

أما الاحتمال الأول فإن المسلم لا يعتقد به، وذلك لأن الاحتلام من الشيطان والشيطان لا سبيل له على نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما الاحتمال الثاني ـ المداعبة ـ فإن النبي الأكرم إن كان صدر منه ذلك فأقول إنه لا صبر له على النساء، مع العلم أن له من الزوجات تسعاً ونكون قد فتحنا على أنفسنا لأعداء الإسلام والمسلمين ثغرة كبيرة بحيث يسهل للعدو الدخول والتسلل من تلك الثغرة للطعن في الإسلام والمسلمين كقولهم مثلاً (نبيكم كان مزواجاً ولا صبر له على النساء)!

ونقول أيضاً:

أن عائشة روت رواية مناقضة للاحتمال الثاني، قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضاً فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله أمرها أن تتزر في فور حيضتها ثم يباشرها، قالت وأيكم يملك إربَه[1]؟

وإن كان مصدر ذلك المني من هذه المباشرة، فإنه لم يملك إربه كما ادعت عائشة ذلك!

وأما الاحتمال الثالث: فإن النبي الأكرم أجل من أن لا يراعي أمور النجاسة والنظافة حال الجماع ونحن العوام نستنكف من ذلك مع أهلنا فكيف برسول الله صلى الله عليه وآله!

يقول البغوي: اختلف أهل العلم في طهارة مني الآدمي، فذهب قوم إلى طهارته، يروى ذلك عن ابن عباس وسعد قال ابن عباس: المني بمنزلة المخاط. وذهب قوم إلى أنه

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض، وإربه: حاجته، أي كان يملك نفسه وهواه (لسان العرب لابن منظور المتوفى ٧١١هـ).

نجس يجب غسله.

وقال أصحاب الرأي: هو نجس يغسل رطبه ويفرك يابسه.

واتفقوا على نجاسة المذي والودي كالدم ويجب غسله عند عامة أهل العلم[1].

وقال شيخ النواصب في كتابه الفتاوى الكبرى: ومني الآدمي طاهر وهو ظاهر مذهب أحمد والشافعي[2]. فأهل العامة عموماً مختلفون في المني نجاسة وطهارة كاختلافهم في كيفية الوضوء وغيره كما مر عليك!!

---

(١) شرح السنة للحسين بن مسعود البغوي، المتوفى٥١٦هـ، ج٢، ص٩٠، المني الذي يصيب الثوب، ط٢/١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش.

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ج٤، ص٣٩٩، باب إزالة النجاسة، ط دار المعرفة، بيروت.

باب الدليل على نجاسة البول

٩٨.... عن ابن عباس قال مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله قال فدعا بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً ثم قال لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا.

يقول الأبي في شرحه: قوله (لا يستتر من بوله) أي لا يجعل بينه وبين بوله ستره وقيل لا يستتر عن أعين الناس ويرجع إلى ستر العورة ومعنى لا يتنزه لا يبعد من النزاهة وهي البعد عن كل شين[1].

قوله (فدعا بعسيب) العسيب من النخل كالقضيب من الشجر والرطب الأخضر[2].

يقول محمد الكشميري الحنفي في شرح فيض الباري شرح صحيح البخاري: أول ما يسأل عنه في القبر هو الطهارة لأن البرزخ مقدم على الحشر والطهارة متقدمة على الصلاة فناسب أن يسأل في أول منزل من منازل الآخرة عن شرائط الصلاة وما وضح لدي هو أنه لا دخل فيه لخصوص البول بل النجاسات كلها مؤثرة في العذاب[3].

---

(١) إكمال إكمال المعلم لمحمد بن خليفة الأبي، ج٢، ص١٢٤، ح١١١.

(٢) نفس المصدر السابق، ص١٢٥.

(٣) ج١، ص٤٨٥، ح٢١٦.

أقول:

لا شك ولا ريب أن من لا يتستر ولا يتحرز من البول وما ينتثر على رجليه أو ثيابه من البول فسوف يشمله هذا الحديث ومن يبول واقفاً فمن البديهي أن يصيبه من ذلك البول النازل على الأرض، ورد في صحيح البخاري: عن حذيفة قال أتى النبيﷺ سباطة قوم فبال قائماً ثم دعى بماء فجئته بماء فتوضأ[1].

فكيف تقبل لنفسك أيها المسلم أن تقرأ ما في صحيح البخاري ومسلم أن النبي الأكرم كان يقف ويبول وهل هذا العمل الذي نسب إلى النبي الأكرم يتفق مع من وصفه الله جل وعلا ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم:٤، ألا يتنافى ذلك مع أدب النبوة ثم هل تقبل هذا العمل وأمام مرأى من الناس من عالم وفي زماننا هذا، فكيف تقبله لنبيك الذي جاء معلماً وليس متعلماً، كيف تقبل من نبيك ما تنفر منه النفوس؟!

---

(١) كتاب الوضوء، باب البول قائماً.

باب مباشرة الحائض

٩٩.... عن عائشة قالت: كان إحدانا إذا كانت حائضاً أمرها رسول اللهﷺ فتأتزر بإزار ثم يباشرها.

١٠٠.... عن عائشة قالت: كان إحدانا إذا كانت حائضاً أمرها رسول اللهﷺ أن تأتزر في فور حيضتها ثم يباشرها، قالت وأيكم يملك إربه كما كان رسول اللهﷺ يملك إربه.

١٠١.... عن ميمونة قالت: كان رسول اللهﷺ يباشر نساءه فوق الإزار وهن حيض.

قبل الخوض في الحديث والشرح أقول: لماذا وضعوا للبيوت أسواراً وأبواباً وسواتر؟

نعم، وضعوا كل ذلك للحفظ والستر، إذاً لماذا مع وجود هذه السواتر نفشي أسرارنا ونخرج ما كان داخل السور مصاناً ومحفوظاً وننشره خارج السور على الملأ؟ هذا ما أردت أن أنبه القارئ عليه!!

يقول الأبي في شرحه إكمال إكمال المعلم:

قوله (كانت إحدانا) أي الواحدة من زوجاتهﷺ.

قوله (يباشرها) يحتمل أن يعني بالمباشرة المجاسة بالجسد لأن إصابة ما تحت الإزار

يمنعها العلماء[1].

(فور حيضتها) فور الحيض، معظم صبه من فار الشيء إذا جاش واندفع.

قوله (إربه)... اسماً للعضو والحاجة... فالمعنى أيكم يملك نفسه عن الوقوع في المحرم[2].

ويقول النووي في شرحه:

واعلم أن تحريم الوطء والمباشرة على قول من يحرمهما يكون في مدة الحيض وبعد انقطاعه إلى أن تغتسل أو تتيمم ان عدمت الماء بشرطه هذا مذهبنا ومذهب مالك وأحمد وجماهير السلف والخلف.

وقال أبو حنيفة: إذا انقطع الدم لأكثر الحيض حل وطؤها في الحال[3].

وقال النووي أيضاً: أن مباشرة الحائض أقسام: أحدها يباشرها بالجماع في الفرج، فهذا حرام بإجماع المسلمين بنص القرآن العزيز والسنة الصحيحة... ولو اعتقد مسلم حل جماع الحائض في فرجها صار كافراً مرتداً.

القسم الثاني: المباشرة فيما فوق السرة وتحت الركبة بالذكر أو بالقبلة والمعانقة أو اللمس... وهو حلال باتفاق العلماء.

القسم الثالث: المباشرة فيما بين السرة والركبة في غير القبل والدبر، وفيها ثلاثة أوجه لأصحابنا أصحها... وأشهرها أنها حرام[4].

أقول:

ألم يكن باستطاعة النبي الصبر ولو لليلة واحدة وغداً سيكون عند زوجة أخرى؟! فمن باستطاعته أن يملك إربه فالأولى به الصبر.

أليس من المحتمل أن المسلم عندما يفعل ذلك مع زوجته لا يستطيع أن يملك إربه

---

(١) ج٢، ص١٢٧، ح٢٩٣.

(٢) نفس المصدر السابق، ص١٣٢.

(٣) المجلد٢، ج٣، ص٢١٠، ح٢٩٤.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي، ج٣، ص٢٠٩، ح ١، كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض فوق الإزار.

فيقع في المحظور والحرام، فطالما أن النبي الأكرم فعل ذلك فالمسلم أيضاً يريد أن يقتدي برسول الله ﷺ!!

وأضيف أيضاً:

إن كل ما يجري بين الزوج وزوجته يجب أن لا يخرج عن إطار الأسرة أو خارج البيت! وبالخصوص ما يجري بين الزوجين من الأمور التي أحلها الله تعالى لعباده ولو كانت عائشة تريد أن تبين حكماً شرعياً فما الداعي لذكر التفاصيل!!

ثم ألم يكن باستطاعته صلوات الله عليه تغيير ليلة هذه الزوجة بتلك؟!

وعندما كانت عائشة تفصل وتشرح ما جرى بينها وبين النبي أليس من المحتمل أن السامع سيتخيل الموقف ويترجمه في عقله كأنه يراه؟!! هذا إن كان السامع ممن في قلوبهم مرض وهم كثر.

واعلم أن مباشرة الحائض تقيم لنا الشخص وأنه رجل يحب الجنس ويكون تابعاً لهواه وضعيفاً أمام شهواته!!

بعد كل هذا أيعقل أن يصدر ذلك الفعل من الرسول الأكرم مع عائشة؟!

وإن كان قد صدر منه ذلك فهل يسمح الرسول أن يروى عنه وينقل للآخرين؟!

هذا على فرض أن تلك الروايات صحيحة، هذا بالإضافة إلى أن من يفعل ذلك ويمسك نفسه فإنه سوف يضر بذلك مسالكه البولية وسيتكون لديه الاحتقان مع العلم أن للرسول الأكرم تسع زوجات، واعلم بأن الرجل العادي يأنف من مباشرة الحائض فكيف بالنبي الأكرم؟!

أعيد وأكرر: لو سلمنا بأن هذه الروايات صحيحة! فعلينا أن ننسف قول علماء ومؤرخي ومحدثي المسلمين بأن النبي تزوج من النساء الكثير وأن الزواج منهن كان لأسباب إنسانية بحتة والدليل على ذلك أنه لم يتزوج إلا الأرامل والمطلقات، فقولهم ذلك مردود.

فلو سلمنا الأمر للروايات التي مرت علينا فيجب أن لا نقبل بقول العلماء.

قد يقول قائل أنها ـ أي عائشة ـ أرادت بذلك أن تبين حكماً شرعياً أو مسألة فقهية.

اعلم أخي القارئ بأنه ليست كل الأحكام الشرعية يجب بيانها وإيضاحها بالشواهد، بل يجب أن تكون الإجابة على قدر السؤال، ونحن نتساءل أين الصحابة أين أبو بكر وعمر!

باب الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد

١٠٢. ... داود بن عبدالرحمن المكي عن منصور عن أمه عن عائشة أنها قالت كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائض فيقرأ القرآن.

أنا أعلم وعندي اليقين بأن من يقرأ القرآن في مكان عبادته ومصلاه وموضع سجوده مستقبلاً القبلة الشريفة أفضل من القراءة على هذه الحالة المذكورة في الرواية.

من رواة هذه الرواية داود بن عبدالرحمن العطار المكي وقد نقل مغلطاي أن الحاكم وابن حجر قالا بأن يحيى بن معين ضعفه[١].

ومن الرواة أيضاً منصور بن عبدالرحمن بن طلحة الحجبي.

قال ابن حزم: ليس بالقوي[٢].

وقد ضعفه ابن حزم في مورد آخر[٣].

راجع ما قبله.

---

(١) تهذيب الكمال للمزي، ج٨، ص٤١٥، ترجمة١٧٧١.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ج١٠، ص٢٧٧، ترجمة ٧٢٢٢، ط١/١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) تحرير تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ج٣، ص٤١٩، ترجمة٦٩٠٤، ط١/١٤١٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق الدكتور: بشار عواد معروف، والشيخ شعيب الأرنؤوط.

باب المذي

١٠٣.... عن علي قال كنت رجلاً مذاء وكنت أستحي أن أسأل النبيﷺ لمكان ابنته فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال يغسل ذكره ويتوضأ.

نستنتج من هذه الرواية عدة أمور:

أولاً: يريد الراوي أن يبين جهل الإمام عليعليه السلام في مسألة شرعية.

ثانياً: يريد الراوي أن يؤكد رواية خطبة الإمامعليه السلام من ابنة أبي جهل، وذلك لأن من يكون مذاءً فلا صبر له عن النساء.

ثالثاً: يحاول العامة أن يبينوا لنا أن الإمام عليعليه السلام قد آذى فاطمة بتلك الخطبة، أي خطبة ابنة أبي جهل، ومن آذى فاطمةعليها السلام فقد آذى رسول اللهﷺ.

رابعاً: محاولة القول بجهل الإمام بالأحكام الشرعية وتكذيب الأحاديث المروية في علم الإمام، منها:

حديث علمني رسول الله ألف باب يفتح لي من كل باب ألف باب.

وأيضاً قول الإمامعليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني.

وكذلك لو لا علي لهلك عمر.

ومسألة جهل الإمام بالحكم الشرعي في المذي يجرنا إلى حذف كثير من الأحاديث السابقة، وكما يقول المثل: فاقد الشيء لا يعطيه، فإن كان الإمام يجهل هذه المسألة

فكيف به يقول علمني رسول الله ألف باب؟ ثم لماذا يخجل الإمام من السؤال طالما المسألة لبيان حكم شرعي؟

فتأمل أخي المسلم وانتبه فالعامة تريد أن تروج هذه الرواية كي يطعنوا في أحاديث وروايات كثيرة مروية في علم الإمام علي عليه السلام وسوف يجرنا قبول هذه الرواية إلى كثير من الأمور التي لا نهاية لها.

باب جواز نوم الجنب

١٠٤. حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني حدثنا مسكين يعني ابن بكير الحذاء عن شعبة عن هشام بن زيد عن أنس أن النبيﷺ كان يطوف على نساءه بغسل واحد.

من رواة هذه الرواية مسكين بن بكير الحراني أبو عبدالرحمن الحذاء.

يقول المزي في كتابه تهذيب الكمال:

قال أبو داود سمعت أحمد يقول: لا بأس به، ولكن في حديثه خطأ[١].

وذكره العقيلي في الضعفاء[٢].

وقال الذهبي في الميزان:

قال أبو أحمد الحاكم: له مناكير كثيرة[٣].

يقول الأستاذ الدكتور موسى لاشين في شرحه فتح المنعم: (كان يطوف على نسائه

---

(١) ج٢٧، ص٤٨٦، ترجمة٥٩١٥.

(٢) كتاب الضعفاء لمحمد بن عمرو بن موسى العقيلي المتوفى ٣٢٢هـ، ج٤، ص١٣٦٦، ترجمة١٨١٦، ط١/١٤٢٠هـ، دار الصميعي، السعودية.

(٣) ميزان الاعتدال لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ، ج٤، ص١٠١، ترجمة٨٤٧٩، ط مطبعة البابلي، تحقيق: علي محمد البجاوي.

بغسل واحد) كناية عن جماعهن[1].

يقول ابن حجر العسقلاني في شرحه: وفي الحديث من الفوائد... ما أعطي النبيﷺ من القوة على الجماع وهو دليل على كمال البنية وصحة الذكورية والحكمة في كثرة أزواجه أن الأحكام التي ليست ظاهرة يطلعن عليها فينقلنها وقد جاء عن عائشة من ذلك الكثير الطيب ومن ثم فضلها بعضهم على الباقيات[2]!

أقول:

هل كان هم النبي الأكرم في الدنيا (الجنس) وهل كانت مكشوفة للجميع إلى درجة أن أنس بن مالك علم بذلك؟!

إن علم أنس بذلك له ثلاث طرق:

أولاً: أن النبي الأكرم أخبره بذلك.

ثانياً: أن يكون قد سمعه من عائشة مثلاً، وتلك مصيبة.

ثالثاً: أن يكون أنس قد اطلع على النبي الأكرم فكان يراه يخرج من هذه الحجرة ويدخل تلك الحجرة، أي أنه كان يتجسس على النبي الأكرم، وإلا فمن أين علم أنس بذلك؟

وإفشاء السر وفضح النبي الأكرم مناف للأدب والمروءة، وأيضاً ما تلك الغريزة الجامحة للنبي الأكرم؟!

وكيف لإنسان أن يطوف على تسع نسوة فيجامعهن في ليلة واحدة؟! وهل يليق هذا بخاتم الأنبياء؟!

وكيف يجامع النبي نساءه من غير غسل! ـ أي أنه كان يجامعهن في غسل واحد! ـ.

وجاء كراهة ذلك في الشرع، وهل كثرة الجماع معناه القوة، أي أن النبي أعطي من القوة ما لم يعط غيره من البشر! كما ادعى ذلك ابن حجر. ألا يحتمل أن يكون هذا تبرير للخلفاء الذين تمادوا في شهواتهم فاقتنوا آلاف الجواري؟!!

---

(١) ج٢، ص٢٩٥، ح٥٥٠.

(٢) فتح الباري، ج١، ص٤٧٣، حديث ٢٦٨، كتاب الغسل، باب إذا جامع ثم عاد.

وجاء في صحيح البخاري باب إذا جامع ثم عاد من كتاب الغسل: ... كان النبيﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة، قال قلت لأنس: أو كان يطيقه؟! قال كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين!

يقول إسماعيل الكردي: ان الرواي قد استخدم في روايته الفعل المضارع فقال (كان يدور) ـ أو يطوف كما في الرواية ـ مما يفيد التكرار، أي أن هذا كان للنبي عادة مستمرة[1]!!

(١) دراسة نقدية نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث، دراسة تطبيقية على بعض أحاديث الصحيحين، ص٢٣٨، ط١/٢٠٠٢م، دار الأوائل، دمشق.

باب القدر المستحب من الماء

١٠٥.... عن أبي سلمة بن عبدالرحمن قال دخلت على عائشة أنا وأخوها من الرضاعة فسألها عن غسل النبيﷺ من الجنابة فدعت بإناء قدر الصاع فاغتسلت وبيننا وبينها ستر وأفرغت على رأسها ثلاثاً قال وكان أزواج النبيﷺ يأخذن من رؤوسهن حتى تكون كالوفرة.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه فتح المنعم:

(عن أبي سلمة بن عبدالرحمن قال دخلت على عائشة أنا وأخوها من الرضاعة)... أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف ابن أخت عائشة من الرضاعة، أرضعته أم كلثوم بنت أبي بكر.

أما الرجل الآخر آخو عائشة من الرضاع فقد قال النووي إن اسمه عبدالله بن يزيد.

قال الحافظ بن حجر: لم يتعين عندي أنه المراد هنا لأن لها آخاً آخر من الرضاعة وهو كثير بن عبيد رضيع عائشة ويحتمل غيرهما!!

(فسألها عن غسل النبيﷺ من الجنابة)... أي سألها عن كيفية ومقدار مائه[1].

إلى هنا ويقف الشارح عن شرح بقية الحديث وكأنه لم يستسغ كيفية غسل عائشة أمام السائلين، لذا تراه في الشرح قد انتقل إلى الحديث الآخر، راجع إن شئت ذلك

---

(١) ج٢، ص٣٢٦، ح٥٦٩.

لترى صدق قولنا فيما ذكرناه.

أقول: ألم يكن من الأولى أن تجيب عائشة على قدر السؤال (شفهياً) بدلاً من الإجابة (عملياً) وقد قرأت أخي الكريم ما ذكره ابن حجر في إخوة عائشة من الرضاعة، فطالما أن لعائشة أخوة كثيرين من الرضاعة فأقول احتمال الاختلاف فيمن دخل عليها وارد.

يقول القاضي عياض: ظاهره أنهما رأيا عملها في رأسها وأعالي جسدها مما يحل نظره للمحرم لأنها خالة أبي سلمة من الرضاعة، أرضعته أختها أم كلثوم، وإنما سترت أسافل بدنها مما لا يحل للمحرم النظر إليه[1].

أقول: جاء في الحديث (وبيننا وبينها ستر) فكيف رأوا كيفية الغسل طالما هناك ساتر؟!

وعلى أقل التقادير يمكننا القول بأنهم لم يروا كيفية الغسل بتمامه طالما أنهم رأوا أعالي جسدها فقط، وذلك لأنهم لم يروا أسافل بدنها وكيفية جريان الماء حتى الانتهاء بأصابع القدمين مثلاً.

أعيد وأكرر.. الإجابة على السؤال شفهياً أولى من الإجابة عملياً، ونحن نعلم أن من البديهي أن المرأة تعلم المرأة أو البنت أما الرجل فيعلم الرجل أو الصبي وخصوصاً كيفية الغسل من الجنابة أو الحيض أو النفاس أو ما أشبه، وهذا هو المتعارف.

١٠٦.... قالت عائشة كان رسول اللهﷺ إذا اغتسل بدأ بيمينه فصب عليها من الماء فغسلها ثم صب الماء على الأذى الذي به بيمينه وغسل عنه بشماله حتى إذا فرغ من ذلك صب على رأسه قالت عائشة كنت أغتسل أنا ورسول اللهﷺ من إناء واحد ونحن جنبان.

١٠٧.... عن حفصة بنت عبدالرحمن بن أبي بكر وكانت تحت المنذر بن الزبير أن عائشة أخبرتها أنها كانت تغتسل هي والنبيﷺ في إناء واحد يسع ثلاثة أمداد أو قريباً من ذلك.

١٠٨.... عن عائشة قالت كنت أغتسل أنا ورسول اللهﷺ من إناء بيني وبينه واحد فيبادرني

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج١، ص٤٥٦، ح٢٥١.

حتى أقول دع لي دع لي قالت وهما جنبان.

يقول الأستاذ الدكتور موسى لاشين في شرحه فتح المنعم:

... كان من الضروري أن نأخذ شطر الدين عن أمهات المؤمنين وإلا فكيف كنا نصل إلى وصف غسل النبيﷺ مع أزواجه وكيف كنا نصل إلى اختلاف الأحوال في كيفية الماء الذي يغتسل به.

بالله عليك أخي القارئ.. أيعقل أن ما تقرأه صادر من قلم أستاذ ودكتور؟!

يقول ويدعي أنه كيف نصل إلى وصف غسل النبي الأكرم وكان من الضروري أن نأخذ شطر الدين عن عائشة كما جاء في جميع الروايات التي نحن بصددها عنها هي فقط.

أقول:

يجب أن نأخذ معالم ديننا من النبي الأكرم مباشرة وهو الأفضل والمصان من التحريف والزيادة والنقصان كما حدث في الكثير الكثير من الروايات بعد رحيل النبي إلى الملأ الأعلى أو من صحابي ثقة ضابط عدل، ولنقرأ ما يقول الأستاذ الدكتور لاشين ولكن قبل قراءة السطور القادمة عليك أن تضع أعصابك في مكان بارد خوفاً من أن تنفجر بعض أوردتك وشراييناك!! يقول:

كان يغتسل هو والواحدة من أمهات المؤمنين من إناء واحد، يوضع بينهما، وقد خلعا جميع ثيابهما يتسابقان في الاغتراف منه ويتبادلان النظرات والابتسامات والأنس والمداعبات تختلف أيديهما في الإناء...!!

ويقول أيضاً: إنه البيت السعيد والزوجية المثالية والمودة والمحبة والأنس... والتودد والملاحظة حتى بعد قضاء الوطر والشهوة...[1]! اقرأ أخي الكريم لهذا الشارح واقطب حاجبيك إلى أم رأسك.

أقول أيضاً:

ان هذه الأمور أمور وأسرار عائلية، ولا يجب أن تخرج خارج نطاق وحدود المنزل

---

(١) ج٢، ص٣٢٥، ح٥٧٠ و٥٧٢ و٥٧٣.

أو غرفة الزوجية، وعائشة كشفت سر النبي لهذه وتلك وذاك!!

أعيد وأكرر..

لماذا تذكر عائشة التفاصيل الدقيقة والجزئيات الصغيرة؟!

نعم.. فصراحة عائشة وجرأتها على الله ورسوله قد أدت إلى فضح النبي في قولها ذلك حتى تجرأ هذا الأستاذ الدكتور (!) موسى لاشين فقام بخلع جميع ملابس النبي وعائشة وهما جالسان أمام بعضهما البعض في قوله (وقد خلعا جميع ثيابهما) نعم.. لقد تجرأ فتجاسر في قوله وشرحه كما ذكرنا آنفاً والسبب الرئيسي في ذلك عائشة!!

واعلم أخي الكريم أن هذه الروايات جاءت على لسان عائشة ولكن الأستاذ الدكتور لاشين يريد أن يشرك زوجات النبي الأخريات معها وذلك في قوله (كان يغتسل هو والواحدة من أمهات المؤمنين من إناء واحد) فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض

١٠٩.... عن عائشة قالت سألت امرأة النبيﷺ كيف تغتسل من حيضتها قال فذكرت أنه علمها كيف تغتسل ثم تأخذ فرصة من مسك فتطهر بها قالت كيف أتطهر بها قال تطهري بها سبحان الله واستتر وأشار لنا سفيان بن عيينة بيده على وجهه قال قالت عائشة واجتذبتها إلي وعرفت ما أراد النبيﷺ فقلت تتبعي بها أثر الدم وقال ابن أبي عمر في روايته فقلت تتبعي بها آثار الدم.

لاحظ أخي الكريم أن هذه المسائلة وهي أسماء الأنصارية لم يمنعها الحياء الذي جبلت عليه المرأة من أن تسأل النبي الأكرم عن أخص شؤونها وبأدق تفاصيلها فتعجبت بعد إجابة الرسول الأعظم على سؤالها وقالت كيف أتطهر بقطعة القطن الممسكة والنبي الأكرم كان يعني بذلك (ادلكي بها داخل فرجك) ولكن حياءه الشديد دعاه للإيماء والإشارة إلى ذلك وقال تطهري بها ولكنها لم تفهم بالإشارة لذا تدخلت عائشة فجذبت أسماء وأسرت إليها وفهمتها ما عناه النبي الأكرم[1].

نعم هذا حياء النبيﷺ، هذا الذي أدبه ربه وعلمه فأحسن تأديبه وتعليمه.

جاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري قال كان النبيﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه[2].

---

(١) فتح المنعم لموسى لاشين، ج٢، ص٣٤٠، ح ٥٨٩، بتصرف.

(٢) كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب.

وفي مسلم عن عائشة زوج النبيﷺ قالت إن رجلاً سأل الرسولﷺ عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل وعائشة جالسه فقال رسول اللهﷺ إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل[1].

يجامع أهله ثم يكسل، قال النووي... أكسل الرجل في جماعه إذا ضعف عن الإنزال[2].

وقال النووي: (إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل) فيه جواز ذكر مثل هذا بحضرة الزوجة إذا ترتبت عليه مصلحة ولم يحصل به أذى وإنما قال النبيﷺ بهذه العبارة ليكون أوقع في نفسه وفيه أن فعلهﷺ للوجوب ولولا ذلك لم يحصل جواب السائل[3].

أقول:

إن المصيبة أن السائل كان رجلاً وعائشة جالسة ترى وتسمع ذلك، والنبي الأكرم أشار إليها ـ إني لأفعل ذلك أنا وهذه ـ !

فبأي الروايات نأخذ؟ حياء النبيﷺ، أم إجابته للسائل أمام عائشة؟!

وكيف نوفق بين هذه الروايات المتضاربة؟!!

إن كان هذا صحيحاً، ألم يكن على الرسول الأكرم أن يجيب السائل بـ (نعم عليهما الغسل) فقط؟! ومن دون أن يذكر ما يفعله مع عائشة؟! فأين حياء الرسول والقول بأنه أشد حياءً من العذراء في خدرها؟!

إن روايات العامة جعلت المسلمين لا يعرفون الصحيح من السقيم في الصحيح الذي نحن بصدده وهو إلى التصحيح أحوج.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب نسخ الماء من الماء.

(٢) فتح المنعم لموسى لاشين، ج٢، ص٣٧٧، حديث٦٢٦.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي، المجلد ٢، ج٤، ص٢٨٢، ح٣٥٠، كتاب الحيض، باب نسخ الماء من الماء.

باب تستر المغتسل

١١٠.....عن أبي النضر أن أبا مرة مولى أم هانئ بنت أبي طالب أخبره أنه سمع أم هانئ بنت أبي طالب تقول ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب.

١١١..... عن سعيد بن أبي هند أن أبا مرة مولى عقيل حدثه أن أم هانئ بنت أبي طالب حدثته أنه لما كان عام الفتح أتت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة قام رسول الله ﷺ إلى غسله فسترت عليه فاطمة ثم أخذ ثوبه فالتحف به ثم صلى ثمان ركعات سبحة الضحى.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه فتح المنعم:

جاءته أم هانئ يوم الفتح في خيمته فوجدته يغتسل وقد أقام ساتراً تمسك به فاطمة ابنته فسلمت عليه فرد السلام... قال مرحباً بأم هانئ فلما فرغ من غسله التحف في ثوبه ثم صلى ثمان ركعات... فلما انصرف من صلاته قالت يا رسول الله أتاني يوم الفتح حموان لي فأجرتهما فجاء ابن أبي وأمي تقصد علياً بن أبي طالب يريد قتلهما (كانت زوجة لهبيرة وكان له أولاد من غيرها منهم ولدان قاتلا خالدا ولم يقبلا الأمان ولا إلقاء السلاح فلما تم دخول مكة لجآ إلى أم هانئ يستجيران بها وذهب خلفهما أخوها علي يريد قتلهما فذهبت إلى رسول الله ﷺ فقال لها رسول الله ﷺ قد أجرنا من أجرت وأمنا

من أمنت يا أم هانئ[1].

أقول:

لماذا لم تكن إحدى زوجات النبي الأكرم تمسك بذلك الثوب وتستره؟

لماذا فاطمة عليها السلام هي التي كانت تقوم بشؤون أبيها؟

وهل صدق أبو هريرة في قوله لعائشة كما جاء في الرواية:

قالت عائشة لأبي هريرة: إنك لتحدث عن النبي صلى الله عليه وآله حديث سمعته منه فقال أبو هريرة: يا أمه! طلبتها وشغلتك عنها المرآة والمكحلة وما كان يشغلني عنها شيء[2].

وسوف نوافيك بالمزيد على صدق قولنا بأن فاطمة عليها السلام هي التي كانت تقوم بشؤون أبيها الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فابق معنا.

---

(١) ج٢، ص٣٦١، ح٦٠٦.

(٢) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد الواقدي، ج٢، ص٢٤، أبو هريرة، ط دار الفكر.

باب جواز الاغتسال عرياناً

١١٢.... معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها وقال رسول الله ﷺ كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوأة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمح موسى بإثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوأة موسى قالوا والله ما بموسى من بأس فقام الحجر حتى نظر إليه قال فأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً قال أبو هريرة والله إنه بالحجر ندب ستة أو سبعة ضرب موسى بالحجر.

يقول العثماني في شرحه فتح الملهم: قوله (يغتسلون عراة) إن كان التعري جائزاً في شريعتهم فتستر موسى عليه السلام تنزه وكرم وأخلاق وإن لم يكن من شريعتهم فتعريهم تساهل كما يتساهل فيه عندنا كثير.

قوله (ينظر بعضهم إلى سوأة بعض) السوءة هي العورة، سميت بذلك لأنه يسوء صاحبها كشفها.

قوله (إلا أنه آدر)... الأدرة نفخة في الخصية.

قوله (فوضع ثوبه على حجر)... قال الحافظ وظاهره أنه دخل الماء عرياناً.

قوله (ففر الحجر) بحياة وإدراك خلقهما الله عز وجل له... وفيه خرق العادة للأنبياء عليهم السلام.

قوله (فجمع موسى) أي جرى أشد الجري.

قوله (ثوبي حجر)... أي أعطني ثوبي أو رد ثوبي.

قوله (حتى نظرت بنو إسرائيل) الظاهر أنهم رأوا جسده وبه يتم الاستدلال على جواز النظر عند الضرورة....

قوله (ما بموسى من بأس) فيه أن الأنبياء في خلقهم وخلقهم على غاية الكمال وأن من نسب نبياً من الأنبياء إلى نقص في خلقته فقد آذاه ويخشى على فاعله الكفر.

قوله (فطفق)... أي أخذ يضرب الحجر وأجراه مجرى من يعقل لكونه فر بثوبه فانتقل عنده من حكم الجماد إلى حكم الحيوان.

ويقول العثماني في شرحه أيضاً: يحتمل أن يكون موسى أراد بضربه إظهار المعجزة بتأثير ضربه فيه ويحتمل أن يكون عن وحي.

قوله (والله إنه بالحجر)... علم أبي هريرة أن الأثر الذي بالحجر من ضرب موسى يحتمل أنه سمعه.

قوله (ندب)... وهو الأثر[1].

نعم.. لقد ظن بنو إسرائيل أن خصيتي نبيهم موسى عليه السلام منتفخة لذا قالوا أنه آدر.

أقول:

من أين علموا أنه آدر؟

فهذا العيب الخلقي ليس في الوجه حتى يرى ولا بظهر كف اليد حتى يشاهده القاصي والداني، بل إن هذا العيب مستور محفوظ عن عيون الناظرين وإلى الأبد، ولكن..!

هل كانت زوجة النبي موسى هي التي قامت بفضح زوجها وأخبرت بني إسرائيل بذلك؟!

ثم ما سبب فرار الحجر بثوب موسى وهل لكي يرى بنو إسرائيل خصيتي نبيهم

---

(١) ج٣، ص١٤٣، ح٧٦٨، ط١٤٢٦/١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

لأطول مدة من الوقت طالما هو يجري وراء الحجر وليتأكدوا من أنه آدر ولتقبل شهادتهم طالما هم كُثر؟

ولماذا يفضح الله جل وعلا نبيه أمام قومه؟

ثم بالله عليك أخي القارئ، ألا يعلم النبي موسى أنه لو خرج عرياناً من الماء فمن المحتمل أن يرى ويشاهد على تلك الحالة.

ثم بعدما علمت بنو إسرائيل أن نبيهم ليس بآدر فماذا كانت النتيجة؟

وهذا الحجر لا يحس ولا يتألم أثناء الضرب، بل يد النبي موسى هي التي ستتألم وتتوجع! وهذا ليس فعل العقلاء وستر العورة من سنن الفطرة.

ألا تشم أخي القارئ أن رائحة الوضع قد أزكمت أنوفنا من أستاذ أبي هريرة (كعب الأحبار) هذا الذي أدخل على روايات المسلمين الكثير من الإسرائيليات.

جاء في المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبدالله النيسابوري:

عبدالله بن شقيق قال: جاء أبو هريرة إلى كعب الأحبار يسأل عنه وكعب في القوم فقال كعب ما تريد منه فقال أما إني لا أعرف أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يكون أحفظ لحديثه مني فقال كعب أما إنك لم تجد أحداً يطلب شيئاً إلا يشبع منه يوماً من الدهر إلا طالب علم وطالب دنيا فقال أنت كعب فإني لمثل هذا جئت[1].

(١) ج١، ص٩٢، كتاب العلم، ط بيروت.

باب الاعتناء بحفظ العورة

١١٣.... قال ابن رافع حدثنا عبدالرزاق أخبرنا ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع جابر بن عبدالله يقول لما بنيت الكعبة ذهب النبيﷺ وعباس ينقلان حجارة فقال العباس للنبيﷺ اجعل ازارك على عاتقك من الحجارة ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم قام فقال إزاري إزاري فشد عليه إزاره قال ابن رافع في روايته على رقبتك ولم يقل على عاتقك.

١١٤.... عمر بن دينار قال سمعت جابر بن عبدالله يحدث أن رسول اللهﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره فقال له العباس عمه يا ابن أخي لو حللت إزارك فجعلته على منكبك دون الحجارة قال فحله فجعله على منكبه فسقط مغشياً عليه قال فما رئي بعد ذلك اليوم عرياناً.

يقول الأبي في شرحه: قوله (لما بنيت الكعبة) سميت كعبة لارتفاعها وقيل لاستدارتها وارتفاعها.

قال السهيلي: بنيت في الدهر خمس مرات، الأولى حين بناها شيث بن آدم... الثانية حين بناها إبراهيمعليه السلام الثالثة حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام وهي التي في الحديث، الرابعة حين احترقت أيام ابن الزبير بشرارة طارت إليها من أبي قبيس فاحترقت الأستار فاحترق البيت فهدمها ابن الزبير وبناها على خلاف ما كانت عليه، الخامسة لما قدم عبدالملك مكة قال لسنا من تخليط أبي خبيب في شيء يعني ابن الزبير

فهدمها وردها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ ثم ندم عبدالملك على ذلك وقال ليتني تركت أبا خبيب وما تحمل[1].

ويقول السنوسي في شرحه: قوله (اجعل إزارك على عاتقك) أي لتقيك من الحجارة أو من أجل الحجارة والعاتق ما بين المنكب والعنق.

قوله (فخر على الأرض) أي سقط.

قوله (وطمحت).. أي ارتفعت وشخصت وجاء في غير الصحيحين أن الملك نزل فشد عليه ﷺ إزاره[2].

أقول:

اعلم أن اليهود والنصارى يعتقدون كما ذكروا ذلك في كتبهم المحرفة أن بعض الأنبياء زنا والعياذ بالله ومنهم النبي لوط عليه السلام وما فعله مع ابنته الكبيرة ثم كرر الفعلة الشنيعة كما ادعوا ذلك مع ابنته الصغيرة في الليلة الثانية وكذلك يعتقدون كما في كتبهم أيضاً أن الأنبياء يشربون الخمر كما شرب النبي لوط الخمر قبل فعلته التي ذكرناها آنفاً، هذا ما هو الموجود في كتبهم.

وكذلك أهل العامة أيضاً توجد في كتبهم المعتبرة أموراً شبيهة بما ذكرناه، مثلاً رؤية النبي موسى عليه السلام عرياناً كما مر عليك في الصفحات الماضية وكذلك النبي أيوب عليه السلام أيضاً جرده أهل العامة من ثيابه كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: بينما أيوب يغتسل عرياناً خر عليه رجل جراد من ذهب إلى آخر الحديث، راجع إن شئت صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾.

وأخيراً.. تجرأ أهل العامة على رسولنا الأكرم فجردوه أيضاً من ثيابه وأمام الخلق كما قرأت ذلك الحديث والشرح الذي ذكرناه.

---

(١) إكمال إكمال المعلم، ج٢، ص١٨٩، ح٣٤٠.

(٢) مكمل إكمال الإكمال لمحمد بن يوسف السنوسي المتوفى ٨٩٥هـ، ج٢، ص١٩٠، ح٣٤٠، ط١/١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

وأخيراً، ألا يعلم النبيﷺ أنه إذا حل إزاره ووضعه على منكبيه فما الشيء الذي سوف يستره عوض ذلك الإزار؟

وكيف بالنبي الأكرم وبكل بساطة وسذاجة ينقاد إلى رأي عمه العباس فيقوم بحل إزاره وكشف عورته؟ فمن أشد القبح نسبة ذلك لنبيناﷺ.

وأنا أرد هذا الحديث الذي بدأنا به بحثنا وأضربه بعرض الحائط بما ذكرناه وما ستقرأه الآن:

عن المسور بن مخرمة قال: أقبلت بحجر أحمله ثقيل وعلي إزار خفيف قال فانحل إزاري ومعي الحجر فلم أستطع أن أضعه حتى بلغت به إلى موضعه فقال رسول اللهﷺ ارجع إلى ثوبك فخذه ولا تمشوا عراة[1].

١١٥.... عن المسور بن مخرمة قال أقبلت بحجر أحمله ثقيل وعلي إزار خفيف قال فانحل إزاري ومعي الحجر لم أستطع أن أضعه حتى بلغت به إلى موضعه فقال رسول اللهﷺ ارجع إلى ثوبك فخذه ولا تمشوا عراة.

راجع ما قبله.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب الاعتناء بحفظ العورة.

باب إنما الماء من الماء

١١٦.... عن الحسين بن ذكوان عن يحيى بن أبي كثير أخبرني أبو سلمة أن عطاء بن يسار أخبره أن زيد بن خالد الجهني أخبره أنه سأل عثمان بن عفان قال قلت: أرأيت إذا جامع الرجل امرأته ولم يمن قال عثمان يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ويغسل ذكره، قال عثمان سمعته من رسول الله ﷺ.

نأخذ بعض رواة هذه الرواية إلى طاولة المشرحة وعلى عجالة، منهم الحسين بن ذكوان المعلم البصري، فقد ذكره ابن الجوزي في كتاب الضعفاء والمتروكين، قال يحيى فيه اضطراب[1].

وذكره العقيلي أيضاً في كتاب الضعفاء ومن نسب إلى الكذب ووضع الحديث وقال ضعيف مضطرب الحديث[2].

وذكره المزي في تهذيب الكمال وعلق عليه المحقق بشار عواد معروف فقال: وقد ذكره العقيلي في الضعفاء وقال: بصري مضطرب الحديث. حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثنا أبو بكر بن خلاد قال سمعت يحيى ـ وذكر أحاديث حسين المعلم

---

(١) لجمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، ج١، ص٢١٢، ترجمة٨٨٢، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) لمحمد بن عمرو بن موسى العقيلي المتوفى ٣٢٢هـ، ج١، ص٢٦٩، ترجمة٢٩٩، ط١٤٢٠/١هـ، دار الصميعي، السعودية.

ـ ، فقال: فيه اضطراب. حدثنا محمد بن عيسى قال حدثنا صالح، قال حدثنا علي، قال: قلت ليحيى بن سعيد إن يزيد بن هارون حدثنا عن حسين المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً تزوج امرأة على عمتها فقال يحيى كنا نعرف حسين (كذا) ـ يعني المعلم ـ بهذا الحديث المرسل، وقد تعقبه الذهبي، فقال: وقد ذكره العقيلي في كتاب الضعفاء بلا مستند، وقال هو مضطرب الحديث، وقال أبو بكر بن خلاد: سمعت يحيى بن سعيد القطان ـ وذكر حسين المعلم ـ فقال: فيه اضطراب. قلت: الرجل ثقة، وقد احتج به صاحبا (الصحيحين) ومات في حدود خمسين ومئة. وذكر له العقيلي حديثاً واحداً تفرد بوصله، وغيره من الحفاظ، فكان ماذا؟ فليس من شرط الثقة أن لا يغلط أبداً؛ فقد غلط شعبة، ومالك، وناهيك بهما ثقة ونبلاً، وحسين المعلم ممن وثقه يحيى بن معين، ومن تقدم مطلقاً، وهو من كبار أئمة الحديث، وقال ابن حجر معتذراً: لعل الاضطراب من الرواة عنه، فقد احتج به الأئمة.

قال بشار: اعتذار الحافظ ابن حجر غير جيد، وتعليله ضعيف؛ ذلك أن الذي ذكر الاضطراب في حديثه هو يحيى بن سعيد القطان، وهو ممن روى عنه، فالمعقول أن يحيى القطان إنما ذكر ذلك من معرفته هو، لا من الرواة الآخرين الذي رووا عن حسين المعلم. وواضح أن العقيلي نقل عبارة يحيى بن سعيد، أما قول الذهبي في السير: ذكره العقيلي في كتاب الضعفاء بلا مستند، وقوله في الميزان: وضعفه العقيلي بلا حجة ففيه نظر أيضاً، لأن كلام يحيى بن سعيد حجة له، على أن اعتذاره عنه من أن الغلط في الحديث الواحد لا يدفع عنه التوثيق جيد، ويلاحظ أن البخاري ومسلماً والنسائي وأبا داود أخرجوا لحسين المعلم من رواية يحيى بن سعيد القطان، عنه[1].

ومن الرواة أيضاً يحيى بن أبي كثير اليمامي!

وقد ذكره العقيلي في كتاب الضعفاء ومن نسب إلى الكذب ووضع الحديث وقال: ذكر بالتدليس.

عن همام قال كما يحدث يحيى بن أبي كثير بالغداة، فإذا كان بالعشي قلبه عنا.

---

(١) ج٦، ص٣٧٥، ترجمة١٣٠٩.

وقال في موضع آخر: ما رأيت أصلب وجهاً من يحيى بن أبي كثير، كنا نحدثه بالغداة فيروح بالعشي فيحدثناه.

وقال يحيى بن سعيد: مرسلات يحيى بن أبي كثير شبه الريح[1].

وتبع الذهبي صاحبه العقيلي في ميزان الاعتدال وذكر ما ذكره العقيلي: ذكر بالتدليس[2].

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه: كان العرب من المولعين بالنساء وكانوا يكثرون من إتيانهن، وكان يشق على المسلمين اعتزال النساء أسبوع المحيض، فأذن لهم بمباشرتهن فيما فوق السرة وتحت الركبة، وصعب عليهم اعتزالهن في رمضان، وعلم الله أنهم كانوا يختانون أنفسهم، فتاب عليهم وعفا عنهم، وأحل لهم ليلة الصيام الرفث إلى نسائهم، وأباح للرجل جمع أربع من النسوة، ولم يحارب الإسلام هذه النزعة الشهوانية ما دامت في الحلال، اعتبرها مصدر الإعفاف للرجل والمرأة على السواء، وشرع الإسلام الغسل من دفق المني، وكثرت العملية الجنسية بإنزال وبغير إنزال، ولم يشأ الإسلام أول الأمر أن يوجب الغسل لمجرد الإيلاج، تخفيفاً على الأمة، وتأليفاً للقلوب، وتدرجاً فيما يشق من التكاليف، وهو يقدر قلة الماء عند القوم وحاجتهم إلى ما عندهم منه في الطعام والشراب وضرورات الحياة لكن بعضهم التزمه ظناً أنه واجب على كل حال، وعملاً بما فهم من قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ المائدة/٦، حيث يدرك تحقق الجنابة بالوطء، ولو بدون إنزال لكن الرسول ﷺ بين لهم يسر الدين، وعدم وجوب الغسل في حالة الإكسال وتعددت الوقائع بخصوص هذا الأمر[3].

وقال في الحجة البالغة: اختلف أهل الرواية؛ هل يحمل الإكسال، أي الجماع من غير إنزال، على الجماع الكامل في معنى قضاء الشهوة؟ أعني ما يكون معه الإنزال، والذي صح رواية وعليه جمهور الفقهاء؛ هو أن من جهد فقد وجب عليهما الغسل وإن لم ينزل، واختلفوا في كيفية الجمع بين هذا الحديث وحديث إنما الماء من الماء،

---

(١) ج٤، ص١٥٣٢، ترجمة٢٠٥٥.

(٢) ميزان الاعتدال لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ج٤، ص٤٠٢، ترجمة٩٦٠٧.

(٣) فتح المنعم، ج٢، ص٣٧٣، ح ٦٢٢.

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: للاحتلام؛ وفيه ما فيه، لأنه يأباه سبب ورود الحديث كما أخرجه مسلم، وقال أُبي رضي الله عنه: كانت رخصة في أول الإسلام ثم نهى عنها، وقد روي عن عثمان، وعلي وطلحة والزبير، وأبي بن كعب، وأبي أيوب رضي الله تعالى عنهم فيمن جامع إمرأته ولم يمن، قالوا: يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ويغسل ذكره، ورفع ذلك إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولا يبعد عندي أن يحمل ذلك على المباشرة الفاحشة، فإنه قد يطلق الجماع عليها، قامت على هذا أكثر أهل العلم، ان غسل الجنابة يجب بأحد الأمرين: إما بإدخال الحشفة في الفرج، أو بخروج الماء الدافق من الرجل أو المرأة، وعلى هذا أكثر أهل العلم: ان من جامع امرأته فغيب الحشفة وجب الغسل عليهما وإن لم ينزل، والختان موضع القطع من ذكر الغلام ونواة الجارية[1].

وتقول عائشة عندما سألها الأشعري ما يوجب الغسل، فأجابت:

قال رسول الله ﷺ إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان فقد وجب الغسل[2].

وكذلك ما ذكرناه في الصفحات السابقة عن عائشة أيضاً قالت: إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل وعائشة جالسة فقال رسول الله ﷺ إني لأفعل ذلك أنا وهذه ـ وأشار إلى عائشة ـ ثم نغتسل[3].

فكيف نوفق بين هذه الأحاديث المتضاربة ومع هذه الشروح الركيكة والأعذار الواهية؟!!

---

(١) الدراري المضية شرح الدرر البهية لمحمد بن علي الشوكاني، ج١، ص٦٩، باب الغسل، ط١٣٩٨هـ، بيروت.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب نسخ الماء من الماء.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب نسخ الماء من الماء.

باب نسخ الماء من الماء

١١٧.... عن حميد بن هلال قال ولا أعلمه إلا عن أبي بردة عن أبي موسى قال اختلف في ذلك رهط من المهاجرين والأنصار فقال الأنصاريون لا يجب الغسل إلا من الدفق أو من الماء وقال المهاجرون بل إذا خالط فقد وجب الغسل قال قال أبو موسى فأنا أشفيكم من ذلك فقمت فاستأذنت على عائشة فأذن لي فقلت لها يا أماه أو يا أم المؤمنين إني أريد أن أسألك عن شيء وإني استحييك فقالت لا تستحي أن تسألني عما كنت سائلاً عنه أمك التي ولدتك فإنما أنا أمك قلت فما يوجب الغسل قالت على الخبير سقطت قال رسول اللهﷺ إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان فقد وجب الغسل.

١١٨.... عن عائشة زوج النبيﷺ قالت: إن رجلاً سأل رسول اللهﷺ عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل وعائشة جالسة فقال رسول اللهﷺ إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل.

راجع ما قبله.

باب التيمم

١١٩.... عن عائشة أنها قالت خرجنا مع رسول اللهﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول اللهﷺ على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا ألا ترى إلى ما صنعت عائشة أقامت برسول اللهﷺ وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول اللهﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول اللهﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول اللهﷺ على فخذي فنام رسول اللهﷺ حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن الحضير وهو أحد النقباء ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر فقالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته.

١٢٠.... عن عائشة أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت فأرسل رسول اللهﷺ ناساً من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء فلما أتوا النبيﷺ شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير جزاك الله خيراً فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجاً وجعل للمسلمين فيه بركة.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين: تزوجت عائشة رسول اللهﷺ وهي بنت تسع سنين وخرجت معه في هذه السفرة في غزوة بني المصطلق وهي لم تتجاوز الخامسة عشر،

صبية في تلك السن، تحرص على التجمل لزوج له ست نساء غيرها، لكنها لا تحافظ على ما تحت يدها، قليلة الخبرة، مستهينة بالأمور، لا يمتد غور تفكيرها إلى النتائج والعواقب، استعارت من أختها أسماء قلادتها وهي عقد جميل من خرز يمني، ولبسته وسافرت به، ويبدو أنها لم تتعود إحكام غلقه فسقط منها ليلة عند بئر المريسيع واضطرب بسبب بحثها عنه إلى التأخر عن الجيش الذي رحل وتركها، وكانت العاقبة حديث الإفك، وفي نفس طريق العودة وقريباً من المدينة ينزل الجيش ليستريح، فيسقط منها العقد مرة أخرى لكنها في هذه المرة أسرعت وأبلغت رسول الله ﷺ فبعث ﷺ رجالاً على رأسهم أسيد بن حضير للبحث عنه وانطلقوا هنا وهناك يفتشون المظان في الطريق وغابوا وأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء لعدم الماء وتأخروا وطال انتظار القوم وهم لا يجدون الماء في مكان نزولهم وكاد ينفد ما عندهم منه، إن بعضهم يسمع همس المنافقين بحديث الإفك فيألم ويحمل في نفسه على عائشة أن وضعت نفسها موضع التهم، ثم هي الآن بسبب إهمال آخر تعرض الجيش للقحط والعطش، لقد ضاقوا ذرعاً فذهبوا إلى أبي بكر يشكونها، يقولون: ألم تر يا أبا بكر إلى ما صنعت ابنتك عائشة؟ أضاعت عقدها للمرة الثانية، فحبستنا وحبست رسول الله ﷺ في هذه الصحراء حيث لا ماء، وكان أبو بكر ممن سمع همس المنافقين وقلبه يتقطع أسى وحسرة فدخل مغضباً على ابنته يعنفها ويؤنبها، ويحرص على عدم إزعاج رسول الله ﷺ الذي وجده نائماً على فخذها يطعنها بيده في جنبها يقول لها: ما أكثر عناءك وبلاءك على الناس، تحبسينهم في قلادة تافهة وهم على غير ماء، يطعنها فتتألم ولا تتحرك، يطعنها فتشد على أسنانها وتكتم أنفاسها وآهاتها، وما الفائدة في الطعن والشتم وقد حصل ما حصل، والليل المخيم على الناس لا يشجع على الرحيل، أصبح الناس ليسمعوا فضل الله ورحمته بأمة محمد صى الله عليه وسلم ليسمعوا آية التيمم المختومة بقوله جل شأنه ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ المائدة/٦، فيبتهجون بهذه البشرى ويقول حبيبهم: ما أكثر بركاتكم يا آل أبي بكر، ما أنزل الله بكم ضيقاً إلا جعل لكم منه مخرجاً، وجعل للمسلمين من وراء خيراً وبركة، ويعود الباحثون عن العقد دون أن يجدوه، فلما أقاموا البعير الذي كانت

تركبه عائشة وجدوا العقد تحته، وهكذا أسباب ومسببات يقدرها الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ الطلاق/٣[1].

هذا ما كنت أقوله في السنوات الماضية وكنت مصراً على قولي بأن هذا العقد المشؤوم قد ضاع مرتين وقد ذكرته في كتابي كشف المتواري في صحيح البخاري وأنت قد قرأت أخي الكريم ما ذكره الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه ولو أني لا أوافقه على جميع ما ذكره ولكن..!

يقول ابن حجر في شرحه:

قوله (في بعض أسفاره) قال ابن عبدالبر في التمهيد: يقال أنه كان في غزوة بني المصطلق... وسبقه إلى ذلك ابن سعد وابن حبان، وغزوة بني المصطلق هي غزوة المريسيع وفيها وقعت قصة الإفك لعائشة... فإن كان ما جزموا به ثابتاً حمل على أنه سقط منها في تلك السفرة مرتين لاختلاف القصتين كما هو مبين في سياقهما! واستبعد بعض شيوخنا ذلك، قال: لأن المريسيع من ناحية مكة بين قديد والساحل، وهذه القصة كانت من ناحية خيبر لقولها في الحديث (حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش) وهما بين المدينة وخيبر كما جزم به النووي.

... نقل ابن بطال أنه روى أن ثمن العقد المذكور كان اثنا عشر درهماً، ويلتحق بتحصيل الضائع... وفيه إشارة إلى ترك إضاعة المال.

ويقول ابن حجر: قد جنح البخاري في التفسير إلى تعددها حيث أورد حديث الباب في تفسير المائدة وحديث عروة في تفسير النساء، فكان نزول آية المائدة بسبب عقد عائشة وآية النساء بسبب قلادة أسماء[2].

أقول:

أيعقل أن يتوقف الرسول الأكرم بجيشه بسبب ذلك العقد الذي يساوي اثنا عشر درهماً؟!

---

(١) فتح المنعم، ج٢، ص٤٠٦، ح٦٥١.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ج١، ص٥٤١، ح٣٣٤، كتاب التيمم، باب التيمم.

وما قصة هذا العقد المشؤوم الذي هو دائماً في حالة ضياع؟!

هذه الرواية التي تختلف عن رواية الإفك في أمور ومن عدة وجوه نذكر منها:

الوجه الأول: أن ضياع العقد ونوم الرسول الأكرم على فخذ عائشة ونزول آية التيمم ورؤية العقد تحت البعير يتبين لنا أن عائشة بعد رؤية العقد تحت البعير قد ركبت البعير ورجعت مع الرسول الأكرم إلى المدينة.

أما في الرواية الثانية والتي سوف نذكرها في محلها إن شاء الله، فقد نسوا عائشة ورحلوا عنها إلى أن جاء صفوان السلمي وعاد بها إلى المدينة فتأمل ذلك.

الوجه الثاني: في الرواية الثانية والتي سوف نأتي على ذكرها وفي محلها كما ذكرنا آنفاً بعد عودتها مع صفوان إلى المدينة أخذ المنافقون يوجهون التهم إلى عائشة حتى شاع الخبر بين أهل المدينة وأخذ الرسول الأكرم لا يدخل على عائشة كثيراً ولا يكلمها إلى أن نزلت آيات الإفك.

أما في الرواية الأولى فلا شيء من ذلك، فلا يختلط الأمر عليك أخي القارئ! وقد جنح البخاري أيضاً إلى تعدد ضياع العقد مرتين!

وفي الرواية فضيلة لعائشة وتعظيم لها ببركة ذلك العقد ونزول آية التيمم وثناء أسيد بن حضير عليها، كل ذلك تعظيماً لعائشة وتعظيم عائشة يعني تعظيم أبي بكر، وسوف نوافيك بحقيقة الإفك لاحقاً إن شاء الله تعالى.

١٢١.... عن سعيد بن عبدالرحمن بن أبزَى عن أبيه أن رجلاً أتى عمر فقال إني أجنبت فلم أجد ماء فقال لا تصل فقال عمار أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماء فأما أنت فلم تصل وأما أنا فتمعكت في التراب وصليت فقال النبيﷺ إنما كان يكفيك أن تضرب بيديك الأرض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفيك فقال عمر اتق الله يا عمار قال إن شئت لم أحدث به قال الحكم وحدثنيه ابن عبدالرحمن بن أبزَى عن أبيه مثل حديث ذر قال وحدثني سلمة عن ذر في هذا الإسناد الذي ذكر الحكم فقال عمر نوليك ما توليت.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه فتح المنعم:

سافر عمار بن ياسر مع عمر بن الخطاب في سرية، فحدثت لهما جنابة، فأما عمر فلم يصل، وأما عمار فتمرغ في التراب كما يتمرغ الحيوان وصلى فلما رجع إلى النبيﷺ وأخبره قال له إن التيمم للجنابة كالتيمم للحدث الأصغر، فكان يكفيك أن تضرب الأرض بيديك ثم تمسح بهما وجهك وكفيك.

وعلم عمار حكم التيمم للجنابة، وظل عمر على ما يفهم، حتى جاءه رجل يسأله عمن أجنب ولم يجد الماء، فقال عمر: لا يصلي، فقال عمار: بل يتيمم ويصلي، وساق ما علم، فقال عمر لعمار: استوثق يا عمار مما تقول: قال عمار: إن شئت ـ يا أمير المؤمنين أن لا أحدث بهذا أحداً، قال عمر: لا تول ما توليت، وأد ما تحملت، وتمسك عبدالله بن مسعود بموقف عمر، وأن الجنب لا يتيمم ولا يصلي، وتمسك الناس بموقف عمار، ودار الحوار بين أبي موسى الأشعري وعبدالله بن مسعود يحكي أبو موسى ما حكاه عمار ويحكي عبدالله بن مسعود ما حكاه عمر لكنه حين يعلم أن عمر أذن لعمار أن ينشر حديثه يعود فيرجع عن رأيه إلى رأي الجماعة، ويقبل تيمم الجنب الفاقد للماء ليؤدي الصلاة[1].

قال رسول اللهﷺ بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا ما أولت ذلك يا رسول الله قال: الدين[2].

يقول ابن حجر في شرحه:

إنما أوله النبيﷺ بالدين، لأن الدين يستر عورة الجهل، كما يستر الثوب عورة البدن[3]!

أقول:

كيف يكون هذا القميص ساتراً للجهل في حين أن عمر يجهل حكم الجنب؟!

وكيف يكون عمر فقيهاً وعالماً بأحكام الدين كما في رواية البخاري ويفتي بترك

---

(١) ج٢، ص٤٠٦، ح٦٥٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان.

(٣) فتح الباري، ج١٢، ص٤٨٠، حديث ٧٠٠٩، كتاب التعبير، باب جر القميص في المنام.

ألم يقرأ كتاب الله ﷻ حيث يقول: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ النساء / ٤٣.

فالصلاة التي هي عمود الدين والصلة بين العبد وربه لا تسقط بأي حال من الأحوال، فالفقهاء يفتون بأنه من لم يستطع الصلاة واقفاً صلاها جالساً، ومن لم يستطع أن يصلي جالساً عليه أن يصلي راقداً، ومن لم يستطع فعليه أن يركع ويسجد برمش عينيه إلى آخر ما هنالك من فتاوى مفصلة ذكرت في الكتب الفقهية.

أما عمر فيريد من الرجل أن لا يصليها! فيتبين لنا أن عمر لم يكن عالماً بمسائل الدين والشرع، فكيف نوفق بين رواية البخاري وفتوى عمر لذلك الرجل.

وعمر بجهله لهذا الحكم وغيره يؤكد لنا بأنه لا شك أنه ردَّد هذه العبارة مرات عديدة (لو لا علي لهلك عمر!) ولو أن ابن تيمية يدعي بأن عمر قال ذلك مرة واحدة: (لو لا علي لهلك عمر... لا يعرف أن عمر قاله إلا في قضية واحدة)[1].

١٢٢. ... عن ابن عمر أن رجلاً مر ورسول الله ﷺ يبول فسلم فلم يرد عليه.

يقول العثماني في شرحه: قوله (أن رجلاً) قيل هو المهاجر بن قنفذ.

قوله (ورسول الله ﷺ يبول)... فلقي رسول الله ﷺ وقد خرج من غائط أو بول، أي فرغ لأن الخروج بعد الفراغ[2].

لاحظ أخي الكريم تلاعب الشراح بالرواية وتوجيهها كيفما يشاؤون في قول العثماني (وقد خرج من غائط أو بول) وفي الرواية أن رجلاً مر ورسول الله يبول ولنقرأ ما يقوله النووي:

يقول: أن المسلم في هذا الحال لا يستحق جواباً وهذا متفق عليه، قال أصحابنا: ويكره أن يسلم على المشتغل بقضاء حاجة البول والغائط فإن سلم عليه كره له رد السلام.

---

(١) منهاج السنة النبوية، ج٤، ص١٦١، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) فتح الملهم لشبير بن أحمد العثماني، ج٣، ص١٨٧، ح٨٢١.

قالوا: يكره للقاعد على قضاء الحاجة أن يذكر الله تعالى إذا عطس ولا يقول مثل ما يقول المؤذن...[1].

يتبين من شرح النووي أن النبي الأكرم كان مشتغلاً بقضاء حاجته، لذا لم يرد السلام وإلا لو كان خارجاً بعد قضاء حاجته كما يدعي العثماني ذلك ولم يرد السلام على الرجل لكان مأثوماً في ذلك، لأن السلام مستحب، أما رد السلام فواجب، فتأمل.

ثم أقول:

إن هذه الرواية لم أشأ أن أعلق عليها ولكن طالما أن هذا العثماني قد ذكر ما قرأناه في شرحه وأراد تهميش الرواية واللعب في مضمونها بسبب ما قد يفهم أنه نقص في أحد الصحابة، فأقول: كيف به إذا طعن أو قدح في صحابي مقرب ممن يواليه هذا العثماني؟! فكيف سيدافع عنه يا ترى.

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي، المجلد ٢، ج ٤، ص ٣٠٥، ح ٣٧٠.

باب بدء الأذان

١٢٣.... عن عبدالله بن عمر أنه قال كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلوات وليس ينادي بها أحد فتكلموا يوماً في ذلك فقال بعضهم اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم قرناً مثل قرن اليهود فقال عمر أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة قال رسول الله ﷺ يا بلال قم فناد بالصلاة.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه: كان المسلمون بمكة قليلي العدد، يستخفون كثيراً في صلاتهم، ولا يكادون يجتمعون، وإذا اجتمعوا ترقبوا دخول الوقت، وقدروا حينه وزمنه، ثم قاموا إلى الصلاة، دون أذان أو إقامة، فلما هاجر رسول الله ﷺ وبنى المسجد النبوي وكثر الناس ولم يعودوا يخشون الجهر بالعبادات استشار رسول الله ﷺ أصحابه في وسيلة يجمع بها الناس للصلاة، فقال بعضهم: نرفع راية، فإذا رآها المسلمون علموا أنه قد حان وقت الصلاة فجاؤوا، ورد هذا الاقتراح، لأن الذين يرون الراية قلة من المسلمين، ثم هي لا ترى بالليل فلا تنفع للإعلان عن وقت العشاء والفجر، قال بعضهم: نوقد ناراً عند حلول وقت الصلاة، قال ﷺ: إن رفع النار من فعل المجوس، ولا نحب أن نقتدي بهم، قال آخر: نتخذ بوقاً، ننفخ فيه، فيرتفع الصوت،

فيسمعه من يريد الصلاة، قال ﷺ: اتخاذ البوق من فعل اليهود ولا نحب أن نفعل مثلهم. قال رابع: نتخذ ناقوساً، نضربه عند حلول وقت الصلاة قال ﷺ: اتخاذ الناقوس من فعل النصارى، وسكت ﷺ يفكر، أليس النصارى أقرب الناس مودة للذين آمنوا؟ أليست المشابهة في عمل من أعمالهم أقل خطراً على المسلمين من مشابهة غيرهم؟ لم لا نتخذ ناقوساً حتى يأتي أمر الله؟ فأمر ﷺ بصنع ناقوس، قال عمر: لا نتشبه بالمجوس ولا باليهود ولا بالنصارى، وينبغي أن نبعث رجلاً إلى مكان مرتفع، أو إلى باب المسجد، ينادي، يجمع الناس للصلاة. ورضي رسول الله ﷺ بهذه المشورة، فقال: يا بلال، قم وناد بالصلاة، فقام بلال إلى باب المسجد ونادى بأعلى صوته الحسن: الصلاة جامعة، الصلاة جامعة، وانصرف الصحابة إلى بيوتهم تلك الليلة، وهم مشغولون بما دار من حديث، وفيهم عبدالله بن زيد، قال: انصرفت وأنا مهتم لهم رسول الله ﷺ فرأيت في منامي وأنا بين النائم واليقظان رجلاً يحمل ناقوساً في يده، فقلت: يا عبدالله أتبيع الناقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ فقلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ فقلت له: بلى، فقال: تقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله [وعلمه الإقامة أيضاً] فلما أصبح عبدالله بن زيد أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما رأى، وكان الوحي قد نزل مؤيداً الأذان، فقال ﷺ لعبدالله بن زيد: إنها لرؤيا حق قم مع بلال، فألق عليه ما رأيت فليؤذن به، فإنه أندى منك صوتاً، فقام، فجعل يلقي، وبلال يؤذن به، فسمع ذلك عمر بن الخطاب، وكان قد رأى نفس ما يسمع، فخرج يجري يجر رداءه، فقال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق، لقد رأيت مثل هذا، فقال ﷺ: وما منعك أن تخبرنا؟ قال: سبقني عبدالله، قال ﷺ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ الأعراف/٤٣.

ويقول:

(كان المسلمون حين قدموا المدينة) مهاجرين من مكة.

(فيتحينون الصلوات) أي يقدّرون أحيانها، ليأتوا إليها، والحين الوقت والزمان.

(اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى) كان ناقوس النصارى أولاً خشبة طويلة تضرب بخشبة أصغر منها، فتحدث صوتاً، ثم صاروا إلى الناقوس المعروف اليوم في الكنائس والمدارس.

(وقال بعضهم: قرناً مثل قرن اليهود)... أي اتخذوا قرناً والقرن والبوق اسطوانة واسعة من الطرف البعيد، ضيقة من الطرق الذي ينفخ فيه، تضخم الصوت وترفعه، وهو مستعمل في الجيش، وفي بعض النداءات الشعبية، ويقال له الصور والشابور.

(أولا تبعثون رجلاً)... أي أتقتدون بالنصارى واليهود ولا تبعثون رجلاً؟ فالهمزة لإنكار الجملة الأولى وتقرير الجملة الثانية، توبيخاً على القول بالاقتداء بأهل الكتاب وحثاً وبعثاً على الاستقلال بالنداء، ومراده من النداء الإعلام بالصلاة بأي لفظ....

(يا بلال، قم فناد بالصلاة) قال القاضي عياض: المراد الإعلام المحض بحضور وقت الصلاة، لا بخصوص الأذان المشروع، انتهى، وهذا قول حسن، لأن هذا القول كان قبل رؤيا الأذان، وهل المراد من الأمر بـ (قم) الوقوف؟ أو الذهاب إلى البعد؟...[1].

يقول أهل العامة أن عبدالله بن زيد رأى الأذان في عالم الرؤيا بفصوله وتمامه.

ويقولون أيضاً أن عمر عند سماعه الأذان جاء مسرعاً وقال: لقد رأيت مثل الذي رأى ابن زيد ويقولون أيضاً أن عمر كان قد رأى الأذان في عالم الرؤيا فكتمه عشرين يوماً ثم أخبر به النبي الأكرم فقال: ما منعك أن تخبرنا؟ قال سبقني عبدالله بن زيد فاستحييت[2].

أقول:

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشاور أصحابه بكيفية النداء للصلاة ويجلس متحيراً أياماً ولياليا منتظراً من الصحابة المشورة إلى أن رأى ابن زيد الرؤيا بكيفية الأذان وفصوله!

عجباً والله لهؤلاء الذين يدعون بأنهم أهل العامة كيف قبلوا بهذا الحل الساذج؟!

ألم يسألوا أنفسهم بأن الرسول طالما كان محتاراً بشأن الأذان فلماذا لم يَرَ الرؤيا بنفسه لأن رؤياه صادقة ويؤخذ بها شرعاً كما يقظته وهو ليس كبقية البشر، ولماذا لم

---

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ج٢، ص٤٣١.

(٢) فتح الباري لابن حجر، ج٢، ص٩٨، كتاب الأذان، باب بدء الأذان.

يخبره جبرائيل عليه السلام بكيفية الأذان وبيان فصوله، وهل هذا سوى محاولة للتلاعب بالتشريع الإلهي.

وما هذه المصادفة أن يرى ابن زيد الرؤيا ويرى عمر الرؤيا نفسها بالأسلوب نفسه من حيث فصول الأذان؟!

ولماذا يأتي اسم عمر دائماً في التشريع؟!

فمثلاً: وافقت ربي في ثلاث ـ مقام ابراهيم ـ فنزلت الآية، الحجاب ـ فنزلت الآية، أسارى بدر ـ وهنا الأذان.

ألا تشك أيها المسلم من كثرة تكرار مشاركة عمر للنبي الأكرم في التشريع وأن ذلك كذب محض؟!

جاء في صحيح ابن خزيمة حدثنا بندار أخبرنا أبو بكر ـ يعني الحنفي ـ أخبرنا عبدالله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر: ان بلالاً كان يقول أول ما أذّن أشهد أن لا إله إلا الله حي على الصلاة، فقال له عمر: قل في أثرها أشهد أن محمداً رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قل كما أمرك عمر[1].

يقول المحقق الدكتور محمد مصطفى: إسناده ضعيف جداً والحديث باطل!!

لاحظ أخي الكريم هذه الرواية وكأن الأذان نزل نزولاً تدريجياً، أي أنه لم يكن متكاملاً في بدء الدعوة والطامة الكبرى أن عمر دائماً يشير ويوجه الرسول الأكرم ويحاول أهل العامة أن يشركوه مع النبي في رسالته السماوية.

وفيه أيضاً: قال أبو بكر في خبر عبدالله بن زيد كان رسول الله صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة إنما يجتمع الناس إليه للصلاة بحين مواقيتها بغير دعوة[2].

ويقول المحقق محمد مصطفى: إسناده معضل! انتهى.

يعني بذلك أنه سقط من إسناده اثنان فصاعداً، وبعبارة أخرى: هذا الحديث لا يصلح للاستشهاد به!

---

(١) ج١، ص١٨٩، كتاب الصلاة، باب بدء الأذان والإقامة، حديث ٣٦٢، ط المكتب الإسلامي.

(٢) نفس المصدر السابق، ص١٩٠، حديث ٣٦٥.

لماذا دائماً يأتي اسم عمر في التشريع أو التصحيح وتوجيه النبي؟! فموافقات عمر قد تعدت العشرين!!

نعم.. لقد أراد رواة هذه الروايات الموضوعة في عمر أن يدعموا ويؤكدوا صحة حديث (لو كان بعدي نبي لكان عمر) وحديث (المحدث والملهم عمر)!

قال الحاكم في المستدرك على الصحيحين:

... عن سفيان بن الليل قال: لما كان من أمر الحسن بن علي ومعاوية ما كان قدمت عليه المدينة وهو جالس في أصحابه فذكر الحديث بطوله قال:

فتذاكرنا عنده الأذان، فقال بعضنا: إنما كان بدء الأذان رؤيا عبدالله بن زيد بن عاصم، فقال له الحسن بن علي إن شأن الأذان أعظم من ذاك، أذَّن جبريل عليه السلام في السماء مثنى مثنى وعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقام مرة مرة فعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأذن الحسن حين ولي[1].

وهذا يفنِّد ما يدَّعيه أهل العامة في شأن الأذان ويتبين لنا أن الأذان شُرِّع يوم أُسري برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن نعلم علم اليقين بأن الإسراء والمعراج كان في مكة المكرمة، وقد شرع الأذان في ذلك الحين أي قبل الهجرة.

يقول ابن حجر:

وردت أحاديث تدل على أن الأذان شُرِّع بمكة قبل الهجرة[2].

واقرأ معي أخي الكريم ما يقوله ابن كثير في تاريخه:... ابن جريج قال قال لي عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول ائتمر النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة فبينا عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس إذ رأى عمر في المنام لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة[3].

وفي مصنف عبدالرزاق أيضاً بهذا اللفظ ولكن باختلاف يسير مع وجود جمل مهمة

---

(١) ج٣، ص١٧١، كتاب معرفة الصحابة، ط بيروت.

(٢) فتح الباري، ج٢، ص٩٨، كتاب الأذان، باب بدء الأذان.

(٣) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى٧٧٤هـ، المجلد٢، ج٣، ص٢٣٣، في الأذان ومشروعيته، ط١/١٩٦٦م، مكتبة المعارف، بيروت.

جداً قد بترها ابن كثير في تاريخه، عبدالرزاق عن ابن جريج قال عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول إيتمرالنبيﷺ وأصحابه كيف يجعلون شيئاً إذا أرادوا جمع الصلاة اجتمعوا لها فائتمروا بالناقوس قال فبينا عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس إذا رأى في المنام أن لا تجعلوا الناقوس بل اذنا بالصلاة قال فذهب عمر إلى النبيﷺ ليخبره بالذي رأى وقد جاء النبيﷺ الوحي بذلك، فما راع عمر إلا بلال يؤذن فقال النبيﷺ قد سبقك بذلك الوحي حين أخبره بذلك عمر[1].

وأخيراً أقول.. من هو ابن زيد أو عمر حتى يشرعوا هذه الشعيرة ـ الأذان ـ أو يشتركوا ويشيروا بها على رسولنا الأكرم عندما كان محتاراً في كيفية النداء للصلاة كما تدعي العامة ذلك؟! فمن يكون نبياً رسولاً وخاتماً للأنبياء وحبيباً لرب السماء وله رب حكيم قدير، هذا النبي الذي جاء عالماً معلماً وجاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فإنه لن يحتار في أمر كهذا ولن يحتاج إلى مشورة الصحابة في ذلك، بل ولا يجوز للنبي أن يشرك الصحابة معه ويستشيرهم في أمر ديني أو شعيرة من الشعائر.

ومن أراد المزيد فليراجع كتابنا كشف المتواري في صحيح البخاري ج٢، ص٥٤١، كتاب التفسير، باب قوله ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ وسوف تجد ما يثلج صدرك.

---

(١) المصنف لعبدالرزاق بن همام الصنعاني المتوفى٢١١هـ، ج١، ص٤٥٦، ح١٧٧٥، باب بدء الأذان، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط١//١٣٩٠هـ، بيروت.

باب فضل الأذان وهرب الشيطان

١٢٤.... عن أبي هريرة أن النبيﷺ قال إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضي التأذين أقبل حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر حتى إذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول له اذكر كذا واذكر كذا لما لم يكن يذكر من قبل حتى يظل الرجل ما يدري كم صلى.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه:

للأذان فضل على كثير من العبادات، والتأذين منزلة وشرف منحها الرسولﷺ لبلال مقابل صموده أمام التعذيب وجهره بأحد أحد في وجه عتاة الكافرين.

الأذان صاروخ يصم آذان أعداء الإسلام، ويكبتهم ويشعل الحسرة في صدورهم، الأذان رفع لشأن الإسلام وإعلاء لكلمته وإعلان عن شعائره، ورفع لرأس المؤذن، وعزة للمسلمين، ومن هنا كان المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة، وأكثرهم عزة وكرامة وفضلاً وشأناً، ومن هنا كان الأذان إرغاماً للشيطان، وإذلالاً، ومجابهة له وخذلاناً، إنه إذا سمع الأذان ولى وأدبر يجري كأنه حمر مستنفرة فرت من قسورة، يجري ويحدث صوتاً حين يجري يغطي بصوته على أذنيه كيلا تسمع الأذان، صوت قبيح كالضراط، وحقاً لا يخرج الخبيث إلا الخبائث، ولا يهرب الخبيث إلا من الطيبات، يجري ويبتعد من صوت المؤذن ما دام يؤذن، فإذا فرغ من أذانه عاد إليه وإلى أهل المسجد يوسوس لهم ويغويهم ويأتيهم من خلفهم ومن بين أيديهم، فإذا سمع إقامة الصلاة فر كما تفر

الفيران من القط، فر بعيداً عن صوت التوحيد والدعوة إلى الله، فإذا انقضت إقامة الصلاة عاد إلى المصلين يخطر بينهم وبين قلوبهم يوسوس لهم ويزين أمور الدنيا في نفوسهم ويذكرهم في صلاتهم بمتاعهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم ليحول بينهم وبين الخشوع، ويباعد بينهم وبين الإقبال على الله بكل الجوارح، وبقدر جهاد المؤمن للشيطان وبقدر تغلبه عليه في هذا الميدان، وبقدر خشوعه لربه، يكون له من ثواب الصلاة، فقد قال ﷺ: (ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها) وإن كثيراً من المصلين يتغلب عليهم شيطانهم، فيخرجون من الصلاة كأنهم ما دخلوا فيها، يقرؤون ويركعون ويسجدون وهم لا يشعرون أجسامهم في الصفوف وأفكارهم مع الشيطان، لا يدركون كم ركعة صلوا؟ ولا ماذا قرءوا؟ ولا كيف بدءوا؟ ولا متى انتهوا؟ إنهم الذين استجابوا لوسوسة الشيطان، إنهم الذين لم يأخذوا حذرهم منه، إنهم الذين نسوا قوله لربه، رب العزة والجبروت ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ الأعراف/١٦ـ ١٧، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

ويقول:

(له ضراط (والضراط بضم الضاد خروج الريح من الدبر بصوت، والجملة إسمية وقعت حالاً بدون واو لحصول الارتباط بالضمير، وفي رواية (وله ضراط) بالواو، قال القاضي عياض: يمكن حمله على ظاهره لأن الشيطان جسم متغذ، يصح منه خروج الريح، ويحتمل إنه كناية عن شدة نفاره... قال الطيبي: شبه شغل الشيطان نفسه عن سماع الأذان بالصوت الذي يملأ السمع ويمنعه عن سماع غيره، ثم سماه ضراطاً تقبيحاً له، انتهى. فكأنه قال: ولى هارباً محدثاً صوتاً يشغل به أذنيه عن الأذان، صوتاً قبيحاً شبيهاً بالضراط....

قال العيني: هذا تمثيل لحال الشيطان عند هروبه من سماع الأذان بحال من دهاه أمر عظيم واعتراه خطب جسيم، حتى حصل له الضراط من هول ما هو فيه، لأن الواقع في شدة عظيمة من خوف وغيره تسترخي مفاصله، ولا يقدر على أن يملك نفسه، فينتفع منه مخرج البول والغائط، ولما كان الشيطان ـ لعنه الله ـ تعتريه شدة عظيمة وداهية جسيمة عند النداء إلى الصلاة، فيهرب حتى لا يسمع الأذان، شبه حاله بحال ذلك

الرجل، واثبت له على وجه الادعاء الضراط، الذي ينشأ من كمال الخوف الشديد، وفي الحقيقة ليس هناك ضراط، انتهى، وهو كلام جيد.

(حتى إذا ثوب للصلاة أدبر)... قيل هو من ثاب إذا رجع، والمراد من التثويب بالصلاة، إقامتها ومقيم الصلاة راجع إلى الدعاء إليها، فإن الأذان دعاء إلى الصلاة، والإقامة دعاء إليها.

(حتى يخطر بين المرء ونفسه)... ومعناه يوسوس، وهو من قولهم: خطر الفحل بذنبه إذا حركه، فضرب به فخذيه....

(لما لم يكن يذكر من قبل) أي لشي لم يكن على ذكره قبل دخوله في الصلاة....

(حتى يظل الرجل ما يدري كم صلى) غاية لوسوسة الشيطان، أي أنه يوسوس للرجل حتى يصير لا يدري كم صلى من الركعات؟ أثلاثاً أم أربعاً...[1].

ماذا يقول البخاري في صحيحه؟

... عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: إن عفريتاً من الجن تَفَلَّتَ علي البارحة ـ أو كلمة نحوها ـ ليقطع على الصلاة فأمكنني الله منه فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ قال روح فردَّه خاسئاً[2].

يقول ابن حجر في شرحه فتح الباري:

جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي... فأخذته فصرعته، فخنقته حتى وجدت لسانه على يدي[3].

يقول تعالى في محكم كتابه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[4].

---

(١) فتح المنعم، ج٢، ص٤٦٥، حديث٦٨٩.

(٢) كتاب الصلاة، باب الأسير أو الغريم.

(٣) ج١، ص٦٩٢، ح٤٦١.

(٤) الحجر: ٤٢.

ويقول عز من قائل: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[1].

رائحة وضع أستاذ أبي هريرة كعب الأحبار اليهودي واضحة في هذا الحديث.

نعم.. هذا الشيطان أو العفريت ترك جميع المصلين وأمسك بتلابيب النبي الأكرم يشاغله! ومتى؟! حال الصلاة التي هي قرة عين النبي الأكرم!! فلو كان حديث الضراط صحيحاً لكان من الأولى أن الشيطان يفر من النبي الذي يجسد الإسلام والإيمان والصلاة فضلاً عن الأذان، وكأن النبي الأكرم قد نسي الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم! لذا تسلط الشيطان عليه!!

يقول اسماعيل الكردي ناقلاً عن البخاري ومسلم:... عن أبي هريرة قال: إذا سمعتم صياح الديكة فاسئلوا الله من فضله، فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار، فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطاناً[2]!

ورد في الحديث استحباب الدعاء عن سماع صوت الديك، خاصة أن الديك يصيح عند الفجر، فيوقظ الناس لصلاة الفجر، وورد أن صياح الديك تسبيحه، أما كون صياح الديك سببه أنه رأى ملاكاً، فهذا من غرائب المرويات عن أبي هريرة، ويبدو لي أنه إضافة مدرجة من حديث أبي هريرة ظن الرواة عنه أنها مرفوعة، ذلك لأن هذا التعليل لسبب صياح الديك يشكل عليه أن القرآن الكريم والحديث نصا على أن لكل ابن آدم ملائكة حفظة وملكان يكتبان أعماله، فالمفروض أن تصيح الديكة ليل نهار كلما رأت إنساناً، لأجل أنها ترى معه أولئك الملائكة، مع أن شيئاً من هذا لا يحدث! وقديماً قال علماء الحديث: أكذب الحديث ما كذبته المشاهدة والواقع المحسوس.

وكذلك تعليل نهيق الحمار برؤيته لشيطان، فإنه يشكل عليه ما ورد في صحيح الحديث أن لكل إنسان شيطاناً موكلاً به، ومثله ما جاء في القرآن الكريم من وجود القرين للإنسان ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فصلت/٢٥، ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ ق/٢٧، ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ

(١) النحل: ٩٩ـ١٠٠.

(٢) نحو تفعيل قواعد متن الحديث، ص٢٧٥، ط١/٢٠٠٢م، الأوائل، دمشق.

﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ النساء/٣٨، ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ الزخرف/٣٦ـ ٣٨، وقد بين لنا الحق تعالى أن الشيطان كثير الوسوسة للإنسان وعلمنا أن نستعيذ بالله من شر الوسواس الخناس... إلى آخره، والحاصل، أن الناس في غالب أحوالهم معرضون لمحاولات الإضلال من قبل الشيطان ولوساوسه، فلو كان نهيق الحمار سببه رؤية الشيطان لوجب أن تنهق الحمير في الأوقات كلها ولدى رؤيتها للناس! وللزم أنه إذا كان الإنسان راكباً حماراً، فكلما وسوس له الشيطان بشيء، وجب أن ينهق الحمار من تحته لرؤيته الشيطان!

وكذلك يشكل متن هذا الحديث إذا وضعناه بجانب الحديث الأخير، حيث كثيراً ما يكون حمار أو حمير ـ في القرى ـ على باب مسجد أو قرباً منه، ثم نرى أن المؤذن يؤذن، ولكن لا نسمع نهيق الحمار! مع أنه من المفروض حسب الحديث الأول أن الشيطان خرج من المسجد له ضراط، وحسب الحديث الثاني أن الحمار يرى الشيطان، وينهق عند رؤيته!

هذا، عدا عن التساؤل كيف يكون للحمار والديك ـ وهما أدنى مستوى وأقل بكثير عقلاً وملكات واستعداداً من الإنسان ـ أن يريا ما لا يراه الإنسان، ويدركا ما لا يدركه؟! مع أن القرآن إذا أراد أن يضرب مثلاً لجهالة الإنسان الكافر وتعطل حواسه عن رؤية الحق، شبهه بالحيوان، فقال عن الكفار مثلاً: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ الفرقان/٤٤، وقال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الأنفال/٢٢، وقال: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ الجمعة/٥...[1].

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٢٧٧.

باب إثبات التكبير

١٢٥.... عن أبي بكر بن عبدالرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول كان رسول اللهﷺ اذا قام إلى الصلاة يكبر حين يقوم ثم يكبر حين يركع ثم يقول سمع الله لمن حمده حين يرفع صلبه من الركوع ثم يقول وهو قائم ربنا ولك الحمد ثم يكبر حين يهوي ساجداً ثم يكبر حين يرفع رأسه ثم يكبر حين يسجد ثم يكبر حين يرفع رأسه ثم يفعل مثل ذلك في الصلاة كلها حتى يقضيها ويكبر حين يقوم من المثنى بعد الجلوس ثم يقول أبو هريرة إني لأشبهكم صلاة برسول اللهﷺ.

١٢٦.... حديث ابن جرير وفي حديثه فإذا قضاها وسلم أقبل على أهل المسجد، قال والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول اللهﷺ.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه: كان لفظ (الله أكبر) شعار الجهر بالدعوة، ثم كان شعار النداء للصلاة، ثم كان مفتاحها، ثم صار شعارها في كل رفع وخفض فيها، كانﷺ إذا قام للصلاة واستقبل القبلة، افتتح الصلاة بالتكبير، ثم إذا أراد أن يركع كبر وإذا رفع من الركوع قال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، ثم يكبر حين يهوي ساجداً ،ثم يكبر حين يرفع رأسه، ثم يكبر حين يسجد، ثم يكبر حين يرفع رأسه، ثم يفعل ذلك في الصلاة كلها، حتى يقضيها، ويكبر حين يقوم من التشهد الأوسط، وتلقى الصحابة هذا التكبير عن رسول اللهﷺ، وإن كان بعضهم قد خفي عليه الصوت لبعده فظن أن الرسول الأكرم لم يواظب عليه، وربما كان قد تركه في بعض

الأحيان لبيان الجواز ن فلما كان عهد عثمان بن عفان، وضعف صوته ترك الجهر ببعض التكبير، وتعمد تركه خلفاؤه من بني أمية في إمامتهم الناس، وكادت هذه السنة أن تندثر لولا أن هيأ الله لها أمثال علي كرم الله وجهه وأبي هريرة ﷺ فأعادوا للناس إيمانهم بها، ومحافظتهم عليها، واستقر العمل على التكبير في الصلاة بمثل ما في حديث أبي هريرة...[1].

لاحظ أخي القارئ الكريم أن أبا هريرة يشهد بنفسه لنفسه ويزكي نفسه في قوله (إني لأشبهكم صلاة برسول الله)! ولكن اقرأ معي ما جاء في الصحيحين وكتب العامة المعتبرة:

جاء في البخاري:... عن عمران بن حصين قال صلى مع علي ﷺ بالبصرة فقال ذكرنا هذا الرجل صلاة كنا نصليها مع رسول الله ﷺ ذكر أنه كان يكبر كلما رفع وكلما وضع[2].

أقول:

كيف كان يصلي أبو بكر وعمر وعثمان؟! فالنبي ﷺ قال صلوا كما رأيتموني أصلي!

وإليك الحديث أخي الكريم، فأنت صاحب المعرفة والعلم ولن تقتنع إلا بالدليل والشاهد:

جاء في صحيح البخاري:... حدثنا مالك أتينا إلى النبي ﷺ ونحن شبيبة متقاربون فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلة وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا أو قد اشتقنا سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه قال ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكبركم[3].

لاحظ أخي الكريم عبارة (وصلوا كما رأيتموني أصلي) فالنبي الأكرم يوصيهم وصية خاصة في كيفية الصلاة بدون زيادة ولا نقيصة، وذلك لأهمية هذه الصلاة، فهي عمود

---

(١) فتح المنعم، ج٢، ص٤٧٧، ح٦٩٨و٧٠٠.

(٢) كتاب الأذان، باب إتمام التكبير في الركوع و صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب إثبات التكبير.

(٣) كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة.

الدين إن قبلت قبل ما سواها، وفي رواية أيضاً في صحيح البخاري عن أنس قال: ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبيﷺ قيل الصلاة، أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها[1].

وفيه أيضاً... الزهري يقول دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت[2].

قال ابن حجر في شرحه:

قوله (قيل الصلاة) أي قيل له الصلاة هي شيء مما كان على عهدهﷺ وهي باقية فكيف يصح هذا السلب العام، فأجاب بأنهم غيروها أيضاً بأن أخرجوها عن الوقت [أي جعلوا الظهر عند المغرب][3].

ويقول: إطلاق أنس محمول على ما شاهده من أمراء الشام والبصرة خاصة[4].

فالسؤال هنا: كيف كانت صلاة الصحابة؟! وكيف كان ركوعهم وسجودهم؟! ولماذا جعلوا صلاة الظهر عند المغرب؟! ولماذا ولماذا؟!

يقول ابن حجر: إطلاق أنس محمول على ما شاهده من أمراء الشام والبصرة!

فأقول:

إن ابن حجر يحاول الدفاع عن الصحابة، ولكن قول أبي هريرة أنه كان يصلي بهم فيكبر كلما حفض ورفع وقوله أيضاً إني لأشبهكم صلاة برسول الله وفي الرواية الثانية التي نحن بصددها أن مروان كان يستخلفه على المدينة وهذا دليل على أن الصحابة في المدينة كانوا يصلون خلاف صلاة أبي هريرة التي هي صلاة النبي الأكرم كما ادعى الدوسي ذلك، فقول ابن حجر أن تغيير الصلاة عن وقتها وكيفيتها في الشام والبصرة فقط، مردود.

وخوفاً من الإطالة عليك أخي الكريم أعود لصلب الموضوع:

---

(١) كتاب مواقيت الصلاة، باب تضييع الصلاة عن وقتها.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) فتح الباري، ج٢، ص١٧ـ١٨، ح٥٢٩،.

(٤) نفس المصدر السابق، ص١٩، ح٥٣٠.

إن أهل العامة إذا رأوا في كتاب ما فضيلة لأهل البيت أو قدحاً في صحابي مبجل عندهم فإنهم إن استطاعوا أن يحذفوا هذه الفضيلة أو القدح فعلوا ذلك وحذفوا، وإن لم يستطيعوا حذف الحديث فإنهم يعرضونه على مقص البتر كعادتهم، وإن لم يستطيعوا قاموا بوضع حديث قبال الحديث الذي لم يستطيعوا حذفه ولا بتره، وإليك الأمثلة على الثلاثة أمور التي ذكرناها:

١. قال النبي الأكرم: إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي(١).

قام البخاري بحذف هذا الحديث المتواتر برمته ولم يذكره في صحيحه!.

٢. جاء في مسند أحمد بن حنبل:

عن عائشة: أن أبا بكر قال لها: في أي يوم مات رسول الله ﷺ؟

فقالت: في يوم الإثنين.

فقال: ما شاء الله، إني لأرجو فيما بيني وبين الليل.

قال: ففيم كفنتموه؟ قالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية يمانية، ليس فيها قميص ولا عمامة. وقال أبو بكر: انظري ثوبي هذا فيه ردع زعفران أو مِشْق، فاغسليه واجعلي معه ثوبين آخرين. فقالت عائشة: يا أبت، هو خَلَقٌ. قال: إن الحي أحق بالجديد. وإنما هو للمهلة. وكان عبدالله بن أبي بكر أعطاهم حلة حِبَرَة، فأدرج فيها رسول الله ﷺ، ثم استخرجوه منها!! فكفن في ثلاثة أثواب بيض. قال: فأخذ عبدالله الحلة فقال: لأكفنن نفسي في شيء مَسَّ جلد النبي ﷺ. ثم قال بعد ذلك: والله لا أكفن نفسي في شيء منعه الله عَزَّوَجَلَّ نبيه ﷺ أن يكفن فيه. فمات ليلة الثلاثاء ودفن ليلاً، وماتت عائشة فدفنها عبدالله بن الزبير ليلاً(٢).

ثم اقرأ حديث البخاري المبتور التالي:

---

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج٣، ص١٤ و١٧ و٢٦ و٥٩، مسند أبي سعيد الخدري وج٤، ص٢٦٧ و٣٧١، مسند زيد بن أرقم، ط دار الفكر العربي، بيروت. ورواه مسلم بصيغة أخرى مبتورة في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ـ الموسوعة الحديثية، ج٤١، ص٤٦٥، حديث ٢٥٠٠٥، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وجمع من المحققين، ط مؤسسة الرسالة، بيروت.

... عن عائشة... قالت: دخلت على أبي بكر... فقال: في كم كفنتم النبيﷺ؟ قالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية[1] ليس فيها قميص ولا عمامة وقال لها في أي يوم توفي رسول اللهﷺ؟ قالت يوم الإثنين قال: فأي يوم هذا؟ قالت يوم الإثنين قال أرجو فيما بيني وبين الليل فنظر إلى ثوب عليه كان يمرض فيه به رَدْع من زعفران فقال: اغسلوا ثوبي هذا وزيدوا عليه ثوبين فكفنوني فيهما. قلت إن هذا خَلَقٌ، قال: إن الحي أحق بالجديد من الميت إنما هو للمُهلة فلم يُتَوف حتى أمسى من ليلة الثلاثاء ودفن قبل أن يصبح[2].

لقد بتر البخاري (كفن النبي بعد أن جرد من أكفانه) بسبب أن الأثواب جديدة وبيضاء وخوفاً من أن تتلف تحت الأرض، لذا جردوه منها وكفنوه بأثواب خلقة!!

راجع إن شئت كتابنا كشف المتواري في صحيح البخاري، ج١، ص٣٤٩، ح١٨٧، وكذلك كتابنا مناقشاتي في أحاديث أهل السنة.

٣. أما الأمر الثالث وهو إذا لم يستطيعوا حذف أو بتر الحديث قاموا بوضع حديث قبال الحديث بحيث أنه يساويه في المعنى كحديث أبي هريرة الذي نحن بصدده وأنه صلى صلاة النبي الأكرم في الصحابة، فعلى ضوء ما قرأنا كم من فضيلة لأهل البيتعليهم السلام أو منقبة جاءت فيهم على لسان النبي الأكرم قام البخاري ومن على شاكلته ببتر جملة مهمة منها إن لم يكن الحديث بتمامه قد حذف وشطب من ذاكرة هذا الذي كان حافظاً وكان يأكل في اليوم لوزتين، وذلك ليصفي ذهنه وكان قبل أن يكتب الحديث يغتسل ويصلي ركعتين، هذا بالإضافة إلى هذا الدوسي الذي كان نشطاً في وضعه الحديث.

١٢٧. ... عن مطرف قال صليت أنا وعمران بن حصين خلف علي بن أبي طالب فكان إذا سجد كبر وإذا رفع رأسه كبر وإذا نهض من الركعتين كبر فلما انصرفنا من الصلاة قال أخذ عمران بيدي ثم قال لقد صلى بنا هذا صلاة محمدﷺ أو قال قد ذكرني هذا صلاة محمدﷺ.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين ناقلاً قول ابن حجر في ذلك: استدل بعضهم (في هذه الرواية) من صلاة مطرف وعمران خلف عليرضي الله عنه أن موقف الإثنين يكون خلف الإمام

---

(١) نسبة إلى سحول قرية باليمن ـ إرشاد الساري للقسطلاني ـ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب موت يوم الإثنين.

خلافاً لما قال يجعل أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، قال وفيه نظر لأن فيه أنه لم يكن معهما غيرهما[1].

أقول:

إن هذه الرواية تخطت مقص البتر والحذف! وعندما جعلوا قبالها رواية أبي هريرة التي مرت علينا اغتاظ ابن حجر ولسان حاله يقول كان من واجب مسلم والبخاري حذف هذه الرواية لأن فيها نظراً وهي من الروايات الموضوعة! فمن أين علم أنه لم يكن خلف الإمام علي عليه السلام غيرهما؟! وهو الحاكم والخليفة والإمام، إمام الأمة وإمام الجماعة في الصلاة، وهذه الصلاة كانت في البصرة، فإما أن يكون الإمام قد حط رحله وجنده هناك استعداداً لمعركة الجمل، وإما أنه كان ذاهباً إلى الكوفة، عاصمة الدولة الإسلامية الجديدة، ففي كلتا الحالتين كان أصحابه وعشيرته حوله، فكيف صلى إماماً لهذين الشخصين فقط؟! فماذا عساه يقول ابن حجر والأستاذ الدكتور لاشين؟!.

راجع ما قبله.

---

(١) فتح المنعم، ج٢، ص٤٨٠، ح٧٠٣.

باب وجوب قراءة الفاتحة

١٢٨. ... عن عبادة بن الصامت يبلغ به النبيﷺ: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب.

يقول الأبي في شرحه: قوله (لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) سميت بذلك لأنه بها افتتح كتابه المجيد وبها افتتحت الصلاة وأجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية إذا أدت المعنى[1].

أقول:

إن سورة الفاتحة تتكون من سبع آيات وأول آية في هذه السورة هي آية البسملة، أي (بسم الله الرحمن الرحيم).

نعم.. هذه أول آية من السورة الكريمة ولو كنت في شك من ذلك أخي القارئ فافتح المصحف على هذه السورة لترى بأم عينيك أن البسملة أول آية من هذه السورة كما ذكرنا.

ولكن الصحابة لم يكونوا يقرأون هذه الآية، بل كانوا يستفتحون بالحمد مباشرة في حين أنهم كانوا يقرأون في آخر السورة كلمة (آمين) التي ليست من ضمن السورة، وأيضاً أخي القارئ افتح المصحف وانظر بنفسك هل ترى كلمة (آمين) في آخر سورة الفاتحة؟! طبعاً لا ترى ذلك!

إذن.. فالصحابة كانوا قد تركوا الواجب وهو قراءة البسملة وأتوا بالبدعة وهي كلمة

---

(١) إكمال إكمال المعلم، ج٢، ص٢٦١، ح٣٩٤.

آمين.

جاء في مسلم:

... حدثنا الأوزاعي عن عَبدَةَ أن عمر بن الخطاب كان يجهر بهؤلاء الكلمات يقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جَدُّك ولا إله غيرك وعن قتادة أنه كتب إليه يُخبره عن أنس بن مالك أنه حدَّثه قال صلَّيت خلف... أبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لا يذكرون ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في أول قراءة ولا في آخرها[1]!

لاحظ أخي الكريم أنَّ عمل هؤلاء الصحابة وتركهم (البسملة) من فاتحة الكتاب وفي الصلاة أصبح عُرفاً وذلك لأن الصحابة تركوها فعملهم حجة وفتوى لأهل العامة، بل وينسخ إن صح التعبير سنة الرسول ﷺ!!

ولنقرأ ما يقوله الفخر الرازي في تفسيره الكبير:

أحمد بن حنبل أنه قال: التسمية آية من الفاتحة... وأما الشافعي فإنه قال إنها آية منها ويجهر بها.

ويقول الرازي ويستشهد بما رواه الشافعي:

إن معاوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾... فلما سلم ناداه المهاجرون والأنصار يا معاوية سرقت منا الصلاة! أين ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

روى البيهقي في السنن الكبرى عن أبي هريرة قال:

كان رسول الله ﷺ يجهر في الصلاة بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

وأما أن علي بن أبي طالب ﷺ كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى! والدليل عليه قوله عليه السلام: (اللهم أَدِر الحق مع علي حيثُ دار)[2].

ويقول: أن علياً ﷺ كان مذهبه الجهر بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في جميع الصلوات.

---

(١) كتاب الصلاة، باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة.

(٢) ج١، ص٢٠٥، المسائل الفقهية المستنبطة من الفاتحة، ط٣.

وأقول: إن هذه الحجة قوية في نفسي راسخة في عقلي لا تزول ألبتة بسبب كلمات المخالفين[1].

وأخيراً أقول:

إن أهل العامة يتمسكون بعمل وفعل وقول الصحابي، ويتركون قول النبي ﷺ!

١٢٩.... عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى ثم جاء فسلم على رسول الله ﷺ فرد رسول الله ﷺ السلام قال ارجع فصل فإنك لم تصل فرجع الرجل فصلى كما كان صلى ثم جاء إلى النبي ﷺ فسلم عليه فقال رسول الله ﷺ وعليك السلام ثم قال ارجع فصل فإنك لم تصل حتى فعل ذلك ثلاث مرات فقال الرجل والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا علمني قال إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ثم افعل ذلك في صلاتك كلها.

يقول الأبي في شرحه: (قوله (ارجع) فيه الرفق في الأمر بالمعروف لأنه لم يوبخه ولا زجره، فإن قيل: كيف أمره أن يرجع فيصلي صلاة فاسدة ولم يعلمه أول مرة؟ قيل: جوز ﷺ أن يعيدها صحيحة ولأن التعليم بعد تكرار الخطأ أثبت من التعليم ابتداءً.

قوله (فإنك لم تصل) فيه أن عبادة الجاهل المختلة لا يعتد بها....

قوله (ثم جاء فسلم) قلت فيه السلام عند اللقاء وإن تكرر عن قرب.

قوله (فقال وعليك السلام) فيه الرد على المسلم وإن تكرر بالقرب.

قوله (لا أحسن غير هذا) قلت: يدل أنه كذلك كان يلي ولم يأمره بالإعادة.

أخرج الحاكم النيسابوري في مستدركه:... فقال الرجل ما أدري ما عبت علي من صلاتي، فقال رسول الله ﷺ: إنها لا تتم صلاة أحد حتى يسبغ الوضوء ويقرأ القرآن ما أذن الله له فيه ثم يكبر ويركع ويضع كفيه على ركبتيه، حتى يطمئن مفاصله ويستوي ثم يقول سمع الله لمن حمده ويستوي قائماً حتى يأخذ كل عظم مأخذه ثم يقيم صلبه ثم يكبر فيسجد فيمكن جبهته من الأرض حتى يطمئن مفاصله ثم يكبر فيرفع رأسه

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٢٠٤.

ويستوي قاعداً على مقعدته ويقيم صلبه، فوصف الصلاة هكذا حتى فرغ، ثم قال: لا يتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين[1].

لاحظ أخي القارئ الكريم أن النبي الأكرم قد عدد الفرائض والسنن وذكر كيفية الصلاة وبدقة لذلك الرجل، وذكر له أيضاً جميع الحركات والسكنات حال الصلاة بدءاً من تكبيرة الإحرام حتى نهايتها ولم يأمره بالقبض أو التكتف (أي وضع اليمنى على اليسرى) فتأمل.

(١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، ج١، ص٢٤٢، كتاب الصلاة، باب التأميم.

باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة

١٣٠.... عن عبدة أن عمر بن الخطاب كان يجهر بهؤلاء الكلمات يقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وعن قتادة أنه كتب إليه يخبره عن أنس بن مالك أنه حدثه قال صليت خلف النبيﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بـ (الحمد لله رب العالمين) لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها.

يقول القرطبي: اختلف الفقهاء في ذلك فمنهم من قال هي من الفاتحة كالشافعي واصحاب الرأي قرأها فيها، ومن لم ير ذلك كالجمهور، فهل تقرأ في الصلاة أو لا، وإذا قرئت فهل يجهر بها مع الحمد أو يُسَرَّ، فمشهور مذهب مالك أنه لا يقرؤها في الفرائض ويجوز له أن يقرأها في النوافل تمسكاً بالحديث، وعنه رواية أخرى أنها تقرأ أول السورة في النوافل ولا تقرأ أول أم القرآن وروى عنه ابن نافع ابتداء القراءة بها في الصلاة الفرض والنقل ولا تترك بحال وأما هل يجهر بها فالشافعي يجهر بها مع الجهر وأما الكوفيون فيُسر بها على كل حال والصحيح أن البسملة ليست آية من القرآن إلا في النمل خاصة فإنها آية هناك مع ما قبلها بلا خلاف وأما في أوائل السورة وفي أول الفاتحة فليست كذلك لعدم القطع بذلك[1].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، ج٢، ص٣١، ح٣١٥، كتاب الصلاة، باب ترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم، ط٢/١٤٢٠هـ، دار ابن كثير، بيروت.

راجع الحديث القادم لتعلم أن البسملة آية من أول كل سورة وكذلك راجع باب وجوب قراءة الفاتحة من كتابنا هذا.

باب حجة من قال بالبسملة آية من أول كل سورة

١٣١.... عن أنس قال بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت علي آنفاً سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ ثم قال أتدرون ما الكوثر فقلنا الله ورسوله أعلم قال فإنه نهر وعدنيه ربي عَزَّوَجَلَّ عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول ما تدري ما أحدثت بعدك زاد ابن حجر في حديثه بين أظهرنا في المسجد وقال ما أحدث بعدك.

يقول الأستاذ الدكتور موسى لاشين في شرحه:... كنت مع النبي ﷺ ذات يوم في المسجد، فأغفى إغفاءة، وأخذته سنة خفيفة من النوم، فانتبه وهو يبتسم فقلنا مم تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سنك؟ قال: لقد أنزلت علي في هذه اللحظات سورة، فقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ لقد كان العاص بن وائل يقول إن محمداً لا عقب له، فإذا مات مات ذكره، فنزلت هذه السورة تبشر رسول الله ﷺ بفضل الله عليه وتكريمه إياه بالكوثر، وتتوعد العاص وأمثاله بانقطاع ذكرهم في الدنيا من بعدهم، قال ﷺ لأصحابه: أتدرون ما الكوثر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فأخبرنا يا رسول الله، قال: هو نهر عظيم في الجنة ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، من شرب منه

شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وإن أمتي ترده يوم القيامة أعرفهم من بين الناس، إذ هم غر محجلون من آثار الوضوء وقد أجد أحدهم يذاد عن الحوض، فأقول يا رب هذا من أمتي؟ فيقول لي: لا تدري ما أحدث بعدك، لقد ارتد على أدباره، فأقول ما قال أخي عيسى ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ المائدة/١١٨[1].

قال النووي: يختلج أي ينتزع ويقتطع[2].

ويقول الدكتور لاشين: خلج يختلج، جذب وانتزع فالمعنى فيجذب وينتزع العبد من أمتي إلى ناحية بعيدة عن الحوض ويذاد عنه ويطرد ويدفع!

لا تدري ما أحدثت بعدك أي ما أحدثت أمتك بعدك... أي المختلج المطرود عن الحوض[3].

أقول:

لابد لنا أن نرجع إلى سبب نزول سورة الكوثر لنرى ما يقول المفسرون في ذلك.

جاء في تفسير ابن عباس: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ يقول أعطيناك يا محمد الخير الكثير. ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ يقول مبغضك ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أبتر عن أهله وولده وماله وعن كل خير لا يذكر بعد موته وهو العاص بن وائل السهمي... (قال) إن محمداً... هو الأبتر بعدما مات ابنه عبدالله[4].

ويقول الزمخشري في تفسيره: نزلت في العاص بن وائل وقد سماه الأبتر، والأبتر هو الذي لا عقب له[5].

ويقول القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن: إن العاص وقف مع النبيﷺ

---

(١) فتح المنعم، ج٢، ص٤٩٧، ح٧٢١.

(٢) شرح صحيح مسلم، المجلد٢، ج٤، ص٣٥٦، ح٤٠٠.

(٣) فتح المنعم، ج٢، ص٤٩٩، ح٧٢١.

(٤) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص٥٢٠، ط دار الجيل، بيروت.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، المتوفى ٥٣٨هـ، ج٤، ص٢٩١، ط الدار العالمية.

يكلمه فقال له جمع من صناديد قريش مع من كنت واقفاً فقال مع ذلك الأبتر[1].

ويقول ابن كثير في تفسيره: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له فإذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله هذه السورة[2].

أما الفخر الرازي فيقول: أن العاص بن وائل كان يقول إن محمداً أبتر لا ابن له يقوم مقامه بعده، فإذا مات انقطع ذكره واسترحتم منه، وكان قد مات ابنه عبدالله من خديجة، وهذا قول ابن عباس ومقاتل والكلبي وعامة أهل التفسير....

ويقول: نزلت في أبي جهل فإنه لما مات ابن رسول الله قال أبو جهل إني أبغضه لأنه أبتر، وهذا منه حماقة حيث أبغضه بأمر لم يكن باختياره فإن موت الإبن لم يكن من مراده... نزلت في عمه أبي لهب فإنه لما شافهه بقوله تباً لك كان يقول في غيبته إنه أبتر... أنها نزلت في عقبة بن أبي معيط، وإنه هو الذي كان يقول ذلك، واعلم أنه لا يبعد في كل أولئك الكفرة أن يقولوا مثل ذلك فإنهم كانوا يقولون فيه ما هو أسوأ من ذلك، ولعل العاص بن وائل كان أكثرهم مواظبة على هذا القول فلذلك اشتهرت الروايات بأن الآية نزلت فيه.

ويقول: الكفار لما شتموه، فهو تعالى أجاب عنه من غير واسطة، فقال ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ وهكذا سنة الأحباب، فإن الحبيب إذا سمع من يشتم حبيبه تولى بنفسه جوابه، فهنا تولى الحق سبحانه جوابهم[3].

ويقول الثعلبي في تفسيره: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قال ابن عباس نزلت هذه السورة في العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم...[4].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى ٦٧١هـ، ج١٠، ص٧٣١٢، ط دار الشعب، القاهرة.

(٢) تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ج٤، ص٥٥٩، ط١٤٠٢هـ، دار المعرفة، بيروت.

(٣) التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، المتوفى٦٠٦هـ، ج٣٢، ص١٣٤، ط٣.

(٤) الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، لأحمد الثعلبي المتوفى ٤٢٧هـ، ج١٠، ص٣٠٧، ط١٤٢٢/١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ويقول الإمام الشامي:... عن محمد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه قال كان القاسم بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجيدة فلما قبض قال العاص بن وائل لقد اصبح محمد أبتر فنزلت ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ الكوثر/١، عن مصيبتك يا محمد بالقاسم فهذا يدل على أن القاسم مات بعد البعثة[1].

ويقول: اختلف في القائل لما مات القاسم إن محمداً أبتر فقيل العاص بن وائل السهمي كما سبق وجزم به خلائق[2].

وقال الطبري في تفسيره: قوله ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ قال: هو العاص بن وائل. وفي رواية قال عدوك العاص بن وائل انبتر من قومه[3].

من خلال قراءتنا لبعض تفاسير أهل العامة والسيرة، يتبين أنهم متفقون على أن سبب نزول هذه السورة في العاص بن وائل السهمي وإنه كان يعيب على النبي الأكرم بأنه أبتر لا عقب له، ولكن بعض المفسرين حاولوا أن يوجهوا سبب نزول هذه السورة بتوجيهات أخرى معروفة أسبابها ومنهم سيد قطب الذي يقول في تفسيره: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ والكوثر صيغة من الكثرة، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾... وجه الرسولﷺ إلى شكر النعمة... ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ في الآية الأولى قرر أنه ليس أبتر بل هو صاحب الكوثر وفي هذه الآية يرد الكيد على كائديه ويؤكد سبحانه أن الأبتر ليس هو محمد إنما هم شانئوه وكارهوه.

ويقول سيد قطب: ورد أن سفهاء قريش ممن كانوا يتابعون الرسولﷺ ودعوته بالكيد والمكر وإظهار السخرية والاستهزاء ليصرفوا جمهرة الناس عن الاستماع للحق الذي جاءهم به من عند الله من أمثال العاص بن وائل وعقبة بن أبي معيط وأبي لهب وابي جهل

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى٩٤٢هـ، ج١١، ص١٩، الباب الرابع في ذكر سيدنا القاسم بن سيدنا ومولانا رسول اللهﷺ، تحقيق: الشيخ عادل عبدالموجود والشيخ علي معوض، ط١/١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٢٠.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري المتوفى٣١٠هـ، ج٣٠، ص٤٠٠، ط١/١٤٢١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وغيرهم كانوا يقولون عن النبيﷺ إنه أبتر يشيرون بهذا إلى موت الذكور من أولاده وقال أحدهم دعوه فإنه سيموت بلا عقب وينتهي أمره[1].

يحاول سيد قطب أن يشرك بعض المشركين مع العاص بن وائل وذلك لكي يخفف الوطأة عليه!

لماذا هذه المحاولة؟!

لأنه والد عمرو بن العاص الصحابي العدل الذي لا يجوز الطعن فيه ولو بالإشارة.

وسيد قطب في آخر حديثه يقول: (وقال أحدهم) دعوه فإنه سيموت بلا عقب وينتهي أمره!

أقول:

أجمع المفسرون أن القائل هو العاص بن وائل، فلماذا كلمة (وقال أحدهم) طالما أن هذا الشخص القائل معروف ومتفق عليه؟!

وأقول:

إن العاص بن وائل كان يعيب على النبي في قوله إنه أبتر أي لا عقب له فيأتيه الجواب من الله عَزَّوَجَلَّ مسلياً نبيه (إنا أعطيناك نهراً في الجنة)!

أنا في الحقيقة لا أعرف ما المناسبة في قول ذلك وما الربط بين القولين!

فالنبي الأكرم سواء كان أبتر أو لم يكن فإن الجنان كلها بما فيها تحت يديه ومن جملة ما فيها هذا النهر، أعيد أكرر: ما صلة الربط بين هذين القولين؟

وأخيراً أقول:

إن العاص بن وائل السهمي قال للنبي يا أبتر، يا من لا عقب له، فجاء الجواب: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ أي يا رسول الله أنت نسلك لن ينقطع كما البقية، بل نعطيك النسل الكثير الكثير، وممن؟ من ابنتك فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، ففي هذا الزمان نحن نشاهد ونرى ذرية النبي الأكرم من السادة الأجلاء الكثير الكثير وهذا يرتبط بقول العاص بن وائل أكثر وأفضل مما ذكره المفسرون جميعاً.

---

(١) في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٣٩٨٩، ط١٤٠٦/١٢هـ، دار الشروق، بيروت.

قوله (فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه منه أمتي فيقول ما تدري ما أحدثت بعدك وفي رواية: يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك[1].

ولنأخذ كمثال حادثة واحدة مما أحدثه الصحابة بعد وفاة النبي الأكرم.

قال الذهبي في سيره:... عن الزهري قال: ولي عثمان فعمل ست سنين لا ينقم عليه الناس شيئاً وإنه لأحب إليهم من عمر... ثم إنه توانى في أمرهم واستعمل أقربائه وأهل بيته في الست الأواخر وكتب لمروان بخمس مصر أو بخمس أفريقية وآثر أقربائه بالمال... واستسلف من بيت المال وقال إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما وإني أخذته فقسمته في أقربائي فأنكر الناس عليه ذلك....

ومما نقموا عليه أنه عزل عمير بن سعد عن حمص وكان صالحاً زاهداً وجمع الشام لمعاوية ونزع عمرو بن العاص عن مصر وأمر ابن أبي سرح عليها....

دعا عثمان ناساً من الصحابة فيهم عمار فقال... لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوها[2].

ومما نقموا على عثمان أيضاً ما ذكره ابن حجر في صواعقه محاولاً تبرئة عثمان مما صدر منه.

نقم الخوارج عليه (!!!)ﷺ أموراً هو منها بريء منها عزله أكابر الصحابة عن أعمالهم كأبي موسى الأشعري عن البصرة وعمرو بن العاص عن مصر وعمار بن ياسر عن الكوفة والمغيرة بن شعبة عنها أيضاً وابن مسعود عنها أيضاً وأشخصه إلى المدينة (وولاها من دونهم من أقاربه).

وجوابه: أنه إنما فعل ذلك لأعذار أوجبت عليه ذلك.

فأما أبو موسى فإن جند عمله شكوا شحه وجند الكوفة نقموا عليه أنه أمرهم بأمر

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب كما بدأنا أول خلق نعيده.

(٢) سير أعلام النبلاء، جزء سيرة الخلفاء الراشدين، ص١٨٦، مقتل عثمان، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، ط١٤١٩/٢هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

عمر لهم بطاعته بفتح رامهرمز ففتحوها وسبوا نسائها وذراريها فلما بلغه ذلك قال: إني كنت أمنتهم فكتبوا لعمر فأمر بتحليفه فحلف فأمر برد ما أخذ منهم فرفعوه لعمر فعتب عليه وقال: لو وجدنا من يكفينا عملك عزلناك، فلما توفي عمر اشتد غضب الجندين عليه فعزله عثمان خوف الفتنة.

وأما عمرو بن العاص فلإكثار أهل مصر شكايته وقد عزله عمر لذلك ثم رده لما ظهر له التقصي مما شكوه منه وتوليته ابن أبي سرح بدله فهو وإن كان ارتد في زمنهﷺ فأهدر دمه يوم الفتح أسلم وصلح حاله بل ظهرت منه في ولايته إشارة محمودة كفتح طائفة كثيرة من تلك النواحي وكفاه فخراً أن عبدالله بن عمرو بن العاص قاتل تحت رايته ككثير من الصحابة، بل وجدوه أقوم لسياسة الأمر من عمرو بن العاص ومن أحسن محاسنه لما قتل عثمان أنه لم يقاتل مسلماً بعد قتاله المشركين.

وأما عمار فالذي عزله عمر لا عثمان، وأما المغيرة فأنهي لعثمان أنه ارتشى فلما رأى تصميمهم على ذلك ظهر أن المصلحة في عزله وإن كانوا كاذبين عليه.

وأما ابن مسعود فكان ينقم على عثمان كثيراً فظهرت له المصلحة في عزله على أن المجتهد لا يعترض عليه في أموره الاجتهادية، لكن أولئك الملاعين المعترضين لا فهم لهم بل ولا عقل.

ومنها أنه أسرف في بيت المال حيث أعطى أكثره لأقاربه، كالحكم الذي رده للمدينة وكان النبيﷺ نفاه عنها إلى الطائف، وكاتبه مروان أعطاه مائة ألف وخمس إفريقية والحرث أعطاه عشراً وما يباع بأسواق المدينة، وجاءه أبو موسى بحلية ذهب وفضة فقسمها بين نسائه وبناته، وأنفق أكثر بيت المال في ضياعه ودوره.

وجواب ذلك أن أكثر ذلك مختلق عليه، ورده الحكم إنما كان لكونهﷺ وعده بذلك لما استأذنه فنقله للشيخين فلم يقبلاه لكونه واحداً فلما ولى قضى بعلمه كما هو قول أكثر الفقهاء، على أن الحكم تاب مما نفي لأجله، والحق في مروان لما تعذر نقله من أثاث أفريقية وحيوانها اشتراه من أبي سرح الأمير بمائة ألف فقد نقد أكثر، وسبق مبشراً بفتحها فترك عثمان منه البقية جزاء لبشارته فإن قلوب المسلمين كانت في غاية القلق بشدة أمر إفريقية وللإمام أن يعطي البشير ما يراه لائقاً بتعبه وخطر بشارته وتلك ألف

إنما جهزها من مال بيت الحرث، وثروة عثمان جاهلية وإسلاماً لا تنكر، وما ذكروه في العشور صحيح، نعم.. جعل له السوق لينظر فيه بالمصلحة، فوقع منه جور فعزله.

وقصة أبي موسى ذكرها ابن إسحاق بسند فيه مجهول وهو لا يكون حجة في ذلك وغنى عثمان الواسع واتصافه في غزوة تبوك بما هو مشهور عنه يمنع نسبة ذلك وأقل منه وأكثر إليه، غاية الأمر أنه لو سلم أنه أكثر من إعطاء أقاربه من بيت المال كان اجتهاداً منه فلا يعترض به عليه، زعم أنه منع أن لا يشتري أحد قبل وكيله وأن لا تسير سفينة من البحرين إلا في تجارته باطل، على أنه كان متبسطاً في التجارات، فلعله حمى سفينة أن لا يركب فيها غيره.

وفوض لزيد بن ثابت نظر بيت المال ففضلت منه فضلة فصرفها في عمارة ما زاده في مسجده ﷺ فتقولوا أنه صرفها في عمارة دوره، كما تقولوا أنه حمى لنفسه مع أنه حمى لإبل الصدقة، وأنه أقطع أكثر أراضي بيت المال مع أنه إنما هو في الإحياء على أنه عوض أشراف اليمن مثل ما تركوه من أراضيهم لما جاءوا إلى المدينة يستمروا بها تجاه الأعداء وذلك فيه مصلحة عامة فلا يعترض به.

ومنها أنه حبس عطاء ابن مسعود وأبي بن كعب ونفى أبا ذر إلى الربذة وأشخص عبادة بن الصامت من الشام إلى المدينة لما اشتكاه معاوية وهجر ابن مسعود وقال لابن عوف إنك منافق وضرب عمار بن ياسر وانتهك حرمة كعب بن عبدة فضربه عشرين سوطاً ونفاه إلى بعض الجبال، وكذلك حرمة الأشتر النخعي.

وجواب ذلك: أن حبسه لعطاء ابن مسعود وهجره له، فلما بلغه عنه مما يوجب ذلك لاسيما وكل منهما مجتهد لا يعترض بما فعله أحدهما مع الآخر، نعم زعم أن عثمان أمر بضربه باطل، ولو فرضت صحته لم يكن بأعظم من ضرب عمر لسعد بن أبي وقاص بالدرة على رأسه حيث لم يقم له وقال إنك لم تهب الخلافة فأردت أن تعرف أن الخلافة لا تهابك ولم يتغير سعد من ذلك فابن مسعود أولى لأنه كان يجيب عثمان بما لا يبقي له حرمة ولا أبهة أصلاً، بل رأى عمر أبياً يمشي وخلفه جماعة فعلاه بالدرة وقال أن هذا فتنة لك ولهم فلم يتغير أبي، على أن عثمان جاء لابن مسعود وبالغ في استرضائه فقيل قبله واستغفر وقيل لا، وكذلك ما وقع له مع أبي ذر فإنه كان متجاسراً عليه بما

يخرم أبهة ولايته فما فعله معه ومع غيره إنما هو صيانة لمنصب الشريعة وحماية لحرمة الدين، وإن عذر أبو ذر بقصده منه أن يجري على ما كان عليه الشيخان، على أنه جاء أن أبا ذر إنما اختار التحول اعتزالاً للناس مع أمر عثمان له بعدمه، وقوله أقم عندي تغدو عليك اللقاح وتروح فقال لا حاجة لي في الدنيا وهي قضية باطلة من أصلها، وكذا قضية عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه وإنما كان متوحشاً منه لأنه كان يجيئه كثيراً، ولم يضرب عماراً وإنما ضربه عثمان لما كرر إرسالهم إليه ليجيء إلى المسجد حتى يعاتبه في أشياء نقمها عليه وهو يعتذر إليه فلم يقبل وقد حلف عثمان وغلظ أنه لم يأمرهم بذلك ثم بالغ في استرضائه وظهر ما يدل على أنه رضي عنه!!

وفعله بكعب ما ذكر، فعذره فيه أنه كتب إليه فأغلظ عليه ثم استدرك عثمان ذلك فبالغ في استرضائه فخلع قميصه ودفع إليه سوطاً ليقتص منه فعفا ثم صار من خواصه!!

وما فعله بالأشتر معذور فيه فإنه رأس فتنة في زمان عثمان بل هو السبب في قتله بل جاء أنه هو الذي باشر قتله بيده فأعمى الله بصائرهم، كيف لم يذموا فعل هذا المارق وذموا فعل من شهد له الصادق بأنه الإمام الحق وأنه يقتل شهيداً مظلوماً وأنه من أهل الجنة!!

ومنه أنه أحرق المصاحف التي فيها القرآن.

وجوابه: أن هذا من فضائله لأن حذيفة وغيره أنهوا إليه أن أهل الشام والعراق اختلفوا في القرآن يقول بعضهم لبعض قرائتي خير من قراءتك وهذا يكاد أن يكون كفراً، فرأي عثمان أن يجمع الناس على مصحف واحد فأخذ مصحف أبي بكر التي جمع القرآن منها فانتسخ منها مصحفاً وأمر الناس بالتزام ما فيه ثم كتب منه صحفاً وأرسلها إلى البلدان وأمر بذلك لاختلاف الأمة....

ومنها تركه قتل عبيدالله بن عمر بقتله الهرمزان وجفينة وبنتاً صغيرة لأبي لؤلؤة قاتل عمر مع إشارة علي والصحابة بقتله.

وجواب ذلك أن جفينة نصراني وابنة أبي لؤلؤة أبوها مجوسي وأمها حالها مجهول فلم يتحقق إسلامها، وأما الهرمزان فهو المشير والآمر لأبي لؤلؤة على قتل عمر وجماعة مجتهدون على أن الآمر يقتل كالمأمور، على أنه خشي ثوران فتنة عظيمة لما أراد قتله

لو توفرت فيه الشروط فترك قتل عبيدالله واسترضى أهل الهرمزان.

ومنها إتمامه الصلاة بمنى لما حج بالناس.

وجوابه: أن هذه مسألة اجتهادية فالاعتراض بها جهل قبيح وغباوة ظاهرة إذ أكثر العلماء على أن القصر جائز لا واجب.

ومنها أنه كان غادراً لما وقع له مع محمد بن أبي بكر ﷺ مما يأتي قريباً.

وجوابه: أنه حلف لهم كما يأتي فصدقوه إلا من في قلبه مرض...[1].

ويقول الذهبي نقلاً عن الواقدي:... أن محمد بن أبي بكر تسور من دار عمرو بن حزم على عثمان، ومعه كنانة بن بشر وسودان وعمرو بن الحمق، فوجدوه عند نائلة يقرأ في المصحف، فتقدمهم محمد، فأخذ بلحيته وقال يا نعثل قد أخزاك الله، فقال: لست بنعثل ولكنني عبدالله، وأمير المؤمنين، فقال محمد: ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان، قال يا ابن أخي دع لحيتي، فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت، فقال: ما يراد بك أشد من قبضتي، وطعن جنبه بمشقص، ورفع كنانة مشاقص فوجأ بها في أذن عثمان، فمضت على دخلت في حلقه، ثم علاه بالسيف، قال عبدالرحمن بن عبدالعزيز: فسمعت ابن أبي عون يقول: ضرب كنانة بن بشر جبينه بعمود حديد، وضربه سودان المرادي فقتله، ووثب عليه عمرو بن الحق وبه رمق وطعنه تسع طعنات وقال: ثلاث لله وست لما في نفسي عليه.

وعن المغيرة، قال: حصروه اثنين وعشرين يوماً، ثم أحرقوا الباب، فخرج من في الدار.

... عن أبي سعيد مولى أبي أسيد، قال: فتح عثمان الباب ووضع المصحف بين يديه، فدخل عليه رجل فقال بيني وبينك كتاب الله، فخرج وتركه، ثم دخل عليه آخر، فقال: بيني وبينك كتاب الله، فأهوى إليه بالسيف، فاتقاه بيده فقطعها ،فقال: أما والله إنها لأول كف خطت المفصل، ودخل عليه رجل يقال له الموت الأسود، فخنقه قبل أن يضرب بالسيف، قال فوالله ما رأيت شيئاً ألين من حلقه، لقد خنقته حتى رأيت نفسه

---

(١) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة لأحمد بن حجر الهيتمي المتوفى ٩٧٤هـ، ص١١٥، ط٢/١٣٨٥هـ.

مثل الجان تردد في جسده.

وعن الزهري قال قتل عند صلاة العصر وشد عبد لعثمان على كنانة بن بشر فقتله، وشد سودان على العبد فقتله.

وقال أبو نضرة، عن أبي سعيد، قال: ضربوه فجرى الدم على المصحف على ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ البقرة/١٣٧(١).

الحاصل: أن القوم وفيهم من الصحابة الذين نقموا على عثمان ما غير وبدل وأحدث من الأمور ما لا يسكت عنه خلال سنوات حكمه مما أدى إلى أن يقتلوه في عقر داره.

وما ذكره ابن حجر في دفاعه عن عثمان ما هو إلا هراء! ولو أردنا أن نرد على الأمور التي ذكرها لطال بنا المقام.

ومن أحدث وغير وبدل بعد وفاة النبي الأكرم عائشة بنت أبي بكر!!

... جُميع قال دخلت مع أمي على عائشة رضي الله عنها فقالت لها أمي ما كان مسيرك يوم الجمل قالت كان قدراً، إسناده صحيح(٢).

نعم.. لقد خرجت عائشة على إمام زمانها مطالبة بدم عثمان، وإنه قتل مظلوماً في حين أنها كانت من المؤلبين عليه، فسارت نحو البصرة تقود الصحابة إلى معركة دامية وتشق عصا الطاعة، طاعة الله ورسوله وتخرج من بيتها في حين أن الله أمرها أن تقر فيه، وتمر على مياه الحوأب، يقول نعيم بن حماد... عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأزواجه أيتكن التي تنبحها كلاب الحوأب فلما مرت عائشة نبحت الكلاب فسألت عنه فقيل لها هذا ماء الحواب، قالت ما أظنني إلا راجعة، قيل لها يا أم المؤمنين إنما تصلحين بين الناس، إسناده صحيح(٣).

الحاصل، عندما علم الإمام عليه السلام بأن عائشة وجيشها قد اتجهوا نحو البصرة، يقول المسعودي في مروجه واصفاً الإمام علي عليه السلام وجنده، دخولهم البصرة بذلك الوصف

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي، سير الخلفاء الراشدين، ص٢٠٦، سنة خمس وثلاثين، مقتل عثمان.

(٢) الفتن لنعيم بن حماد المروذي، المتوفى٢٢٩هـ، ص٧٢، ح١٨٢، تحقيق أيمن محمد عرفة، ط المكتبة التوفيقية، القاهرة، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، ج٧، ص٥٤٣، ح٣٧٨٠٨.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٧٤_٧٥.

الرائع:

وسار علي من المدينة... في سبعمائة راكب منهم أربعمائة من المهاجرين والأنصار، منهم سبعون بدرياً وباقيهم من الصحابة، وقد كان استخلف على المدينة سهل بن حنيف الأنصاري.

فانتهى إلى الربذة بين الكوفة ومكة من طريق الجادة، وفاته طلحة وأصحابه، وقد كان علي أرادهم فانصرف حين فاتوه إلى العراق في طلبهم، ولحق بعلي من أهل المدينة جماعة من الأنصار فيهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأتاه من طيء ستمائة راكب.

وكاتب علي من الربذة أبا موسى الأشعري ليستنفر الناس، فثبطهم أبو موسى، وقال: إنما هي فتنة فنمي ذلك إلى علي، فولى على الكوفة قرظة بن كعب الأنصاري، وكتب إلى أبي موسى: اعتزل عملنا يا ابن الحائك مذموماً مدحوراً، فما هذا أول يومنا منك، وإن لك فينا لهنات وهنيات.

وسار علي بمن معه حتى نزل بذي قار، وبعث بابنه الحسن وعمار بن ياسر إلى الكوفة يستنفران الناس، فسارا عنها ومعهما من أهل الكوفة نحو من سبعة آلاف، وقيل ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً منهم الأشتر، فانتهى علي إلى البصرة وراسل القوم وناشدهم الله، فأبوا إلا قتاله.

... عن المنذر بن الجارود قال: لما قدم علي ﷺ البصرة دخل مما يلي الطف، فأتى الزاوية، فخرجت أنظر إليه فورد موكب في نحو ألف فارس يتقدمهم فارس على فرس أشهب، عليه قلنسوة وثياب بيض، متقلد سيفاً ومعه راية، وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض والصفرة مدججين في الحديد والسلاح. فقلت: من هذا؟ فقيل: هذا أبو أيوب الأنصاري، صاحب رسول الله ﷺ وهؤلاء الأنصار وغيرهم.

ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض، متقلد سيفاً، متنكب قوساً معه راية، على فرس أشقر، في نحو ألف فارس، فقلت من هذا؟ فقيل: هذا خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين.

ثم مر بنا فارس آخر على فرس كميت، معتم بعمامة صفراء، من تحتها قلنسوة

بيضاء، عليه قباء أبيض مصقول، متلقداً سيفاً متنكب قوساً في نحو ألف فارس من الناس ومعه راية، فقلت: من هذا؟ فقيل لي: أبو قتادة بن ربعي.

ثم مر بنا فارس آخر، على فرس أشهب عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها من بين يديه ومن خلفه شديد الأدمة، عليه سكينة ووقار، رافع صوته بقراءة القرآن، متلقد سيفاً متنكب قوساً، معه راية بيضاء، في ألف من الناس مختلفي التيجان، حوله مشيخة وكهول وشباب، كأنما قد أوقفوا للحساب، أثر السجود قد اثر في جباههم، فقلت: من هذا؟ فقيل: عمار بن ياسر في عدة من الصحابة من المهاجرين والأنصار وأبنائهم.

ثم مر بنا فارس على فرس أشقر عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء متنكب قوساً متلقد سيفاً تخط رجلاً في الأرض، في ألف من الناس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض، معه راية صفراء، قلت: من هذا؟ قيل: هذا قيس بن سعد بن عبادة في عدة من الأنصار وأبنائهم وغيرهم من قحطان.

ثم مر بنا فارس على فرس أشهل ما رأينا أحس منه، عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها من بين يديه بلواء، قلت: من هذا؟ قيل: هو عبدالله بن عباس في وفده وعدة من أصحاب رسول الله ﷺ.

ثم تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين، قلت من هذا؟ قيل عبيدالله بن العباس.

ثم تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين، قلت: من هذا؟ قيل: قثم بن العباس أو معبد بن العباس.

ثم أقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضاً، واشتبكت الرماح، ثم ورد موكب فيه خلق كثير من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات في أوله راية كبيرة يتقدمهم رجل كأنما كسر وجبر....

قال ابن عائشة: وهذه صفة رجل شديد الساعدين، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق، كذلك تخبر العرب في وصفها إذا أخبرت عن الرجل أنه كسر وجبر..

كأنما على رؤوسهم الطير، وعن يمينه شاب حسن الوجه، وعن يساره شاب حسن

الوجه ومن بين يديه شاب مثلهما، قلت: من هؤلاء؟ قيل: هذا علي بن أبي طالب، وهذا الحسن والحسين عن يمينه وشماله، وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى، وهذا الذي خلفه عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بني هاشم، وهؤلاء المشايخ هم أهل بدر من المهاجرين والأنصار.

فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية، فصلى أربع ركعات وعفر خديه على التراب، وقد خالط دموعه، ثم رفع يديه يدعو: اللهم رب السموات وما أظلت والأرضين وما أقلت، ورب العرش العظيم، هذه البصرة أسألك من خيرها، وأعوذ بك من شرها، اللهم نزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين، اللهم إن هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي وبغوا علي ونكثوا بيعتي، اللهم احقن دماء المسلمين.

وبعث إليهم من يناشدهم الله في الدماء، وقال: علام تقاتلونني؟ فأبوا إلا الحرب فبعث إليهم رجلاً من أصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعوهم إلى الله، فرموه بسهم فقتلوه، فحمل إلى علي وقالت أمه:

يـــا رب إن مـــسـلـمـاً أتـاهـم
يـتـلـو كـتـاب الله لا يـخـشـاهـم
فـخـضـبـوا مـن دمـه لـحـاهـم
وأمـــه قـائـمـة تـراهـم

وأمر علي رضي الله عنه أن يصافوهم ولا يبدأوهم بقتال ولا يرموهم بسهم ولا يضربوهم بسيف ولا يطعنوهم برمح حتى جاء عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي من الميمنة بأخ له مقتول وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمي بسهم فقتل، فقال علي: اللهم اشهد واعذروا إلى القوم.

ثم قام عمار بن ياسر بين الصفين فقال أيها الناس ما أنصفتم نبيكم حين كففتم عقائلكم في الخدور وأبرزتم عقيلته للسيوف.

وعائشة على جمل في هودج من دفوف الخشب قد ألبسوه المسوح وجلود البقر، وجعلوا دونه اللبود وقد غشي على ذلك بالدروع.

فدنا عمار من موضعها فنادى: إلى ماذا تدعين؟ قالت: إلى الطلب بدم عثمان، فقال:

قاتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق، ثم قال: أيها الناس، إنكم لتعلمون أينا الممالئ في قتل عثمان؟ ثم أنشأ يقول: وقد رشقوه بالنبل:

فمنك البكاء ومنك العويل ومنك الرياح ومنك المطر

وأنت أمرت بقتل الإمام وقاتله عندنا من أمر

وتواتر عليه الرمي واتصل، فحرك فرسه وزال عن موضعه وأتى علياً فقال: ما ننتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم إلا الحرب؟

فقام علي رضي الله عنه في الناس خطيباً رافعاً صوته فقال: أيها الناس إذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيراً ولا تتبعوا موليا، ولا تطلبوا مدبراً، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، ولا تهتكوا ستراً، ولا تقربوا شيئاً من أموالهم إلا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع أو عبد أو أمة، وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب الله.

وخرج علي بنفسه حاسراً على بغلة رسول الله ﷺ لا سلاح عليه فنادى يا زبير اخرج إلي.

فخرج إليه الزبير شاكاً في سلاحه فقيل ذلك لعائشة، فقالت: واثكلك يا أسماء.

فقيل لها: إن علياً حاسر، فاطمأنت.

واعتنق كل واحد منهما صاحبه، فقال له علي: ويحك يا زبير، ما الذي أخرجك؟

قال: دم عثمان، قال: قتل الله أولانا بدم عثمان، أما تذكر يوم لقيت رسول الله ﷺ في بني بياضة وهو راكب حماره، فضحك إلي رسول الله وضحكت إليه، وأنت معه فقلت أنت: يا رسول الله ما يدع علي زهوه، فقال لك: ليس به زهو أتحبه يا زبير؟ فقلت إني والله لأحبه، فقال لك: إنك والله ستقاتله وأنت له ظالم.

فقال الزبير: أستغفر الله والله لو ذكرتها ما خرجت، فقال له: يا زبير ارجع، فقال: وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان. هذا والله العار الذي لا يغسل.

فقال: يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار، فرجع الزبير وهو يقول:

اخترت عارا على نار مؤججة ما إن يقوم لها خلق من الطين

نادى علي بأمر لست أجهله عار لعمرك في الدنيا وفي الدين

فقلت: حسبك من عذل أبا حسن فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني

فقال ابنه عبدالله: أين تذهب وتدعنا؟ فقال: يا بني، أذكرني أبو الحسن بأمر كنت قد أنسيته، فقال: لا والله، ولكنك فررت من سيوف عبدالمطلب، فإنها طوال حداد تحملها فتية أنجاد، قال: لا والله، ولكني ذكرت ما أنسانيه الدهر، فاخترت العار على النار، أبالجبن تعيرني لا أبا لك؟

ثم أمال سنانه وشد في المينة فقال علي: أفرجوا له فقد هاجوه، ثم رجع فشد في الميسرة، ثم رجع فشد في القلب ثم عاد إلى ابنه فقال أيفعل هذا جبان؟

ثم مضى منصرفاً حتى أتى وادي السباع والأحنف بن قيس معتزل في قومه من بني تميم، فأتاه آت فقال له: هذا الزبير مارا.

فقال: ما أصنع بالزبير وقد جمع بين فئتين عظيمتين من الناس يقتل بعضهم بعضاً وهو مار إلى منزله سالماً؟

فلحقه نفر من بني تميم، فسبقهم إليه عمرو بن جرموز، وقد نزل الزبير إلى الصلاة فقال: أتؤمني أو أؤمك؟ فأمه الزبير، فقتله عمرو في الصلاة.

وقتل الزبير ﷺ وله خمس وسبعون سنة.

وقد قيل أن الأحنف بن قيس قتله بإرساله من أرسل من قومه، وقد رثته الشعراء وذكرت غدر عمرو بن جرموز به، وممن رثاه زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل أخت سعيد بن زيد فقال:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة
يوم اللقاء، وكان غير مسدد
يا عمرو، لو نبهته لوجدته لا
طائشاً رعش الجنان ولا اليد
هبلتك أمك إن قتلت لمسلما
حلت عليك عقوبة المتعمد

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله
فيمن مضى ممن يروح ويغتدي

وأتى عمرو علياً بسيف الزبير وخاتمه ورأسه، وقيل: نه لم يأت برأسه، فقال علي: سيف طالما جلا الكرب عن وجه رسول الله ﷺ، لكنه الحين ومصارع السوء، وقاتل ابن صفية في النار[1].

اعلم أخي القارئ الكريم أن الحق واحد والباطل كثير، فلابد لأحد هذين المعسكرين أن يكون على الحق والآخر على باطل، فالقتال لا يكون بين حق وحق، وذلك لأن الحق كما ذكرنا واحد، وأما الباطل فكثير، نعم.. يكون القتال بين الباطل والباطل، فمعركة الجمل كانت بين حق وباطل، كما أكد الجمهور بأن الحق كان مع علي عليه السلام وقالوا: إن عائشة قد ندمت ولها أجر واحد، فطالما أن لها أجراً واحداً فإنها أخطأت في اجتهادها كونها كانت على باطل.

يقول ابن حجر:

أخرج البزار... قال: بينا نحن حول حذيفة إذ قال: كيف أنتم وقد خرج أهل بيت نبيكم فرقتين يضرب بعضكم وجوه بعض بالسيف؟! قلنا يا أبا عبدالله فكيف نصنع إذا أدركنا ذلك؟! قال: انظروا إلى الفرقة التي تدعو إلى أمر علي بن أبي طالب، فإنها على الهُدى!

وأخرج عمر بن شبة... أن عائشة أرسلت إلى أبي بكرة فقال: إنك لَأُم وإن حقك لعظيم ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: لن يُفلح قوم تملكهم امرأة[2]!

قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة:

أن عائشة لما أتت الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله ﷺ قال لنا (فذكره) فقال لها الزبير ترجعين! عسى الله عز وجل أن يُصلح بك بين الناس....

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر لعلي بن الحسين المسعودي المتوفى٣٤٦هـ، المجلد١، ج٢، ص٦٥٣، مسير علي إلى العراق، ط١٤٠٢هـ دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٢) فتح الباري، ج١٣، ص٦٨ـ٦٩، ح٧٠٩٩، كتاب الفتن، باب ١٨، حدثنا عثمان بن الهيثم.

ولفظ يحيى قال: لَمّا أقبلت عائشة وبلغت مياه بني عامر ليلاً نبحت الكلاب، قالت: أي ماء هذا، قالوا: ماء الحوأب، قالت: ما أظُنُّني إلا أني راجعة، فقال بعض من كان معها بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بَيْنِهم، قالت: إن رسول اللهﷺ قال لها ذات يوم كيف بإحداكن تنبح عليها....

قال المحقق الألباني: وإسناده صحيح جداً، رجاله ثقات، أثبات، من رجال الستة، الشيخين والأربعة، رواه الثمانية من الثقات.

ويقول الألباني أيضاً: وعلى هذا فالحديث من أصح الأحاديث! ولذلك تتابع الأئمة على تصحيحه قديماً وحديثاً[1]!

وجملة القول أن الحديث صحيح الإسناد ولا إشكال في متنه[2]!

ويقول:

ولا نشك أن خروج أم المؤمنين كان خطأ من أصله! ولذلك هَمَّت بالرجوع حين علمت بتحقُّق نبوءة النبيﷺ عند الحوأب... ولا نشك أنه كان مخطأ في ذلك أيضاً ـ أي الزبير ـ والعقل يقطع بأنه لا مناص من القول بتخطئة إحدى الطائفتين المتقاتلتين، اللتين وقع فيهما مئات القتلى!!

ولا شك أن عائشة... هي المخطئة لأسباب كثيرة وأدلة واضحة، ومنها ندمها على خروجها وذلك هو اللائق بفضلها وكمالها، وذلك مما يدل على أن خطأها من الخطأ المغفور!! بل المأجور[3]!!

لاحظ أخي القارئ الكريم أن الألباني يحاول أن يُقَلِّل من عدد قتلى معركة الجمل ويقول بأن القتلى بالمئات! فأقول: هذا التاريخ بين أيدينا وهذه كتب أهل العامة قد ملأت المكتبات، فإن قول الألباني باطل لأن الكتب جميعها تذكر بأن القتلى بالألوف وليس بالمئات كما ذكر الألباني.

---

(١) المجلد ١، القسم ٢، ص٨٥٤، ط١٤١٥هـ، الرياض.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) المجلد ١، القسم ٢، ص٨٤٨، حديث ٤٧٤، ط١٤١٥هـ، الرياض.

وأقول:

إن أَقَلَّ ما يُذكر من قتلى الجمل ثلاثة عشر ألف قتيل! والبعض يذكر ثمانية عشر ألفاً! ومنهم من يقول خمسة وعشرون ألفاً!!

ويقول الألباني: إن خطأ عائشة من الخطأ المغفور!

وأعظم من ذلك يقول: بل المأجور أيضاً!!

فأقول:

ما مصير من قُتِل في تلك المعركة؟! فبما أن أهل العامة ومنهم المحقق الألباني! الذي يقول بأن الحق كان مع الإمام علي عليه السلام فالباطل مع عائشة لا ريب! وأن من قُتِلَ من جيش عائشة في النار حتماً وذلك لأنهم على باطل كما ذكرنا!

ومن كان السبب بدخول هؤلاء نار جهنم؟! أليست عائشة والصحابة مشتركين في جريمتهم تلك؟! وهم السبب الرئيسي في دخول هؤلاء النار؟!

لقد أخذنا العهد على أنفسنا بأن نختصر في التعليق ولكن الشيء بالشيء يُذكر فأرجو المعذرة من القارئ.

ويقول الألباني:... عن ابن أبي عتيق قال: قالت عائشة: إذا مَرَّ ابن عمر فَأَرِنيه، فلما مَرَّ بها قيل لها هذا ابن عمر، فقالت: يا أبا عبدالرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟! قال: رأيت رجلاً قد غلب عليك يعني ابن الزبير!

ويقول - أي الألباني -:... عن قيس قال: قالت عائشة: وكانت تُحَدِّث نفسها أن تُدفَن في بيتها فقالت: إني أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حدثاً! ادفنوني مع أزواجه! فَدُفنت بالبقيع....

قلت: تعني بالحَدَث مسيرها يوم الجمل! فإنها ندمت ندامة كُلِّيَّة وتابت من ذلك على أنها ما فعلت ذلك إلا مُتَأَوِّلَة قاصدة للخير كما اجتهد طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وجماعة من الكبار[1].

نعم.. تأولت عائشة واجتهدت فأخطأت ولها أجر واحد!

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٨٥٥.

إنها مقولة أهل العامة!

فالكل يتأول ويجتهد! فإن أصاب فبها وإن أخطأ فبها أيضاً! أي أنه مأجور على ذلك التأويل وذلك الاجتهاد!

وغالباً ما يكون التأويل والاجتهاد ضد الإمام علي عليه السلام أو ضد أشياعه ومن يوالونه، فأقول:

كما تدين تدان! فإن من قتل عثمان في عقر داره أيضاً تأولوا واجتهدوا، فإن كانوا قد أخطؤوا في اجتهادهم فلهم أجر واحد، إنها أمور مقلوبة ومفاهيم خاطئة وباطلة من أساسها، ولدي اليقين من أن أهل العامة لن يقبلوا بذلك التأويل والاجتهاد - أي من الذين ثاروا على عثمان وقاموا بقتله -.

فالتأويل والاجتهاد عند أهل العامة يكون مقبولاً ومحموداً إذا صدر ممن يوالونه، أما أن يجتهد الإمام علي عليه السلام أو من يواليه فذلك مما لا سبيل لقبوله عند العامة.

فما صدر من عثمان وما أحدثه في الدين مما أدى إلى قتله من قبل الصحابة وكذلك ما أحدثته عائشة يوم الجمل حين قادت الجيش لمحاربة إمام زمانها، فهؤلاء ممن ينطبق عليهم قول النبي الأكرم محذراً إياهم (لا تدري ما أحدثوا بعدك).

وقد أثبت معظم المؤرخين بأن طلحة بن عبيدالله التميمي كان من أشد المؤلبين على عثمان والمحرضين على قتله، فقد روى ابن شبة عن عوف قال: كان أشد الصحابة على عثمان، طلحة بنت عبيدالله وإنما أفسد عثمان رضي الله عنه بطانة استبطنها من الطلقاء[1]!

ويقول: بينما نحن متواقفون إذ رمى مروان بن الحكم بسهم طلحة بن عبيدالله فشكل ساقه بجنب فرسه فقمص به الفرس مولياً والتفت إلى أبان بن عثمان وهو إلى جنبه فقال قد كفيتك أحد قتلة أبيك[2]!

الحاصل، أن مروان قال يوم الجمل: ما أبالي رميت ههنا أم ههنا، فرماه في أكحله

---

(١) تاريخ المدينة لعمر بن شبة البصري، المتوفى٢٦٢هـ، ج٤، ص١١٦٩، ما روي من الاختلاف فيمن أعان عثمان أو أعان عليه من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، تحقيق: فهيم محمد شلتوت.

(٢) نفس المصدر السابق، ص١١٧١، وانظر أيضاً المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، ج٣، ص٣٧٠، كتاب معرفة الصحابة.

فقتله[1].

فهل نقول أن مروان اجتهد فأصاب أم أنه اجتهد فأخطأ في قتله طلحة؟! ونحن نعلم أن أهل العامة يدعون بأن طلحة من العشرة المبشرة بالجنة والقاتل مروان وهو الطريد بن الطريد!!

ثم بالله عليك! من له الحق بالاجتهاد، أليس من أراد أن يجتهد، يجب عليه أن يكون عالماً ورعاً فقيهاً خائفاً ربه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه؟! فهل كان مروان يتصف بما ذكرناه؟!

(١) مروج الذهب للمسعودي، المجلد١، ج٢، ص٦٥٤، بين علي وطلحة.

باب وضع يده اليمنى على اليسرى

١٣٢. حدثنا زهير بن حرب حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا محمد بن جحادة حدثني عبدالجبار بن وائل عن علقمة بن وائل ومولى لهم أنهما حدثاه عن أبيه وائل بن حجر أنه رأى النبيﷺ رفع يديه حين دخل في الصلاة كبر وصف همام حيال أذنيه ثم التحف بثوبه ثم وضع يده اليمنى على اليسرى فلما أراد أن يركع أخرج يديه من الثوب ثم رفعهما ثم كبر فركع فلما قال سمع الله لمن حمده رفع يديه فلما سجد سجد بين كفيه.

يقول الأستاذ الدكتور موسى لاشين في شرحه: ساق مسلم هذا الحديث كدليل على استحباب وضع اليمين على الشمال في وقوف الصلاة، والكلام في هذه المسألة يتشعب إلى حكم وضع اليمين على الشمال، وإلى صفته وإلى مكانه وإلى وقته وإلى حكمته.

أما الحكم فقد اتفق العلماء على أنه ليس بواجب، ثم ذهب الشافعية والحنفية والحنابلة وسفيان الثوري وإسحق وأبو ثور وداود وجمهور العلماء إلى أن وضع اليمين على الشمال في وقوف الصلاة سنة.

قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، انتهى.

الثاني: رواية ابن القاسم عن مالك الإرسال، قال النووي: وهو الأشهر، وعليه جميع أهل المغرب من أصحابه أو جمهورهم، قال الأبي: وقال مالك أيضاً والليث وجماعة بكراهة وضع اليمين على الشمال، وعللت بخوف أن يعتقد وجوبه، وقيل: لئلا يظهر من

خشوعه خلاف الباطن.

الثالث: أنه يكره لمن يفعله اعتماداً.

الرابع: أنه يكره في الفرض، دون النفل.

الخامس: أنه مخير بين الوضع والإرسال وهو قول الأوزاعي.

وقال الليث بن سعد: يرسلهما، فإن طال ذلك عليه وضع اليمنى على اليسرى للاستراحة.

... وحديث الباب صريح في استحباب وضع اليمين على الشمال، وهو حجة الجمهور، كما يحتج أيضاً بحديث البخاري عن سهل بن سعد قال: (كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه في الصلاة...) وبحديث أبي داود عن ابن مسعود (إنه كان يصلي، فوضع يده اليسرى على اليمنى فرآه النبيﷺ فوضع يده اليمنى على اليسرى) صحيح على شرط مسلم.

وعن ابن الزبير قال (صف القدمين ووضع اليد على اليد من السنة) رواه أبو داود بإسناد حسن.

وأما صفة الوضع عند القائلين به فقد قيل: يضع بطن كف اليمنى على رسغ اليسرى فيكون الرسغ وسط الكف [الرسغ بضم الراء وإسكان السين، ويقال بالصاد بدل السين، هو المفصل بين الكف والساعد] ويقبض على الرسغ بالخنصر والإبهام، وتمتد الأصابع الثلاث الوسطى على الذراع وهو المختار عند الحنفية، وقيل يضع باطن أصابعه على الرسغ طولاً، ولا يقبض، وقيل: يتخير بين وسط أصابع اليمنى في عرض المفصل وبين نشرها صوب الساعد، وقيل يقبض المفصل بأصابعه الأربعة من جهة وبالإبهام من جهة، واضعاً بطن كفه اليمنى على كفه اليسرى، وعن مالك: إن شاء أمسك بالكف، وإن شاء أمسك بالرسغ، وقيل: يضع كف اليمنى على ذراع اليسرى، والظاهر أن الكل من قبيل التخير المباح.

وأما مكان الوضع فإن الصحيح والمنصوص عليه عند الشافعية أن يجعلها تحت صدره وفوق سرته، أما الحنفية فالسنة عندهم وضعهما تحت سرته، وكل من الفريقين

استند إلى حديث، والحنابلة يقولون بكل من الرأيين كما يقولون بأن يتخير بينهما، ونحن مع الترمذي حيث يقول: العمل عند أهل العلم من الصحابة والتابعين فمن بعدهم وضع اليمين على الشمال في الصلاة، ورأى بعضهم أن يضعها فوق السرة، ورأى بعضهم أن يضعها تحت السرة، وكل ذلك واسع، انتهى.

وأما وقته فالأصل فيه أن كل قيام فيه ذكر مسنون توضع فيه اليمنى على اليسرى، وما لا فلا، فتوضع في حالة القنوت وصلاة الجنازة، ولا توضع في القومة من الركوع وبين تكبيرات العيدين، وقيل توضع في كل قيام سواء كان فيه ذكر مسنون أو لا، ذكره العيني.

وأما الحكمة فيه فقد قال العيني: الوضع على الصدر أبلغ في الخشوع، وفيه حفظ نور الإيمان في الصلاة، فكان أولى من إشارته إلى العورة بالوضع تحت السرة، قال: ونحن نقول: الوضع تحت السرة أقرب إلى التعظيم، وأبعد من التشبه بأهل الكتاب، وأقرب إلى ستر العورة، وحفظ الإزار عن السقوط، وذلك كما يفعل بين يدي الملوك، وفي الوضع على الصدر تشبه بالنساء، فلا يسن، انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر: الحكمة في هذه الهيئة أنها صفة السائل الذليل وهي أمنع من العبث، وأقرب إلى الخشوع، وكأن البخاري لحظ ذلك فعقبه بباب الخشوع، ومن اللطائف قول بعضهم: القلب موضع النية، والعادة أن من احترز على حفظ شيء جعل يديه عليه، انتهى[1].

يقول ابن عبدالبر القرطبي: روي عن ابن الزبير أنه كان يرسل يديه إذا صلى[2].

ويقول، وقال الليث: سدل اليدين في الصلاة أحب إلي.

قال عبدالرزاق: رأيت ابن جريج يصلي في إزار ورداء مسدلاً يديه[3].

ويقول القرطبي: وأكثر أحاديث... وضع اليد على اليد لينة لا تقوم بها حجة، أعني

---

(١) فتح المنعم، ج٢، ص٥٠٨، ح٧٢٣.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ليوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر القرطبي، المتوفى٤٦٣هـ، ج٢٠، ص٧٤، عبدالكريم بن أبي المخارق، ط١٤٠٩هـ، تحقيق: سعيد أحمد أعراب.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٧٥.

الأحاديث عن التابعين في ذلك[1].

روى ابن أبي شيبة في مصنفه: عن عبدالله بن يزيد قال ما رأيت ابن المسيب قابضاً يمينه في الصلاة كان يرسلها، وفيه أيضاً: عن عبدالله بن العيزار قال كنت أطوف مع سعيد بن جبير فرأى رجلاً يصلي واضعاً إحدى يديه على الأخرى هذه على هذه وهذه على هذه فذهب ففرق بينهما ثم جاء[2].

وفي نيل الأوطار: روى ابن المنذر عن ابن الزبير والحسن البصري والنخعي أنه يرسلهما ولا يضع اليمنى على اليسرى[3].

واعلم أن الأصل هو الإرسال، وجميع روايات القبض ضعيفة لا يعتمد عليها، فمن أراد المزيد فليراجع مصنف ابن أبي شيبة، ونيل الأوطار للشوكاني، والتمهيد لابن عبدالبر القرطبي، ج٢٠.

قال القرطبي: وروى عن الحسن وإبراهيم أنهما كانا يرسلان أيديهما في الصلاة[4].

ومن أدلة السدل ما أخرجه الحاكم في مستدركه:... رفاعة بن رافع أنه كان جالساً عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل فدخل المسجد فصلى فلما قضى صلاته جاء فسلم على رسول الله ﷺ وعلى القوم فقال له رسول الله ﷺ: وعليك، ارجع فصل فإنك لم تصل! وذكر ذلك إما مرتين أو ثلاثة، فقال الرجل: ما أدري ما عبت علي من صلاتي، فقال رسول الله ﷺ: إنها لا تتم صلاة أحد حتى يسبغ الوضوء، ويقرأ القرآن ما أذن الله له فيه، ثم يكبر، ويركع، ويضع كفيه على ركبتيه حتى يطمئن مفاصله ويستوي ثم يقول: سمع الله لمن حمده ويستوي قائماً حتى يأخذ كل عظم مأخذه ثم يقيم صلبه ثم يكبر فيسجد فيمكّن جبهته من الأرض حتى يطمئن مفاصله ثم يكبر فيرفع رأسه ويستوي قاعداً على مقعدته ويقيم صلبه فوصف الصلاة هكذا حتى فرغ ثم قال: لا يتم صلاة

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٧٨.

(٢) ج١، ص٢٤٤، ح٣٣٩٥٣ من كان يرسل يديه في الصلاة، ط١٤٢٦/١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) (٦٧) نيل الأوطار للشوكاني، ج٢، ص٢٠١، باب ما جاء في وضع اليمنى على اليسرى، ط١٩٧٣م، دار الجيل، بيروت.

(٤) التمهيد لابن عبدالبر، ج٢٠، ص٧٥، عبدالكريم بن أبي المخارق، ط ١٤٠٩هـ.

أحدكم حتى يفصل ذلك.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين[1].

لاحظ أن النبي الأكرم قد عدد الفرائض والسنن وذكر كيفية الصلاة وبدقة وذكر للأعرابي كل فرض وسنة في جميع حركات وسكنات الصلاة بدءاً من الوضوء إلى آخر الصلاة، ولم يذكر القبض - أي وضع اليمنى على اليسرى - فتأمل!

قال الإمام علي عليه السلام: لا يجمع المسلم يديه في صلاته وهو قائم بين يدي الله عز وجل يتشبه بأهل الكفر - يعني المجوس -[2].

سئل الشيخ عن قبض اليدين في الفرض فأجاب:

... كره مالك وضع اليد اليمنى على اليسرى في الفريضة وقال: لا أعرفه في الفريضة، ومعنى قوله رضي الله عنه لا أعرفه في الفريضة، لا أعرف جريان العمل به من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين في الفريضة، والذي أعرف جريان عملهم به فيها إنما هو السدل[3].

قال الشعراني:... أن مشهور مذهب مالك كراهة القبض في صلاة الفرض[4].

أقول:

اعلم إن صفّة الصلاة صفة عسكرية، وأن إمام الجماعة يمثل قائد الجيش والمأمومين يمثلون الجنود خلف قائدهم في ساحة القتال، فكما أنه إذا كبر الإمام أو ركع أو سجد فيجب على المأمومين أن يكبروا ويركعوا ويسجدوا ويتبعوا الإمام مباشرة بعد قوله وفعله، ومن لم يفعل ذلك وتأخر حتى يسجد الإمام وظل واقفاً ولم يأت بالركوع ولا بالسجود حتى قام الإمام مرة أخرى فإنه يخرج من حال صلاة الجماعة وتكون صلاته فرادى شاء ذلك أم أبى، وكذلك قائد الجيش إذا أمر الجنود بالرمي على العدو مثلاً فيجب أن يلبوا أمره فوراً ومن يتخلف أو يعرقل ذلك بمعارضته تنفيذ الأمر فإنه يطرد من ساحة القتال ويحاكم محاكمة عسكرية، نعم، فطالما أن صفة الصلاة تمثل صفة

---

(١) ج١، ص٢٤٢، كتاب الصلاة، باب التأميم، ط بيروت.

(٢) وسائل الشيعة، للحر العاملي، ج٧، ص٢٧٦، حديث ٩٣٠١، ط١٤١٣/١هـ.

(٣) رسالة النصر لكراهة القبض، للمهدي الوزاني، المتوفى ١٣٤٢هـ، ص١٤، ط١٣٤٢/١هـ.

(٤) نفس المصدر السابق، ص١٦.

عسكرية كما ذكرنا فإن من واجب المصلي أن يقف مسدلاً يديه كما يقف الجندي في ساحة القتال، مسدلاً يديه وهو على أتم الاستعداد لالتقاط آلة حربه وبسرعة عند سماعه الأمر الواجب اتباعه من سيده، فتأمل.

باب الصلاة على النبي

١٣٣. حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار واللفظ لابن المثنى قالا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم قال سمعت ابن أبي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدي لك هدية خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا قد عرفنا كيف نسلم عيك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليب على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين: علم رسول الله ﷺ أصحابه التشهد كما يعلمهم السورة من القرآن، ومما علمهم فيه قوله (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) وعرف الصحابة مشروعية السلام على نبيهم ﷺ في التشهد وواظبوا عليه ونزل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ الأحزاب/٥٦، وتأكدوا أن للصلاة عليه صيغة مشروعة، قياساً على علمهم بصيغة مخصوصة للسلام عليه، فما أن اجتمع بهم بعد نزول الآية حتى سألوه: يا رسول الله، هذا السلام عليك قد عرفناه، وقد أمرنا الله بالصلاة عليك، فكيف نصلي عليك في صلاتنا؟ وسكت رسول الله ﷺ لم يكن أمر بعد بصيغة معينة، وانتظر الوحي، وظن الصحابة أنهم بذلك السؤال أخطأوا، وأن الرسول ﷺ لم يرض عنه، وكان شأنه ﷺ السكوت عند رؤية أو سماع ما لا يرضى، تألم الصحابة ولاموا أنفسهم، ونظر بعضهم إلى بعض آسفاً

ومعاتباً وكان الوحي، وكان جواب الرسولﷺ قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد[1].

يقول ابن لاشين: كان جواب الرسولﷺ أنه قال للصحابة قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته.

أقول:

إن كانت زوجات النبي الأكرم من أهل البيت فلماذا ذكرهم النبي هنا، ولكن يتبين أن هذه الجملة دخيلة على الحديث ويؤيد ذلك ما سنذكره لك أخي الكريم ومن صحيح مسلم وشرح النووي.

... يزيد بن حيان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول اللهﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللهﷺ قال يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول اللهﷺ فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفونيه ثم قال قام رسول اللهﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد ألا إيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته، قال نساؤه من أهل بيته! ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده...[2].

ويقول أيضاً: قوله (ماء يدعى خماً بين مكة والمدينة)... وهو اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الحسنة عندها غدير مشهور يضاف إلى الغيضة فيقال غدير خم.

---

(١) فتح المنعم، ج٢، ص٥٢٥، ح٧٣٥.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالبؑ، ج١٥، ص١٨٩، ح٢٤٠٨.

قوله ﷺ (وأنا تارك فيكم ثقلين فذكر كتاب الله وأهل بيته) قال العلماء سميا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما وقيل لثقل العمل بهما.

قوله (ولكن أهل بيته من حرم الصدقة)... والمراد بالصدقة الزكاة وهي حرام عندنا على بني هاشم وبني المطلب وقال مالك بنو هاشم فقط وقيل بنو قصي وقيل قريش كلها قوله في الرواية الأخرى فقلنا من أهل بيته نساؤه قال لا هذا دليل لإبطال قول من قال هم قريش كلها فقد كان في نساءه قرشيات وهن عائشة وحفصة وأم سلمة وسودة وأم حبيبة رضي الله عنهن وأما قوله في الرواية الأخرى نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة قال وفي الرواية الأخرى فقلنا من أهل بيته نساؤه قال لا فهاتان الروايتان ظاهرهما التناقض والمعروف في معظم الروايات في غير مسلم أنه قال نساؤه لسن من أهل بيته فتتأول الرواية الأولى على أن المراد أنهن من أهل بيته الذين يساكنونه ويعولهم وأمر باحترامهم وإكرامهم وسماهم ثقلاً ووعظ في حقوقهم وذكر فنساؤه داخلات في هذا كله ولا يدخلن فيمن حرم الصدقة وقد أشار إلى هذا في الرواية الأولى بقوله نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة فاتفقت الروايتان.

قوله ﷺ (كتاب الله هو حبل الله) قيل المراد بحبل الله عهده وقيل السبب الموصل إلى رضاه ورحمته وقيل هو نوره الذي يهدي به.

قوله (المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر)... (أي) القطعة منه[1].

أقول: إن النووي أيضاً قد أدخل وأقحم زوجات النبي وقال إنهم من أهل بيته فالرواية التي ذكرها زيد بن أرقم واضحة ولا غبار عليها وسأوضح لك ذلك أخي الكريم.

عندما سألوا زيداً ومنهم حصين حين قال ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

ففي سؤاله ذلك يتبين أن هذا الشخص منحرف عن أهل البيت الحقيقيين أي أنه منحرف عن الإمام علي عليه السلام وكأنه في سؤاله يريد أن يشفي ما في قلبه ويأخذ من صاحب النبي الأكرم دليلاً على أن من أهل بيت النبي زوجاته، هذا أولاً.

---

(١) ج١٥، ص١٩١، ح٢٤٠٨.

ثانياً: إن إجابة زيد على السائل واضحة جداً في قوله: قال نساؤه من أهل بيته!!

كان من الواجب على مسلم صاحب الصحيح أن يضع بعد هذه الجملة المهمة علامة تعجب، نعم.. لكي يعرف القارئ يمينه من شماله، لا أن يترك الجملة على الغارب ويأتي من يأتي من بعده ويؤول ويلف ويدور ويشرح على مزاجه وهواه ويجعل نساء النبي من أهل بيته كما هو دارج عند أهل العامة إلى يومنا هذا والصحيح ما ذكرناه، يجب عليك أخي القارئ أن تضع بعد هذه الجملة علامة تعجب أي أن زيد بن الأرقم قال ذلك مستغرباً من السائل.

ثالثاً: ومما يؤيد قولنا ما رواه مسلم في صحيحه عن زيد فماذا يقول:

عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال دخلنا عليه فقلنا له لقد رأيت خيراً لقد صاحبت رسول الله ﷺ وصليت خلفه وساق الحديث بنحو حديث ابن حبان غير أنه قال ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله عَزَّوَجَلَّ هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة وفيه فقلنا من أهل بيته نساؤه قال لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر فترجع إلى أبيها وقومها أهل بيته أصله وعصبته الذين حرما الصدقة بعده[1].

هل قرأت أخي القارئ الكريم؟

لقد أخرج زيد نساء النبي عن الإطار الذي وضعه الله تعالى على لسان نبيه في أهل البيت في قوله (لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها) الحديث.

والآن من هم أهل البيت الذين عناهم النبي الأكرم؟

أخرج الترمذي والحاكم وغيرهما عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال لما أنزل الله هذه الآية ﴿تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾ آل عمران/٦١، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال اللهم هؤلاء أهلي ـ واللفظ للترمذي ـ وقد

---

(١) نفس المصدر السابق، ح٣٧.

صححه الألباني[1].

وروى أحمد بن حنبل في مسنده: عن أم سلمة أن النبيﷺ جلل على علي وحسن وحسين وفاطمة كساء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فقالت أم سلمة يا رسول الله أنا منهم؟ قال: إنك إلى خير[2].

وفيه أيضاً عن أنس بن مالك أن النبيﷺ كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى الفجر فيقول الصلاة يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً[3].

اعلم أخي القارئ الكريم أن الأحاديث تشد بعضها بعضاً والآية القرآنية كذلك تسند الأحاديث فلا تعارض ولا تناقض بين الحديث والآخر أو الآية والحديث فاجعل جميع ما ذكرنا في مخيلتك واترك التعصب جانباً وسوف تخرج بنتائج باهرة.

نعم.. هؤلاء هم أهل بيت النبي الأعظم الذين ذكرهم في الصلاة عليهم كما ذكرنا ذلك في أول البحث وخوفاً من الإطالة على القارئ لذكرنا آراء المفسرين في الآيات التي ذكرناها فجميعهم متفقون على أنها نزلت في آل البيت وهم علي وفاطمة والحسنانعليهم السلام، ولنذكر محل الشاهد، قال البيضاوي في تفسيره:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ من النصارى، ﴿فِيهِ﴾ في عيسى، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي من

---

(١) صحيح سنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي، المتوفى٢٧٩هـ، ج٣، ص٢٠٥، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران / محمد ناصر الدين الألباني، ط١٤٢٠/١هـ، الرياض، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٥٠، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، ط بيروت، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) ج٦، ص٣٠٤، حديث أم سلمة، ط دار الفكر، بيروت، وج١، ص٣٣١ وج٦، ص٢٩٢ و٢٩٨، والطبراني في المعجم الكبير، ج٣، ص٥٢_٥٦، ح٢٢٦٧٤، ط١٤٠٤/٢هـ، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، ج٣، ص١٤٨، والترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، ح٣٢٠٥ و٣٧٨٦، وقد صححها الألباني.

(٣) نفس المصدر السابق، ج٣، ص٢٥٩ و٢٨٥، مسند أنس بن مالك.

البينات الموجبة للعلم، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾ هلموا بالرأي والعزم ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ أي يدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وألصقهم بقلبه إلى المباهلة ويحمل عليها، وإنما قدمهم على الأنفس لأن الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ أي نتباهل بأن نلعن الكاذب منا، والبهلة بالضم والفتح اللعنة، وأصله الترك من قوله بهلت الناقة إذا تركتها بلا صرار، ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ عطف فيه بيان روي (أنهم لما دعوا إلى المباهلة قالوا حتى ننظر فلا تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم نبوته، ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، فإن أبيتم إلا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا، فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي رضي الله عنه خلفها وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمنوا، فقال أسقفهم يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا، فأذعنوا لرسول الله ﷺ وبذلوا له الجزية ألفي حلة حمراء وثلاثين درعاً من حديد، فقال عليه الصلاة والسلام: والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر)، وهو دليل على نبوته وفضل من أتى بهم من أهل بيته[1].

وقد أجمع المفسرون واتفقت كلمتهم على ما ذكره البيضاوي.

وجاء في الدر المنثور للسيوطي:... أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: إن رسول الله ﷺ كان ببيتها على منامة له عليه كساء خيبري، فجاءت فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة فقال رسول الله ﷺ (ادعي زوجك وابنيك، حسناً، وحسيناً، فدعتهم فبينما هم يأكلون إذ نزلت على رسول الله ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فأخذ النبي ﷺ بفضلة إزاره فغشاهم إياها ثم أخرج يده من الكساء وأومأ بها إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالها ثلاث مرات، قالت أم

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، لعبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي، المتوفى٦٩١، المجلد١، ج٢، ص٢٠ـ٢١، سورة آل عمران/٦١، ط١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

سلمة ﵂: فأدخلت رأسي في الستر فقلت: يا رسول الله وأنا معكم، فقال: إنك إلى خير، مرتين.

وأخرج الطبراني عن أم سلمة ﵂ قالت: جاءت فاطمة ﵂ إلى أبيها بثريدة لها، تحملها في طبق لها حتى وضعتها بين يديه، فقال لها أين ابن عمك؟ قالت هو في البيت، قال: اذهبي فادعيه وابنيك، فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما في يد وعلي ﵁ يمشي في أثرهما حتى دخلوا على رسول الله ﷺ، فأجلسهما في حجره، وجلس علي ﵁ عن يمينه، وجلست فاطمة ﵂ عن يساره، قالت أم سلمة ﵂: فأخذت من تحتي كساء كان بساطنا على المنامة في البيت.

وأخرج الطبراني عن أم سلمة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة ﵂ أئتني بزوجك وابنيه فجاءت بهم، فألقى رسول الله ﷺ عليهم كساء فدكياً، ثم وضع يده عليهم، ثم قال: اللهم إن هؤلاء أهل محمد ـ وفي لفظ آل محمد ـ فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، قالت أم سلمة ﵂: فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه من يدي وقال إنك على خير.

وأخرج ابن مردويه عن أم سلمة قالت (نزلت هذه الآية في بيتي ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وفي البيت سبعة، جبريل وميكائيل ﵉، وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﵃، وأنا على باب البيت، قلت: يا رسول الله ألست من أهل البيت؟ قال: إنك إلى خير، إنك من أزواج النبي ﷺ.

وأخرج ابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: كان يوم أم سلمة أم المؤمنين ﵂، فنزل جبريل ﵇ على رسول الله ﷺ بهذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قال: فدعا رسول الله ﷺ: بحسن وحسين وفاطمة وعلي، فضمهم إليه ونشر عليهم الثوب والحجاب على أم سلمة مضروب، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالت أم سلمة ﵂: فأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، وإنك على خير.

وأخرج الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه

والبيهقي في سننه من طرق عن أم سلمة ﷺ قالت: في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً.

وأخرج ابن جرير وابن ابي حاتم والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ نزلت هذه الآية في خمسة: في وفي علي وفاطمة وحسن وحسين ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة ﷺ قالت: خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن والحسين ﷺ فأدخلهما معه ثم جاء علي فأدخله معه، ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وأخرج ابن جرير والحاكم وابن مردويه عن سعد قال: نزل على رسول الله ﷺ الوحي فأدخل علياً وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه ثم قال: اللهم هؤلاء أهلي وأهل بيتي.

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن واثلة بن الأسقع ﷺ قال جاء رسول الله ﷺ إلى فاطمة ومعه حسن وحسين وعلي حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه، ثم لف عليهم ثوبه وأنا مستدبرهم، ثم تلا هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة ﷺ إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول الصلاة يا أهل البيت الصلاة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وأخرج مسلم عن زيد بن أرقم ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: أذكركم الله في أهل بيتي، فقيل لزيد ﷺ: ومن أهل بيته، أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته،

ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس.

وأخرج الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معاً في الدلائل عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله قسم الخلق قسمين، فجعلني في خيرهما قسماً، فذلك قوله ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ و﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ فأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثا، فذلك قوله ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ فأنا من السابقين، وأنا خير السابقين، ثم جعل الأثلاث قبائل، فجعلني في خيرها قبيلة، وذلك قوله ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وأنا أتقي ولد آدم، وأكرمهم على الله تعالى ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً، فذلك قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة ﷺ في قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قال: هم أهل بيت طهرهم الله من السوء، واختصهم برحمته قال: وحدث الضحاك بن مزاحم ﷺ أن نبي الله ﷺ كان يقول: نحن أهل بيت طهرهم الله من شجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وبيت الرحمة، ومعدن العلم.

وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: لما دخل علي ﷺ بفاطمة ﷺ جاء النبي ﷺ أربعين صباحاً إلى بابها يقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة رحمكم الله ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ أنا حرب لمن حاربتم، أنا سلم لمن سالمتم.

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن أبي الحمراء ﷺ قال: حفظت من رسول الله ﷺ ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغداة إلا أتى إلى باب علي ﷺ، فوضع يده على جنبتي الباب، ثم قال: الصلاة... الصلاة.. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وأخرج ابن مرديه عن ابن عباس ﷺ قال: شهدنا رسول الله ﷺ تسعة أشهر،

يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب عليه السلام عند وقت كل صلاة فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الصلاة رحمكم الله، كل يوم خمس مرات.

وأخرج الطبراني عن أبي الحمراء رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي باب علي وفاطمة ستة أشهر فيقول ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وفي الطبراني: عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة: ائتيني بزوجك وابنيك، فجاءت بهم، فألقى عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله كساء ثم قال اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على إبراهيم إنك حميد مجيد[2].

فعلى ضوء ما قرأنا تبين لنا أن أهل البيت هم محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وآل محمد هم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وما عناه النبي الأكرم في الحديث في كيفية الصلاة عليه في قوله قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ونحن نقول اللهم صل على محمد وآل محمد عدد الحصى والرمل وخوفاً من الإطالة نكتفي بهذا القدر.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، المتوفى٩١١هـ، ج٦، ص٦٠٧، سورة الأحزاب، آية٣٣، ط دار الفكر.

(٢) المعجم الكبير لسليمان بن أحمد الطبراني المتوفى٣٦٠هـ، ج٣، ص٥٣، ح٢٦٦٥، ط٢/١٤٠٤هـ، دار إحياء التراث العربي.

باب التسميع والتحميد والتأمين

١٣٤. حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبدالرحمن أنهما أخبراه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه قال ابن شهاب كان رسول الله ﷺ يقول آمين.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه: من أهم أهداف صلاة الجماعة واقتداء المأموم بالإمام وربط أقواله وأفعاله بأقوال الإمام وأفعاله تعليم النظام والدقة في التسليم للقيادة....

إن الملائكة تتباع أقوال الإمام وتوافقه حين يقول في نهاية الفاتحة (آمين) تدعو له ولمن خلفه بإجابة الدعاء الوارد في الفاتحة وتوافقه عند رفعه من الركوع في قوله سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فتدعو له ولمن خلفه بأن يسمع الله حمدهم ويثبتهم عليه.

ويقول الأستاذ:... حين يقرأ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فتقول معه (آمين) ليوفق قولنا قول الإمام والملائكة فمن وافق قوله قول الملائكة ولم يسبقه أو يتأخر عنه غفر الله له ما تقدم من ذنوبه، كلمات سهلة يسيرة يمحو الله بها الخطايا[1].

---

(١) فتح المنعم، ج٢، ص٥٣٨، ح٧٤٤.

أقول:

اعلم أخي الكريم أن الملائكة خدم الله ﷻ وعند موت المؤمن وقبض روحه تزف هذه الروح إلى عالم البرزخ وجنات الخلد بواسطة عشرات الآلاف من الملائكة وهم مستبشرون بذلك ويتفاوت عدد الملائكة الذين يزفون تلك الروح على حسب إيمان المؤمن فكيف بالأولياء والأوصياء والأنبياء.

الحاصل، هؤلاء الخدم أعني ملائكة الله منهم من إذا نزل إلى الأرض ومن ثم صعد ثانية لن ينزل مرة أخرى وإلى الأبد ومنهم عتيد ورقيب الذي على يمين وشمال كتفي الإنسان، وهؤلاء يبدلون كل يوم أي أن كل ملك لديه سجل ليوم واحد فقط، فما قولك أخي الكريم في عدد ملائكة الله في السموات الدنيا والأولى والثانية إلى السماء السابعة وهؤلاء الملائكة الذين يؤمنون مع المصلين فإنه حتماً ويقيناً سوف يصدف تأمين المؤمن مع ملك منهم وذلك من كثرتهم كما ذكرنا ويغفر له ما تقدم من ذنبه ونحن نصلي خمس مرات في اليوم أي نؤمن عشر مرات في اليوم والفرصة جيدة وأكيدة أن يوافق تأميننا مع تأمين الملائكة فيغفر لنا ما تقدم من ذنبنا أي أننا نولد من جديد كل يوم كما في إقامتنا مناسك وشعائر حج بيت الله الحرام، نرجع كما ولدتنا أمهاتنا.

الحاصل، يقول الشيخ محمد جواد مغنية:... وقال الإمامية... يحرم قول آمين وتبطل الصلاة بها، سواء أكان مفرداً أو إماماً أو مأموماً لأنه من كلام الناس ولا يصلح في الصلاة شيء من كلامهم.

وأجمعت المذاهب الأربعة على استحبابها لحديث أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال إذا قال الإمام ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقولوا آمين، ومنع الإمامية صحة هذا الحديث[1].

---

(١) الفقه على المذاهب الخمسة، ص١١١، القراءة، ط٦/١٩٧٩م، دار العلم للملايين، بيروت.

باب ائتمام المأموم بالإمام

١٣٥.... عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال إنما الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه فإذا كبر فكبروا وإذا ركع فاركعوا وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا لك الحمد وإذا سجد فاسجدوا وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعون.

أقول: جعل الإمام ليكون متبعاً في جميع حركاته وسكناته فلو كبر الإمام فمن واجب المأمومين التكبير وإذا ركع الإمام أو سجد أيضاً يجب اتباعه في ذلك من قبل المأمومين أيضاً ولا يجوز تأخير الركوع والسجود أكثر من المتعارف عن ركوع وسجود الإمام أي يجب اتباع الإمام في جميع حركاته وسكناته كما ذكرنا.

جاء في صحيح البخاري:... أبا هريرة عن النبي ﷺ قال أما يخشى أحدكم أولا يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله راسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار[1].

نفهم من حديث أبي هريرة أنه لا يجب إنهاء ورفع الرأس من السجود قبل الإمام، أي يجب اتباع الإمام في جميع الأمور طالما هو الإمام وأنت المأموم كما ذكرنا ذلك آنفاً.

يقول البخاري في صحيحه:... عن عبيد الله بن عدي بن خيار أنه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصور فقال إنك إمام عامه ونزل بك ما نرى ويصلي لنا إمام فتنة

---

(١) كتاب الأذان، باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام.

ونتحرج فقال الصلاة أحسن ما يعمل الناس فإذا أحسن الناس فأحسن معهم وإذا اساؤوا فاجتنب إساءتهم، وقال الزبيدي قال الزهري لا نرى أن يصلي خلف المخنث إلا من ضرورة لابد منها[1].

وأقول أيضاً: إن اصطفاف المصلين خلف الإمام في الصلاة كاصطفاف الجنود خلف قائدهم، وأميرهم في ساحة القتال، أي أن الإمام يعتبر القائد والمأمومين هم الجنود، فإذا طلب وأمر القائد بإطلاق النار فعلى الجنود الاستجابة للأمر فوراً، ويكون هذا القائد مسموع الكلمة والأوامر، ومن لم يستجب للأمر سيحول إلى محاكمة عسكرية وما أشبه كما هو المتعارف في أيامنا هذه، وكذلك إمام الجماعة حال الصلاة فإذا كبر الإمام تكبيرة الإحرام فعلى المأمومين أن يكبروا بعده مباشرة، وكذلك إذا ركع وسجد فمن واجب المأمومين أن يتبعوه مباشرة من حيث الركوع والسجود بلا فصل، ولو خالف شخص ما من المأمومين فإنه سوف يخرج من حال صلاة الجماعة شاء أم أبى، وتكون صلاته فرادى، وهذا عقاب أو جزاء لمخالفته اتباع القائد أو الإمام إن أردنا تسميته بذلك كالجندي المخالف لأوامر سيده القائد.

فالإمام هو القائد والقدوة الذي يتبع في جميع حركاته وسكناته في الصلاة.

واعلم أخي الكريم أن كلمة المخنَّث كما في الرواية لها معنيين:

المعنى الأول: الذي يتكسَّر في مشيه وكلامه وينثني ويتشبَّه بالنساء في جميع الحركات والميوعة أيضاً.

المعنى الثاني: المراد به من يُؤتى في دُبُره ـ والعياذ بالله ـ فكيف تقبل على نفسك أيها المسلم أن يكون هذا المخنث قدوة لك وإماماً وقائداً مطاعاً حال الصلاة؟!

ورد في البخاري أيضاً:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وقال: أخرجوهم من بيوتكم، وأخرج فلاناً وأخرج عمر فلاناً[2].

---

(١) كتاب الأذان، باب إمامة المفتون والمبتدع.

(٢) كتاب الحدود، باب نفي أهل المعاصي والمخنثين.

أقول:

إن النبي الأكرم أمر بإخراج ونفي من يتشبه بالنساء، فهل من المعقول أن يأمرنا حال الضرورة أن نصلي خلف هذا المخنث؟!!

فالرسول الأعظم عندما نفى هذا المخنث فكأن علاجه أصبح ميئوساً منه، لذا تراه قد أمر بنفي هؤلاء وذلك لعزلهم عن المجتمع الإسلامي كي لا يصيب هذا الوباء الآخرين.

ثم لاحظ هذه الروايات أنها لا تنهضم بعد المضغ! فترى المسلم الواعي الذي يبحث عن الحق يلفظ ويقيء مثل هذه الروايات!

ثم أليس من الأفضل لك أن تُصلِّي فُرادى طالما لم يتواجد الكُفء للإمامة؟!

وسنوافيك بالمزيد إن شاء الله، فابق معنا.

باب استخلاف الإمام

١٣٦. حدثنا أحمد بن عبدالله بن يونس حدثنا زائدة حدثنا موسى بن أبي عائشة عن عبيدالله بن عبدالله قال دخلت على عائشة فقلت لها ألا تحدثيني عن مرض رسول اللهﷺ قالت بلى ثقل النبيﷺ فقال أصلى الناس قلنا لا وهم ينتظرونك يا رسول الله قال ضعوا لي ماء في المخضب ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلى الناس قلنا لا وهم ينتظرونك يا رسول الله فقال ضعوا لي ماء في المخضب ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال اصلى الناس قلنا لا وهم ينتظرونك يا رسول الله فقال ضعوا لي ماء في المخضب ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال اصلى الناس فقلنا لا وهم ينتظرونك يا رسول الله قالت والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول اللهﷺ لصلاة العشاء الآخرة قالت فأرسل رسول اللهﷺ إلى أبي بكر أن يصلي بالناس فأتاه الرسول فقال إن رسول اللهﷺ يأمرك أن تصلي بالناس فقال أبو بكر وكان رجلاً رقيقاً يا عمر صل بالناس قال فقال عمر أنت أحق بذلك قالت فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام ثم إن رسول اللهﷺ وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه النبيﷺ أن لا يتأخر وقال لهما أجلساني إلى جنبه فأجلساه إلى جنب أبي بكر وكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة النبيﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر والنبيﷺ قاعد قال عبيدالله فدخلت على عبدالله بن عباس فقلت له ألا أعرض

عليك ما حدثتني عائشة عن مرض رسول الله ﷺ فقال هات فعرضت حديثها عليه فما أنكر منه شيئاً غير أنه قال أسمت لك الرجل الذي كان مع العباس قلت لا قال هو علي.

١٣٧. حدثنا محمد بن رافع وعبد بن حميد واللفظ لابن رافع قالا حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر قال قال الزهري وأخبرني عبيدالله بن عبدالله بن عتبة أن عائشة أخبرته قالت أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيتها وأذن له قالت فخرج ويد له على الفضل بن عباس ويد له على رجل آخر وهو يخط برجليه في الأرض فقال عبيدالله فحدثت به ابن عباس فقال أتدري من الرجل الذي لم تسم عائشة هو علي.

١٣٨. حدثني عبدالملك بن شعيب بن الليث حدثني أبي عن جدي قال حدثني عقيل بن خالد قال ابن شهاب أخبرني عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له فخرج بين رجلين تخط رجلاه في الأرض بين عباس بن عبدالمطلب وبين رجل آخر قال عبيدالله فأخبرت عبدالله بالذي قالت عائشة فقال لي عبدالله بن عباس هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة قال قلت لا قال ابن عباس هو علي.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه فتح المنعم:

أشفقت عائشة على أبيها أن يتشاءم الناس منه إن هو قام مقام رسول الله ﷺ وخافت على أبيها كراهية الناس له إذا ارتبطت إمامته بمرض من يحبون أو بموت أحب الناس إليهم فقالت يا رسول الله إن ابا بكر رقيق القلب سريع الدمع إن هو وقف موقفك لا يملك نفسه من البكاء فلا يسمع الناس الصلاة فمر عمر الرجل القوي الشديد أن يصلي بالناس[1].

أقول:

لماذا يتشاءم الناس منه إن هو قام مقام النبي الأكرم وهذه ليست المرة الأولى التي يؤم المسلمين حال الصلاة؟!

---

(١) ج٢، ص٥٥٩، ح٧٥٨، وح٧٦٠.

نعم.. لقد أمهم بأمر بلال الحبشي عندما ذهب النبي مع بعض الصحابة إلى بني عوف للإصلاح فيما بينهم فأمر بلال أبا بكر أن يصلي في المسلمين، راجع الحديث في صحيح البخاري، كتاب السهو، باب الإشارة في الصلاة، هذا أولاً.

ثانياً: تقول عائشة إن أبا بكر رقيق القلب لا يملك نفسه من البكاء من خشية الله!

عجبي من عائشة والله!!

ومتى كان البكاء حال الصلاة ومن خشية الله عَزَّوَجَلَّ مكروهاً أو محرماً؟

ألم تعلم عائشة بأن هذا البكاء حال الصلاة مندوب ومحبب إلى الله جل وعلا؟!

ثم إن النبي الأكرم أمر بإمامة أبي بكر فما الداعي أن لا يأتمروا لأمره فوراً، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ الأحزاب/٣٦.

لا والأنكى من ذلك أن عائشة تشير على النبي أن يأمر عمر بالإمامة والأدهى والأمر من ذلك أن أبا بكر هو الذي طلب من عمر إمامة المسلمين! عجباً والله!! النبي يأمر أبا بكر وأبا بكر يأمر عمر وعمر يقول أنت أحق بذلك!!

ثم لاحظ كيف أن عائشة لا تطيق ذكر اسم الإمام بل تنعته برجل آخر!!

ثم ألا تسأل نفسك أخي الكريم، فحين أمر النبي بأن يصلي أبو بكر في الصحابة لماذا خرج بعد ذلك وقام بتنحية المذكور عن إمامته الصلاة وهو بتلك الحالة الصعبة ألا يتبادر إلى ذهنك أن في الأمر شيئاً قد خفي عليك أخي القارئ؟!

وتقول عائشة: استأذن النبي أزواجه أن يمرض في بيتي، ففي رواية البخاري: وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخرها حتى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة بعث صاحب الهدية بها إلى رسول الله... الحديث[1].

نستنتج من هذه الرواية أن النبي الأكرم لم يكن عادلاً بين نسائه لأن جميع المسلمين علموا وعرفوا ميل النبي لعائشة كما تؤكد هذه الرواية وهذا خلاف ما أمر الله به، فالعدالة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه.

بين الزوجات قد فرضها الله تعالى على العباد وأما العدالة القلبية فذلك أمر آخر فعلى صحة الروايات أن النبي كان يميل إلى عائشة ولكن كان يجاهر بذلك وهذا جرح لشعور زوجاته الأخريات.

قال تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾ النساء/١٢٩.

ومعنى ذلك الميل القلبي لهذه أو تلك وبحب هذه أكثر من تلك وهذا النبي الذي أخبرنا وأمرنا بأمر الله وما يريده منا في العدالة بين الزوجات لم يوف هو بهذا الشرط وفاقد الشيء لا يعطيه فكيف يأمرنا بالعدالة وعندما استأذن النبي أزواجه أن يمرض في بيت عائشة فإنهن كن يعرفن أنه يميل لها كل الميل وعند رؤيتهن النبي وهو بتلك الحالة الصعبة أشفقن عليه وقبلن بالأمر الواقع ولو على مضض على كل حال أن النبي الأكرم كان مسرفاً في ميله إلى عائشة حتى علم بذلك الميل زوجاته وأصحابه لا بل وأهل المدينة عامة، ثم أقول أيضاً:

جاء في صحيح البخاري... قالت عائشة وا رأساه، فقال رسول الله ﷺ ذاك لو كان وأنا حي، فأستغفر لك وأدعو لك فقالت عائشة وا ثكلياه والله إني لأظنك تحب موتي ولو كان ذاك لظللت آخر يومك معرساً ببعض أزواجك... الحديث[1].

أقول:

من يتمنى موت امرأته قبله أترى أنه يحبها ومن يقول أين أنا غداً أين أنا غداً يريد بيت عائشة وأن يمرض في بيتها أيعقل أن يصدر منه ذلك وهو من يتمنى موتها؟!

وأخيراً جاء في الرواية أن أبا بكر كان يصلي وهو قائم بصلاة النبي الأكرم الذي كان جالساً هذا ما جاء في الرواية الأولى وهذه ملاحظة مهمة ويجب التنبيه عليها والتعليق باختصار عليها.

أولاً: جاء في صحيح البخاري عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت صلى رسول الله ﷺ في بيته وهو شاك فصلى جالساً وصلى وراءه قوم قياماً فأشار إليهم أن اجلسوا فلما

---

(١) كتاب المرض والطب، باب قول المريض إني وجع.

انصرف قال إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً[1].

يقول ابن حجر في بيته أي في المشربة التي في حجرة عائشة.

وهو شاك... كان سبب ذلك... أنه سقط عن فرس.

فصلى جالساً: قال عياض يحتمل أن يكون أصابه من السقطة رضٌّ في الأعضاء منعه من القيام.

فأشار عليهم... فأخلف بيده يومئ بها إليهم.

إنما جعل الإمام ليؤتم به... أي جعل الإمام إماماً ليقتدى به ويتبع... وقال النووي متابعة الإمام واجبة في الأفعال الظاهرة[2].

أقول:

هل قرأت أخي الكريم ما قاله النبي الأكرم وما أمر به الصحابة في قوله إذا صلى الإمام جالساً فصلوا جلوساً وأومأ بيده إليهم وأشار إليهم أن اجلسوا.

فكيف بالنبي الأكرم يصلي جالساً كما في الرواية التي نحن بصددها حال مرضه وقبل وفاته والصحابة يصلون من قيام، فكيف نوفق بين هذه الرواية التي ذكرناها وبين عمل الصحابة وعلى رأسهم النبي الأكرم عندما صلى بالصحابة من جلوس قبل وفاته ﷺ، فماذا يقول ابن حجر أيضاً ليخرج من هذا المأزق؟

يقول: وجمع القرطبي بين الحديثين باحتمال أن يكون بعضهم قعد من أول الحال... وبعضهم قام حتى أشار إليه بالجلوس وهذا الذي حكته عائشة، وتعقب باستبعاد قعود بعضهم بغير إذنه ﷺ لأنه يستلزم النسخ بالاجتهاد لأن فرض القادر في الأصل القيام[3].

نعم.. يحاول أهل العامة أن يحيلوا هذا الإشكال على خانة النسخ وذلك دأبهم فإذا استشكل عليهم أمر ما أحالوا ذلك إلى النسخ تهرباً من الحجج الدامغة والمقامع الثقيلة

---

(١) كتاب الأذان، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به.

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج٢، ص٢١٩، ح٦٨٨.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٢٢٢، ح٦٨٩.

التي نزلت على الرؤوس تدق فيها، ونحن نعلم أن الرسول الأكرم لم يعترض على وقوف المصلين خلفه ولم يعترض أيضاً من وقوف أبي بكر الذي كان قريباً منه كما جاء في الرواية الموضوعة التي نحن بصددها فتأمل أخي القارئ ذلك.

١٣٩.... عن عائشة قالت لما دخل رسول الله ﷺ بيتي قال مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت فقلت يا رسول الله إن ابا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه فلو أمرت غير أبي بكر قالت والله ما بي إلا كراهية أن يتشاءم الناس بأول من يقوم في مقام رسول الله ﷺ قالت فراجعته مرتين أو ثلاثاً فقال ليصل بالناس أبو بكر فإنكن صواحب يوسف.

١٤٠.... عن عائشة قالت لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت فقلت يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت فقلت لحفصة قولي له إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر فقالت له فقال رسول الله ﷺ إنكن لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت فأمروا أبا بكر يصلي بالناس قالت فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فقام يهادى بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض قالت فلما دخل المسجد سمع أبو بكر حسه ذهب يتأخر فأومأ إليه رسول الله ﷺ قم مكانك فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر قالت فكان رسول الله ﷺ يصلي بالناس جالساً وأبو بكر قائماً يقتدي أبو بكر بصلاة النبي ﷺ ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر.

١٤١.... أخبرنا عيسى بن يونس كلاهما عن الأعمش بهذا الإسناد نحوه وفي حديثهما لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي توفي فيه وفي حديث ابن مسهر فأتي برسول الله ﷺ حتى أجلس إلى جنبه وكان النبي ﷺ يصلي بالناس وأبو بكر يسمعهم التكبير وفي حديث عيسى فجلس رسول الله ﷺ يصلي وأبو بكر إلى جنبه وأبو بكر يسمع الناس.

١٤٢.... عن عائشة قالت أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس في مرضه فكان يصلي بهم قال عروة فوجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فخرج وإذا أبو بكر يؤم الناس فلما رآه أبو بكر استأخر فأشار إليه رسول الله ﷺ أي كما أنت فجلس رسول الله ﷺ

حذاء أبي بكر إلى جنبه فكان أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر.

١٤٣.... عن ابن شهاب قال أخبرني أنس بن مالك أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع رسول الله ﷺ الذي توفي فيه حتى إذا كان يؤم الإثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً قال فبهتنا ونحن في الصلاة من فرح بخروج رسول الله ﷺ ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول الله ﷺ خارج للصلاة فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده أن أتموا صلاتكم قال ثم دخل رسول الله ﷺ فأرخى الستر قال فتوفي رسول الله ﷺ من يومه ذلك وحدثنيه عمرو الناقد وزهير بن حرب قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس قال آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ كشف الستارة يوم الاثنين بهذه القصة وحديث صالح أتم وأشبع.

١٤٤.... عن أنس قال لم يخرج إلينا نبي الله ﷺ ثلاثاً فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم فقال نبي الله ﷺ بالحجاب فرفعه فلما وضح لنا وجه نبي الله ﷺ ما نظرنا منظراً قط كان أعجب إلينا من وجه النبي ﷺ حين وضح لنا قال فأومأ نبي الله ﷺ بيده إلى أبي بكر أن يتقدم وأرخى نبي الله ﷺ الحجاب فلم نقدر عليه حتى مات.

يقول ابن حجر في شرحه فتح الباري:

قوله (أسيف)... وهو شدة الحزن.

قوله... (إنكن صواحب يوسف)... المراد أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن، ثم إن هذا الخطاب وإن كان بلفظ الجمع فالمراد به واحد وهي عائشة فقط، كما أن صواحب صيغة جمع والمراد زليخا فقط.

ويقول:

فقال له - أي بلال - إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر - وكان رجلاً رقيقاً - يا عمر صل بالناس، فقال له عمر: أنت أحق بذلك[1].

---

(١) ج٢، ص١٨٩، ح٦٦٤، كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة.

أقول:

يقول ابن حجر: إن أبا بكر كان رجلاً رقيقاً، وفي رواية: لا يسمعه الناس من البكاء!!

عجباً والله لهؤلاء بادعائهم ذلك! ألم يعلموا أن البكاء من الخشوع لا يبطل الصلاة؟! بل هو مندوب إن كان خشية من الله تعالى.

النبي الأكرم يأمر أبا بكر بأن يصلي في الناس، ثم يخرج بعد أن يجد من نفسه خِفَّة.

أليس من حق المسلم أن يبحث عن الحقيقة، ولماذا كل ما ورد في كتب التأريخ الإسلامي أو كتب الحديث نأخذ به من دون تريث وتمحيص؟!

وكأن الأمر من المسلمات لا يجوز النقاش فيه؟

أليس من الممكن أن هؤلاء الصحابة أو عائشة هي التي أمرت أباها أن يصلي بالناس؟!

ولهذا عندما علم الرسول الأكرم أن ابن أبي قحافة يصلي بالمسلمين خرج وهو في تلك الحالة الصعبة كي يُنَحِّيه جانباً وهذا ما حصل بالفعل.

وإلا فكيف يأمره النبي ثم يخرج ليُنَحِّيه جانباً، وتقول الرواية: فوجد النبي من نفسه خفة! وفي الرواية نفسها (رجليه تخطان من الوجع)! أي خِفَّة هذه ورجلاه تخطان الأرض!

إنما رأى الرسول الأكرم أن من واجبه تنحية أبي بكر وإن كان ذلك على حساب صحته.

لماذا تؤخذ القضايا وكأنها من المسلمات، ألا يجدر بنا أن نسأل مثل هذه الأسئلة؟!

وفي الرواية أيضاً أن أبا بكر تنحى من مكانه وهذا يؤيد ما نقوله، بأن سبب خروج الرسول الأكرم على تلك الحالة الصعبة ما كان إلا لكي ينحي ابن أبي قحافة، وعلى فرض أن الرسول أمر أبا بكر بالصلاة في الناس ـ وهو طبعاً فرض محال ولكن! ـ أقول: عندما بعث النبي الأكرم بسورة براءة ليقرأها على المشركين نزل جبرئيل عليه السلام وقال بأن الجليل يقرؤك السلام ويقول إنه لا يؤدي ذلك إلا أنت أو رجل من أهل بيتك فبعث علياً عليه السلام فأخذ براءة من أبي بكر بأمر من النبي الأكرم الذي أمره الله بذلك.

وأقول:

أن النبي أمر أبا بكر بالصلاة بالمسلمين، فأمره الله أن ينحيه جانباً ففعل كما أمره الله تعالى ونحاه جانباً وصلى الرسول بنفسه بالمسلمين كما حدث عندما بعث علياً بسورة براءة كما ذكرنا ذلك.

وأضيف أيضاً:

لقد وصل الخبر إلى النبيﷺ بأن ابن أبي قحافة يصلي بالمسلمين! وأراد أن يشاهد ذلك بنفسه، فقام وهو على تلك الحالة الصعبة، وكشف الستر فرأى كما بلغ ذلك، وأرخى الستر مستغرباً مما يرى غير مصدق له.

وأخيراً:

دار نقاش بين عالم سني وآخر شيعي فقال العالم السني للعالم الشيعي: إمامة وخلافة أبي بكر ثابتة وذلك عندما أمر الرسول الأكرم فقال مروا أبا بكر يصلي بالناس.

فأجابه العالم الشيعي فوراً وبلا تردد وقال: إن النبي ليهجر!

١٤٥.... عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول اللهﷺ ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم فحانت الصلاة فجاء المؤذن إلى أبي بكر فقال أتصلي بالناس فأقيم قال نعم قال فصلى أبو بكر فجاء رسول اللهﷺ والناس في الصلاة فتخلص حتى وقف في الصف فصفق الناس وكان أبو بكر لا يلتفت في الصلاة فلما أكثر الناس التصفيق التفت فرأى رسول اللهﷺ فأشار إليه رسول اللهﷺ أن امكث مكانك فرفع أبو بكر يديه فحمد الله عزوجل على ما أمره به رسول اللهﷺ من ذلك ثم استأخر أبو بكر حتى استوى في الصف وتقدم النبيﷺ فصلى ثم انصرف فقال يا أبا بكر ما منعك أن تثبت إذ أمرتك قال أبو بكر ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول اللهﷺ فقال رسول اللهﷺ ما لي رأيتكم أكثرتم التصفيق من نابه شيء في صلاته فليسبح فإنه إذا سبح التفت إليه وإنما التصفيح للنساء.

يقول ابن تيمية في منهاج السنة: فهذا من أصح حديث على وجه الأرض[1].

---

(١) المجلد ٢، ج ٤، ص ٢٩٦، ط بيروت.

انظر لهذا الناصبي كيف خيل إليه صحة هذا الحديث وكأنه وجد مبتغاه، ولكن!

يقول ابن حجر في شرحه:... عن أبي حازم أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: اذهبوا بنا نُصلح بينهم.

فحانت الصلاة ـ أي صلاة العصر ـ... أذن بلال ثم أقام ثم أمر أبا بكر فتقدم...، وأما قوله لأبي بكر أتصلي للناس فلا يخالف ما ذكر لأنه يحمل على أنه استفهمه هل يبادر أول الوقت أو ينتظر قليلاً ليأتي النبي ﷺ؟ ورجح عند أبي بكر المبادرة لأنها فضيلة متحققة فلا تترك لفضيلة متوهمة[1].

نلاحظ أن الذي أمر أبا بكر بالصلاة هو بلال كما في الرواية، أي أن الصحابة تصرَّفوا من تلقاء أنفسهم، أقول: أليس من المحتمل أن الصحابة أيضاً تصرفوا من تلقاء أنفسهم أثناء مرض الرسول الأكرم وقدَّموا أبا بكر إماماً للصلاة فيهم، فكما أن الرسول الأكرم خرج من بيته أثناء مرضه ونحى أبا بكر عن إمامته وصلى بالناس فكذلك هنا أيضاً جاء يمشي في الصفوف يشقها شقاً ونحَّى أبا بكر عن إمامته للصلاة، وكونه كان إماماً ـ أي أبا بكر ـ ومن كثرة التصفيق التفت فرأى الرسول وهو يشق الصفوف كان من واجبه أن لا يلتفت بعد تكبيرة الإحرام، أي أنه قطع صلاته وهذا غير جائز وهو مأثوم أيضاً.

جاء في البخاري كتاب الأذان باب الالتفات في الصلاة عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة، فقال: هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد ـ الاختلاس: الاختطاف بسرعة ـ.

وأبو بكر لم يلتفت وإنما قطع صلاته أي أن الشيطان أخذ صلاته برمَّتها!

هذه هي الخلاصة واقرأ معي أيضاً وذلك لأن لنا ملاحظات على هذه الرواية:

أيا ترى هل كان أبو بكر أهلاً للإمامة؟!

فشروط الإمامة ذكرها النبي في عدة مواضع، منها:

أن يكون الإمام أقرأ للقرآن من غيره، في حين عندما نتتبع أخبار القراء من الصحابة لا نجد لأبي بكر ذكراً!

---

(١) فتح الباري، ج٢، ص٢٠٧، كتاب الأذان، باب من دخل ليؤم الناس.

قال النبي ﷺ: خذوا القرآن من أربعة، من عبدالله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل[1].

وكذلك يؤيد قولنا أن أبا بكر لم يكن جامعاً للقرآن ولا حافظاً له أيضاً، لذا تراه قال لزيد بن ثابت اجمع القرآن.

ولو أردت أن تقف على حقيقة ما نقول فراجع كتابنا مناقشاتي في أحاديث أهل السنة.

ومن شروط الإمامة أيضاً أن يؤمهم الأكبر سناً، وقطعاً إن العباس عم النبي الأكرم أكبر من أبي بكر!

ومن الشروط، الأكثر علماً!

فقول النبي لابنته فاطمة عليها السلام لقد أنكحتك أكثرهم علماً وأفضلهم حلماً[2].

ومن الشروط أيضاً، أن يكون أول الناس إسلاماً.

فهذا التاريخ بين أيدينا، فعلي ابن أبي طالب عليه السلام أول الناس إسلاماً، لذا قالوا إن أبا بكر أول الناس إسلاماً من الرجال وعلي أول الناس إسلاماً من الصبيان، وخديجة أول الناس إسلاماً من النساء، وهذا قول باطل، فبما أنهم فرقوا بين النساء والرجال والصبيان، فالأمر واضح وجلي لمن له قلب سليم، وذلك لأنهم يريدون أن يعطوا صاحبهم فضيلة غيره.

ثم لاحظ أن النبي الأكرم يقول إنما التصفيح للنساء، أي التصفيق حال الصلاة، وكأنه يؤيد التصفيق للنساء فقط حال الصلاة.

فأقول:

عندما كان النبي يصلي عند بيت الله الحرام كان المشركون يؤذون الرسول بكلام جارح، ويصفقون ويدورون حوله، فتصفيق المشركين حال صلاة النبي كان من أجل

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بن كعب.

(٢) مجمع الزوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي، المتوفى ٨٠٧هـ، المجلد ٥، ج ٩، ص ١٠٢، باب إسلامه ﷺ، ط ٣/١٤٠٢هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

مضايقته وقطع صلاته وتشويش فكره، فكيف نوفق بين ما ذكرناه وبين قوله عليه السلام: التصفيق للنساء!

وأخيراً.. جاء في الرواية أن النبي الأكرم قال ما منعك أن تصلي للناس حين أشرت إليك! يعني أن هناك احتمالين:

إما أن النبي سوف يصلي خلف أبي بكر! ويكون الرسول الأكرم مأموماً!

وإما أن النبي الأكرم سوف يصلي فرادى ولن يأتم بصلاة أبي بكر.

فإذا أخذنا بالاحتمال الأول، فكيف يكون النبي مأموماً وهو المسدَّد من قبل الله تعالى؟! وهذا مما لا يجوز أن يكون النبي تابعاً بل لابد أن يكون متبوعاً.

فنبي ومن أولي العزم وخاتم الأنبياء وسيد الخلق يكون مأموماً!!

وهذا خلاف القاعدة.

وأما الاحتمال الآخر فلو انتظر إلى أن ينتهي المسلمون من صلاة الجماعة، ومن ثم يصلي، فإنه قد أخر الصلاة عن وقتها. وهو الذي كان دائماً وأبداً يُحذِّر المسلمين من تأخير الصلاة، فيكون النبي الأكرم قد تهاون في صلاة الجماعة وفوَّت على نفسه الأجر وثواب الجماعة.

هذا بالإضافة إلى أنه إذا صلى في ركن ما في المسجد فرادى والصحابة كانت تصلي جماعة في نفس الوقت إذن فصلاة أبي بكر غير جائزة. فالرواية إذن غير صحيحة جملة وتفصيلاً.

١٤٦.... عروة بن المغيرة بن شعبة أخبره أن المغيرة بن شعبة أخبره أنه غزا مع رسول الله ﷺ تبوك قال المغيرة فتبرز رسول الله ﷺ قبل الغائط فحملت معه إداوة قبل صلاة الفجر فلما رجع رسول الله ﷺ إلي أخذت أهريق على يديه من الإداوة وغسل يديه ثلاث مرات ثم غسل وجهه ثم ذهب يخرج جبته عن ذراعيه فضاق كما جبته فأدخل يديه في الجبة حتى أخرج ذراعيه من أسفل الجبة وغسل ذراعيه إلى المرفقين ثم توضأ على خفيه ثم أقبل قال المغيرة فأقبلت معه حتى نجد الناس قد قدموا عبدالرحمن بن عوف فصلى لهم فأدرك رسول الله ﷺ إحدى الركعتين فصلى مع الناس الركعة الآخرة

فلما سلم عبدالرحمن بن عوف قام رسول الله ﷺ يتم صلاته فأفزع ذلك المسلمين فأكثروا التسبيح فلما قضى النبي ﷺ صلاته أقبل عليهم ثم قال أحسنتم أو قال قد أصبتم يغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها.

يقول الأستاذ الدكتور موسى لاشين في شرحه: يروى عن المغيرة بن شعبة أنه صحب رسول الله ﷺ في السفر إلى غزوة تبوك، وفي الطريق وقبيل الفجر أراد رسول الله ﷺ قضاء الحاجة فانتحى عن الجيش إلى ناحية منعزلة وبرز واتجه إلى مكان التغوط وتبعه المغيرة يخدمه ويحمل له ماء الوضوء ووقف منه على بعد فلما قضى ﷺ حاجته واستجمر بالأحجار توجه إلى المكان الذي وقف فيه المغيرة وتهيأ للوضوء وأخذ المغيرة يصب عليه الماء من إناءه فغسل يديه ثلاث مرات ثم غسل وجهه ثم حاول أن يخرج يديه من الجبة ليغسلهما إلى المرفقين فلم يستطع لضيق كم الجبة فأدخل كفيه من كمي الجبة إلى أسفلها فأخرج ذراعيه وغسلهما إلى المرفقين ثم مسح شعره ثم مسح على خفيه ثم اتجه ﷺ وخلفه المغيرة حيث مكان الصلاة فوجدا القوم قد قدموا عبدالرحمن بن عوف يؤمهم وكأن الصحابة خافوا على ضياع وقت الفضيلة لصلاة الصبح وتوقعوا تأخر النبي ﷺ لعذر في قضاء الحاجة وهم يعلمون حرصه ﷺ على أداء الصلاة في أول وقتها ويعلمون إذنه ﷺ في أن يؤمهم أحدهم إذا تأخر عنهم جاءهم رسول الله ﷺ وقد صلى بهم عبدالرحمن بن عوف ركعة فوقف في الصف خلف عبدالرحمن بن عوف وأراد المغيرة أن ينبه عبدالرحمن بن عوف ليتأخر ويترك الإمامة لرسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ دعه إماماً فامتثل الأمر لكن الصحابة لم يعجبهم أن يصلي عبدالرحمن إماماً لرسول الله ﷺ فأكثروا التسبيح لينبهوا عبدالرحمن فلم ينتبه وصلى رسول الله ﷺ خلف عبدالرحمن ركعة فلما سلم عبدالرحمن قام رسول الله ﷺ فأتم صلاته فلما انتهى أعلن رضاه وإقراره واستحسانه لما حدث أعلن استحسانه وسروره بتكبيرهم للصلاة في أول وقتها[1].

أقول: أولاً هؤلاء الصحابة لماذا لم ينتظروا النبي الأكرم لحين قضاء حاجته وذلك ليصلي فيهم إماماً كعادتهم؟!

---

(١) فتح المنعم، ج٢، ص٥٧٤، ح٧٧٣.

ثانياً: هذا النبي الذي كرر مراراً أن قرة عينه الصلاة (وجعل قرة عيني الصلاة) راجع مسند أحمد بن حنبل ج٣، ص١٩٩، مسند أنس بن مالك، وهو يؤخر الصلاة عن وقتها وتفوته فضيلة الوقت!!

فلو قلنا أن الصحابة صلوا جماعة قبل مجيء النبي إليهم وذلك خوفاً من أن تشرق الشمس فنقول بالأمر الثاني الذي ذكرناه.

ثم أفيدونا كيف بالنبي الأكرم ينام من دون حراسة؟! أليس هو المطلوب من قبل المشركين والأعداء والمنافقين أيضاً؟

ثم بالله عليك أخي الكريم ألم يكن مع النبي الأكرم صحابة منافقون؟ فكيف يتركه الصحابة من دون رقابة دقيقة؟!

ثم إن هذه الصلاة صلاة واجبة وهي صلاة الصبح، ونحن نقرأ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وما جاء في الأحاديث الشريفة أن النبي الأكرم كان يقوم الليل للصلاة والنوافل المستحبة حتى تورمت قدماه من كثرة وطول قيامه، فكيف ينام عن الصلاة الواجبة.

ثم بالله عليك كيف يصلي النبي مأموماً خلف عبدالرحمن بن عوف؟! أليس من الأولى أن يصلي النبي خلف أبي بكر كما في الروايات الأخرى والتي جاء ذكرها في الصفحات السابقة فلماذا تنحى أبو بكر وصلى بصلاة النبي حال مرضه الذي توفي فيه؟!

فأين منزلة وفضل أبي بكر وأين ابن عوف؟! فشتان ما بين فضائل الأول عن ابن عوف.

ثم من هو راوي هذه الرواية؟! أليس المغيرة بن شعبة هذا الذي عليه علامات استفهام كثيرة وإشكالات في سلوكه من يوم أن دخل الإسلام إلى آخر عمره؟! واقرأ معي أخي الكريم ما قاله أهل العامة في ترجمة المذكور.

يقول الذهبي عن أبي موسى الثقفي: كان المغيرة رجلاً طوالاً أعور أصيبت عينه يوم اليرموك.

قال المغيرة بن شعبة: كنا متمسكين بديننا ونحن سدنة اللات، فأراني لو رأيت قومنا قد أسلموا ما تبعتهم فأجمع نفر من بني مالك الوفود على المقوقس وإهداء هدايا له

فأجمع الخروج معهم فاستشرت عمي عروة بن مسعود فنهاني وقال ليس معك من بني أبيك أحد فأبيت وسرت معهم وما معهم من الأحلاف غيري حتى دخلنا الإسكندرية فإذا المقوقس في مجلس مطل على البحر فركبت زورقاً حتى حاذيت مجلسه فأنكرني وأمر من يسألني فأخبرته بأمرنا وقدومنا فأمر أن ننزل في الكنيسة وأجرى علينا ضيافة ثم دخلنا عليه فنظر إلى رأس بني مالك فأدناه وأجلسه معه ثم سأله أكلكم من بني مالك؟ قال نعم سوى رجل واحد فعرفه بي فكنت أهون القوم عليه وسر بهداياهم وأعطاهم الجوائز وأعطاني شيئاً لا ذكر له وخرجنا فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم ولم يعرض علي أحد منهم مواساة وخرجوا وحملوا معهم الخمر فكنا نشرب فأجمعت على قتلهم فتمارضت وعصبت رأسي فوضعوا شرابهم فقلت رأسي يصدع ولكني أسقيكم فلم ينكروا فجعلت أصرف لهم وأترع لهم الكأس فيشربون ولا يدرون حتى ناموا سكراً فوثبت وقتلتهم جميعاً وأخذت ما معهم فقدمت على النبيﷺ فأجده جالساً في المسجد مع أصحابه وعلي ثياب سفري فسلمت فعرفني أبو بكر فقال النبيﷺ الحمد لله الذي هداك للإسلام قال أبو بكر أمن مصر أقبلتم قلت نعم قال ما فعل المالكيون قلت قتلتهم أخذت أسلابهم وجئت بها إلى رسول الله ليخمسها فقال النبيﷺ أما إسلامك فنقبله ولا آخذ من أموالهم شيئاً لأن هذا غدر ولا خير في الغدر فأخذني ما قرب وما بعد وقلت إنما قتلتهم وأنا على دين قومي ثم أسلمت الساعة قال فإن الإسلام يجب ما كان قبله.

وكان قتل منهم ثلاثة عشر(1).

عن عامر بن وهب قال خرج المغيرة في ستة من بني مالك إلى مصر تجاراً حتى إذا كانوا ببزاق(2) عدا عليهم فذبحهم واستاق العير وأسلم.

... عن قتادة أن أبا بكرة ونافع ابن الحارث وشبل بن معبد شهدوا على المغيرة أنهم رأوه يولجه ويخرجه وكان زياد رابعهم وهو الذي أفسد عليهم، فأما الثلاثة فشهدوا فقال أبو بكرة والله لكأني بأثر جدري في فخذها، فقال عمر حين رأى زياداً إني لأرى غلاماً لسناً لا يقول إلا حقا ولم يكن ليكتمني فقال: لم أر ما قالوا لكني رأيت ريبة وسمعت

---

(1) سير أعلام النبلاء، ج3، ص23_25، ترجمة7.

(2) بزاق: موضع قريب من مكة.

نفساً عالياً، فجلدهم عمر وخلاه وهو زياد بن أبيه.

... عن عبدالعزيز بن أبي بكرة قال كنا جلوساً وأبو بكرة وأخوه نافع وشبل فجاء المغيرة فسلم على أبي بكرة فقال أيها الأمير ما أخرجك من دار الإمارة؟ قال أتحدث إليكم قال بل تبعث إلى من تشاء ثم دخل فأتى باب أم جميل العشية فدخل فقال أبو بكرة ليس على هذا صبر وقال لغلام ارتق غرفتي فانظر من الكوة فانطلق فنظر وجاء فقال وجدتهما في لحاف فقال للقوم قوموا معي فقاموا فنظر أبو بكرة فاسترجع ثم قال لأخيه انظر فنظر فقال رأيت الزنى محضاً؟ قال: وكتب إلى عمر بما رأى فأتاه أمر فظيع، فبعث على البصرة أبا موسى وأتوا عمر فشهدوا حتى قدموا زياداً فقال: رأيتهما في لحاف واحد وسمعت نفساً عالياً ولا أدري ما وراءه، فكبر عمر وضرب القوم إلا زياداً.

جرير بن عبدالحميد عن مغيرة أن المغيرة بن شعبة قال لعلي حين قتل عثمان قاعد في بيتك ولا تدع إلى نفسك فإنك لو كنت في جحر بمكة لم يبايعوا غيرك وقال لعلي إن لم تطعني في هذه الرابعة لأعتزلنك ابعث إلى معاوية عهد ثم اخلعه بعد فلم يفعل فاعتزله المغيرة باليمن فلما شغل علي ومعاوية فلم يبعثوا إلى الموسم أحداً جاء المغيرة فصلى بالناس ودعا لمعاوية.

ويقول ـ والحديث لا زال للذهبي ـ:... عن الشعبي سمعت قبيصة بن جابر يقول صحبت المغيرة بن شعبة فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر لخرج من أبوابها كلها.

... عن المغيرة بن شعبة قال لقد تزوجت سبعين امرأة أو أكثر.

ابن وهب حدثنا مالك قال كان المغيرة نكاحاً للنساء ويقول صاحب الواحدة إن مرضت مرض وإن حاضت حاض وصاحب المرأتين بين نارين تشغلان وكان ينكح أربعاً جميعاً ويطلقهن جميعاً.

شعبة عن زياد بن علاقة سمعت جريراً يقول حين مات المغيرة بن شعبة أوصيكم بتقوى الله وأن تسمعوا وتطيعوا حتى يأتيكم أمير استغفروا للمغيرة غفر الله له فإنه كان يحب العافية.

أبو بكر بن عياش عن حصين عن هلال بن يساف عن عبدالله بن ظالم قال كان المغيرة ينال في خطبته من علي وأقام خطباء ينالون منه وذكر الحديث في العشرة المشهود لهم بالجنة لسعيد بن زيد.

قال عبدالملك بن عمير: رأيت زياداً واقفاً على قبر المغيرة يقول:

إن تحت الأحجار حزماً
وعزماً وخصيماً ألد ذا معلاق
حية في الوجار أربد لا ينـ
ـفع منه السليم نفثة راق

وقال الجماعة: مات أمير الكوفة المغيرة في سنة خمسين في شعبان وله سبعون سنة[1].

يقول ابن خلكان: ولما حاصر رسول الله ﷺ الطائف قال: أيما عبد تدلى إلي فهو حر فنزل أبو بكرة رضي الله عنه من الحصن في بكرة. قلت: وهي بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف وبعدها راء ثم هاء وهي التي تكون على البئر وهي الحبل يستقى به والناس يسمونها بكرة فتح الكاف وهو غلط... قال: فكناه رسول الله ﷺ أبا بكرة لذلك، وكان يقول أنا مولى رسول الله ﷺ.

وأما حديث المغيرة بن شعبة الثقفي والشهادة عليه فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد رتب المغيرة أميراً على البصرة وكان يخرج من دار الإمارة نصف النهار وكان أبو بكرة المذكور يلقاه فيقول أين يذهب الأمير فيقول في حاجة فيقول إن الأمير يزار ولا يزور.

قالوا وكان يذهب إلى امرأة يقال لها أم جميل بنت عمرو وزوجها الحجاج بن عتيك بن الحارث بن وهب الجشمي.

وقال ابن الكلبي في كتاب جمهرة النسب: هي أم جميل بنت الأفقم بن محجن بن أبي عمرو بن شعيثة ابن الهزم وعدادهم في الأنصار، وزاد غير ابن الكلبي فقال الهزم بن رؤيبة ابن عبدالله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن والله أعلم.

---

(١) سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٢٤ـ٣٢.

قال الراوي: فبينما أبو بكرة في غرفة مع إخوته وهم نافع وزياد المذكوران وشبل بن معبد والجميع أولاد سمية المذكورة فهم إخوة لأم وكانت أم جميل المذكورة في غرفة أخرى قبالة هذه الغرفة فضربت الريح باب غرفة أم جميل ففتحته ونظر القوم فإذا هم بالمغيرة مع المرأة على هيئة الجماع فقال أبو بكرة هذه بلية قد ابتليتم بها فانظروا فنظروا حتى أثبتوا فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة فقال له إنه قد كان من أمرك ما قد علمت فاعتزلنا قال وذهب المغيرة ليصلي بالناس الظهر ومضى أبو بكرة فقال لا والله لا تصلي بنا وقد فعلت ما فعلت فقال الناس دعوه فليصل فإنه الأمير واكتبوا بذلك إلى عمر ﷺ فكتبوا إليه فأمرهم أن يقدموا عليه جميعاً المغيرة والشهود فلما قدموا عليه جلس عمر ﷺ فدعا بالشهود والمغيرة فتقدم أبو بكرة فقال له رأيته بين فخذيها قال نعم والله لكأني أنظر إلى تشريم جدري بفخذيها فقال له المغيرة لقد ألطفت في النظر فقال أبو بكرة لم آل أن أثبت ما يخزيك الله به فقال عمر ﷺ لا والله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيها ولوج المرود في المكحلة فقال نعم أشهد على ذلك فقال فاذهب عنك مغيرة ذهب ربعك، ثم دعا نافعاً فقال له علام تشهد قال على مثل شهادة أبي بكرة قال لا حتى تشهد أنه ولج فيها ولوج الميل في المكحلة قال نعم حتى بلغ قذذه ـ قلت: القذذ بالقاف المضمومة وبعدها ذالان معجمتان وهي ريش السهم ـ قال الراوي فقال له عمر ﷺ اذهب مغيرة ذهب نصفك ثم دعا الثالث فقال له على ما تشهد فقال على مثل شهادة صاحبي فقال له عمر ﷺ اذهب عنك مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك ثم كتب إلى زياد وكان غائباً فقدم فلما رأه جلس له في المسجد واجتمع عنده رؤوس المهاجرين والأنصار فلما رآه مقبلاً قال إني أرى رجلاً لا يخزي الله على لسانه رجلاً من المهاجرين ثم إن عمر ﷺ رفع رأسه إليه فقال ما عندك يا سلح الحبارى فقيل إن المغيرة قام إلى زياد فقال لا مخبأ لعطر بعد عروس ـ قلت: وهذا مثل للعرب لا حاجة إلى الكلام عليه فقد طالت هذه الترجمة كثيراً ـ قال الراوي: فقال له المغيرة يا زياد اذكر الله تعالى واذكر موقف يوم القيامة فإن الله تعالى وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمي إلا أن تتجاوز إلى ما لم تر مما رأيت فلا يحملنك سوء منظر رأيته على أن تتجاوز إلى ما لم تر فوالله لو كنت بين بطني وبطنها ما رأيت أن يسلك ذكري فيها قال فدمعت عينا زياد واحمر وجهه وقال

يا أمير المؤمنين أما إن

أحق ما حق القوم فليس عندي ولكن رأيت مجلساً وسمعت نفساً حثيثاً وانتهازاً ورأيته مستبطنها فقال عمر ﷺ رأيته يدخل كالميل في المكحلة فقال لا وقيل قال زياد رأيته رافعاً رجليها فرأيت خصييه تتردد إلى بين فخذيها ورأيت حفزاً شديداً وسمعت نفساً عالياً فقال عمر ﷺ رأيت يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة فقال لا فقال عمر ﷺ الله أكبر قم إليهم فاضربهم فقام إلى أبي بكرة فضربه ثمانين وضرب الباقين وأعجبه قول زياد ودرأ الحد عن المغيرة فقال أبو بكرة بعد أن ضرب أشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا فهم عمر ﷺ أن يضربه حداً ثانياً فقال له علي بن أبي طالب ﷺ إن ضربته فارجم صاحبك فتركه، واستتاب عمر أبا بكرة فقال إنما تستتبيني لتقبل شهادتي، فقال أجل فقال لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا فلما ضربوا الحد قال المغيرة الله أكبر الحمد لله الذي أخزاكم فقال عمر ﷺ بل أخزى الله مكاناً رأوك فيه.

وذكر عمر بن شبة في كتاب أخبار البصرة أن أبا بكرة لما جلد أمرت أمه بشاة فذبحت وجعلت جلدها على ظهره فكان يقال ما ذاك إلا من ضرب شديد.

وحكى عبدالرحمن بن أبي بكرة أن أباه حلف لا يكلم زياداً ما عاش، فلما مات أبو بكرة كان قد أوصى أن لا يصلي عليه زياد وأن يصلي عليه أبو برزة الأسلمي، وكان النبي ﷺ آخى بينهما وبلغ ذلك زياداً فخرج إلى الكوفة وحفظ المغيرة بن شعبة ذلك لزياد وشكره.

ثم إن أم جميل وافقت عمر بن الخطاب ﷺ بالموسم والمغيرة هناك فقال له عمر أتعرف هذه المرأة يا مغيرة قال نعم هذه أم كلثوم بنت علي فقال له عمر أتتجاهل علي والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك وما رأيتك إلا خفت أن أرمى بحجارة من السماء.

قلت: ذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في أول باب عدد الشهود في كتاب المهذب وشهد على المغيرة ثلاثة أبو بكرة ونافع وشبل بن معبد وقال زياد رأيت استاً تنبو ونفساً يعلو ورجلين كأنهما أذنا حمار ولا أدري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يحد المغيرة.

قلت: وقد تكلم الفقهاء على قول علي ﷺ لعمر ﷺ إن ضربته فارجم صاحبك

فقال أبو نصر ابن الصباغ... صاحب كتاب الشامل في المذهب: يريد أن هذا القول إن كان شهادة أخرى فقد تم العدد وإن كان هو الأول فقد جلدته عليه والله أعلم.

وذكر عمر بن شبة في أخبار البصرة أن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وآله أقطعني البحرين، فقال ومن يشهد لك بذلك؟ قال: المغيرة بن شعبة، فأبى أن يجيز شهادته[1].

بناء على ما قرأت أخي الكريم هل المغيرة من الصحابة الذين يعتمد عليهم في أخذ معالم الدين منه مثل كيفية الوضوء؟

يقول الإمام علي عليه السلام: ما أبالي أمسح على الخفين أو على ظهر عير بالفلاة[2].

راجع كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وباب غسل الرجلين من كتابنا هذا.

١٤٧.... عن أبي هريرة قال صلى بنا رسول الله يوماً ثم انصرف فقال يا فلان ألا تحسن صلاتك ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي فإنما يصلي لنفسه إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي.

١٤٨.... عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال هل ترون قبلتي ها هنا فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم إني لأراكم وراء ظهري.

١٤٩.... عن أنس أن نبي الله صلى الله عليه وآله قال أتموا الركوع والسجود فوالله إني لأراكم من بعد ظهري إذا ما ركعتم وإذا ما سجدتم وفي حديث سعيد إذا ركعتم وإذا سجدتم.

قال النووي في شرحه: قال العلماء معناه ان الله تعالى خلق له صلى الله عليه وآله إدراكاً في قفاه يبصر به من وراءه وقد جرت العادة له صلى الله عليه وآله بأكثر من هذا وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع بل ورد الشرع بظاهره فوجب القول به.

قال القاضي قال أحمد بن حنبل:... وجمهور العلماء هذه الرؤية رؤية بالعين حقيقة وفيه الأمر بإحسان الصلاة والخشوع وإتمام الركوع والسجود[3].

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٦، ص٣٦٧، ترجمة٨٢١، يزيد بن مفرّغ الحميري، رقم٣٤٦، ط دار صادر.

(٢) الفقه على المذاهب الخمسة لمحمد جواد مغنية، ص٣٧، الرجلان.

(٣) المجلد٢، ج٤، ص٣٩٢، ح٤٢٤.

ويقول الأستاذ الدكتور لاشين: كانﷺ يستشعر أحوال أصحابه وتحركاتهم في صلاتهم وهم خلفه وقد وهبه ربه حساً وإدراكاً إشعاعياً حتى كأنه يبصر من وراءه بعيني رأسه.

أحس أن رجلاً ممن يصلي خلفه لا يحسن الركوع والسجود ولا يطمئن فيهما ولا تخشع جوارحه لهما فلما انتهى من صلاته قال له يا فلان لماذا لا تحسن صلاتك لماذا لا تتم ركوعها وسجودها وخشوعها... إنني وإن كنت متوجهاً بوجهي وصدري إلى القبلة فإن بصيرتي تراقب من ورائي وكأنني أبصر من خلف كما أبصر من أمامي[1].

أقول:

هذا نموذج من الصحابة الذين لا يجوز الطعن في أحد منهم، هذا نموذج لصحابي مستخف بالصلاة!!

نعم.. كان النبي الأكرم يرى ويبصر من ورائه كما كان يبصر من بين يديه، وهذه من خصائصهﷺ.

على كل حال الشيء بالشيء يذكر، فلا بأس من ذكر بعض خصائص هذا الحبيب نبينا الأعظم صلوات الله وسلامه عليه وآله.

ذكر السيوطي في كتابه الخصائص الكبرى: عن ذكوان أن رسول اللهﷺ لم يكن يرى له ظل في شمس ولا قمر.

قال ابن سبع من خصائصه أن ظله كان لا يقع على الأرض وأنه كان نوراً فكان إذا مشى في الشمس أو القمر لا ينظر له ظل.

وذكره ابن سبع في الخصائص بلفظ أنه لم يقع على ثيابه ذباب قط[2].

ومن خصائصه أيضاً: عن عائشة قالت كان النبيﷺ إذا دخل الغائط دخلت في إثره فلا أرى شيئاً إلا كنت أشم رائحة الطيب.

---

(١) فتح المنعم، ج٢، ص٥٨٣، ح٧٧٨ و٧٨٠.

(٢) الخصائص الكبرى لجلال الدين عبدالرحمن أبي بكر السيوطي، ج١، ص١١٧، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

وفي رواية: فلم أر شيئاً ووجدت ريح المسك[1].

عن يزيد بن الأصم قال ما تثاءب النبيﷺ قط[2].

ويقول السيوطي: عن عائشة كان رسول اللهﷺ يرى في الظلماء كما يرى في الضوء[3].

ومن أراد المزيد فليراجع كتاب الخصائص الكبرى للسيوطي المذكور، فإن فيه من الفوائد قلما تجدها مجتمعة.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١٢١.

(٢) نفس المصدر السابق، ص١١٢.

(٣) نفس المصدر السابق، ص١٠٤.

باب خروج النساء إلى المساجد

١٥٠.... عبدالله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها قال فقال بلال بن عبدالله والله لنمنعهن قال فأقبل عليه عبدالله فسبه سباً سيئاً ما سمعته سبه مثله قط وقال أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول والله لنمنعهن.

١٥١.... عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ لا تمنعوا النساء من الخروج إلى المساجد بالليل فقال ابن لعبدالله بن عمر لا ندعهن يخرجن فيتخذنه دغلاً قال فزبره ابن عمر وقال أقول قال رسول الله ﷺ وتقول لا ندعهن.

١٥٢.... عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد فقال ابن له يقال له واقد إذن يتخذنه دغلاً قال فضرب في صدره وقال أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول لا.

١٥٣.... عن بلال بن عبدالله بن عمر عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد إذا استأذنوكم فقال بلال والله لنمنعهن فقال له عبدالله أقول قال رسول الله ﷺ وتقول أنت لنمنعهن.

قال ابن حجر في شرحه: كانت امرأة لعمر وكانت تشهد الصلاة في المسجد وكان عمر يقول لها والله إنك لتعلمين ما أحب هذا فلما طعن عمر وإنها لفي المسجد ومن وجه آخر كان عمر رجلاً غيوراً وكان إذا خرج إلى الصلاة اتبعته امرأته وهي عاتكة بنت

زيد بنت عمرو بن نفيل أخت سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة[1].

يقول الأستاذ الدكتور لاشين: كانت المرأة قبل الإسلام قعيدة البيت، حبيسة الجدران إلا ما كان من النساء الممتهنات القائمات بالخدمات وإلا ما كان من الإماء والجواري.

ولم يكن يؤذن لهن بالخروج إلا في حالات الضرورة القصوى وقد لا يؤذن لها فيها وجاء الإسلام فكرم المرأة ورفع من شأنها ومنحها حرية الإنسان في عقيدته وحرية الإنسان في إبداء رأيه وحرية الإنسان في الدفاع عن حقه وحرية الإنسان في التحريك إلى ما هو مشروع.

لقد آمن النساء بالرسولﷺ كما آمن الرجال وبايعن رسول اللهﷺ كما بايع الرجال وحضرن مجالس العلم في مسجد رسول اللهﷺ كما يحضر الرجال وأذن لهن في صلاة الجماعة في المسجد مع الرجال.

صورة من الحرية لم يعهدها الزمان ولم تعهدها الجزيرة العربية كانت نتيجتها صراعاً نفسياً بين ما ألفه الرجال وما اعتادوا عليه من حكم النساء والتحكم فيهن وبين بزوغ شمس الحرية للنساء وما أعطينه من حقوق.

وتغلبت الأنفة العربية على بعض النفوس وتحركت غرائز السيطرة عند بعض الأزواج فمنعوا نساءهم من الخروج إلى المسجد واستأذن النساء فلم يؤذن لهن، فشكوا إلى رسول الحرية وبشير النور والسلام فقال لأصحابهﷺ لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا رغبن فيها واستأذنكم إليها إذا استأذنت المرأة زوجها إلى المسجد ليلاً فلا يمنعها ائذنوا للنساء بالخروج إلى المساجد.

وأحسﷺ ما يختلج في صدور أصحابه من خوف الفتنة وخشي انفلات زمام المرأة وتعرضها للريبة فوضعت الشريعة القيود التي تضمن الأمان والسلامة لهذا الانفتاح.

وأمرت النساء بالخروج في الظلام متلفعات بثيابهن غير متطيبات ولا متزينات، إذا شهدت إحداكن العشاء فلا تطيب تلك الليلة، إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً، أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة.

---

(١) فتح الباري، ج٢، ص٤٦٧، ح٩٠٠، بتصرف.

ولتلزم المرأة حافة الطريق في ذهابها وإيابها ولا تتوسطه لئلا تختلط بالرجال إذا سلم النساء من صلاة الفجر فليسرعن بالخروج من المسجد متلفعات بثيابهن إلى بيوتهن في الغلس والظلمة قبل أن يظهر ضوء النهار فيعرفن وليمكث الرجال بعد السلام حتى ينصرف النساء وليصطف النساء في آخر المسجد خلف الرجال ولا يرفعن أصواتهن حتى في الصلاة الجهرية وإذا نابهن شيء في الصلاة صفقن ولا يسبحن ولا تخرج من بيتها إلا بإذن زوجها.

واستجاب الصحابة إلى هذا التشريع بشيء من المشقة على نفوسهم وكانوا يتمنون في قرارة أنفسهم أن لا تستأذنهم نساؤهم، ولكن هيهات ما كاد النساء يصدقن أن ينفتح باب السجن حتى تدفقن وما كدن يشعرن بانحسار سيف القهر والإذلال حتى هرولن.

والمرأة هي المرأة بطبيعتها وأنوثتها لم تكد تفتر فيها جذوة التدين حتى برزت طلائع غريزتها ولم يكد يخبو فيها نور الشريعة حتى ظهرت حرارة عواطفها.

لم يمض ربع قرن حتى تطيبت عند خروجها ولبست أحسن ثيابها وحليها وبدت في أبهى زينتها وتحركت غيرة الرجال على نساءهم وبدءوا يمنعون نساءهم ورأى عبدالله بن عمر هذه الرغبة في بنيه فذكرهم بحديث رسول الله ﷺ لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها، لا تمنعوا النساء من الخروج إلى المساجد بالليل.

قال أحدهم: أما أنا فسأمنع نسائي فمن شاء أن يسرح نساءه فليفعل، وقال الآخر والله لنمنعهن والله لا ندعهن يخرجن فيتخذن الخروج وسيلة للفساد ويتسترن وراءه بالخداع فقام عبدالله ينهر ولديه يضرب أحدهما في صدره ويقول له أف لك فعل الله بك كذا وكذا ويسب الآخر غاضباً ويقول لهما أقول لكما قال رسول الله ﷺ وتقولان لا والله لا أكلمكما حتى تتوبا.

ولم تكن الغيرة على هذا الخلل مقصورة على الرجال بل شملت الحريصات على شعائر الإسلام من النساء، فتلك عائشة رضي الله عنها وقد رأت ما وصل إليه الأمر من التطيب للخروج والتزين والاختلاط تقول: لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء بعده من عدم الالتزام بتعاليمه لمنعهن الخروج إلى المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل من الخروج إلى المساجد حين استشرفن للرجال وبرزن لهم وأثرن فيهم نوازع الفسوق والعصيان.

(فسبه سباً سيئاً) فسر السب المذكور في بعض الروايات باللعن ثلاث مرات، وفي رواية قال: أف لك، وفي رواية قال: فعل الله بك وفعل.

(ما سمعته سبه مثله قط) أي ما سمعت عبدالله سب بلالاً مثل هذا السب قط.

(لا تمنعوا النساء من الخروج إلى المساجد بالليل) قيد بالليل ورد في بعض الروايات دون بعضها وقد حملوا المطلق على المقيد وهل يؤذن لها في غير الليل من باب أولى حيث إن الليل عرضة للفساد والإفساد؟ أولا يؤذن لها في غير الليل لما فيه من الستر والتخفي وعدم التمييز بين النساء؟...

(فيتخذنه دغلاً) بفتح الدال والغين، وهو الفساد والخداع والريبة، وأصل الدغل الشجر الملتف، ثم استعمل في المخادعة لكون المخادع يلف في ضميره أمراً ويظهر غيره.

(فزبره ابن عمر) أي نهره وعنفه.

(فضرب في صدره) أي ضربه ودفعه بيده في صدره.

(لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد إذا استأذنوكم) حظ الإنسان نصيبه من الخير والفضل وقوله إذا استأذنوكم قال النووي هكذا وقع في أكثر النسخ استأذنوكم وفي بعضها استأذنكم وهذا ظاهر والأول صحيح أيضاً وعوملن معاملة الذكور لطلبهن الخروج إلى مجلس الذكور، انتهى[1].

انظر لابن عمر كيف يوبخ أبناءه في قوله أحدثك وأخبرك وأقول عن رسول الله ﷺ وتقول والله لنمنعهن أي أن أبناء عبدالله بن عمر بن الخطاب جعلوا رأيهم مقابل النص كما فعل ذلك من قبلهم بعض الصحابة وهذا الذي وضع رأيه مقابل النص قد وبخه ابن عمر وسبه ولعنه وهذه بعض النماذج من التابعين الذي جعلوا رأيهم مقابل النص كما ذكرنا.

---

(١) فتح المنعم، ج٢، ص٦٠٩، ح٨٠٥ و٨١٠.

باب الجهر بالقراءة في الصبح

١٥٤.... عن عامر قال سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن قال فقال علقمة أنا سألت ابن مسعود فقلت هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن قال لا ولكنا كنا مع رسول الله ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا استُطير أو اغتيل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فأرانا آثاراهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله ﷺ فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه فتح المنعم: الجن خلق من خلق الله يرانا من حيث لا نراه منهم المسلمون ومنهم القاسطون عاثوا في الأرض فساداً وعادى إبليس وجنوده منهم آدم وذريته قعدوا لهم صراط الله المستقيم يوسوسون لهم ويغوونهم ويضلونهم بشتى وسائل الإضلال.

وكان من أساليبهم الصعود إلى السماء وتسمع ملائكة الله تتكلم بينها بالأمر يوكل إليها فيسترقون السمع فينزلون بالخبر الغيبي ويكذبون عليه أخباراً وأخباراً ويلقونها للكهان وسدنة الأصنام حتى إذا ذهب بنو آدم للأصنام يعبدونها ويسألونها أخبروا ببعض

الغيب الذي تنزلت به الشياطين فيزيدونهم اعتقاداً في ألوهيتها ويستميتون في عبادتها فينتشر الضلال والإضلال.

وبعث محمدﷺ وشاء الله تعالى أن تكون بعثته نهاية لهذا السلاح الشيطاني الخبيث صعد الشياطين كعادتهم إلى السماء فوجدوها ملئت حرساً شديداً وشهباً من يحاول استراق السمع منهم يجد شهاباً واقفاً له بالمرصاد صاروخاً من نار يثقب الجني فيفتته ويحرقه لقد حاول بعضهم فاحترقوا وخلص بعضهم إلى الأرض فراراً ينذرون قومهم بهذا الأمر الخطير يقولون ﴿لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ الجن/٨ـ٩ واغتاظ زعيمهم إبليس وجمع كبار جنده وأجمعوا على أن حدثا بالأرض كان وراء هذه الظاهرة فأرسل رسله إلى مشارق الأرض ومغاربها يبحثون فكانت الطائفة التي اتجهت إلى تهامة بشيرة الخبر ونذيرة الشر لقد وجدت رسول اللهﷺ يصلي الصبح بأصحابه في وداي نخلة بين مكة والطائف واستمعت إليه وهو يقرأ ويجهر بالقرآن استمعت واستمعت وأصغت وأنصتت إنهم يعلمون الكثير عن التوراة والإنجيل ويعلمون خصائص كلام الله إن ما يسمعون اليوم ليس من كلام البشر لقد آمنوا بأنه من كلام الله ﴿فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الأحقاف/٢٩ـ٣١ وأنزل الله على نبيهﷺ يعلمه أن الجن سمعوه بقوله ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ الجن/١ـ٢.

وأمرﷺ أن يقرأ على الجن القرآن مرة ومرة فكان يخرج إليهم خارج مكة يقرأ عليهم... يكلمهم ويكلمونه. ومرة لا يحس بوجودهم لولا أن تعلمه شجرة بهم، ومرة سألوه ماذا يأكلون وماذا يحل لهم من طعام ولعلهم كانوا قبل ذلك يأكلون النجاسات والميتة ولعلهم كانوا يسرقون يخطفون من البشر ـ فأباح لهم العظم الذي ذكر اسم الله عليه ـ وكانﷺ يخرج إليهم دون علم من أصحابه وفي ليلة افتقده أصحابه وبحثوا عنه فلم يجدوه وتوقعوا له شراً وباتوا في حزن وضيق وانزعاج وفي الصباح وجدوه ينزل من

قبل غار حراء وسألوه فأجاب أنه كان يقرأ على الجن القرآن فاطمأنوا عليه ووددوا أن لو كانوا معه حرصاً عليه ﷺ...[1].

ويقول: بالإضافة إلى روايات الباب يروي أبو داود وغيره عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال أمرت أن أتلوا القرآن على الجن فمن يذهب معي فسكتوا ثم قال الثانية فسكتوا ثم قال الثالثة فقال ابن مسعود أنا أذهب معك يا رسول الله فانطلق حتى جاء الحجون عند شعب أبي دب [فيه مدفن آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ] فخط علي خطاً فقال لا تجاوزه ثم مضى إلى الحجون فانحدر عليه أمثال الحجل يحدرون الحجارة بأقدامهم يمشون يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفها حتى غشوه فلا أراه فقمت فأومأ إلي بيده أن اجلس فتلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالأرض حتى ما أراهم فلما انفلت إلي قال أردت أن تأتيتني قلت نعم يا رسول الله فقال ما كان ذلك لك هؤلاء الجن أتوا يستمعون القرآن ثم ولوا إلى قومهم منذرين فسألوني الزاد فزودتهم العظم والبعر قال عكرمة وكانوا اثني عشر ألفاً من جزيرة الموصل.

ومن غير هذا الوجه يروي ابن مسعود انطلق بي عليه السلام حتى إذا جئنا المسجد الذي عند حائط عوف خط لي خطاً فأتاه نفر منهم كأنهم رجال الزط [جنس من الهنود] فقالوا من أنت قال أنا نبي الله قالوا فمن يشهد لك على ذلك قال هذه الشجرة فقال يا شجرة فجاءت تجر عروقها حتى انتصبت بين يديه فقال على ماذا تشهدين قالت أشهد أنك رسول الله فرجعت كما جاءت[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه صلى صلاة قال إن الشيطان عرض لي فشد علي ليقطع الصلاة علي فأمكنني الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه فذكرت قول سليمان عليه السلام ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِيَ﴾ ص/٣٩، فرده الله خاسياً[3].

يقول السيد عبدالحسين شرف الدين رحمة الله عليه:... ليسمح لي الشيخان وغيرهما

---

(١) ج٢، ص٦٢٤، ح٨٢٠.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٦٢٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة، باب ما يجوز من العمل في الصلاة.

ممن يعتبرون حديث أبي هريرة لأسألهم هل للشيطان جسم يشد وثاقه ويربط بالسارية حتى يصبح وتراه الناس بأعينها أسيراً مكبلاً ما أظن أن أحداً يقول بأن الشيطان ذو جسم كثيف يقع عليه ذلك.

ولعل الذي جرأ أبا هريرة على الحديث قصور مداركه عن معاني الذكر الحكيم والفرقان العظيم فظن أن بعض آياته تثبت وقوع مثل ذلك إذ قال الله ﷻ فيما اقتص من خبر سليمان ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ ص/٣٦ـ٣٨، فظن الرجل أنهم كانوا كسائر المقرنين بالأصفاد من البشر ولم يدر أنهم كانوا مقرنين في عالمهم الشيطاني بأصفاد تتفق مع طبائعهم الشيطانية تمنعهم عما يحاولونه من العيث والفساد من حيث لا يراهم من الآدميين أحد أبداً.

ذكر أبو هريرة في هذا الحديث أن النبي ﷺ إنما أطلق سراح الشيطان كراهة أن يكون له ملك سليمان، ولولا ذلك لأوثقه إلى سارية حتى يصبحوا فينظروا إليه، وقد اشتبه أبو هريرة فإن الله عز سلطانه وهب لسليمان ملكاً سخر له فيه الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسال له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمره يذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات فوهب له بهذا ملكاً لم يهبه لرسول الله في ظاهر الحال فلو أوثق ﷺ شيطان أبي هريرة لا يكون بمجرد ذلك مساوياً في الملك لسليمان إذ تبقى الميزة لملك سليمان بتسخير الريح وإسالة عين القطر وعمل الجن والشياطين من كل بناء وغواص فالتعليل الذي ذكره أبو هريرة عليل وحديثه من الأباطيل وحاشا رسول الله ﷺ أن يحير الحواس ويدهش مشاعر الناس وهو ﷺ الذي نص على اختصاص العقل بالخطاب وحاكم إليه الخطأ والصواب فجعل صحة الدليل آية الحق وأمرنا أن لا نسير إلا على ضوئه ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الملك/٢٢[1].

وأخيراً هل من حقنا أن نتساءل ونقول أليس من الأولى رؤية النبي للجن الذين جاؤوا إليه ليستمعوا منه القرآن الكريم وليدخلو الإسلام ويكونوا منذرين لقومهم بدلاً من رؤية هذا العفريت الكافر الذي شاغل النبي الأكرم؟!

---

(١) أبو هريرة، ص١٠٨، عروض الشيطان لرسول الله ﷺ وهو في الصلاة، ط٤، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

باب سترة المصلي

١٥٥.... وكيع حدثنا سفيان حدثنا عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال أتيت النبيﷺ بمكة وهو بالأبطح في قبة له حمراء من أدم قال فخرج بلال بوضوئه فمن نائل وناضح قال فخرج النبيﷺ عليه حلة حمراء كأني أنظر إلى بياض ساقيه قال فتوضأ وأذن بلال قال فجعلت أتتبع فاه ها هنا وها هنا يقول يميناً وشمالاً يقول حي على الصلاة حي على الفلاح قال ثم ركزت له عنزة فتقدم فصلى الظهر ركعتين يمر بين يديه الحمار والكلب لا يمنع ثم صلى العصر ركعتين ثم لم يزل يصلي ركعتين حتى رجع إلى المدينة.

١٥٦.... شعبة عن الحكم قال سمعت أبا جحيفة قال خرج رسول اللهﷺ بالهاجرة إلى البطحاء فتوضأ فصلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزة قال شعبة وزاد فيه عون عن أبيه أبي جحيفة وكان يمر من ورائها المرأة والحمار.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين: حرص الشارع الحكيم على تقديس الصلاة وحمايتها من مظاهر اللهو والعبث وحماية ساحتها من الذهاب والمجيء وتوفير وسائل الخشوع والاستغراق في مناجاة الله فيها فأمر المصلي بأن يحجز مكان صلاته عن مرور الناس بجدار أو بعصا أو بساتر ما وحذر المار من أن يمر بين هذا الساتر وبين المصلي وخوفه بالوعيد الشديد الذي يستصغر أمام عظمه أن يقف أربعين سنة انتظاراً لانتهاء المصلي من صلاته لو قدر له أن يبقى في صلاة هذه المدة وكان رسول اللهﷺ القدوة الصالحة فلم يكن يصلي إلا إلى ساتر بل كان إذا سافر أو تعرض للصلاة في بيداء أخذ معه عصا

يغرسها أمامه كساتر وكان أحياناً يتخذ بعيره ساتراً وأحياناً يتخذ الجدار وأحياناً يتخذ الاسطوانة في المسجد[1].

راجع ما بعده واحكم بنفسك أي حديث نأخذ ونطبق؟!!

(١) فتح المنعم، ج٣، ص٨٣، ح٩٢٨ و٩٣١.

باب قدر ما يستر المصلي

١٥٧.... عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرحل فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود قلت يا أبا ذر ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر قال يا ابن أخي سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال الكلب الأسود شيطان.

١٥٨.... عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب ويقي ذلك مثل مؤخرة الرحل.

وفي سنن الترمذي باب ٢٥٣ حديث رقم ٣٣٨، ما جاء أنه لا يقطع الصلاة إلا الكلب والحمار والمرأة.

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

والسؤال هنا: كيف نوفق بين هذه الرواية والروايات التي مرت عليك؟

خلاصة قول النووي في ذلك: أن المراد بالقطع نقص الصلاة لشغل القلب بهذه الأشياء وليس المراد إبطالها ومنهم من يدعي نسخه بالحديث الآخر (لا يقطع صلاة المرء شيء).

ويقول النووي في آخر شرحه للحديث:

مع أن حديث (لا يقطع صلاة المرء شيء) ضعيف[1]!

لم يزد النووي أن فسر الماء بعد الجهد بالماء!

هذا هو دأب هؤلاء فالحديث صحيح على رواية الترمذي وضعيف على رأي النووي، فبأي الرأيين نأخذ؟ أم نصحح الحديث لأن الذي رواه صحابي عدل لا يجوز الطعن فيه وإن كان الحديث يتعارض مع العقل، فهذا ليس من شأنك أيها الباحث بل عليك إيجاد العذر واللف والدوران لإيجاد الحل لذلك الحديث أو لذلك الصحابي العدل.

أقول:

جاء الإسلام وكرم المرأة بعد أن كانت مسلوبة الحقوق ومهدورة الكرامة وأُخرجت من تلك الظلمات إلى نور الإسلام، ويأتي هذا ويساويها بالحمار والكلب!

والأسئلة التي تطرح نفسها هنا:

أولاً: هذه المرأة التي تقطع الصلاة إن كانت متزوجة تقطع الصلاة أم عازبة؟!

ثانياً: هل يشمل ذلك البنت الصغيرة السن أم لا؟!

ثالثاً: المرأة الكبيرة السن والتي انقطع عنها الحيض هل يشملها قطع الصلاة أم هي خارجة عن تلك الدائرة المشؤومة؟!

رابعاً: المرأة إذا مرت أمام امرأة تصلي فهل تقطع الصلاة؟ أم هذا الحكم لصلاة الرجل فقط؟!

خامساً: ما دامت هذه المرأة إذا مرت أمام المصلي تقطع صلاته فكيف بها وهي تصلي، فمن الأولى أن تقطع صلاتها على نفسها!

وأخيراً أقول:

إن مثل هذه الروايات ذريعة لأعداء الإسلام لضرب الدين وتعاليمه.

واقرأ معي الحديث الآخر أيضاً الذي يناقض ما ذكره المحدثون!!

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي، ج٤، ص٤٧٤، كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي.

باب الاعتراض بين يدي المصلي

١٥٩.... عن عائشة أن النبيﷺ كان يصلي من الليل وأنا معترضة بينه وبين القبلة كاعتراض الجنارة.

١٦٠.... عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة ما يقطع الصلاة قال فقلنا المرأة والحمار فقالت إن المرأة لدابة سوء لقد رأيتني بين يدي رسول اللهﷺ معترضة كاعتراض الجنارة وهو يصلي.

١٦١.... عن عائشة وذكر عندها ما يقطع الصلاة الكلب والحمار والمرأة فقالت عائشة قد شبهتمونا بالحمير والكلاب والله لقد رأيت رسول اللهﷺ يصلي وإني على السرير بينه وبين القبلة مضطجعة فتبدو لي الحاجة فأكره أن أجلس فأوذي رسول اللهﷺ فأنسل من عند رجليه.

١٦٢.... عن عائشة قالت كنت أنام بين يدي رسول اللهﷺ ورجلاي في قبلته فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي وإذا قام بسطتهما قالت والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح.

وهذه الروايات أيضاً تناقض ما يعتقده أهل العامة فيما مر عليك في الصفحات السابقة.

قال الطبري في تفسيره:.... ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ

﴿ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ المائدة/٥٥... علي بن أبي طالب مر به سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه.

وفيه أيضاً: قال نزلت في علي بن أبي طالب وهو راكع[1].

ويقول الزمخشري في تفسيره: إنها نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرجا[2] فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته[3].

وروى الطبراني في الأوسط: عمار بن ياسر يقول وقف على علي بن أبي طالب سائل وهو راكع في تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل فأتى رسول الله ﷺ فأعلمه ذلك فنزلت على النبي ﷺ هذه الآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ فقرأها رسول الله ﷺ ثم قال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه[4]، والحاصل ما أريد أن أصل إليه:

أقول:

إن العامة تستشكل على الإمام علي عليه السلام بتصدقه بالخاتم حال الركوع في الصلاة كما في الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ المائدة / ٥٥.

ويقولون: إن انصرافه والتفاته إلى السائل يعتبر خدشاً ونقصاً في صلاته وعبادته، وبمعنى آخر، عند تصدقه بالخاتم حال الصلاة كان قد خرج من حال الصلاة بحركته تلك، أي من خشوعه وتركيزه، هذا من إشكالات العامة على التصدق بالخاتم حال الصلاة.

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري، ج٦، ص٣٤٤، سورة المائدة/٥٥.

(٢) مرجا أي قلقاً غير ثابت.

(٣) الكشاف، ج١، ص٦٤٩، الآية.

(٤) المعجم الأوسط لسليمان بن أحمد الطبراني المتوفى٣٦٠هـ، ج٦، ص٢١٨، ح٦٢٣٢، ترجمة محمد بن علي الصائغ، ط١٤١٥هـ دار الحرمين، القاهرة.

فأقول:

إن علياً عليه السلام كان في حالة عبادة أثناء صلاته، وعندما تصدق بالخاتم حال الركوع كان في حالة عبادة أيضاً، أي إنه تكررت عبادته بإيتاء الزكاة حال الصلاة فجمع بذلك الصلاة والزكاة معاً وفي آن واحد.

وأقول أيضاً معلقاً على الروايات التي نحن بصددها:

إن الرسول صلى الله عليه وآله كان في حالة عبادة أثناء صلاته كما مر علينا من حديث عائشة، وعندما كان يغمز رجل عائشة قبل السجود كان قد خرج من حال الصلاة بحركته، أي من خشوعه وتركيزه، وقد أتى بعمل أقل شأناً مما جاء به الإمام عليه السلام وهو تصدقه بالخاتم.

فالفرق واضح وجلي بين التصدق بالخاتم حال الصلاة وبين غمز رجل عائشة حال الصلاة.

الخلاصة:

أقول للعامة، لو كان هناك طعن في تَصدق الإمام علي عليه السلام حال الصلاة فالطعن في النبي الأكرم أولى!

باب الصلاة في ثوب واحد

١٦٣.... عن جابر حدثني أبو سعيد الخدري أنه دخل على النبيﷺ قال فرأيته يصلي على حصير يسجد عليه قال ورأيته يصلي في ثوب واحد متوشحاً به.

اعلم أن الحصير يصنع من سعف النخل وما أشبه وهذا الحصير السجود عليه جائز كونه من الأرض لا يلبس ولا يؤكل.

يقول محمد جواد مغنية: قالت الإمامية لا يجوز السجود إلا على الأرض أو ما أنبتته مما لا يؤكل ولا يلبس فلا يسجد المصلي على الصوف والقطن والمعادن ولا ما نبت على وجه الماء لأن الماء غير الأرض وأجازوا السجود على القرطاس لأن مادته من نبات الأرض واستدلوا لمذهبهم بأن السجود عبادة شرعية تتوقف كيفيته على النص وأجمع فقهاء المذاهب كافة على صحة السجود على الأرض وما أنبتت فيقتصر على القدر المتيقن ولقول الرسولﷺ لا تتم صلاة أحدكم حتى يتوضأ كما أمر الله ثم يسجد ممكناً جبهته من الأرض وقوله خلقت الأرض مسجداً وطهوراً وقال خباب شكونا إلى رسول الله حر الرمضاء في جباهنا فلم يشكنا ولو كان السجود على الفراش سائغاً لما شكوا[1].

جاء في صحيح البخاري: قال رسول اللهﷺ أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأيما رجل من

---

(١) الفقه على المذاهب الخمسة، ص٩٩، مسجد الجبهة، ط٦/١٩٧٩م، دار العلم للملايين، بيروت.

أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة[1].

يقول ابن حجر في شرحه فتح الباري: المراد جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وجعلت لغيري مسجداً ولم تجعل له طهوراً لأن عيسى كان يسيح في الأرض ويصلي حيث أدركته الصلاة... وقيل إنما أبيحت لهم موضع يتيقنون طهارته بخلاف هذه الأمة، فأبيح لها في جميع الأرض إلا فيما تيقنوا نجاسته[2]، انتهى.

أقول:

السجود هو أن تضع جبهتك على الأرض وذلك تعظيماً لله تعالى ولا يصح ذلك إلا على الأرض وما أنبتت من غير الملبوس والمأكول كما ذكر ذلك الفقهاء.

واعلم أن أرخص وأحقر ما في الوجود هو هذا التراب الذي يداس بالأقدام.

فمثلاً: لو قدَّم لك شخصاً ما حفنة من التراب وقال خذ هذا وأعطني المبلغ الفلاني مثلاً، فهل تقبل بذلك؟ طبعاً كلا وألف كلا! لأن باستطاعتك أخذ هذه الحفنة بيدك ومن تحت رجليك ومن دون مقابل، وهذا التراب من حقارته أنك تدوسه برجليك ليل نهار.

واعلم أيضاً أن أشرف وأفضل موضع في بدن الإنسان هي الجبهة، لذا ترى العلماء يبرزون جباههم عند وضع العمامة.

إن الله تعالى يقول لك يا عبد! ضع أفضل موضع في بدنك على أحقر ما في الوجود أثناء السجود شئت أم أبيت ذلك، فالسجود على الأرض يكون طاعة وتعظيماً لأمر الله ﷻ بخلاف من يسجد على سجادة عجمية مثلاً وسعرها آلاف الدنانير، فالخضوع والخشوع عند وضع الجبهة على الأرض يكون أكثر من وضع الجبهة على تلك السجادة العجمية.

روي عن جابر بن عبدالله قال: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ الظهر فآخذ قبضة من

---

(١) كتاب الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً.

(٢) فتح الباري، ج١، ص٥٤٦، كتاب التيمم، باب التيمم.

حصى في كفي أُبرِّده ثم أحوِّله في كفي الأخرى فإذا سجدت وضعته لجبهتي[1].

وفي السنن الكبرى لأحمد بن الحسين البيهقي في الجزء الثاني:

قال أبو سعيد: فأبصرت عيناي رسول الله ﷺ وعلى أنفه وجبهته أثر الماء والطين صبيحة إحدى وعشرين[2].

إذن فالرسول الأكرم لم يسجد إلا على الأرض وكذلك الصحابة، ونحن نقتدي بالرسول الكريم، يقول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الأحزاب:٢١.

وكما جاء في البخاري حيث قال: صلّوا كما رأيتموني أصلي، راجع باب الأذان للمسافرين من كتاب الأذان.

فنحن نقتدي برسول الله في ذلك وهو الذي أمر بالسجود وبيَّن لنا على ماذا يصح السجود.

وقبل الختام ماذا يقول شيخ النواصب عندما سألوه عن السجود فيمن يبسط سجادة في الجامع ويصلي عليها وهل ما فعله بدعة أم لا؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين أما الصلاة على السجادة بحيث يتحرى المصلي ذلك فلم تكن هذه سنة السلف من المهاجرين والأنصار ومن بعدهم من التابعين لهم بإحسان على عهد رسول الله ﷺ بل كانوا يصلون في مسجده على الأرض لا يتخذ أحدهم سجادة يختص بالصلاة عليها وقد روي أن عبدالرحمن بن مهدي لما قدم المدينة بسط سجادة فأمر مالك بحبسه فقيل له إنه عبدالرحمن بن مهدي فقال أما علمت أن بسط السجادة في مسجدنا بدعة.

وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري في حديث اعتكاف النبي ﷺ قال اعتكفنا مع رسول الله ﷺ فذكر الحديث ـ وفيه قال من اعتكف فليرجع إلى معتكفه فإني رأيت هذه الليلة ورأيتني أسجد في ماء وطين ـ وفي آخره فلقد رأيت بعيني صبيحة إحدى

---

(١) السنن الكبرى لأحمد بن شعيب النسائي، ج١، ص٢٢٧، كتاب التطبيق، باب تبريد الحصى للسجود عليه، ط١٤١١/١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) ص٤٣٦، كتاب الصلاة، باب ما جاء في السجود على الأنف، ط١٤١٦/١هـ، بيروت.

وعشرين على أنفه وأرنبته أثر الماء والطين.

فهذا بين أن سجوده كان على الطين وكان مسجده مسقوفاً بجريد النخل ينزل منه المطر فكان مسجده من جنس الأرض وربما وضعوا فيه الحصى كما في سنن أبي داود عن عبدالله بن الحارث قال سألت ابن عمر ﷺ عن الحصى الذي كان في المسجد فقال مطرنا ذات ليلة فأصبحت الأرض مبتلة فجعل الرجل يأتي بالحصى في ثوبه فيبسطه تحته فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال ما أحسن هذا.

وفي سنن أبي داود أيضاً عن أبي بدر شجاع بن شريك عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال أبو بدر أراه قد رفعه إلى النبي ﷺ قال إن الحصاة تناشد الذي يخرجها من المسجد ولهذا في السنن والمسند عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى فإن الرحمة في وجهه وفي لفظ في مسند أحمد قال سألت النبي ﷺ عن كل شيء حتى سألته عن مسح الحصى فقال واحدة أو دع.

وفي المسند أيضاً عن جابر قال رسول الله ﷺ لأن يمسك أحدكم يده عن الحصى خير له من مائة ناقة كلها سود الحدق فإن غلب أحدكم الشيطان فليمسح واحدة، وهذا كما في الصحيحين عن معيقيب أن النبي ﷺ قال في الرجل يسوي التراب حيث يسجد قال إن كنت فاعلاً فواحدة فهذا بين أنهم كانوا يسجدون على التراب والحصى فكان أحدهم يسوي بيده موضع سجوده فكره لهم النبي ﷺ ذلك العبث ورخص في المرة الواحدة للحاجة وأن تركها كان أحسن[1].

ويقول: وفي صحيح مسلم عن خباب بن الأرت قال شكونا إلى رسول الله ﷺ شدة حر الرمضاء في جباهنا وأكفنا فلم يشكنا وقد ظن طائفة أن هذه الزيادة في مسلم وليس كذلك وسبب هذه الشكوى إنهم كانوا يسجدون على الارض فتسخن جباههم وأكفهم وطلبوا منه أن يؤخر الصلاة زيادة على ما كان يؤخرها ويبرد بها فلم يفعل. وقد ظن بعض الفقهاء أنهم طلبوا منه أن يسجدوا على ما يقيهم من الحر من عمامة ونحوها فلم يفعل وجعلوا ذلك حجة في وجوب مباشرة المصلي بالجبهة.

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ج٢، ص٣٢_٣٣، ط دار المعرفة، بيروت.

ويقول: وروى حديث أنس... قال: كنا نصلي مع النبيﷺ فيضع أحدنا الثوب من شدة الحر في مكان السجدة وأما ما يرى عن عبادة بن الصامت أنه كان إذا قام إلى الصلاة حسر العمامة عن جبهته وعن نافع أن ابن عمر كان إذا سجد وعليه العمامة يرفعها حتى يضع جبهته بالأرض رواه البيهقي وروى أيضاً عن عليﷺ قال إذا كان أحدكم يصلي فليحسر العمامة عن جبهته فلا ريب أن هذا هو السنة عند الاختيار وقد تقدم حديث أبي سعيد الخدري في الصحيحين وأنه رأى أثر الماء والطين على أنف النبيﷺ وأرنبته وفي لفظ قال فصلى بنا رسول اللهﷺ حتى رأيت أثر الماء والطين على جبهة رسول اللهﷺ وأرنبته تصديق رؤيا وقد رواه البخاري بهذا اللفظ وقال الحميدي يحتج بهذا الحديث أن لا تمسح الجبهة في الصلاة بل تمسح بعد الصلاة لأن النبيﷺ رئى الماء في أرنبته وجبهته بعدما صلى.

ويقول... كره العلماء كأحمد وغيره مسح الجبهة في الصلاة من التراب ونحوه الذي يعلق بها في السجود وتنازعوا في مسحه بعد الصلاة على قولين هما روايتان عن أحمد في مسح ماء الوضوء بالمنديل وفي إزالة خلوف فم الصائم بعد الزوال بالسواك ونحو ذلك مما هو من أثر العبادة.

وعن أبي حميد الساعدي أن النبيﷺ كان إذا سجد مكن جبهته بالأرض ويجافي يديه عن جنبيه ووضع يديه حذو منكبيه رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن وائل بن حجر قال رأيت رسول الله صى الله عليه وسلم يسجد على الأرض واضعاً جبهته وأنفه في سجوده، رواه أحمد.

فالأحاديث والآثار تدل على أنهم في حال الاختيار كانوا يباشرون الأرض بالجباه.

ويقول:... أنه لو كان مطلوبهم منه السجود على الحائل لأذن لهم في اتخاذ ما يسجدون عليه منفصلاً عنهم، فقد ثبت عنه أنه كان يصلي على الخمرة فقالت ميمونة كان رسول اللهﷺ يصلي على الخمرة أخرجه أصحاب الصحيح كالبخاري ومسلم وأهل السنن الثلاثة أبو داود والنسائي وابن ماجه ورواه أحمد في المسند ورواه الترمذي من حديث ابن عباس ولفظ أبي داود كان يصلي وأنا حذاءه وأنا حائض وربما أصابني ثوبه إذا سجد وكان يصلي على الخمرة وفي صحيح مسلم والسنن الأربعة والمسند عن

عائشة ﵂ قالت قال رسول الله ﷺ ناوليني الخمرة من المسجد فقلت يا رسول الله إني حائض فقال إن حيضتك ليست في يدك وعن ميمونة قالت كان رسول الله ﷺ يتكئ على إحدانا وهي حائض فيضع رأسه في حجرها فيقرأ القرآن وهي حائض ثم تقوم إحدانا بخمرته فتضعها في المسجد وهي حائض ورواه أحمد والنسائي ولفظه فتبسطها وهي حائض.

فهذا صلاته على الخمرة وهي نسج ينسج من خوص كان يسجد عليه.

وأيضاً في الصحيحين عن أنس بن مالك أن جدته مليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته فأكل منه ثم قال قوموا فلأصل لكم قال أنس فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس فنضحته بماء فقام رسول الله ﷺ فصففت أنا واليتيم من ورائه والعجوز من ورائنا فصلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين ثم انصرف.

وفي البخاري وسنن أبي داود عن أنس بن مالك قال: قال رجل من الأنصار يا رسول الله إني رجل ضخم ـ وكان ضخماً ـ لا أستطيع أن أصلي معك وصنع له طعاماً ودعاه إلى بيته وقال صل حتى أراك كيف تصلي فأقتدي بك فنضحوا له طرف حصير لهم فقام فصلى ركعتين قيل لأنس أكان يصلي؟ فقال لم أره صلى إلا يومئذ وفي سنن أبي داود عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يزور أم سليم فتدركه الصلاة أحياناً فيصلي على بساط لها وهو حصير تنضحه بالماء.

ولمسلم عن أبي سعيد الخدري أنه دخل على رسول الله ﷺ قال فرأيته يصلي على حصير يسجد عليه.

ويقول ـ والحديث لا يزال لشيخ النواصب ـ: ولا نزال بين أهل العلم في جواز الصلاة والسجود على المفارش إذا كانت من جنس الأرض كالخمرة والحصير ونحوه وإنما تنازعوا في كراهة ذلك على ما ليس من جنس الأرض كالأنطاع المبسوطة من جلود الأنعام وكالبسط والزرابي المصبوغة من الصوف.

ويقول: وعن المغيرة بن شعبة قال كان النبي ﷺ يصلي على الحصير....

وفي تاريخ البخاري عن أبي الدرداء قال ما أبالي لو صليت على خمس[1].

وإذا ثبت جواز الصلاة على ما يفرش بالسنة والإجماع على أن النبيﷺ لم يمنعهم أن يتخذوا شيئاً يسجدون عليه يتقون به الحر ولكن طلبوا منه تأخير الصلاة زيادة على ما كان يؤخرها فلم يجبهم وكان منهم من يتقي الحر إما بشيء منفصل عنه إما بما يتصل به من طرف ثوبه.

فإن قيل: ففي حديث الخمرة حجة لمن يتخذ السجادة كما قد احتج بذلك بعضهم، قيل: الجواب عن ذلك من وجوه: احدها: إن النبيﷺ لم يكن يصلي على الخمرة دائماً بل أحياناً كأنه كان إذا اشتد الحر يتقي بها الحر ونحو ذلك بدليل ما قد تقدم من حديث أبي سعيد أنه رأى أثر الماء والطين في جبهته وأنفه، فلم يكن في هذا حجة لمن يتخذ السجادة يصلي عليها دائماً.

والثاني: قد ذكروا أنها كانت لموضع سجوده لم تكن بمنزلة السجادة التي تسع جميع بدنه كأنه كان يتقي بها الحر وهكذا قال أهل الغريب قالوا الخمرة كالحصير الصغير تعمل من سعف النخل وتنسج بالسيور والخيوط وهي قدر ما يوضع عليه الوجه والأنف فإذا كبرت عن ذلك فهي حصير سميت بذلك لسترها الوجه والكعبين من حر الأرض وبردها وقيل لأنها تخمر وجه المصلي أي تستره وقيل لأن خيوطها مستورة بسعفها وقد قال بعضهم في حديث ابن عباس جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة بين يدي رسول اللهﷺ على الخمرة التي كان قاعداً عليها فاحترقت منها مثل موضع درهم قال وهذا ظاهرة في إطلاق الخمرة على الكبير من نوعها لكن هذا الحديث لا تعلم صحته والقعود عليها لا يدل على أنها طويلة بقدر ما يصلي عليها فلا يعارض ذلك ما ذكروه[2].

ويقول شيخ النواصب أيضاً:

أن الخمرة لم يأمر النبيﷺ بها الصحابة ولم يكن كل منهم يتخذ له خمرة بل كانوا يسجدون على التراب والحصى كما تقدم ولو كان ذلك مستحباً أو سنة لفعلوه ولأمرهم به، فعلم أنه كان رخصة لأجل الحاجة إلى ما يدفع الأذى عن المصلي وهم كانوا يدفعون

---

(١) الخمس بالكسر ضرب من برود اليمن.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٣٦ـ٤٠.

الأذى بثيابهم ونحوها، ومن المعلوم أن الصحابة في عهده وبعده أفضل منا وأتبع للسنة وأطوع لأمره فلو كان المقصود بذلك ما يقصده متخذوا السجادات لكان الصحابة يفعلون ذلك.

أن المسجد لم يكن مفروشاً بل كان تراباً وحصى وقد صلى النبيﷺ على الحصير وفراش امرأته ونحو ذلك ولم يصل هناك لا على خمرة ولا سجادة ولا غيرها.

فإنه قيل: ففي حديث ميمونة وعائشة ما يقتضي أنه كان يصلي على الخمرة في بيته فإنه قال ناوليني الخمرة من المسجد وأيضاً ففي حديث ميمونة المتقدم ما يشعر بذلك.

قيل: من اتخذ السجادة ليفرشها على حصر المسجد لم يكن له في هذا الفعل حجة في السنة، بل كانت البدعة في ذلك منكرة من وجوه: أحدها: أن هؤلاء يتقي أحدهم أن يصلي على الأرض حذراً أن تكون نجسة مع أن الصلاة على الأرض سنة ثابتة بالنقل المتواتر فقد قالﷺ (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فعنده مسجده وطهوره[1].

وأخيراً يقول شيخ النواصب ابن تيمية:... أن هؤلاء يفترش أحدهم السجادة على مصليات المسلمين من الحصر والبسط ونحو ذلك مما يفرش في المساجد فيزدادون بدعة على بدعتهم وهذا الأمر لم يفعله أحد من السلف ولم ينقل عن النبيﷺ ما يكون دليلاً، بل يعللون أن هذه الحصر يطؤها عامة الناس، ولعل أحدهم أن يكون قد رأى أو سمع أنه بعض الأوقات بال صبي أو غيره على بعض حصر المسجد أو رأى عليه شيئاً من ذروق الحمام أو غيره فيصير ذلك حجة في الوسواس[2].

أيا ترى هل أن ابن تيمية يعتقد بجميع ما ذكره وهل طبق قوله ذلك.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٤٢.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٤٤ـ٤٥.

باب مواضع الصلاة

١٦٤.... عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وطهوراً وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء وذكر خصلة أخرى.

١٦٥.... عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون.

راجع ما قبله.

١٦٦.... عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت فلولا ذاك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً.

١٦٧.... وحدثني قتيبة بن سعيد حدثنا الفزاري عن عبيد الله بن الأصم حدثنا يزيد بن الأصم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور

أنبيائهم مساجد.

١٦٨.... وحدثني هارون بن سعيد الأيلي وحرملة بن يحيى قال حرملة أخبرنا وقال هارون حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أخبرني عبيدالله بن عبدالله أن عائشة وعبدالله بن عباس قالا لما نزل برسول اللهﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مثل ما صنعوا.

١٦٩.... جندب قال سمعت النبيﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك.

يقول العثماني في شرحه: قوله (لعن الله اليهود والنصارى) إلى آخره، قال الحافظ وقد استشكل ذكر النصارى فيه، لأن اليهود لهم أنبياء بخلاف النصارى فليس بين عيسى وبين نبيناﷺ نبي غيره وليس له قبر.

قوله (لأبرز قبره) إلى آخره: أي لكشف قبر النبيﷺ ولم يتخذ عليه الحائل، والمراد الدفن خارج بيته، وهذا قالته عائشة قبل أن يوسع المسجد النبوي ولهذا لما وسع المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل وهذا قالته عائشة محددة حتى لا يتأتى لأحد أن يصلي إلى جهة القبر مع استقبال القبلة.

قال الأبي: لما كثر المسلمون أيام عثمانﷺ واحتيج إلى الزيادة في المسجد وامتدت الزيادة حتى أدخلت فيه بيوت أزواجهﷺ ومن جملتها بيت عائشة التي دفن فيها أدير على القبر المشرف حائط مرتفع كيلا يظهر القبر في المسجد فيصلي إليه العوام فيقعوا في اتخاذ قبره مسجدا ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من جهة الشمال حتى لا يمكن من استقبال القبر في الصلاة ولذا قالت لولا ذلك لبرز قبره.

قوله (غير أنه خشي) إلى آخره: بضم الخاء لا غير، كذا قال الحافظ وجوز النووي

الفتح وفي بعض روايات أبي عوانة غير أنه خشي أو خُشي بالشك في فتح الخاء وضمها وفي البخاري غير أني أخشى بصيغة التكلم وهذه الرواية تقتضي أنها هي التي امتنعت من إبرازه ورواية الضم مبهة... وذلك يقتضي أنهم فعلوا باجتهاد بخلاف رواية الفتح فإنها تقتضي أن النبيﷺ هو الذي أمرهم بذلك[1].

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه فتح المنعم:مرض رسول اللهﷺ مرضه الأخير ولم يستطع أن يدور على نسائه كل واحدة منهم في ليلة ورغب أن يمرض في بيت من بيوتهن وأحب البيوت إليه بيت عائشة ولكن كيف يحصل على موافقة الأزواج على أن يمرض في بيت عائشة؟ فكان يسأل أين أنا غداً أين أبيت غداً في بيت من سأكون غداً وفهم أمهات المؤمنين أنهﷺ يسأل عن ليلة عائشة ويتشوق إلى بيت عائشة فأذن له أن يمرض في بيتها ويجتمعن عندهﷺ في كل يوم.

وكانت أم حبيبة وأم سلمة قد هاجرتا إلى الحبشة فيمن هاجر ورأتا في الحبشة في كنيسة تسمى مارية تماثيل مصورة يسجد عندها الناس على أنها معبودات أو على أنها رمز لصالحين عابدين يرجى خيرهم ونفعهم رأتا كيف يقدس الناس هذه التماثيل في الكنيسة وكيف يركعون لها ولاشك أنهما وبقية أمهات المؤمنين يفترضون وفاة النبيﷺ وفي مرضه وقد خطر في نفس كل منهن ولا ريب النهاية والمصير وقد خطر في نفوسهن ما يصير إليه الأمر بعده وكيف يكون قبره وكيف يصبح مسجده.

وبرزت صورة ما كان في الكنيسة من تماثيل في مخيلة أم حبيبة وأم سلمة فقامت إحداهن تروي ما رأت والأخرى تؤمن على ما تقول قالت يا رسول الله رأينا ونحن بالحبشة في كنيسة تسمى مارية تماثيل كثيرة تمثل أشخاصاً وتصورهم كأنهم أجساد بشرية أحياء ورأينا الناس يعظمونها ويقدسونها ويسجدون عندها.

وكان في عرض هذه الواقعة تنبيه رسول اللهﷺ خشي على إثره أن يحدث معه بعد موته ما حدث مع غيره فقالﷺ لعن الله اليهود والنصارى كانوا إذا مات فيهم النبي أو الرجل الصالح بنوا على قبره كنيسة يجتمع إليها الناس وصوروا فيها هذه الصور تقدسياً وتعظيماً ولتكون ذكرى للصلاح ليقتدوا بهم فلما طال عليهم الزمن سول لهم الشيطان

(١) موسوعة الملهم مع التكملة للشيخ أحمد العثماني، ج٤، ص٢٩ـ٣٠، ح١١٨٤.

أن أجدادهم كانوا يعبدون هذه التماثيل فعبدوها ألا وإني أنهاكم أن يتخذ قبري مسجداً ألا وإني أنهاكم أن تصور بعدي عند قبري الصور والتماثيل أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة.

ولم يفتأ رسول الله ﷺ طيلة مرضه يحذر الناس من مثل هذا الفعل فكلما هدأت حرارة الحمى غطى وجهه ﷺ يفكر ويستعد للقاء ربه وكلما اشتدت حرارتها كشف عن وجهه ليبرد الحرارة بالماء فإذا رأى بعض الصحابة بجوارهم حذرهم من اتخاذ قبره مسجداً وحذرهم من تقدسية بعد موته يقول إن من كان قبلكم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا لا تتخذوا قبري مسجداً إني أنهاكم عن ذلك وأبرأ إلى الله من فعل يزيد في تقديسي[1].

إن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا للنبي الأكرم بأنهما رأتا ما كان في الكنيسة عندما هاجرتا إلى الحبشة فتقول إحداهما رأينا يا رسول الله بالحبشة في كنيسة تسمى مارية تماثيل كثيرة تمثل أشخاصاً وتصورهم كأنهم أجساد بشرية أحياء ورأينا الناس يعظمونها ويقدسونها ويسجدون عندها!!

إذن.. عندما ذكرت أمهات المؤمنين ذلك للنبي الأكرم حينها قال النبي لعن الله اليهود والنصارى، الحديث.

لاحظ قول أمهات المؤمنين ورأينا الناس يعظمونها ويقدسونها! نعم، فنحن نعظم من عظّمه الله تعالى والكعبة المشرفة أيضاً نعظمها ونقدسها وكذلك الحجر الأسود أيضاً نعظمه ونقدسه والصلاة خلف مقام إبراهيم عليه السلام هذا المقام أيضاً نعظمه ونقدسه وعلى رأس ما ذكرنا نعظم ونقدس نبينا الأكرم ﷺ فلا شيء في تعظيمنا له ولا كفر ولا شرك فيه قال تعالى ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ الحج/٣٢.

واعلم أيضاً أن أمهات المؤمنين ذكروا للنبي الأكرم بأن هؤلاء القوم يعظمون ويقدسون ويسجدون عندها لاحظ جملة (ويسجدون عندها) نعم نحن أيضاً نسجد أثناء الصلاة في مسجد النبي الأكرم عند قبره لا على قبره ولا نسجد للنبي، هذا ما نفهمه من

---

(١) ج٣، ص١٢٣، ح١٠٠٥.

شرح الرواية.

نعم ونحن نقدس ونعظم القرآن الكريم (كلام الله المجيد) ونضعه على رؤوسنا وبعد ذلك نقبل الجلد والغلاف ثم نشرع في قراءة ما تيسر من آياته الكريمة نعظم ونقدس هذا الكتاب وما فيه وإلا فالكتب والورق كثير فلماذا هذا الكتاب نحترمه ونجله ولماذا مقام إبراهيم نعظمه ولماذا الحجر الأسود والكعبة المشرفة التي بنيت بالطوب العادي نعظمها ونقدسها ونحترمها وكذلك قبر النبي الأكرم والحديث الذي نحن بصدده لعن الله اليهود والنصارى هذا حديث إخبار ولو سلمنا جدلاً فقول عائشة اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد أي أنهم كانوا يسجدون على تلك القبور لذا قالت عائشة أبرز قبره خوفاً من اتخاذه مسجداً أي موضع سجود المصلي.

وكذلك عندما قالت عائشة أن النبي خشي أن يتخذ مسجداً لذا قاموا ببناء الجدارين وعلى شكل مثلث حتى لا يمكن من استقبال القبر في الصلاة، واقرأ معي ما ذكره البخاري في صحيحه:

... عن ابن شهاب أخبرني عروة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ خرج ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج رسول الله ﷺ فصلى فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عَجَزَ المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال أما بعد فإنه لم يَخْفَ علي مكانكم ولكني خشيت أن تفترض عليكم فتعجزوا عنها فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك[1].

لاحظ جملة (ولكني خشيت أن تفترض عليكم) وفي رواية (إني خشيت أن تكتب عليكم)[2].

هذه هي صلاة التراويح التي فرضها عمر على المسلمين، والتي قصمت ظهور المصلين!

---

(١) كتاب الصوم، باب فضل قيام رمضان.

(٢) كتاب الأذان، باب إذا كان بين الإمام وبين القوم حائط.

يقول القسطلاني: إن النبي الأكرم كرهه لهم خشية أن تفرض عليهم[1]!

فهذا عمر بن الخطاب قد فرضها عليهم! ويقولون: إنها سنة عمر! وهم متمسكون بأدائها أكثر من تمسكهم بالصلوات المفروضة جماعة! هذا ما نراه ونشاهده بأم أعيننا.

ويقول القسطلاني: حديث زيد بن ثابت (حتى خشيت أن يكتب عليكم... فصلوا أيها الناس في بيوتكم فمنعهم من التجميع في المسجد إشفاقاً عليهم[2].

أقول:

لماذا لم يهتم المسلمون بهذه الوصية كاهتمامهم بحديث (لعن الله اليهود والنصارى)؟!

ورد في البخاري أيضاً:... عن ابن عباس رضي الله عنه قال مات إنسان كان رسول الله ﷺ يعوده فمات بالليل فدفنوه ليلاً فلما أصبح أخبروه فقال ما منعكم أن تعلموني قالوا كان الليل فكرهنا وكانت ظُلمة أن نَشُقَّ عليك فأتى قبره فصلى عليه[3].

يقول ابن حجر:... فأخبر النبي ﷺ حين أصبح، فجاء حتى وقف على قبره، فصف الناس معه ثم رفع يديه فقال: اللهم الق طلحة يضحك إليك وتضحك إليه[4]!

ونقول:

هل لو كان هذا القبر داخل مبنى مثلاً ـ أي عليه سقف ومحوط بسور ـ فهل كان النبي الأكرم يصلي عليه أم لا؟!

وهل إذا أراد أن يصلي عليه يقف خارج السور ويصلي أم أنه يدخل إلى المبنى أو إلى الغرفة التي دفن فيها ويصلي عليه؟!

فلماذا لا تجوز الصلاة في المسجد إذا دفن شخص فيه، أو كان فيه قبر؟!

ولماذا لعن الرسول الأكرم اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد؟!

---

(١) إرشاد الساري، ج٤، ص٦٦٠، ح٢٠١٢.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٦٦١.

(٣) كتاب الجنائز، باب الإذن بالجنازة.

(٤) فتح الباري، ج٣، ص١٤٨، ح١٢٤٧.

من خلال قراءتنا لهذه الرواية يتبين لنا أن الصلاة على القبر جائزة، سواء كان ذلك القبر لرجل عادي أو نبي طالما أن هذا القبر لم يكن في المسجد، هذا ما يريد أهل العامة قوله.

ثم أليس نبينا الأكرم مدفوناً في المسجد النبوي؟!

أليس أبو بكر وعمر مدفونين أيضاً في المسجد؟!

أليس المسلمون جميعاً يصلون في هذا المسجد؟!

أليس النبي زكريا مدفوناً في الجامع الأموي وفي وسط المسجد؟!

لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد!

فهل هذا اللعن يشمل المسلمين الآن؟!

سيكون جواب هؤلاء وردهم أن قبر النبي الأكرم شُكِّل بطريقة فَنِيَّة حتى لا يكون باتجاه القبلة!

أقول:

فما أدراك أن اليهود والنصارى كانوا يدفنون أنبياءهم بنفس الكيفية؟! فلماذا اللعن إذن؟!

أليس المسلمون اليوم يصلون في مسجد النبي الأكرم وبجانب قبره؟!

ألم تكن عائشة تصلي بجانب قبر الرسول الأكرم وهي في الحجرة التي دفن فيها الرسول؟!

وما قولك في قبر النبي زكريا المدفون في المسجد الأموي كما ذكرنا آنفاً؟

ألم يكن النزاع حول مدفن أهل الكهف، فمنهم من قال: ﴿ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا﴾ وقال المؤمنون: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

وكانت الغلبة لهم كما قال الله تعالى ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ الكهف:٢١.

وبناء قبور أنبياء الله يكون نوعاً من التعظيم لشعائر الله ولأوليائه.

فنحن لا نصلي ولا نعبد ذلك القبر.. سواء كان في المسجد أو خارجه، فنحن نصلي ونسجد لله تعالى لا لأشخاص مدفونين في المسجد.

كما أننا نسجد على التربة، لا للتربة، فنحن نسجد لله تعالى، ونحن نسجد والقبر سواء كان أمامنا أو خلفنا أو على يميننا أو شمالنا، فنحن نسجد لله تعالى لا للقبر، وأنتم أيضاً تسجدون على السجادة، لا للسجادة، فالرجاء لا تخلطوا على أهل العامة دينهم ولا تغذوهم بمفاهيم خاطئة، فإنكم مساءلون غداً عن جميع ذلك، فكونوا ورعين في نقلكم عنا.

واعلم أن زيارة القبور ترقق القلب وتذكر بالآخرة.

إذن، ما دامت هذه العلة فأيضاً زيارة قبر الكافر والوقوف على القبر أيضاً يرقق القلب ويذكر بالآخرة، فحال زيارة قبر الكافر هكذا، فكيف بزيارة قبور الأنبياء والأوصياء والأولياء؟!

وكذلك أهداف زيارة القبور أخذ العبرة والعظة منها.

وأخيراً، كيف كان ابن أبي قحافة يؤم الجماعة في مسجد النبي الأكرم أيام خلافته؟ وكذلك كيف كان المسلمون يصلون أيام حكم عمر بن الخطاب في المسجد النبوي؟ وأخيراً كيف كان يصلي عثمان في المسجد النبوي قبل بناء قبر النبي بالشكل المثلث المُدعى؟!

نعم.. كيف كان المسلمون يصلون في مسجد النبي طيلة هذه السنوات التي ناهزت العشرين عاماً؟!

أما ما جاء في الحديث عن خلة أبي بكر، يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة:

وضعت (البكرية) لصاحبها أحاديث... نحو (لو كنت متخذاً خليلاً) فإنهم وضعوه في مقابلة حديث الإخاء ونحو سد الأبواب لأنه كان لعلي عليه السلام فقلبته البكرية إلى أبي بكر ونحو (ائتوني بدواة وبياض أكتب فيه لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه اثنان ثم قال يأبى الله تعالى والمسلمون إلا أبا بكر) فإنهم وضعوه في مقابلة الحديث المروي عنه في مرضه

(ائتوني بدواة وبياض أكتب لكم ما لا تضلون بعده أبداً فاختلفوا عنده وقال قوم منهم لقد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله) ونحو حديث (أنا راض عنك فهل أنت عني راض)[1].

ويقول الخطيب البغدادي: عن أبي هريرة قال قال رسول اللهﷺ إن لكل نبي خليلاً من أمته وأن خليلي عثمان بن عفان[2]!

ويقول القسطلاني في شرحه إرشاد الساري: أبي بن كعب قال: إن أحدث عهدي بنبيكم قبل موته بخمس دخلت عليه وهو يقول إنه لم يكن نبي إلا وقد اتخذ من أمته خليلاً، وإن خليلي أبو بكر...[3].

نلاحظ أن النبي الأكرم قد اتخذ أبا بكر خليلاً وفي رواية أخرى أنه اتخذ عثمان بن عفان خليلاً فكيف نوفق بين هذه الروايات المتضاربة وقد قرأت أخي الكريم ما ذكر المعتزلي في شرحه بأن أهل العامة قد وضعوا واختلقوا حديث الخلة مقابل حديث الإخاء بين النبي الأكرم والإمام عليعليه السلام.

جاء في الاستيعاب لابن عبدالبر القرطبي:... عن ابن عباس قال قال رسول اللهﷺ لعلي أنت أخي وصاحبي.

وفيه أيضاً:... عن أبي الطفيل قال: لما احتضر عمر جعلها شورى بين علي وعثمان وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد فقال لهم علي أنشدكم الله هل فيكم أحد آخى رسول اللهﷺ بينه وبينه إذ آخى بين المسلمين غيري، قالوا: اللهم لا.

قال: ورويناه من وجوه عن عليرضي الله عنه أنه كان يقول أنا عبدالله وأخو رسول الله لا يقولها أحد إلا كذاب.

قال أبو عمر: آخى رسول اللهﷺ بين المهاجرين بمكة ثم آخى بين المهاجرين

---

(١) ج١١، ص٤٨ـ٤٩، فصل فيما وضع الشيعة والبكرية من الأحاديث، ط١٩٦١م، دار إحياء الكتب العربية، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المتوفى٤٦٣هـ، ج٦، ص٣٢٢، ترجمة٣٣٦٦، اسحاق بن نجيح، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) ج٨، ص١٧١، ح٣٦٥٨، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً.

والأنصار بالمدينة وقال في كل واحدة منها لعلي (أنت أخي في الدنيا والآخرة)[1] وآخى بينه وبين نفسه[2].

ثم اعلم أن حديث المؤاخاة بين النبي الأكرم وبين الإمام علي متواتر وقد ذكره الكثير من أهل العامة، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

ذكره الحافظ محمد بن حبان بن أبي حاتم البستي المتوفى٣٥٤هـ في كتاب الثقات ج١، ص١٤٢ نذكر ما ذكره مختصراً: قال ـ النبي الأكرم لعلي ـ والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلا لنفسي... أنت أخي ووارثي[3].

ويقول ابن كثير في كتابه البداية والنهاية: ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي، فكان رسول الله ﷺ... وعلي بن أبي طالب أخوين[4].

وذكر السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء: آخى رسول الله عليه الصلاة والسلام بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام أنت أخي في الدنيا والآخرة[5].

وذكره أيضاً صاحب تاريخ الخميس ولكن باختلاف يسير:... فقال علي يا رسول الله آخيت بين أصحابك فمن أخي؟ قال: أنا أخوك[6].

وفي السيرة الحلبية قال النبي الأكرم لعلي: أما ترضى أن أكون أخاك؟ قال: بلى يا

---

(١) ذكره الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٤، كتاب الهجرة، والمتقي الهندي في كنز العمال، ج١١، ص٥٩٨، ح٣٢٨٧٩، والترمذي في سننه، ح٣٧٢٠ من كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي، ج٣، ص٢٠٣، ترجمة ١٨٧٥، ط١٤١٥/١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) السنة الأولى من الهجرة، ط١٣٩٣/١هـ.

(٤) ج٣، ص٢٢٦، في مؤاخاة النبي بين المهاجرين والأنصار، ط١٩٦٦/١م.

(٥) ص١٧٠، فصل في الأحاديث الواردة في فضله، ط١٣٨٩/٤هـ، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة.

(٦) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، لحسين الدياربكري، ج١، ص٣٥٣، ذكر المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

رسول الله رضيت، قال: فأنت أخي في الدنيا والآخرة[1].

نكتفي بهذا القدر حتى لا يطول بنا المقام.

(١) السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي، ج٢، ص٢٠، ط بيروت.

باب الندب إلى وضع الأيدي على الركب

١٧٠. حدثنا محمد بن العلاء الهمداني أبو كريب قال حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود وعلقمة قالا أتينا عبدالله بن مسعود في داره فقال أصلى هؤلاء خلفكم فقلنا لا قال فقوموا فصلوا فلم يأمرنا بأذان ولا إقامة قال وذهبنا لنقوم خلفه فأخذ بأيدينا فجعل أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله قال فلما ركع وضعنا أيدينا على ركبنا قال فضرب أيدينا وطبق بين كفيه ثم أدخلهما بين فخذيه قال فلما صلى قال إنه ستكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن ميقاتها ويخنقونها إلى شرق الموتى فإذا رأيتموهم قد فعلوا ذلك فصلوا الصلاة لميقاتها واجعلوا صلاتكم معهم سبحة وإذا كنتم ثلاثة فصلوا جميعاً وإذا كنتم أكثر من ذلك فيؤمكم أحدكم وإذا ركع أحدكم فليفرش ذراعيه على فخذيه وليجنأ وليطبق بين كفيه فلكأني أنظر إلى اختلاف أصابع رسول الله ﷺ فأراهم.

قال الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه فتح المنعم:

(ستكون عليكم أمراء)... والظاهر أنه لم يقصد التسويف والمستقبل ويقصد الحال أي عليكم أمراء يفعلون كذا وكذا لكنه استخدم أسلوب المستقبل سياسة وتقية.

(يؤخرون الصلاة عن ميقاتها) أي يؤخرونها عن وقتها المختار وهو أول وقتها لا عن

جميع وقتها[1].

يقول الأبي في شرحه إكمال إكمال المعلم: (يؤخرون الصلاة عن ميقاتها) أي عن أول وقتها المختار ويفعلونها في غيره وقد بقي منه قدر شرق الموتى... شرق الميت إذا لم يبق إلا يسيراً... وسئل أبو حنيفة عن الحديث فقال ألم تر إلى الشمس إذا ارتفعت على الحيطان وصارت بين القبور كأنها لجة فذلك شرق الموتى ومعنى يخنقونها يضيقون وقتها[2].

أقول:

إن الأستاذ الدكتور لاشين يحاول أن يتلاعب بالحديث ويحاول أن يغير مساره السليم ويحاول أن يوجهه لصالحه في قوله إن النبي الأكرم لم يقصد المستقبل بل قصد الحال وإن النبي قد استعمل التقية في ذلك.

فأقول:

عن أنس قال ما أعرف شيئاً مما كان على عهد رسول الله ﷺ، قيل الصلاة أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها[3].

الزهري يقول: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت[4].

سبحان الله! إذا الصلاة التي هي عمود الدين قد ضيعوها فكيف بالسنن؟!

يقول ابن حجر العسقلاني في شرحه:

قوله: (قيل الصلاة) أي قيل له الصلاة هي شيء مما كان على عهده ﷺ وهي باقية فكيف يصح هذا السلب العام؟

فأجاب بأنهم غيروها أيضاً بأن أخرجوها عن الوقت.

---

(١) ج٣، ص١٣٦، ح١٠١١.

(٢) ج٢، ص٤٣٠، ح٥٣٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب تضييع الصلاة عن وقتها.

(٤) نفس المصدر السابق.

... ثابت البناني قال: كنا مع أنس بن مالك فأخَّر الحجاج الصلاة فقام أنس يريد أن يكلمه فنهاه إخوانه شفقة عليه منه فخرج فركب دابته فقال في مسيره ذلك والله ما أعرف شيئاً مما كنا عليه على عهد النبيﷺ إلا شهادة أن لا إله إلا الله فقال الرجل فالصلاة يا أبا حمزة! قال: قد جعلتم الظهر عن المغرب أفتلك كانت صلاة رسول اللهﷺ؟!

ويقول:

إطلاق أنس محمول على ما شاهده من أمراء الشام والبصرة خاصة[1].

أقول:

إن ابن حجر العسقلاني يكذب في ذلك محاولاً الدفاع عن الصحابة ولكن هيهات!

فالذين ضيعوا الصلاة ليسوا أمراء الشام والبصرة فقط كما يدَّعي ابن حجر، بل المسلمون جميعاً ضيعوا الصلاة من جميع جوانبها أعني بذلك تأخيرها عن وقتها، والتغيير في كيفية السجود والركوع والقراءة أيضاً، وقد حدث هذا التغيير في المدينة أيضاً، فاقرأ معي ما جاء في البخاري كتاب الأذان باب إتمام التكبير في السجود:

... عن مُطَرِّف بن عبدالله قال: صليت خلف علي بن أبي طالبؓ أنا وعمران بن حصين فكان إذا سجد كبر، وإذا رفع رأسه كبر، وإذا نهض من الركعتين كبر، فلما قضى الصلاة أخذ بيدي عمران بن حصين فقال: قد ذكَّرني هذا صلاة محمدﷺ أو قال: لقد صلى بنا صلاة محمدﷺ...! قال ابن حجر في شرحه: فقد رواه أحمد من رواية سعيد... بلفظ صلى بنا هذا مثل صلاة رسول اللهﷺ!

فكيف كانت صلاة الصحابة؟ وكيف كان ركوعهم وسجودهم؟ وهؤلاء كانوا قد صلوا ولمدة طويلة خلف النبي الأكرم، ولهذا لاحظ هذا الصحابي وتذكر صلاة رسول اللهﷺ، فهل كان الإمام هو الوحيد الذي كان يصلي الصلاة الصحيحة كما أمر الله عزوجل؟!!

ويقول أبو هريرة كما جاء في صحيح البخاري: أنه كان يصلي بهم فيُكبِّر كلما

---

(١) فتح الباري، ج٢، ص١٧ـ١٩، ح٥٣٠.

خفض ورفع، فإذا انصرف قال: إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ[1].

ونحن نعلم أن أبا هريرة كان في المدينة وقوله هذا دليل على أن الصحابة كانوا يصلون خلاف صلاة أبي هريرة والتي هي صلاة رسول الله ﷺ كما ادَّعى هذا الدوسي! فكيف كانت صلاة هؤلاء الصحابة؟! وكيف كانت صلاة من كان ساكناً في مدينة الرسول من المسلمين؟!

ألا تسأل نفسك أيها المسلم كيف كان يصلي من كان على دكة الحكم قبل الإمام علي عليه السلام وبعده؟!

وعمران بن حصين هذا يقول قد ذكرني هذا صلاة محمد، أي أن ذلك كان نسياً منسياً حتى تذكر بعد الصلاة خلف الإمام عليه السلام والرسول ﷺ يقول: صلوا كما رأيتموني أصلي[2]، فهؤلاء غيروا وبدلوا ومحوا معالم الدين وهذه الصلاة التي هي عمود الدين قد غيروها فماذا نقول في بقية العبادات والفرائض والسنن.

فقول ابن حجر والأستاذ الدكتور لاشين مردود.

---

(١) (١٥٦) كتاب الأذان، باب إتمام التكبير في الركوع.

(٢)(١٥٧) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.

باب تحريم الكلام في الصلاة

١٧١. حدثنا أبو جعفر محمد بن الصباح وأبو بكر بن أبي شيبة وتقاربا في لفظ الحديث قالا حدثنا غسماعيل بن ابراهيم عن حجاج الصواف عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي قال بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم فقلت واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلي فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني قال إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن أو كما قال رسول الله ﷺ قلت يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالإسلام وإن منا رجالاً يأتون الكهان قال فلا تأتهم قال ومنا رجال يتطيرون قال ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم قال ابن الصباح فلا يصدنكم قال قلت ومنا رجال يخطون قال كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك قال وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد والجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني صككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي قلت يا رسول الله أفلا أعتقها قال ائتني بها فأتيته بها فقال لها أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله قال أعتقها فإنها مؤمنة.

يقول الكردي في كتابه دراسات نقدية: والإشكال الكبير في هذا السياق هو أن جمهور أهل الإسلام متفقون على أن الله تعالى لا يحده مكان ولا زمان ولا يقال عنه أين ولا كيف.

ورسول الله أعلم الخلق بالله فلا يمكن أن يسأل مثل هذا السؤال عن الله تعالى ولم يكن من سيرته أبداً أن يسأل ذلك ليستعلم به إيمان شخص أو عدمه! كما قال ابن حجر في الفتح...: فإن إدراك العقول لأسرار الربوبية قاصر، فلا يتوجه على حكمه لم؟ ولا كيف؟ كما لا يتوجه عليه في وجوده أين؟ وحيث...

هذا، في حين تمسك الحشوية المجسمة المثبتون للجهة لله تعالى ـ أي الذين يقولون بأنه تعالى في السماء فوق عرشه في جهة العلوم المكاني بالنسبة لنا وجهة فوق تحديداً دون سائر الجهات ـ بهذا الحديث، واحتجوا به على صحة مذهبهم بجواز سؤال أين الله؟ وبأنه تعالى في السماء!

ولقد رد الإمام البيهقي في كتابه الأسماء والصفات هذا السياق بهذه الألفاظ للحديث فقال بعد أن رواه باللفظ المذكور أعلاه وهذا صحيح قد أخرجه مسلم مقطعاً (أي مجزءاً كل جزء في موضع) من حديث الأوزاعي وحجاج الصواف عن يحيى بن أبي كثير دون قصة الجارية وأظنه إنما تركها لاختلاف الرواة في لفظه، وقد ذكرت في كتاب الظهار من السنن مخالفة من خالف معاوية بن الحكم في لفظ الحديث.

وقال المحدث الكوثري معلقاً على ذلك: وقصة الجارية مذكورة بأيدينا من نسخ مسلم ولعلها زيدت فيما بعد إتماماً للحديث أو كانت نسخة المصنف ناقصة وقد أشار المصنف إلى اضطراب الحديث بقوله (وقد ذكرت في كتاب الظهار مخالفة من خالف معاوية بن الحكم في لفظ الحديث) وقد ذكر في السنن الكبرى... اختلاف الرواة في لفظ فإنها مؤمنة وبدونه و(أين الله؟ فأشارت إلى السماء بإصبعها) و(من ربك؟ قالت: الله ربي) (وأتشهدين أن لا إله إلا الله؟ قالت: نعم) و(من ربك؟ قالت: الله) وقد توسعنا في شرح الحديث، وبينا مبلغ اضطرابه سنداً ومتناً....

هذا، ومن الجدير بالذكر أن رواية الحديث بلفظ أن السؤال كان (أتشهدين أن لا إله إلا الله؟) وليس أين الله، والتي أشار إليها الكوثري هي رواية صحيحة سنداً ـ على

أصول المحدثين ـ أخرجها الحافظ عبدالرزاق في مصنفه... ولها قرائن حديثية عديدة ترجحها، من ذلك:

ما أخرجه مالك في الموطأ بسند عال جداً عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عتبة أن رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله بجارية سوداء فقال يا رسول الله إن علي رقبة مؤمنة فإن كنت تراها مؤمنة أعتقها فقال لها رسول الله: تشهدين أن لا إله إلا الله، قالت نعم قال أتشهدين أن محمداً رسول الله؟ قالت نعم قال أتوقنين بالبعث بعد الموت قالت نعم فقال رسول الله أعتقها....

وكذلك رواية الحديث بلفظ أن السؤال كان ومن ربك رواها ابن حبان في صحيحه... بسند صحيح على أصول المحدثين.

قال الحافظ عبدالله الغماري معلقاً على الحديث برواية مسلم: رواه مسلم وأبو داود النسائي وقد تصرف الرواة في ألفاظه فروي بهذا اللفظ كما هنا وبلفظ من ربك قالت الله ربي وبلفظ أتشهدين أن لا إله إلا الله قالت نعم وقد استوعب تلك الألفاظ بأسانيدها الحافظ البيهقي في السنن الكبرى بحيث يجزم الواقف عليها أن اللفظ المذكور هنا مروي بالمعنى حسب فهم الراوية. ويؤيد ذلك أن المعهود من حال النبي الثابت عنه بالتواتر أنه كان يختبر إسلام الشخص بسؤاله عن الشهادتين اللتين هما أساس الإسلام ودليله أما كون الله في السماء فكانت عقيدة العرب في الجاهلية وكانوا مشركين فكيف تكون دليلاً على الإسلام؟

ما أجمل هذا النقد العلمي لمتن الحديث الذي يعتمد على دراسة مختلف ألفاظ الحديث ثم رد ما يخالف المعروف من سيرة نبي الإسلام وما يناقض التنزيه المنصوص عليه في القرآن وما لا ينسجم مع واقع تاريخ العرب قبل الإسلام. وهذا هو النقد التحليلي العلمي للمتون الذي كان عليه قدماء العلماء، ونتمنى أن يستمر على الدوام لدى المتأخرين أيضاً من شراح الحديث وعلمائه[1].

---

(١) دراسة نقدية نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث لإسماعيل الكردي، ص٢٢٢.

باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة

١٧٢. حدثنا اسحق بن إبراهيم وإسحاق بن منصور قالا أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا شعبة حدثنا محمد وهو ابن زياد قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ إن عفريتاً من الجن جعل يفتك علي البارحة ليقطع علي الصلاة وإن الله أمكنني منه فذعته فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون أو كلكم ثم ذكرت قول أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي فرده الله خاسئاً.

١٧٣. حدثنا محمد بن سلمة المرادي حدثنا عبدالله بن وهب عن معاوية بن صالح يقول حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء قال قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثاً وبسط يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أن آخذه والله لو لا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة.

يقول النووي في شرحه:... العفريت: العاتي المارد من الجن.

فذعته:... أي خنقته.

ثم ذكرت قول أخي سليمان... قال القاضي: معناه أنه مختص بهذا فامتنع نبينا ﷺ من ربطه أما أنه لم يقدر عليه لذلك وإما لكونه لما تذكر ذلك.

والله لو لا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة: فيه جواز الحلف من غير استحلاف لتفخيم ما يخبر به الإنسان وتعظيمه والمبالغة في صحته[1].

ويقول ابن حجر في شرحه فتح الباري: جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي:... فأخذته فصرعته فخنقته حتى وجدت لسانه على يدي[2].

جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان له ضُراط حتى لا يسمع التأذين[3].

هذه حال الشيطان إذا سمع الأذان فكيف يتجرأ على الرسول الأكرم وهو في حال الصلاة؟!

يقول تعالى في محكم كتابه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[4].

ويقول عز من قائل: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[5].

ويقول أبو هريرة إن النبي كريم قال: فذكرت قول أخي سليمان ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾!

أي أن النبي الأكرم ترك الشيطان ولم يقيده بسبب دعوة النبي سليمان وطلبه من الله تعالى أن يهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، ولكن ملك سليمان لم يكن مقتصراً على الشياطين فقط، بل كانت الريح طوع أمره والجن عملوا بين يديه ما شاء من

(١) المجلد ٣، ج٥، ص٣٢ـ٣٤، ح٥٤١.

(٢) ج١، ص٦٩٢، ح٤٦١.

(٣) كتاب الأذان، باب فضل التأذين.

(٤) الحجر: ٤٢.

(٥) النحل: ٩٩ـ١٠٠.

محاريب وتماثيل وكذلك كان يعلم لسان الحيوان والطير، فاستشهاد النبي الأكرم بالآية ليس في محله!!

رائحة وضع أستاذ أبي هريرة كعب الأحبار اليهودي واضحة في هذا الحديث.

واقرأ معي ما ورد في البخاري ما يناقض ذلك وبرواية أبي هريرة أيضاً!!

... عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة، قال فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي ﷺ يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قال: قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك وسيعود فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته، فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟ قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله. قال: أما إنه قد كذبك وسيعود، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود قال دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي الله لا إله إلا هو الحي القيوم حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: ما هي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الله لا إله إلا هو الحي القيوم وقال لي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا أحرص شيء على الخير فقال النبي ﷺ أما إنه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قال: لا، قال: ذاك شيطان[1]!

يقول ابن حجر: عن أبي هريرة أنه كان على تمر الصدقة فوجد أثر كف كأنه قد أخذ منه!

---

(١) كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً.

ويقول:

إن أبا هريرة شكا ذلك إلى النبيﷺ أولاً فقال له: إن أردت أن تأخذه فقل سبحان من سخَّرك لمحمد!

قال: فقلتها فإذا أنا به قائم بين يدي فأخذته!

قوله: (لأرفعنك)، أي: لأذهبن بك أشكوك.

قوله: (إني محتاج وعلي عيال)، أي: نفقة عيال...! فقال: إنما أخذته لأهل بيت فقراء من الجن!

(فرصدته) أي: رقبته...، (قال: دعني أعلمك).

قوله: (ينفعك الله بها)... إذا قلتهن لم يقربك ذكر ولا أنثى من الجن!

قوله: (قلت: ما هن؟)... قوله: إذا أويت إلى فراشك... عند كل صباح ومساء (فاقرأ آية الكرسي).

يقول النبي الأكرم لأبي هريرة فارصده فيقول: فرصدته فأقبل في صورة فيل! فلما انتهى إلى الباب دخل من خلل الباب في غير صورته فدنا من التمر فجعل يلتقمه، فشددت على ثيابي فتوسطته[1].

أقول:

هذا أيضاً من خيال أبي هريرة ومن ذلك الكيس! ومن الوعاء الذي خاف أن يبثه خوفاً من قطع بلعومه ودرة عمر!

هذه القصة من قصص العجائز والحكايات التي تقص على الأطفال قبل النوم!

اقرأ لهذا الدوسي فإن له في كل مجال حديثاً.

وأقل ما يقال في ذلك أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه وآله أوكل أبا هريرة (بحفظ) التمر، ولا يحق له التصرف فيه، فكيف جاز له أن يتصدق به على ذلك الشيطان الذي تمثل له ومن دون إذن النبي؟!

---

(١) فتح الباري، ج٤، ص٥٩٩، ح٢٣١١، بتصرف.

والرواية التي نحن بصددها والتي ذكرناها في بداية البحث قول النبي سليمان ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ فرده الله خاسئاً.

ألا تلاحظ التناقض بين الروايتين؟ أي أن دعوة النبي سليمان منعت نبينا الأكرم من الإمساك بالشيطان أو العفريت، في حين أنه في رواية أبي هريرة استطاع أن يلقي القبض على الشيطان، فأين ذهبت دعوة النبي سليمان عليه السلام؟! تأمل ذلك أخي القارئ!

باب جواز الصلاة في النعلين

١٧٤. حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا بشر بن المفضل عن أبي مسملة سعيد بن يزيد قال قلت لأنس بن مالك أكان رسول الله ﷺ يصلي في النعلين قال نعم.

جاء في فتح المنعم للأستاذ الدكتور لاشين: قال الحافظ ابن حجر وقد روى أبو داود والحاكم من حديث شداد بن أوس خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم فيكون استحباب ذلك من جهة قصد المخالفة المذكورة[1].

وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال ما هذا قالوا هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه[2].

فلماذا لم يخالفهم النبي الأكرم في ذلك؟!

قد نوافقكم جدلاً بأن الصيام المستحب فيه من الأجر والثواب ومصلحة للصائم من حيث ارتفاع روحه المعنوية وتقوية إرادته لعمل الخير وما إلى آخر ما ذكره أهل العلم في ذلك من فوائد ترجع للصائم بالدرجة الأولى لهذا وافقهم النبي في صيام ذلك اليوم ولكن ما فائدة مخالفتنا اليهود في لبس النعال في الصلاة؟

---

(١) ج٣، ص١٨٤، ح١٠٥٢.

(٢) كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء.

وجاء في سنن الترمذي: إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة... فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود[1].

ولماذا أمرنا بمخالفة اليهود هنا؟!

نعم.. وذلك لأنهم لا يعيرون النظافة أي اهتمام كما جاء في الحديث.

وعمل اليهود في عدم لبسهم النعال حال عبادتهم فإنهم في حال أفضل من غيرهم لأنهم يعلمون بين يدي من يقفون، أما لبس النعال حال الصلاة فنحن نعلم أن الأوساخ والأتربة. هذا بالإضافة إلى تعلق النجاسة في النعلين يقول تعالى في محكم كتابه وفصل خطابه مخاطباً النبي موسى عليه السلام ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ طه/١٢ فمن هذا الباب خلع النعال حال العبادة أن المصلي يقدّر أنه بين يدي من يقف، هذا على أقل التقادير.

فقول ابن حجر خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم فنقول بأن قياسه باطل.

---

(١) كتاب الأدب، باب ما جاء في النظافة.

باب كراهة الصلاة في ثوب له أعلام

١٧٥.... عن الزهري عن عروة عن عائشة أن النبيﷺ صلى في خميصة لها أعلام وقال شغلتني أعلام هذه فاذهبوا بها إلى أبي جهم وأتوني بأنبجانية.

١٧٦.... يونس عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة قالت قام رسول اللهﷺ يصلي في خميصة ذات أعلام فنظر إلى علمها فلما قضى صلاته قال اذهبوا بهذه الخميصة إلى أبي جهم بن حذيفة وأتوني بأنبجانية فإنها ألهتني آنفاً في صلاتي.

١٧٧.... عن هشام عن أبيه عن عائشة أن النبيﷺ كانت له خميصة لها علم فكان يتشاغل بها في الصلاة فأعطاها أبا جهم وأخذ كساء له أنبجانياً.

قال الأبي في شرحه: خميصة قيل هي كساء مربع من صوف... لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة.

شغلتني... أخاف أن تفتنني أي تشغلني بالنظر إليها واستحسانها.

فاذهبوا بها إلى أبي جهم: فيه قبول الهدية وجواز ردها وطيبها بعد الرد للواهب وأنه ليس من العود في الصدقة.

وأتوني بأنبجانية: طلب ذلك تطييباً لنفس أبي جهم لرده هديته عليه... وهو كساء غليظ لا علم له[1].

---

(١) إكمال إكمال المعلم، ج٢، ص٤٦٢، ح٥٥٦.

وفي صحيح البخاري:... أهدي إلى النبيﷺ فروج حرير فلبسه فصلى فيه ثم انصرف فنزعه نزعاً شديداً كالكاره له وقال لا ينبغي هذا للمتقين[1].

يقول ابن حجر في شرحه: وظاهر هذا الحديث أن صلاتهﷺ فيه كانت قبل تحريم لبس الحرير[2].

بناء على ما قرأنا نستنتج أن النبي الأكرم قد أتى بكثير من المحرمات قبل التحريم وكأنه صلوات الله عليه وآله قد أخذ نصيبه من تلك الملذات الدنيوية كغيره من البشر غير مبال للمكروه والمحرم والأنكى من ذلك ما ستقرؤه في الرواية القادمة:

ورد في صحيح البخاري:... عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال كان رسول اللهﷺ يلبس خاتماً من ذهب فَنَبَذَه فقال لا ألبسه أبداً فنبذ الناس خواتيمهم.

وفي رواية أيضاً:... عن نافع أن عبدالله حدثه أن النبيﷺ اصطنع خاتماً من ذهب ويجعل فصه في بطن كفه إذا لبسه فاصطنع الناس خواتيم من ذهب فَرَقِيَ المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقال إني كنت اصطنعته وإني لا ألبسه فنبذه فنبذ الناس قال جويرية ولا أحسبه إلا قال في يده اليمنى[3].

قال الألباني في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة:

... أن رسول اللهﷺ اتخذ خاتماً من ذهب وجعل فَصَّهُ مما يلي كفه ونقش فيه محمد رسول الله فاتخذ الناس مثله فلما رآهم قد اتخذوها رمى به وقال لا ألبسه أبداً ثم اتخذ خاتماً من فضة فاتخذ الناس خواتيم الفضة.

وفي الحديث إشارة إلى تحريم خاتم الذهب على الرجال وفيه أحاديث كثيرة صريحة في التحريم....

ولذلك انعقد الإجماع على التحريم بعد أن كان هناك من الصحابة من لبسه وهو محمول على أنهم لم يبلغهم النهي...[4].

---

(١) كتاب الصلاة، باب من صلى في فروج حرير.

(٢) فتح الباري، ج١، ص٦٠٦، ح٣٧٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من جعل فص الخاتم في بطن كفه.

(٤) ج٣، ص١٩٠، حديث١١٩٢، ط١٤١٥هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

أقول:

ما حرم في الإسلام كان مُحَرَّماً في الشرائع السماوية السابقة كالشرك مثلاً والزنا وشرب الخمر وكذلك لبس الذهب بالنسبة للرجال. والله سبحانه وتعالى قد عَصَمَ نبيه وحفظه من هذه الأمور حتى قبل بعثته. فتحريمه للبس الذهب بالنسبة للرجال فيما بعد يدل على أنه محرم عند الله تعالى ولا بد من أن ينزه الله نبيه عن ذلك.

قد يقول قائل أن النبي أراد أن يعطي درساً للصحابة ويعلمهم بأن الذهب حرام على الرجال.

فأقول:

ليس كل مُحَرَّم أو مَكروه يجب على نبينا الأكرم أن يأتي بذلك العمل. فمثلاً شرب الخمر حرام، فهل أعطى النبي الأكرم للصحابة درساً في ذلك كلبس الذهب مثلاً!

والقتل أيضاً حرام، فهل أعطى النبي درساً عملياً للصحابة في ذلك وقام بقتل إنسان ومن ثم قال إن هذا العمل حرام؟!

واعلم أن أهل العامة يُقِرُّون ويعترفون لا بل ويعتقدون وهذا من المُسَلَّمات عندهم بأن نبينا لبس الذهب! ولبس الحرير! ولبس ثوباً له أعلام وقد تشاغل بذلك الثوب حال الصلاة! هذا قليل مما هو موجود في البخاري وإلا فإن فيه الكثير الكثير من الأحاديث التي تخدش الحياء وتُشَوِّه صورة النبي ﷺ!

واعلم أن منهج الرسل والأنبياء ليس فيه اختلاف فالتشريع لا خلاف فيه ولا اختلاف في الأديان السماوية فيما بينها كتحريم الخمر والزنا ولبس الذهب بالنسبة للرجال وما أشبه كما ذكرنا.

ولو اعتبر ذلك من صغائر الذنوب فإن الصغائر لا تجوز على الأنبياء قبل النبوة ولا بعدها!

فمثلاً:

الخمر حرام، سواء شربه أو حمله أو نقله أو بيعه أو شراؤه أو الجلوس على مائدة يُشرَب عليها الخمر إلى ما هنالك من أمور التحريم. فهل قبل التحريم كان النبي الأكرم

قد جلس على مائدة يُشرَب عليها الخمر مثلاً والعياذ بالله؟!

أو هل جلب الخمر والعياذ بالله بيده إلى أحد الأشخاص قبل التحريم؟!

وإن فعل ذلك فعلى أقل تقدير أن أحد الصحابة يقول له بعد التحريم مثلاً أنت قد حملت في الجاهلية دنان الخمر!! أو يقول أنت جلست على مائدة يُشرَب عليها الخمر!

وكذلك لبس الذهب! أيضاً يُوَجَّهُ إليه العِتاب فيقول أنت لَبِستَ الذهب يا رسول الله! واليوم تحرمه علينا؟!

قال ابن كثير في تفسيره لآية المباهلة في سورة آل عمران آية ٦١:

... اجتمع أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبدالله بن شرحبيل الأصبحي وجبار بن فيض الحارثي فيأتونهم بخبر رسول الله ﷺ.

فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حُلَلاً لهم يَجُرُّونَها من حبرة وخواتيم الذهب ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلموا عليه فلم يرد عليهم وتصدوا لكلامه نهاراً طويلاً فلم يكلمهم وعليهم تلك الحُلَل وخواتيم الذهب فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس فقالوا يا عثمان ويا عبدالرحمن إن نبيكم كتب إلينا كتاباً فأقبلنا مُجيبين له فأتيناه فسلَّمنا عليه فلم يرد سلامنا وتصديقنا لكلامه نهاراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا فما الرأي منكما أَتَرَون أن نرجع؟

فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم فقال علي لعثمان وعبدالرحمن أرى أن يضعوا حُلَلَهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودون إليه ففعلوا فسلموا عليه فرد سلامهم[1].

لاحظ أخي الكريم أن النبي لم يقبل أن يقابل هؤلاء النصارى وذلك لأنهم لبسوا خواتيم الذهب، فكيف به ﷺ يلبس الذهب؟ فلو كان ما ذهب أهل العامة إليه حقاً لقال أحد هؤلاء النصارى لنبينا الأكرم: أنت بالأمس كنت لابساً خاتماً من ذهب والآن ترفض مقابلتنا لأننا لبسنا الذهب!

---

(١) تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى ٧٧٤هـ، ج١، ص٣٧٠، ط١٤٠٢هـ، دار المعرفة، بيروت.

باب نهي من أكل ثوماً

١٧٨. حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا هشام حدثنا قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة أن عمر بن الخطاب خطب يوم الجمعة فذكر نبي الله ﷺ وذكر أبا بكر قال إني رأيت كأن ديكاً نقرني ثلاث نقرات وإني لا أراه إلا حضور أجلي وإن أقواماً يأمرونني أن أستخلف وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته ولا الذي بعث به نبيه ﷺ فإن عجل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض وإني قد علمت أن أقواماً يطعنون في هذا الأمر أنا ضربتهم بيدي هذه على الإسلام فإن فعلوا ذلك فأولئك أعداء الله الكفرة الضلال ثم إني لا أدع بعدي شيئاً أهم عندي من الكلالة ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه حتى طعن بإصبعه في صدري فقال يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء وإني إن أعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن ثم قال اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار وإني إنما بعثتهم عليهم ليعدلوا عليهم وليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ﷺ ويقسموا فيهم فيئهم ويرفعوا إلي ما أشكل عليهم من أمرهم ثم إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين هذا البصل والثوم لقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع فمن أكلهما فليمتهما طبخاً.

قال الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه فتح المنعم: (إني رأيت ديكاً) أي في المنام. (وإني لا أراه إلا حضور أجلي)... أي أظنه والمعنى وإني لأظن تفسير الرؤيا إلى أنها إشارة إلى حضور أجلي وقربه.

أن أستخلف وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته... يطلب مني أقوام أن أعين خليفة بعدي وأنا واثق من أن الله لن يضيع الإسلام ولا المسلمين سواء استخلفت أم لم استخلف فإن أستخلف فحسن وإن أترك الاستخلاف فحسن فقد تركه رسول الله ﷺ.

(فإن عجل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة)، أي يتشاورون فيما بينهم بشأنها، ويتفقون على واحد منهم وليس المراد أنهم يحكمون معاً وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف.

(وإني علمت أن أقواماً يطعنون في هذا الأمر) يطعنون... والمراد بالأمر جعل الخلافة في أحد الستة.

(أنا ضربتهم بيدي هذه على الإسلام) أي إن حزمي وقوتي أرغمتهم على الاستسلام وعدم الخروج وعدم إثارة الفتن.

(فإن فعلوا ذلك) أي طعنوا في استخلافي وأثاروا الفتن.

(فأولئك أعداء الله الكفرة الضلال) الضلال بضم الضاد وتشديد اللام الممدودة أي المغرقون في الضلال قال النووي معناه إن استحلوا ذلك فهم كفرة ضلال وإن لم يستحلوا ذلك ففعلهم فعل الكفرة أي فخذوا على أيديهم.

(لا أدع شيئاً أهم عندي من الكلالة) الكلالة الميت يكون له أخوة وزوج ولا يترك أصلاً ولا فرعاً وارثاً، ومشكلتها فيمن مات عن إخوة أشقاء وإخوة لأم وزوج وقد أشرك عمر الأشقاء مع الإخوة لأم، لأن تطبيق الأنصباء النصف للزوج والثلث للإخوة لأم لا يبقى للأشقاء سوى السدس.

فقال الأشقاء لعمر: اجعل أبانا حجرا في اليم فنحن نشاركهم في الأم التي يرثون بسببها، فأشركهم وهذه المسألة تسمى الحجرية أو المشتركة أو العمرية.

(ألا تكفيك آية الصيف) أي الآية التي نزلت في الصيف.

(التي في آخر سورة النساء) وهي قوله تعالى ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ النساء/١٧٦[1].

أقول:

لماذا حصر الشورى والخلافة في هؤلاء الستة فقط؟!

اعلم أن الزبير ابن عمة الإمام علي عليه السلام، ومع وجود الإمام في الشورى فلا حظّ للزبير في الخلافة فإنه سوف يتنازل تلقائياً عنها للإمام عليه السلام.

وكذلك طلحة بن عبيدالله سوف يتنازل عن حقه لعثمان وذلك لضعف جانبه مع هؤلاء، ولأن طلحة كان منحرفاً عن الإمام وأنه تيمي وابن عم أبي بكر.

وأخيراً أعطى سعد بن أبي وقاص صوته لابن عوف لأن هؤلاء من بني زهرة وفي الوقت نفسه كان ابن عوف صهراً لعثمان.

هذه خلاصة القِسمة التي عَلِم بها عمر وأنها سوف تؤول إلى ما ذكرنا آنفاً.

قال ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة:

قال عمر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات وهو راض عن هذه الستة من قريش: علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن بن عوف وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم... ـ ثم قال عمر ـ ادعوا لي أبا طلحة الأنصاري فدعوه له فقال: انظر يا أبا طلحة إذا عُدتم من حفرتي فكن في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم فخذ هؤلاء النفر بإمضاء الأمر وتعجيله واجمعهم في بيت وقف بأصحابك على باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحداً منهم فإن اتَّفَق خمسة وأبى واحد فاضرب عنقه وان اتفق أربعة وأبى إثنان فاضرب أعناقهما وان اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التي فيها عبدالرحمن فارجع إلى ما قد اتفقت عليه فإن أصرَّت الثلاثة الأخرى على خلافها فاضرب أعناقها وإن مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا على أمر فاضرب أعناق الستة وَدَع المسلمين يختاروا لأنفسهم[2].

---

(١) ج٣، ص٢٠٤، ح١٠٧١.

(٢) ج١، ص٦٢ـ٦٣، القول في جعل عمر الخلافة بين الستة، ط دار إحياء التراث العربي.

يقول عمر: مات الرسول الأكرم وهو راض عن هؤلاء الستة، وكل هؤلاء من المبشرين بالجنة عند العامة! فكيف به يقول إذا لم يَتَّفقوا فاضرب أعناقهم؟!

فهل هذا أيضاً اجتهاد من عمر! فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر؟!

وكيف يكون النبي الأكرم راضياً عنهم وعمر يأمر بضرب أعناقهم ويقول:

إن اتفق خمسة وأبى واحد (أي عليعليه السلام فهو يعنيه بذلك) فاضرب عنق علي!

وإن اتفق أربعة وأبى اثنان (أي علي والزبير فهو يعنيهما) فاضرب عنقيهما!

وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظروا إلى الثلاثة التي فيها ابن عوف! أي أن ابن عوف هو الحكم والفيصل في هذه الشورى!

والقسمة التي أشرنا إليها سابقاً وأسباب من تنازل عن حقه للآخر قد ذكرناها وحصلت كما كان مُخطَّطاً له من قِبَل عمر!

إذن.. أصبح لدينا ثلاثة فرق: عليعليه السلام وعثمان وابن عوف!

فقال ابن عوف أنا أُخرج نفسي من الخلافة.

يقول ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية:

(ثم تكلم ابن عوف وقام بوضع يده في يد عليعليه السلام) فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيهصلى الله عليه وآله وفعل أبي بكر وعمر؟!

قال: اللهم لا! ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي!

قال: فأرسل يده وقال: قم يا عثمان فأخذ بيده فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيهصلى الله عليه وآله وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم...[1].

ويقول ابن عساكر في تاريخه: عن أبي وائل قال: قلت لعبدالرحمن بن عوف: كيف بايعتُم وتركتم علياً؟

فقال: ما ذنبي! قد بدأت بعلي! فقلت: أبايعك على كتاب الله وسنة رسولهصلى الله عليه وآله وسنة أبي بكر وعمر! قال: فقال: فيم استطعت.

---

(١) المجلد ٤، ج٧، ص١٤٧، خلافة عثمان بن عفان، ط١٩٦٦م، بيروت.

قال: ثم عرضتُها على عثمان فقبلها[1].

ويقول: إن علياً قال لعبدالرحمن... إنك إنما ولّيته لأنه صهرك وليشاورك كل يوم في شأنه[2].

أقول:

إن من شروط بيعة ابن عوف لعلي عليه السلام أن يسير على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الشيخين!

فقال الإمام: على كتاب الله وسنة نبيه واجتهاد رأيي!

أي أنه رفض سيرة الشيخين!

وأقول:

بما أنه قال: كتاب الله وسنة نبيه، ألم يكن هذا الشرط كافياً؟!

فإن كان أبو بكر وعمر قد سَلَكا وسارا على سنة النبي فلا داعي لذكر سيرتيهما، وإن لم يكونا قد سارا على سيرة النبي الأكرم فلا داعي لذكر الشرط الثالث أيضاً، ولكن ابن عوف عَلِم بأن الإمام عليه السلام لن يقبل بذلك الشرط لذا تراه قد جعله من شروط البيعة وذلك كي يُنَحّي ويُبعد علياً عن الخلافة وهذا ما كان مُخطَّطاً له من قِبَل عمر وكان قد أوصى ابن عوف بذلك فيكون عمر قد بَرَّأَ ذِمَّته (أمام الناس) بأنه أَشْرَكَ علياً في الشورى.

قال الطبري:

لم يكن في أهل الإسلام أحد له من المنزلة في الدين والهجرة والسابقة والعقل والعلم والمعرفة بالسياسة ما للستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم.

فإن قيل: كان بعض هؤلاء الستة أفضل من بعض وكان رأي عمر أن الأحق بالخلافة أرضاهم ديناً وأنه لا تَصُح ولاية المفضول مع وجود الفاضل، فالجواب: أنه لو صَرَّح بالأفضل منهم لكان قد نص على استخلافه وهو قصد لا يتقلد العهدة في ذلك فجعلها

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لعلي بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، ج٣٩، ص٢٠٢، عثمان بن عفان، ط١٤١٦ هـ، دار الفكر، بيروت.

(٢) نفس المصدر السابق.

في ستة متقاربين في الفضل لأنه يتحقق أنهم لا يجتمعون على تولية المفضول ولا يألون المسلمين نُصحاً في النظر والشورى وأن المفضول منهم لا يتقدم على الفاضل ولا يتكلم في منزلة وغيره أحق بها منه وعلم رضا الأمة بمن رضي به الستة.

أقول:

جاء في تاريخ الطبري عن بيعة عثمان:

فقال عبدالرحمن إني قد نظرت وشاورت فلا تَجعَلَنَّ أيها الرَّهط على أنفسكم سبيلاً.

ودعا علياً فقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملنَّ بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده.

قال أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي.

ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي قال نعم فبايعه.

فقال علي: حَبَوتَه دهراً، ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك[1].

قال ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة:

عن ابن عباس قال: قال عمر: لا أدري ما أصنع بأمة محمدﷺ وذلك قبل أن يطعن فقلت ولم تهتم وأنت تجد من تستخلفه عليهم قال أصاحبكم؟ يعني علياً قلت نعم هو لها أهل في قرابته من رسول اللهﷺ وصهره وسابقته وبَلائه قال إن فيه بطلة وفكاهة فقلت فأين أنت من طلحة قال فأين الزهو والنخوة قلت عبدالرحمن قال هو رجل صالح على ضعف فيه قلت فسعد قال ذاك صاحب مقنب وقتال لا يقوم بقرية لو حمل أمرها قلت فالزبير قال وعقة لقس مؤمن الرضا كافر الغضب شحيح وأن هذا الأمر لا يصلح إلا لقوي في غير عنف رفيق في غير ضعف وجواد في غير سرف قلت فأين أنت عن عثمان قال لو وليها لَحَمَلَ بني أبي معيط على رقاب الناس ولو فعلها لقتلوه[2].

---

(١) تاريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري، المجلد ٢، ج٤، ص٤٢٧، قصة الشورى، ط١٤٠٧/٢هـ، مؤسسة عز الدين، بيروت.

(٢) ج٣، ص١٧٠، فيما طعن به على عمر من أمر الشورى، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وفيه:

أن عمر قال لأصحاب الشورى:... أما أنت يا طلحة أَفَلَستَ القائل إن قُبِضَ النبي ﷺ أنكح أزواجه من بعده؟! فما جعل الله محمداً أحق ببنات أعمامنا منا! فأنزل الله تعالى فيك ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ الأحزاب/٥٣.

وأما أنت يا زبير فوالله ما لَانَ قلبك يوماً ولا ليلة وما زلت جلفاً جافياً!

وأما أنت يا عثمان فوالله لرؤية خير منك!

وأما أنت يا عبدالرحمن فأنت رجل عاجز تحب قومك جميعاً.

وأما أنت يا سعد فصاحب عصبية وفتنة!

وأما أنت يا علي فوالله لو وُزِن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجحتهم، فقام علي مُوَلِّياً يخرج فقال عمر والله إني لَأَعلَم مكان رجل لو وَلَّيتُمُوه أمركم لحملكم على المَحَجَّة البيضاء، قالوا من هو قال هذا المُوَلِّي من بينكم. قالوا فما يمنعك من ذلك قال ليس إلى ذلك سبيل.

وفي خبر... قال إن وَلَّوهَا الأَجلَح سَلَكَ بهم الطريق[1].

أقول:

لاحظ أن عمر بن الخطاب قد وصف هؤلاء الستة من أهل الشورى الذين اختارهم بنفسه وأظهر عيب كل واحد منهم على حِدَة وبالرغم من تلك العيوب فقد أمر الصحابة أن يجتمعوا ويختاروا الخليفة من بينهم! وكأن العيب يزول حال الاجتماع للشورى والخلافة!

وقد وصف عمر الإمام عليه السلام وقال ما مضمونه فيه دعابة ومزاح وفكاهة! وهذا مخالف لسلوك الإمام عليه السلام، فهذه الكتب والأخبار لم تذكر ذلك فكيف جاز لعمر أن يدعي ذلك وأنها من خصاله عليه السلام؟!

وجاء في كنز العمال:

---

(١) نفس المصدر السابق.

... وإن تستخلفوا علياً وما أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يحملكم من المحجة البيضاء[1].

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر فقد ذكر عمر بأن الإمام علي عليه السلام فيه دعابة![2].

أعيد وأكرر:

أن الشرط الثالث الذي وضعه ابن عوف وقف حجر عثرة أمام الإمام علي عليه السلام وكان قد أعطى ضماناً لعثمان بالخلافة وإلا كان يكفي ابن عوف الشرطان فقط طالما أن أبا بكر وعمر كانا قد سَلَكَا وسارا على كتاب الله وسنة نبيه، فالشرط الثالث مُنتَفٍ بوجود الشرطين الأَوَّلَين أساساً إلا إذا كانا قد خالفا كتاب الله والسنة النبوية! وهذا ما لا يقبله أهل العامة.

أما ما ذكره الأستاذ لاشين في آية الكلالة وذكر قول الأشقاء لعمر (اجعل أبانا حجراً في اليم فنحن نشاركهم في الأم)... إلى آخر ما ذكر.

أقول:

يقول أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام: وقد حكم عمر بن الخطاب في امرأة ماتت عن زوج وأم وأخوين لأمها دون أبيها وأخوين آخرين لأمها وأبيها معاً فقضى في المسألة وأسقط أخويها الشقيقين ولم يحكم لهما بشيء في أول الأمر وفي المرة الثانية حكم أيضاً كما ذكر الزبيدي فجعل الثلث للأخوين لأم ولم يجعل للأخوة للأب والأم شيئاً!!

فقالوا له يا أمير المؤمنين هب أن أبانا كان حماراً فأشركنا بقرابة أمنا فأشرك بينهم فسميت الفريضة[3].

وتعرف أيضاً بالفريضة الحمارية لقوله (هب أن أبانا كان حماراً) كما ذكر أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام مختصراً ذلك في الفصل الثالث (التشريع)[4].

---

(١) للمتقي الهندي، ج١١، ص٦٣٠، حديث ٣٣٠٧٢، فضائل الخلفاء مجتمعة، ط١٣٩٩هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) ج٤٤، ص٤٣٨، عمر بن الخطاب، ط١٤١٧/١هـ، دار الفكر، بيروت.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي المتوفى١٢٠٥هـ، ج٧، ص١٤٩، (شرك) ط١٣٠٦/١هـ، مصر.

(٤) فجر الإسلام، ص٢٣٧، ط١٩٦٩/١٠م، بيروت.

قالوا ذلك لعمر بتلك الصيغة واللهجة الاستنكارية من كثرة مراجعتهم له في ذلك.

وكانوا مصرين على مطلبهم ويرون أنهم على الحق ومن حقهم الشرعي أن يرثوا، إلى أن استسلم عمر وأذعن للحق فأشركهم في الإرث!!

باب السهو في الصلاة

١٧٩.... عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال إن أحدكم إذا قام يصلي جاءه الشيطان فلبس عليه حتى لا يدري كم صلى فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس.

١٨٠.... عن عبدالله بن بحينة قال صلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين من بعض الصلوات ثم قام فلم يجلس فقام الناس معه فلما قضى صلاته ونظرنا تسليمه كبر فسجد سجدتين وهو جالس قبل التسليم ثم سلم.

١٨١.... عن علمقة قال قال عبدالله صلى رسول الله ﷺ قال إبراهيم زاد أو نقص فلما سلم قيل له يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء قال وما ذاك قالوا صليت كذا وكذا قال فثنى رجليه واستقبل القبلة فسجد سجدتين ثم سلم ثم أقبل علينا بوجهه فقال إنه لو حدث في الصلاة شيء أنبأتكم به ولكن إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم ليسجد سجدتين.

١٨٢.... عن علقمة عن عبدالله أن النبي ﷺ صلى الظهر خمساً فلما سلم قيل له أزيد في الصلاة قال وما ذاك قالوا صليت خمساً فسجد سجدتين.

١٨٣.... عن علقمة أنه صلى بهم خمساً.

١٨٤.... عن إبراهيم بن سويد قال صلى بنا علقمة الظهر خمساً فلما سلم قال القوم يا أبا شبل قد صليت خمساً قال كلا ما فعلت قالوا بلى قال وكنت في ناحية القوم وأنا غلام

فقلت بلى قد صليت خمساً قال لي وأنت أيضاً يا أعور تقول ذاك قال قلت نعم قال فانفتل فسجد سجدتين ثم سلم ثم قال قال عبدالله صلى بنا رسول اللهﷺ خمساً فلما انفتل توشوش القوم بينهم فقال ما شأنكم قالوا يا رسول الله هل زيد في الصلاة قال لا قالوا فإنك صليت خمساً فانفتل ثم سجد سجدتين ثم سلم ثم قال إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون وزاد ابن نمير في حديثه فإذا نسي أحدكم فليسجد سجدتين.

١٨٥.... عن عبدالله قال صلى بنا رسول اللهﷺ خمساً فقلنا يا رسول الله أزيد في الصلاة قال وما ذاك قالوا صليت خمساً قال إنما أنا بشر مثلكم أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون ثم سجد سجدتي السهو.

١٨٦.... عن علقمة عن عبدالله قال صلى رسول اللهﷺ فزاد أو نقص قال إبراهيم والوهم مني فقيل يا رسول الله أزيد في الصلاة شيء فقال إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسي أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس ثم تحول رسول اللهﷺ فسجد سجدتين.

١٨٧.... أيوب قال سمعت محمد بن سيرين يقول سمعت أبا هريرة يقول صلى بنا رسول اللهﷺ إحدى صلاتي العشي إما الظهر وإما العصر فسلم في ركعتين ثم أتى جذعاً في قبلة المسجد فاستند إليها مغضباً وفي القوم أبو بكر وعمر فهابا أن يتكلما وخرج سرعان الناس قصرت الصلاة فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت فنظر النبيﷺ يميناً وشمالاً فقال ما يقول ذو اليدين قالوا صدق لم تصل إلا ركعتين فصلى ركعتين وسلم ثم كبر ثم سجد ثم كبر فرفع ثم كبر وسجد ثم كبر ورفع قال وأخبرت عن عمران بن حصين أنه قال وسلم.

١٨٨.... عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد أنه قال سمعت أبا هريرة يقول صلى لنا رسول اللهﷺ صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال أقصرت الصلاة يا رسول الله أم نسيت فقال رسول اللهﷺ كل ذلك لم يكن فقال قد كان بعض ذلك يا رسول الله فأقبل رسول اللهﷺ على الناس فقال أصدق ذو اليدين فقالوا نعم يا رسول الله فأتم رسول اللهﷺ ما بقي من الصلاة ثم سجد سجدتين وهو جالس بعد التسليم.

١٨٩.... حدثنا أبو هريرة أن رسول اللهﷺ صلى ركعتين من صلاة الظهر ثم سلم فأتاه

رجل من بني سليم فقال يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت وساق الحديث.

١٩٠.... عن أبي هريرة قال بينا أنا أصلي مع النبيﷺ صلاة الظهر سلم رسول اللهﷺ من الركعتين فقام رجل من بني سليم واقتص الحديث.

١٩١.... عن عمران بن حصين أن رسول اللهﷺ صلى العصر فسلم في ثلاث ركعات ثم دخل منزله فقام إليه رجل يقال له الخرباق وكان في يديه طول فقال يا رسول الله فذكر له صنيعه وخرج غضبان يجر رداءه حتى انتهى إلى الناس فقال أصدق هذا قالوا نعم فصلى ركعة ثم سلم ثم سجد سجدتين ثم سلم.

وفي رواية البخاري:... عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى النبيﷺ إحدى صلاتي العشي قال محمد وأكثر ظني العصر ركعتين ثم سلم ثم قام إلى خشبة في مُقدَّم المسجد فوضع يده عليها وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فهابا أن يكلماه وخرج سَرَعَان الناس فقالوا أَقَصُرت الصلاة ورجل يدعوه النبيﷺ ذو اليدين فقال أنسيت أم قصرت فقال لم أنس ولم تُقصر قال بلى قد نسيت فصلى ركعتين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه فكبر ثم وضع رأسه فكبر فسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه وكبر[1].

النبي الأكرم كان متأكداً من صلاته وذلك في قوله لذي اليدين (لم أنس ولم تقصر)، ولكنه أخذ بقول ذي اليدين وبتأييد جميع المصلين لذي اليدين، فعمل بقولهم، أي أنه كذب نفسه وصدق هؤلاء الصحابة العدول!

يقول السيد شرف الدين قدس سره: وفيه كيفية سجود السهو، وأنت ترى ما فيه من الوجوه الحاكمة بامتناعه.

أحدها: أن مثل هذا السهو الفاحش لا يكون ممن فرغ للصلاة شيئاً من قلبه أو أقبل عليها بشيء من لبه وإنما يكون من الساهين عن صلاتهم اللاهين عن مناجاتهم وحاشا أنبياء الله من أحوال الغافلين وتقدسوا عن أقوال الجاهلين فإن أنبياء الله عزوجل ولا سيما سيدهم وخاتمهم أفضل مما يظنون على أنه لم يبلغنا مثل هذا السهو عن أحد ولا أظن وقوعه إلا ممن يمثل حال القائل:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب السهو، باب من يكبر في سجدتي السهو.

أصلي فما أدري إذا ما ذكرتها
أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا؟

وأما وسيد النبيين وتقلبه في الساجدين ان مثل هذا السهو لو صدر مني لاستولى علي الحياء وأخذني الخجل واستخف المؤتمون بي وبعبادتي ومثل هذا لا يجوز على أنبياء الله أبداً.

الثاني: أن الحديث قد اشتمل على أن النبيﷺ قال لم أنس ولم تقصر فكيف يمكن أن يكون قد نسي بعد هذا؟ ولو فرضنا عدم وجوب عصمته عن مثل هذا السهو فإن عصمته عن المكابرة والتسرع بالأقوال المخالفة للواقع مما لابد منه عند جميع المسلمين.

الثالث: ان أبا هريرة قد اضطرب في هذا الحديث، وتعارضت أقواله، فتارة يقول صلى بنا إحدى صلاتي العشى أما الظهر وأما العصر ـ على سبيل الشك ـ وأخرى يقول: صلى بنا صلاة العصر ـ على سبيل القطع بأنها العصر ـ وثالثة يقول بينا أنا أصلي مع رسول الله صلاة الظهر ـ على سبيل القطع بأنها الظهر ـ وهذه الروايات كلها ثابتة في صحيح البخاري ومسلم كليهما وقد ارتبك شارحوا الصحيحين ارتباكاً دعاهم إلى التعسف والتكلف كما تكلفوا وتعسفوا في الرد على الزهري إذ جزم بأن ذا اليدين وذا الشمالين واحد لا اثنان....

الرابع: ان ما اشتمل هذا الحديث عليه من قيام النبيﷺ عن مصلاه ووضع يده على الخشبة وخروج سرعان من المسجد وقولهم أقصرت الصلاة وقول ذي اليدين أنسيت أم قصرت وقول النبيﷺ لم أنس ولم تقصر فقال له قد نسيت وقول النبي لأصحابه أحق ما يقول قالوا بلى نعم وغير ذلك مما نقله أبو هريرة[1] لمما يمحو صورة الصلاة بتاتاً والمعلوم من الشريعة المقدسة يقينا بطلان الصلاة بكل ما لصورتها فلا يمكن بعد هذا بناؤهﷺ على الركعتين الأوليتين لأنه يناقض الحكم المقطوع بثبوته عنهﷺ، فتأمل.

---

(١) فإن من جملة ما نقله في روايات أخرى أنهﷺ دخل الحجرة ثم خرج ورجع الناس، وفي رواية أنه استند إلى الجذع قبل اتخاذ المنبر وبذلك جزم بعض الشراح ـ ابن حجر في فتح الباري، ج٣، ص١٢٥، كتاب السهو، باب من يكبر في سجدتي السهو، حديث١٢٢٩، المؤلف.

الخامس: أن ذا اليدين المذكور في الحديث إنما هو ذو الشمالين[1] ابن عبد عمرو حليف بني زهرة وقد استشهد في بدر نص على ذلك إمام بني زهرة وأعرف الناس بحلفائهم محمد بن مسلم الزهري كما في الاستيعاب والإصابة وشروح الصحيحين كافة وهذا هو الذي صرح به الثوري في أصح الروايتين عنه وأبو حنيفة حين تركوا العمل بهذا الحديث...

(ف) الأحاديث كلها صريحة في أن ذا اليدين المذكور في حديث أبي هريرة إنما هو ذو الشمالين ابن عبد عمرو حليف بني زهرة ولا ريب في أن ذا الشمالين المذكور قتل يوم بدر قبل أن يسلم أبو هريرة بأكثر من خمس سنين وأن قاتله أسامة الجشمي نص على ذلك ابن عبدالبر وسائر أهل الأخبار فكيف يمكن أن يجتمع مع أبي هريرة في الصلاة خلف رسول الله ﷺ يا أولي الألباب؟؟

وقد اعتذر بعضهم بأن الصحابي قد يروي ما لا يحضره بأن يسمعه من النبي ﷺ أو من صحابي آخر وعلى هذا لا يكون موت ذي اليدين قبل إسلام أبي هريرة مانعاً من رواية أبي هريرة لهذا الحديث.

لكن هذا الاعتذار غلط محض، لأن دعوى الحضور من أبي هريرة محفوظة ثابتة برواية الثقات الحفظة الأثبات وحسبك في إثباتها ما أخرجه مسلم من صحيحه... عن محمد بن سيرين قال سمعت أبا هريرة يقول صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي إما الظهر وإما العصر وساق الحديث.

وقد ارتبك الإمام الطحاوي في هذه الأحاديث لبنائه على صحتها مع جزمه بما جزم به الإمام الزهري من أن ذا اليدين إنما هو ذو الشمالين حليف بني زهرة المستشهد في بدر قبل إسلام أبي هريرة بأكثر من خمس سنين فلا يمكن اجتماعهما في الصلاة أبداً لذلك اضطر إلى التأويل فحمل كما في ص ٣٢١ من الجزء الثالث من إرشاد الساري في شرح البخاري للقسطلاني[2] قول أبي هريرة في هذه الأحاديث صلى بنا على المجاز وأن المراد صلى بالمسلمين.

---

(١) اسمه عمير ويقال عمرو....

(٢) إرشاد الساري للقسطلاني في كتاب السهو باب إذا سلم في ركعتين، حديث١٢٢٧، المؤلف.

والجواب أنه قد ثبت عن أبي هريرة النص الصريح بحضوره على وجه لا يقبل التأويل أبداً وحسبك ما أخرجه مسلم في باب السهو في الصلاة والسجود له من صحيحه[1] عن أبي هريرة قال بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ صلاة الظهر سلم رسول الله ﷺ من الركعتين وساق الحديث فهل يأتي التجوز فيه؟ كلا بل منينا بقوم لا يتأملون؟؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون[2].

يقول صاحب الاستيعاب في ترجمة ذي الشمالين: واسمه عمير بن عمرو بن نضلة بن سليم، شهد بدراً وقتل يوم بدر شهيداً[3].

قال ابن سعد: ذو اليدين، ويقال ذو الشمالين، واسمه عمير بن عبدعمرو بن نضلة بن سليم بن خزاعة!

ويقول: وكان عمير ذو الشمالين يوم قتل ببدر ابن بضع وثلاثين سنة[4].

نلاحظ من قول القرطبي أن ذا اليدين رجل من (بني سليم) وفي قول ابن سعد عمير (بن سليم)! إذن هو من بني سليم.

ويقول صاحب الاستيعاب أن ذا الشمالين رجل من (خزاعة)، في حين أن ابن سعد أيضاً يقول: عمير بن سليم (بن خزاعة)!

ألا يحق لنا أن نقول أن اللقبين لرجل واحد؟!

وأقول:

إن ذا اليدين والصحابة ومنهم أبو بكر وعمر كما في الرواية كانوا أَشَدَّ خَشيَة في الصلاة من رسولنا الأكرم! وإن الخشوع كان مسلوباً من النبي في تلك الصلاة كما ذكرنا!

---

(١) كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة، المؤلف.

(٢) أبو هريرة للسيد عبدالحسين شرف الدين الموسوي، ص٨٦ـ٩١، سهو النبي عن ركعتين، ط٤، دار التعارف، بيروت.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر القرطبي، ج٢، ص٢٢، ترجمة ٧١٧، وص٥٦، ترجمة ٧٢٥، ط١/١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٦٨، ذو اليدين ويقال ذو الشمالين، ط١٣٧٧هـ، بيروت.

وأخيراً.. قال رسول الله ﷺ: أحب من دنياكم ثلاث... وقرة عيني الصلاة[1].

أقول:

أي صلاة هذه التي ادعيت أنها قرة عينك وأنت مشغول عنها؟!

أي صلاة هذه والصحابة كانوا في حالة الخشوع التام وأنت مشتت الفكر؟!

أنت يا رسول الله بعثك الله لنا معلماً لا متعلماً! أنت يا رسول الله علمتنا كيف نقف بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ فيقتضى منك الخشوع والانتباه لما تنطق به وأنت أعرفنا بالله تعالى من غيرك فما هذا الشرود؟!

ولكن حاشا لرسول الله ﷺ أن يسهو وينسى كم صلى فلو أخطأ فمن الذي يصحح له خطأه ولو صحح له جبرائيل مثلاً فماذا يكون موقفه أمام الصحابة؟! عجباً والله!! فنحن لا ولن نقبل بتصحيح جبريل له فكيف نقبل بتصحيح الصحابة له.

وأخيراً ورد في سنن النسائي، في كتاب البيع، باب التسهيل في ترك الاشهاد على البيع أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي واستتبعه ليقبض ثمن فرسه فأسرع النبي وأبطأ الأعرابي وطفق الرجال يتعرضون للأعرابي فيسومونه بالفرس وهم لا يشعرون أن النبي ابتاعه حتى زاد بعضهم في السوم... فقال ـ النبي ـ أليس قد ابتعته منك؟ قال لا والله ما بعتكه! فقال النبي قد ابتعته منك... إلى أن جاء خزيمة بن ثابت فقال أنا أشهد أنك قد بعته... فقال النبي لم تشهد؟ قال بتصديقك يا رسول الله، فجعل النبي شهادة خزيمة شهادة رجلين.

أيحق لنا أن نقول أن النبي كان قد نسي أنه لم يبتاع الفرس من هذا الأعرابي؟ فمن كان ينسى كم ركعة صلى في الصلاة التي هي عمود الدين والتي هي قرة عينه أيضاً، أليس من المحتمل عليه أن ينسى ما يتعلق ببعض شؤونه اليومية؟!

١٩٢.... عن أبي إسحاق قال سمعت الأسود يحدث عن عبدالله عن النبي ﷺ أنه قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير أن شيخاً أخذ كفاً من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبدالله لقد رأيته بعد قتل كافراً.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج٣، ص١٢٨ و٢٨٥، مسند أنس بن مالك.

قال النووي في شرحه: هذا الشيخ هو أمية بن خلف وقد قتل يوم بدر كافراً ولم يكن أسلم قط.

وأما قوله وسجد من كان معه فمعناه من كان حاضراً قراءته من المسلمين والمشركين والجن والإنس قال ابن عباس ﷺ وغيره حتى شاع أن أهل مكة أسلموا[1].

أقول:

إن النبي الأكرم عندما نزلت عليه آية السجدة التي في سورة النجم سجد هو والمسلمون لأن السجدة فيها واجبة، ولكن نحن نقرأ أن المشركين أيضاً سجدوا معه ونقرأ أيضاً اسم أمية بن خلف في الرواية، هذا الذي كان يحمل العداء للمسلمين عامة وللنبي خاصة!

فلماذا سجد هذا المشرك؟! ولماذا سجد معه بقية المشركين؟! ولماذا لم يوضح النووي ذلك في شرحه؟!

قال الطبري في تفسيره:... أنزل الله ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ فلما انتهى إلى قول الله ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ ألقى الشيطان على لسانه لما كان يُحَدِّث به نفسه ويتمنى أن يأت به قومه (تِلكَ الغَرانيق العُلَى وإن شَفَاعَتَهُنَّ تُرتَضَى)!! فلما سمعت قريش فرحوا وسَرَّهُم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم فأصاخوا له والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاءهم به عن ربهم ولا يتهمونه على خطأ ولا هم ولا زلل، فلما انتهى إلى السجدة منها وختم السورة سجد فيها فسجد المسلمون بسجود نبيهم تصديقاً لما جاء به واتباعاً لأمره وسجد من في المسجد من المشركين من قريش وغيرهم لما سمعوا من ذكر آلهتهم، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة فإنه كان شيخاً كبيراً فلم يستطع فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها ثم تفرق الناس من المسجد وخرجت قريش وقد سَرَّهُم ما سمعوا من ذكر آلهتهم يقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر! وقد زعم فيما يتلو أنها الغرانيق العلى وأن شفاعتهن ترتضى! وبلغت السجدة من بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ وقيل

---

(١) المجلد ٣، ص٥، ص٧٩، ح٥٧٦.

أسلمت قريش فنهضت منهم رجال وتَخَلَّفَ آخرون وأتى جبرائيل النبيﷺ فقال يا محمد ماذا صنعت؟! لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله! وقلت ما لم يقل لك! فحزن رسول اللهﷺ عند ذلك وخاف من الله خوفاً كبيراً! فأنزل الله تبارك وتعالى عليه ﴿كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ يُعَزِّيه ويخفض عليه الأمر، ويخبره أنه لم يكن قبله رسول ولا نبي تَمَنَّى كما تَمَنَّى ولا أحب كما أحب إلا والشيطان قد ألقى في أمنيته كما ألقى على لسانهﷺ! فنسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته[1]!

هذه الرواية مخالفة لصريح قول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ الحجر:٤٢.

فكيف بالرسول الأكرم يمتدح آلهة قريش؟! ألا يدلنا ذلك أن هؤلاء ـ أي أهل العامة ـ ينتقصون من مكانة وشأن النبي الأكرم في رواياتهم؟!

وأمية بن خلف يقول: لقد اعترف محمد بآلهتنا ولأول مرة وافَقَنا في اعتقادنا! لذا تراه سجد مع المسلمين ولو أنه خالفهم في كيفية السجود!

١٩٣.... عن أبي رافع قال رأيت أبا هريرة يسجد في إذا السماء انشقت فقلت تسجد فيها فقال نعم رأيت خليليﷺ يسجد فيها فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه قال شعبة قلت النبيﷺ قال نعم.

يقول (رأيت خليلي) أي النبي الأكرم، ثم لاحظ ما قاله شعبة (قلت النبيﷺ ذكر ذلك) قال أبو هريرة نعم فسؤال شعبة وبهذه الطريقة والكيفية ينم عن شكه في صحة قول الدوسي.

راجع كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور من كتابنا هذا واقرأ ما جاء في الخلة والنبي الأكرم كان أخاً لمن؟!

١٩٤. أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف سمع أبا هريرة يقول أقيمت الصلاة فقمنا فعدلنا الصفوف قبل أن يخرج إلينا رسول اللهﷺ فأتى رسول اللهﷺ حتى إذا قام في مصلاه

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن جرير الطبري، المجلد ٩، ج١٧، ص١٣٢، سورة الحج، ط١٣٩٨هـ، دار المعرفة، بيروت.

قبل أن يكبر ذكر فانصرف وقال لنا مكانكم فلم نزل قياماً ننتظره حتى خرج إلينا وقد اغتسل ينطف رأسه ماءً فكبر فصلى بنا.

١٩٥.... عن أبي هريرة قال أقيمت الصلاة وصف الناس صفوفهم وخرج رسول الله ﷺ فقام مقامه فأومأ إليهم بيده أن مكانكم فخرج وقد اغتسل ورأسه ينطف الماء فصلى بهم.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين:... شاء الله لنبيه ﷺ أن ينسى أنه جنب فيحضر للصلاة ثم يتذكر فيخرج ثم يغتسل ويعود ليعلمهم أن النسيان طبيعة البشر وهو بشر مثلهم وأنه لا حياء في الدين[١].

قبل أن يكبر: أي قبل أن يدخل في الصلاة وقبل أن ينطق بتكبيرة الإحرام تذكر أنه جنب.

فانصرف: من المسجد إلى حجرته ﷺ.

مكانكم: أي الزموا مكانكم.

ينطف رأسه ماءً:... أي يقطر[٢].

نبي الأمة ينسى أنه جنب وينسى أنه لم يغتسل أيضاً!!

يقول القرطبي في شرحه: وفي رواية أخرى قال في أوله فكبر وقال في آخره فلما قضى الصلاة قال إنما أنا بشر وإني كنت جنباً... وقد أشكل هذا الحديث على هذه الرواية على كثير من العلماء ولذلك سلكوا فيه مسالك فمنهم من ذهب إلى ترجيح الرواية الأولى ورأى أنه أصح وأشهر ولم يعرج على هذه الرواية ومنهم من رأى أن كليهما صحيح وأنه لا تعارض بينهما إذ يحتمل أنهما نازلتان في وقتين[٣].

وقد صحح الألباني رواية أبي داود أن رسول الله ﷺ دخل في صلاة الفجر فأومأ بيده أن مكانكم... وفي رواية فكبر وقال في آخره فلما قضى الصلاة قال إنما نا بشر وإني كنت

---

(١) فتح المنعم، ج٣، ص٢٩٧، ح١١١٦٨.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٢٩٨.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأحمد بن عمر القرطبي، ج٢، ص٢٣٩، ح٤٩٧، ط٢/١٤٢٠هـ، دار ابن كثير، دمشق.

جنباً... وفي رواية قال فكبر ثم أومأ بيده إلى القوم أن اجلسوا فذهب فاغتسل وفي رواية أن رسول الله ﷺ كبر في صلاة وفي رواية عن النبي ﷺ أنه كبر ويقول الألباني (صحيح)[1].

وفي حديث أن النبي كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يومئذ تسع نسوة فأرجو أن لا يكون النبي جنباً ونسي أن يغتسل من هذه الحادثة!!

(١) صحيح سنن أبي داود لمحمد ناصر الدين الالباني، ج١، ص٧٠ـ٧١، ح٢٣٣، باب في الجنب يصلي بالقوم وهو ناس، ط١٤٢١/٢هـ مكتبة المعارف، الرياض.

باب استحباب تقديم الظهر في أول الوقت

١٩٦.... عن خباب قال أتينا رسول الله ﷺ فشكونا إليه حر الرمضاء فلم يشكنا قال زهير قلت لأبي إسحاق أفي الظهر قال نعم قلت أفي تعجيلها قال نعم.

١٩٧.... عن أنس بن مالك قال كنا نصلي مع رسول الله ﷺ في شدة الحر فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته من الأرض بسط ثوبه فسجد عليه.

قال النووي في شرحه: (حر الرمضاء) أي الرمل الذي اشتدت حرارته.

(فلم يشكنا) أي لم يزل شكوانا[1].

ويقول:... أنهم طلبوا تأخيراً زائداً على قدر الإبراد لأن الإبراد يؤخر بحيث يحصل للحيطان فيء يمشون فيه ويتناقص الحر[2].

ويقول الأستاذ الدكتور لاشين:... كانت المساجد غير مسقوفة وكان فراشها الرمل لا فرش فوقه فإذا ما تسلطت أشعة الشمس على الرمل في شدة الحر وصلت حرارته إلى درجة لا تحتمل الملامسة بالجبهة بل بالأكف ولهذا شكا بعض الصحابة من هذه المشقة لعله يسمح لهم بتأخير الظهر... مع العصر... لم يستجب رسول الله ﷺ للشكوى وقال لهم بل صلوا الظهر إذا زالت الشمس وتحايلوا على حرارة الرمال ولو بقلب أسفلها أعلاها

---

(١) المجلد ٣، ج٥، ص١٢٥، ح٦١٩ و٦٢٠.

(٢) نفس المصدر السابق، ص١٢٢.

حرصاً على فضل الصلاة أول وقتها فذلك من أفضل أعمال الإسلام[1].

الحاصل أن مسجد النبي الأكرم ظل كما هو وعلى حاله وأرضيته غير مفروشة بالسجاد أو الخوص أو ما أشبه إلى زمن عمر بن الخطاب.

يقول ابن أبي شيبة: أول من ألقى الحصى في مسجد النبيﷺ عمر بن الخطاب كان الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود نفضوا أيديهم فأمر بالحصى فجيء به من الحقيق فبسط في مسجد النبيﷺ[2].

لاحظ أخي الكريم أن الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب لم يفرشوا المسجد بالسجاد مثلاً بل فرشوه بما يجوز السجود عليه، فتأمل.

يقول ابن تيمية في كتابه الفتاوى الكبرى: أما الصلاة على السجادة بحيث يتحرَّى المصلي ذلك فلم تكن هذه سنة السلف من المهاجرين والأنصار ومن بعدهم من التابعين لهم بإحسان على عهد رسول اللهﷺ بل كانوا يصلون في مسجده على الأرض لا يتخذ أحدهم سجادة يختص بالصلاة عليها وقد روي أن عبدالرحمن بن مهدي لما قدم المدينة بسط سجادة فأمر مالك بحبسه فقيل له: إنه عبدالرحمن بن مهدي، فقال: أما علمت أن بسط السجادة في مسجدنا بدعة؟!

ويقول أيضاً: فكان مسجده من جنس الأرض وربما وضعوا فيه الحصى كما في سنن أبي داود.

وفي المسند أيضاً عن جابر قال رسول اللهﷺ: لَأن يمسك أحدكم يده عن الحصاة خير له من مائة ناقة كله سود الحدق.

ويقول: فهذا بيِّن أنهم كانوا يسجدون على التراب والحصى.

ويقول أيضاً: وهذا بين أنهم لم يكونوا يصلون على سجادات بل ولا على حائل.

وفي صحيح مسلم عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول اللهﷺ شدة حر الرمضاء في جباهنا وأكفنا فلم يشكونا... وسبب هذه الشكوى أنهم كانوا يسجدون على

---

(١) فتح المنعم، ج٣، ص٣٢٢، ح١١٢٠٣.

(٢) المصنف لعبدالله بن محمد بن أبي شيبة، المتوفى٢٣٥هـ، ج٧، ص٢٦٢، ح٣٥٨٩٧.

الأرض فتسخن جباههم وأكفهم وطلبوا منه أن يؤخر الصلاة زيادة على ما كان يؤخرها ويبرد بها فلم يفعل.

ويقول: ولا نزاع بين أهل العلم في جواز الصلاة والسجود على المفارش إذا كانت من (جنس الأرض) كالخمرة والحصير ونحوه.

ويقول أيضاً: إن هؤلاء يفترش أحدهم السجادة على مُصلَّيات المسلمين من (الحصر والبسط) ونحو ذلك مما يفرش في المساجد فيزدادون بدعة على بدعتهم، وهذا الأمر لم يفعله أحد من السلف ولم يُنقل عن النبيﷺ ما يكون دليلاً بل يعللون أن هذه الحصر يطؤها عامة الناس...[1].

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ج٢، ص٣٣ و٣٤ و٣٦ و ٣٩ و ٤٤، المسألة السابعة، ط دار المعرفة، بيروت.

باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر

١٩٨.... عن الحكم عن يحيى سمع علياً يقول قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب وهو قاعد على فرضة من فرض الخندق شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غربت الشمس ملأ الله قبورهم وبيوتهم أو قال قبورهم وبطونهم نارا.

١٩٩.... عن مسلم بن صبيح عن شتير بن شكل عن علي قال قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً ثم صلاها بين العشائين بين المغرب والعشاء.

٢٠٠.... عن عبدالله قال حبس المشركون رسول الله ﷺ عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت فقال رسول الله ﷺ شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً أو قال حشا الله أجوافهم وقبورهم نارا.

يقول الأستاد الدكتور لاشين في شرحه: لقد كادت تغرب الشمس في غزوة الخندق ورسول الله ﷺ وأصحابه يراقبون المشركين وتحركاتهم وكان عمر متوضئاً فخطف صلاة العصر والشمس تكاد تغرب ولم يدرك الرسول ﷺ وكثير من أصحابه صلاة العصر وقد غربت الشمس فأعلن أمام أصحابه أسفه وحزنه على فوات وقت الصلاة... ودعا على من كان سبباً في هذا التأخير دعا على المشركين بأن يملأ الله بيوتهم وقلوبهم بنار الفتنة والفرقة والاختلاف وجاء عمر يشكو أنه أدرك صلاة العصر بصعوبة قبل الغروب فقال له ﷺ أنت أدركت ولكني والله ما صليتها بعد وقد غربت الشمس وقام ﷺ فتوضأ وصلى

العصر قضاءً ثم المغرب[1].

أقول:

أنا في الحقيقة لن أتتبع تراجم رواة هذه الروايات ولن أتعب نفسي في ذلك ولكن أقول بما يحكم به العقل ويرضى به، ويتقبله المسلم الواعي صاحب الضمير الحي:

هذا النبي الذي هو خاتم الأنبياء وأفضل الأنبياء والرسل ينسى كم صلى(٢) وينسى بعض آيات القرآن الكريم فيقوم أحد الصحابة بتذكيره بتلك الآيات(٣) وينسى أنه جنب وأنه لم يغتسل(٤) ويخطئ أيضاً في حكمه(٥) وكذلك يجامع أهله بشهوة غيرها والعياذ بالله(٦) وأيضاً بعد البعثة وبعد أن علم أنه نبي هذه الأمة أراد أن ينتحر وأن يلقي بنفسه من الجبل(٧) وهنا أيضاً يتشاغل عن هذه الصلاة، ولو أردنا أن نذكر جميع ما ذكره أهل العامة في القدح في هذا النبي لطال بنا المقام والمقال، ولكن أعود لصلب الموضوع فأقول:

إن هذا النبي القيادي والحاكم للدولة الإسلامية لم يوزع الأدوار على الصحابة بالشكل الصحيح وبمعنى آخر لم يجعل ويضع الرجل المناسب في المكان المناسب!!

فمثلاً أين كان بلال مؤذن النبي الأكرم ذلك الحين ولو كان غائباً من كان يسد مكانه؟! واعلم بأن أشعة الشمس والشمس بعينها ليست على قدر إبرة صغيرة حتى لا ترى سواء أشعتها الباهرة أو قرصها، ثم أين صاحب العريش الذي كان يوجه النبي في كثير من المواطن كما تدعي العامة ذلك[8] ثم أين وأين!!

---

(١) فتح المنعم، ج٣، ص٤٣٤، ح١١٢٢٠.

(٢) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب ما جاء في القبلة.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب نسيان القرآن.

(٤) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب متى يقوم الناس للصلاة.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب القضاء في كثير المال وقليله.

(٦) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه.

(٧) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ من رسول الله ﷺ الوحي.

(٨) منهاج السنة لابن تيمية، المجلد ٢، ج٤، ص١٦٧، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

وكذلك هذا النبي الذي يقول أحببت من دنياكم ثلاث... وقرة عيني الصلاة[1] أي صلاة هذه التي عنيتها يا رسول الله؟! فأنت في كثير من المواطن قد أهملت هذه الصلاة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، فقد صليتها قضاءً بعد أن أشرقت الشمس[2]، وصليت ركعتين بدلاً من الأربع ركعات[3] وفي رواية صليت خمس ركعات[4]!!

أعيد وأقول:

إن جيشاً كهذا الجيش الذي يريد مقابلة العدو المشرك يوم الخندق:

أولاً: إما أنه لا علم له ولا معرفة بالتخطيط الحربي وتوزيع الأدوار على الأفراد بالشكل الصحيح.

ثانياً: وإما أن الخوف والهلع قد أخذ من ذلك الجيش مأخذه أعني بذلك جيش المسلمين!!

وهذا الجيش قد بان عليه الانكسار من أول وهلة كونه كان خائفا ومرتبكاً إلى درجة أنه تشاغل عن عمود دينه وهي الصلاة!! والشواهد على ذلك كثيرة منها: أنه كان مرتبكاً عندما برز المشرك عمرو بن عبدود العامري، حينها قال النبي الأكرم من يبرز لهذا المشرك عمرو وأنا أضمن له الجنة هذه خلاصة قوله فما كان من الصحابة إلا طأطأة الرؤوس خوفاً من هذا الفارس الذي كان يعد بألف فارس وبعد التي واللتيا برز إليه البطل الغالب علي بن أبي طالب وحسمت المعركة بقتله لصالح المسلمين.

وأخيراً وقبل أن أختم أسألك بالله عليك أخي القارئ لماذا خرج النبي لقتال هؤلاء المشركين يوم الأحزاب (الحندق)؟!

أليس من جملة أهدافه ومبادئه إعلاء كلمة لا إله إلا الله؟

أليس من أهدافه ومبادئه إقامة دين الله على الأرض؟

---

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج٣، ص١٢٨ و٢٨٥، مسند أنس بن مالك.

(٢) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الأذان بعد ذهاب الوقت.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد، وكتاب السهو، باب ما جاء في السهو.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة.

أليس من أهدافه ومبادئه إقامة شعائر الدين ومنها الصلاة وهي عمود الدين؟!

فهذا القائد الذي خرج من أجل هذه الأهداف والمبادئ عند ملاقاته المشركين وقبل القتال نسي أهدافه ومبادئه (نسي أن يصلي العصر أو تشاغل عنها)!! فالسؤال هنا هل هذا القائد كان أهلاً للقيادة بالله عليك أخي الكريم، كن منصفاً في إجابتك واحكم بنفسك على نبي أهل العامة!!

ثالثاً: وإما أن نرد هذه الروايات التي تحط من قدر وشأن نبينا الأعظم الذي جاء معلماً وليس متعلماً هذا الذي كان دائماً وأبداً يوصي الصحابة بالحفاظ على وقت الصلاة وكان يكرر بأداء الصلاة في وقتها فكيف به ينسى صلاة العصر ويصليها قضاءً ففاقد الشيء لا يعطيه، فمن كان من عادته النسيان فإنه لن يؤثر قوله في غيره، واعلم أيضاً أن ليس كل ما صح سنده صح متنه.

والشيء بالشيء يذكر:

يقول ابن كثير في تاريخه: ثم دخلت سنة إحدى وستين وهذه صفة مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ مأخوذة من كلام أئمة الشأن لا كما يزعمه أهل التشيع من الكذب الصريح والبهتان:

... ونهضوا إليهم عشية يوم الخميس التاسع من المحرم فقام شمر بن ذي الجوشن فقال أين بنو أختنا فقام إليه العباس وعبدالله وجعفر وعثمان بنو علي بن أبي طالب فقال أنتم آمنون، فقالوا إن أمنتنا وابن رسول الله ﷺ وإلا فلا حاجة لنا بأمانك.

قال: ثم نادى عمر بن سعد في الجيش: يا خيل الله اركبي وأبشري، فركبوا وزحفوا إليهم بعد صلاة العصر من يومئذ، هذا وحسين جالس أمام خيمته محتبياً بسيفه ونعس فخفق برأسه وسمعت أخته زينب الضجة فدنت منه فأيقظته فرجع برأسه كما هو وقال إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي إنك تروح إلينا فلطمت وجهها وقالت يا وليتا فقال ليس لك الويل يا أخية اسكني رحمك الرحمن وقال له أخوه العباس بن علي يا أخي جاءك القوم فقال اذهب إليهم فسلهم ما بدا لهم فذهب إليهم في نحو من عشرين فارساً فقال مالكم فقالوا جاء أمر الأمير إما أن تأتوا على حكمه وإما أن نقاتلكم فقال مكانكم حتى أذهب إلى أبي عبدالله فأعلمه فرجع ووقف أصحابه فجعلوا يتراجعون القول ويؤنب

بعضهم بعضاً يقول اصحاب الحسين بئس القوم أنتم تريدون قتل ذرية نبيكمﷺ وخيار الناس في زمانهم؟! ثم رجع العباس بن علي من عند الحسين إليهم فقال لهم يقول لكم أبو عبدالله انصرفاً عشيتكم هذه حتى ينظر في أمره الليلة.

فقال عمر بن سعد لشمر بن ذي الجوشن ما تقول فقال أنت الأمير والرأي رأيك فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي سبحان الله والله لو سألكم ذلك رجل من الديلم لكان ينبغي إجابته وقال قيس بن الأشعث أجبهم إلى ما سألوك فلعمري ليصبحنك بالقتال غدوة وهكذا جرى الأمر فإن الحسين لما رجع العباس قال له ارجع فارددهم هذه العشية لعلنا نصلي لربنا هذه الليلة وندعوه ونستغفره فقد علم الله مني أني أحب الصلاة له وتلاوة كتابه والاستغفار والدعاء...[1].

لاحظ كيف أن الحسينعليه السلام يطلب من الأعداء الفرصة هذه الليلة فقط لإقامة الصلاة التي هي عمود الدين وأحب ما عنده وهو في هذه الحالة الحرجة وبين فكي العدو غير مبال بعدته وعدده.

وبعد أن اشتد القتال بين الحسين وجيش ابن زياد يقول ابن كثير: ودخل عليهم وقت الظهر فقال الحسين: مروهم فليكفوا عن القتال حتى نصلي، فقال رجل من أهل الكوفة إنها لا تقبل منكم فقال له حبيب بن مظهر ويحك أتقبل منكم الصلاة ولا تقبل من آل رسول اللهﷺ؟! وقاتل حبيب قتالاً شديداً حتى قتلرحمه الله وحمل رأسه إلى ابن زياد.

ثم صلى الحسين بأصحابه الظهر صلاة الخوف ثم اقتتلوا بعدها قتالاً شديداً[2].

لاحظ أخي الكريم صاحب المبادئ والأهداف السامية الحسين بن علي بن أبي طالبعليه السلام وهو في أصعب حالاته وبين سيوف الأعداء لا ينسى ولا ينشغل عن الصلاة وهو من المحافظين على وقت الصلاة وأدائها في وقتها فهل نقول أن الإمام الحسين وأصحابه كانوا أفضل من النبي وأصحابه؟! طبعاً كلا ولن نقبل بذلك لأن النبي الأكرم أفضل من الحسين وأنت أيضاً لن تقبل أن يكون أصحاب الإمام الحسينعليه السلام أفضل من أصحاب رسول الله وذلك لأنك تقول بعدالة الصحابة والصحابي عندك شبه معصوم إن لم

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ج٦، ص٢١٩، ط١/١٤٢١هـ المكتبة العصرية، بيروت.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٢٢٤.

يكن معصوماً!! إذن ما الحل يا أخي الكريم؟ هل نحاول أن نوجه الحديث بأهوائنا كما تفعل العامة ولماذا كل ما في الصحيحين صحيح ولماذا نحجر على عقولنا لماذا لا نرد الحديث برمته ونقول بعصمة النبي الأكرم وأنه يستحيل أن ينسى؟! لماذا لا نقول بصحة كل ما يصدر منه فهو المعصوم لماذا نسلب منه العصمة ونعطيها لبعض أصحابه؟!

٢٠١. حدثنا اسحاق بن إبراهيم الحنظلي أخبرنا يحيى بن آدم حدثنا الفضيل بن مرزوق عن شقيق بن عقبة عن البراء بن عازب قال نزلت هذه الآية ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ وصلاة العصر فقرأناها ما شاء الله ثم نسخها الله فنزلت ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ فقال رجل كان جالساً عند شقيق له هي إذن صلاة العصر فقال البراء قد أخبرتك كيف نزلت وكيف نسخها الله والله أعلم.

من رواة هذه الرواية الفضيل بن مرزوق الرقاشي الكوفي!

قال ابن الجوزي في كتابه االضعفاء والمتروكين: قال يحيى: ضعيف.

وقال الرازي: لا يحتج به، وقال ابن حبان يخطئ على الثقات ويروي عن عطية الموضوعات[1].

وذكره ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال: قال عثمان: فضيل بن مرزوق... ضعيف[2].

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال: فضيل بن مرزوق الرقاشي... ضُعِّف[3].

ويقول المزي في كتابه تهذيب الكمال: قال عبدالرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال:... يكتب حديثه، قلت: يحتج به؟ قال: لا.

ويقول المزي أيضاً: وقال النسائي: ضعيف.

وقال عثمان الدارمي:... ضعيف[4].

---

(١) لعبدالرحمن بن علي بن الجوزي، ج٣، ص٩، ترجمة٢٧٢٦ ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) لعبدالله بن عدي الجرجاني المتوفى٣٦٥هـ، ج٦، ص١٩، ترجمة١٥٦٥، ط١٤٠٩/٣هـ، دار الفكر، بيروت.

(٣) لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ج٣، ص٣٦٣، ترجمة٦٧٧٣، ط دار إحياء الكتب العربية.

(٤) تهذيب الكمال للمزي، ج٢٣، ص٣٠٨+٣٠٩، ترجمة ٤٧٦٩.

وذكره ابن حبان في المجروحين أيضاً وقال: منكر الحديث جداً[1].

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه: وساق مسلم دليلاً آخر على ذلك هو إملاء عائشة لمولاها الآية الكريمة قبل النسخ كما ساق حديث البراء بأنها صلاة العصر كان فيما نزل ثم نسخ[2].

يقول النووي: هكذا هو في الروايات وصلاة العصر بالواو واستدل به بعض أصحابنا على أن الوسطى ليست العصر....

لكن مذهبنا أن القراءة الشاذة لا يحتج بها ولا يكون لها حكم الخبر عن رسول الله ﷺ لأن ناقلها لم ينقلها إلا على أنها قرآن والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر والإجماع وإذا لم يثبت قرآناً لا يثبت خبراً والمسألة مقررة في أصول الفقه وفيها خلاف بيننا وبين أبي حنيفة[3].

أضيف على قول الأستاذ الدكتور وأقول:

إن الصحابة كانوا يقرأون هذه الآية (حافظوا على الصلوات وصلاة العصر) ثم نسخها الله تعالى ونزلت ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ فعلى ضوء قولهم أقول: أين ذهبت آية أو عبارة (وصلاة العصر)؟! فإن كانت هذه الآية قد نسخت فيجب أن نراها في مصحفنا اليوم ونقول بأنها نسخت فما الإشكال في ذلك؟

ولكن هذه الجملة (وصلاة العصر) لا توجد في القرآن فأين ذهبت هذه العبارة يا ترى؟!

إن صح التعبير، نعم.. تأتي آية أخرى وتسمى ناسخ فتزيل وتنسخ الآية السابقة وتسمى منسوخ ولكن من دون أن تحذفها من القرآن، فالقول بنسخ التلاوة باطل ويتبين أيضاً أنه وضع في وقت متأخر لأجل توجيه ما رواه البعض لمصالحهم ومآربهم، فبعد النسخ يرفع الحكم وتبقى التلاوة فنقول بأن القرآن الصحيح هو ما بين الدفتين اليوم لا زيادة فيه ولا نقصان ولا تحريف.

---

(١) كتاب المجروحين لمحمد بن حبان بن أبي حاتم التميمي البستي المتوفى٣٥٤هـ، ج٢، ص٢٠٩، ط ١٤١٢هـ، دار المعرفة، بيروت.

(٢) فتح المنعم، ج٣، ص٣٣٤، ح١٢٢٢.

(٣) المجلد٣، ج٥، ص١٣٦، ح٦٣٠.

٢٠٢.... حدثنا قيس بن أبي حازم قال سمعت جرير بن عبدالله وهو يقول كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها يعني العصر والفجر ثم قرأ جرير ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾.

يقول السيد شرف الدين: أما رؤية الله عَزَّوَجَلَّ بالعين الباصرة فقد أجمع الجمهور على إمكانها في الدنيا والآخرة، وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين والمؤمنات سيرونه يوم القيامة بأبصارهم وإن الكافرين والكافرات لا يرونه أبداً وأكثر هؤلاء على أن الرؤيا لا تقع في الدنيا وربما قال بعضهم بوقوعها أيضاً ثم إن المجسمة من هؤلاء زعموا أنهم سيرونه يوم القيامة باتصال الأشعة من أبصارهم بجسمه ماثلاً أمامهم فينظرون إليه كما ينظر بعضهم إلى بعض لا يمارون فيه كما لا يمارون في الشمس والقمر... وقد خالف هؤلاء حكم العقل والنقل، وخرقوا إجماع الأمة بأسرها وخرجوا عليها ومرقوا من الدين وخالفوا ما علم منه بحكم الضرورة الإسلامية فلا كلام لنا معهم.

وأما غيرهم من الجمهور وهم المنزهون من الأشعرية فقد قالوا بأن الرؤية قوة سيجعلها الله تعالى يوم القيامة بأبصار المؤمنين والمؤمنات خاصة لا تكون باتصال الأشعة ولا بمقابلة المرئي ولا بتحيزه ولا بتكيفه

ولا، ولا فهي على غير الرؤية المعهودة للناس، بل هي رؤية خاصة تقع من أبصار المؤمنين والمؤمنات على الله عَزَّوَجَلَّ لا كيف فيها ولا جهة من الجهات الست.

وهذا محال لا يعقل ولا يمكن أن يتصور متصور إلا اذا اختص الله المؤمنين في الدار الآخرة ببصر آخر لا تكون فيه خواص الأبصار المعهودة في الحياة الدنيا على وجه تكون فيه الرؤية البصرية كالرؤية القلبية وهذا خروج عن محل النزاع في ظاهر الحال، ولعل

النزاع بيننا وبينهم في الواقع ونفس الأمر لفظي[1].

وسوف نذكر لك المزيد في الصفحات القادمة فابق معنا.

(١) أبو هريرة للسيد عبدالحسين شرف الدين، ص٦١ـ٦٢، كلمة في الرؤية.

باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها

٢٠٣.... عن عبدالله بن الصامت عن أبي ذر قال قال لي رسول الله كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها أو يميتون الصلاة عن وقتها قال قلت فما تأمرني قال صل الصلاة لوقتها فإن أدركتها معهم فصل فإنها لك نافلة ولم يذكر خَلَفٌ عن وقتها.

٢٠٤.... عن عبدالله بن الصامت عن أبي ذر قال قال لي رسول اللهﷺ يا أبا ذر إنه سيكون بعدي أمراء يميتون الصلاة فصل الصلاة لوقتها فإن صليت لوقتها كانت لك نافلة وإلا كنت قد أحرزت صلاتك.

قال العثماني في شرحه: (كيف أنت إذا كنت)... أي ما حالك حين ما ترى من هو حاكم عليك متهاوناً في الصلاة يؤخرها عن أول وقتها وأنت غير قادر على مخالفته إن صليت معه فاتتك فضيلة أول الوقت وإن خالفته خفت أذاه وفاتتك فضيلة الجماعة.

(وعليك) خبر كان أي كانت الأمراء مسلطين عليك قاهرين لك.

ويقول العثماني: وفي الحديث إخبار بالغيب وقد وقع في زمن بني أمية فكانت معجزة[1].

ويقول الأستاذ الدكتور لاشين:... ماذا تفعل يا أبا ذر لو أدركك زمن يضيع فيه الأمراء

---

(١) موسوعة الملهم مع التكملة للشيخ شبير أحمد العثماني، ج٤، ص٢٩٠، ح١٤٦٣.

وقت الصلاة فيؤخرونها قال بماذا تأمرني أن أفعل يا رسول الله إذا أدركت هذا الابتلاء قال تصلي الصلاة في أول وقتها منفرداً فإذا أقاموا الصلاة فلا تعرض نفسك لأذاهم ولا تعلن مغاضبتك لهم ولا تقل لهم لا أصلي لأني صليت بل صل معهم مرة ثانية تحسب لك نافلة ولها أجرها[1].

بناء على ما قرأنا نستنتج من ذلك عدة أمور منها أن النبي الأكرم يأمر أباذر ويوصيه أن يستعمل التقية مع الأمراء وذلك حفاظاً على نفسه من أذاهم، أي أن يتقي شرهم.

وجاء في صحيح البخاري:... الزهري يقول دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت[2].

يقول ابن حجر العسقلاني في شرحه:... أي قيل له الصلاة هي شيء مما كان على عهده ﷺ وهي باقية فكيف يصح هذا السلب العام؟

فأجاب بأنهم غيروها أيضاً بأن أخرجوها عن الوقت.

... ثابت البناني قال: كنا مع أنس بن مالك فأخَّر الحجاج الصلاة فقام أنس يريد أن يكلمه فنهاه إخوانه شفقة عليه منه فخرج فركب دابته فقال في مسيره ذلك والله ما أعرف شيئاً مما كنا عليه على عهد النبي ﷺ إلا شهادة أن لا إله إلا الله فقال الرجل فالصلاة يا أبا حمزة! قال: قد جعلتم الظهر عن المغرب أفتلك كانت صلاة رسول الله ﷺ؟!

ويقول: إطلاق أنس محمول على ما شاهده من أمراء الشام والبصرة خاصة[3].

أقول:

إن الذين ضيعوا الصلاة ليسوا أمراء الشام والبصرة فقط كما يدَّعي ابن حجر، بل المسلمون جميعاً ضيعوا الصلاة من جميع جوانبها أعني بذلك تأخيرها عن وقتها، والتغيير في كيفية السجود والركوع والقراءة أيضاً، وجعلوا الخطبة قبل الصلاة، وقد

---

(١) فتح المنعم، ج٣، ص٣٦٤، ح١١٢٥٦.

(٢) كتاب مواقيت الصلاة، باب تضييع الصلاة.

(٣) فتح الباري، ج١، ص١٧ـ١٩، ح٥٣٠.

حدث هذا التغيير في المدينة والكوفة، فاقرأ معي ما جاء في البخاري كتاب الأذان باب إتمام التكبير في السجود:

... عن مُطَرِّف بن عبدالله قال: صليت خلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنا وعمران بن حصين فكان إذا سجد كبر، وإذا رفع رأسه كبر، وإذا نهض من الركعتين كبر، فلما قضى الصلاة أخذ بيدي عمران بن حصين فقال: قد ذكَّرني هذا صلاة محمد صلى الله عليه وآله أو قال: لقد صلى بنا صلاة محمد صلى الله عليه وآله...! قال ابن حجر في شرحه: فقد رواه أحمد من رواية سعيد... بلفظ صلى بنا هذا مثل صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله!

فكيف كانت صلاة الصحابة؟ وكيف كان ركوعهم وسجودهم؟ وهؤلاء كانوا قد صلوا ولمدة طويلة خلف النبي الأكرم، ولهذا لاحظ هذا الصحابي وتذكر صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهل كان الإمام هو الوحيد الذي كان يصلي الصلاة الصحيحة كما أمر الله عز وجل؟!!

ويقول أبو هريرة كما جاء في صحيح البخاري: أنه كان يصلي بهم فيُكبِّر كلما خفض ورفع، فإذا انصرف قال: إني لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وآله[1].

ونحن نعلم أن أبا هريرة كان في المدينة وقوله هذا دليل على أن الصحابة كانوا يصلون خلاف صلاة أبي هريرة والتي هي صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما ادَّعى هذا الدوسي! فكيف كانت صلاة هؤلاء الصحابة؟! وكيف كانت صلاة من كان ساكناً في مدينة الرسول من المسلمين؟!

ألا تسأل نفسك أيها المسلم كيف كان يصلي من كان على دكة الحكم قبل الإمام علي عليه السلام وبعده؟!

وعمران بن حصين هذا يقول قد ذكرني هذا صلاة محمد، أي أن ذلك كان نسياً منسياً حتى تذكر بعد الصلاة خلف الإمام عليه السلام والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: صلوا كما رأيتموني أصلي[2]، فهؤلاء غيروا وبدلوا ومحوا معالم الدين وهذه الصلاة التي هي عمود الدين قد

---

(١) كتاب الأذان، باب إتمام التكبير في الركوع.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.

غيروها فماذا نقول في بقية العبادات والفرائض والسنن.

وفي البخاري أيضاً:... عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فإن كان يريد أن يقطع بعثاً قطعه، أو يأمر بشيء أمر به، ثم ينصرف. قال أبو سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي، فجبذت بثوبه فجبذني، فارتفع فخطب قبل الصلاة فقلت له: غيَّرتم والله، فقال: أبا سعيد قد ذهب ما تعلم، فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة[1].

يقول ابن حجر: قوله: فجبذته بثوبه، أي ليبدأ بالصلاة قبل الخطبة على العادة.

وقوله: فقلت له غيرتم والله... أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان[2].

أقول:

لقد ضيعوا الصلاة وزادوا فيها وغَيَّروا في صلاة العيدين والجمعة، فجعلوا الخطبة قبل الصلاة وحين قال أبو سعيد غَيَّرتُم والله كانت الإجابة الفورية من مروان: (قد ذهب ما تعلم!!) أي دع ثوبي ولا شأن لك في ذلك!

واقرأ معي أخي الكريم في صحيح البخاري أيضاً الحديث الآتي:

... عن ابن عباس قال: شهدت العيد مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكلهم كانوا يصلون قبل الخطبة[3].

أقول:

نحن نأخذ بقول الرسول الأكرم وسنته وما صدر منه من عمل، ولا شأن لنا بسواه،

---

(١) كتاب العيدين، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر.

(٢) فتح الباري، ج٢، ص٥٤٦، ح٩٥٦.

(٣) كتاب العيدين، باب الخطبة بعد العيد.

فبما أن ابن عباس قال: شهدت العيد مع رسول الله ﷺ فهو كاف وشاف.

واعلم أخي الكريم بأن النبي ﷺ يوصي أبا ذر ويأمره بالتقية وأخذ الحيطة من هؤلاء الأمراء حفاظاً على نفسه ولكن أبو ذر لم يفعل ما أمر به النبي الأكرم ولم يطبق ما أوصاه به وهذا التأريخ بين أيدينا يشهد على قولنا.

واعلم أيضاً أخي القارئ الكريم أن من أسباب نفي أبي ذر إلى الربذة أنه لم يطبق أوامر النبي الأكرم أو بمعنى آخر ما أوصاه الرسول بذلك، فلنتصفح التأريخ معاً.

إن عثمان قال: أترون باساً أن نأخذ مالاً من بيت المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه؟

فقال كعب: لا بأس بذلك! فرفع أبو ذر العصى فدفع بها صدر كعب وقال: يا ابن اليهودي ما أجرأك على القول في ديننا! فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لي، غيب وجهك عني فقد آذيتنا[1]!

ومن ثم قام بفضح عثمان حتى سيره إلى الشام، فكتب معاوية إلى عثمان أن أبا ذر تجتمع إليه الجموع ولا آمن أن يفسدهم عليك، فكتب إليه عثمان بحمله على بعير عليه قتب يابس! ومعه خمسة يطيرون به! حتى أتوا به المدينة وقد تسلّخت بواطن أفخاذه!

فقال له عثمان: وار وجهك عني!

فقال: أسير إلى مكة، قال: لا!

قال: إلى البصرة، قال: لا!

ثم قال عثمان: إلى الربذة! فسيَّره إلى الربذة ـ أي أن أبا ذر رجع أعرابياً بعد الهجرة! وهذا ما حرمه الشرع من أن من هاجر من الأعراب أن يعود أعرابياً مرة أخرى[2]!!

---

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٦٣، مسند عثمان بن عفان، وحياة الصحابة لمحمد بن يوسف الكاندهلوي، ج٢، ص١٥٧، رغبة النبي ﷺ وأصحابه على الإنفاق، ومجمع الزوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى٨٠٧هـ، ج١٠، ص٢٣٩، باب في الإنفاق والإمساك.

(٢) مروج الذهب للمسعودي، ج٢، ص٣٥٢، بتصرف.

يقول طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى:

إن عثمان قد كان قبل أن يلي الخلافة سخياً سمحاً معطاءً وكان كثير المال، ضخم التجارة كثير الاكتساب، فكان ماله يسعه ويسع أهله وذوي رحمه.

فلما تولى الخلافة شغلته عن التجارة والاكتساب، ولم يكن له بد من أن ينفق على نفسه وأهله وذوي قرابته بعد الخلافة كما كان ينفق قبلها فكان يرى فيما يظهر أن الخلافة يجب أن لا تغير من سيرته في المال شيئاً، فإذا لم يسعفه ماله الخاص وجب أن تسعفه الأموال العامة[1]!!

هل قرأت كلام طه حسين؟!

يعني بذلك أن يمد عثمان يده على أموال المسلمين من بيت المال، فيأخذ ما يشاء من دون حسيب ولا رقيب!!

يقول ابن العربي في العواصم: وأما نفيه أبا ذر إلى الربذة فلم يفعل كان أبوذر زاهداً وكان يقرع عمال عثمان ويتلو عليهم ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة/٣٤، ويراهم يتسعون في المراكب والملابس حين وجدوا فينكر ذلك عليهم ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم وهو غير لازم.

قال ابن عمر وغيره من الصحابة: إن ما أديت زكاته فليس بكنز فوقع بين أبي ذر ومعاوية كلام بالشام فخرج إلى المدينة فاجتمع إليه الناس فجعل يسلك تلك الطرق فقال له عثمان لو اعتزلت، معناه إنك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس فإن للخلطة شروطاً وللعزلة مثلها ومن كان على طريقة أبي ذر فحاله يقتضي أن ينفرد بنفسه أو يخالط ويسلم لكل أحد حاله مما ليس بحرام في الشريعة، فخرج إلى الربذة زاهداً فاضلاً وترك جلة فضلاء وكل على خير وبركة وفضل وحال أبي ذر أفضل ولا تمكن لجميع الخلق فلو كانوا عليها لهلكوا فسبحان مرتب المنازل[2].

صاحب العواصم يحاول أن يحفظ كرامة عثمان وأبي ذر معاً ولكنه غفل أن جميع

---

(١) ج١، ص١٩١، ط١١/١٩٩٦م، دار المعارف.

(٢) العواصم من القواصم، لمحمد بن عبدالله بن العربي المعافري، ص٧٣ـ٧٥، ط٣/١٣٨٧هـ، المطبعة السلفية.

ما ذكره قد أساء إلى أبي ذر، فهو حاول أن يخفف من لهجة الإساءة ولكنه أساء ولو بالإشارة وكأن ابن العربي يخاطب المسلم الساذج!!

أقول:

إن النبي ﷺ قد حرم التعرب بعد الهجرة، أي أن من هاجر إلى الله ورسوله وسكن المدينة يحرم عليه أن يعود مرة أخرى إلى البادية، وهذا حكم شرعي أصدره النبي الأكرم فاقرأ معي ما ذكره البخاري في صحيحه:

... عن سلمة بن الأكوع أنه دخل على الحَجَّاج فقال يا ابن الأكوع ارتددت على عقبيك تَعَرَّبتَ قال لا ولكن رسول الله ﷺ أَذِنَ لي في البَدْو. وعن يزيد بن أبي عبيد قال لما قُتِلَ عثمان بن عفان خرج سلمة بن الأكوع إلى الربذة وتزوج هناك امرأة وولدت له أولاداً فلم يزل بها حتى قبل أن يموت بليال فنزل المدينة[1].

قال القسطلاني في شرحه: سلمة بن الأكوع السلمي أنه دخل على الحجاج بن يوسف الثقفي لما ولي إمرة الحجاز بعد قتل ابن الزبير سنة أربع وسبعين، فقال له يا ابن الأكوع ارتددت على عقبيك تَعَرَّبت... أي تكلفت في صيرورتك أعرابياً؟ وقوله على عقبيك بلفظ التثنية مجاز عن الارتداد، يريد أنك رجعت في الهجرة التي فعلتها لوجه الله تعالى بخروجك من المدينة فتستحق القتل وكان من رجع بعد الهجرة إلى موضعه بغير عذر يجعلونه كالمرتد.

وأخرج النسائي... لعن الله آكل الربا وموكله... وفيه والمرتد بعد هجرته أعرابياً!

قال بعضهم: وكان ذلك من جفاء الحَجَّاج حين خاطب هذا الصحابي الجليل ﷺ بهذا الخطاب القبيح من قبل أن يستكشف عن عذره وقيل أراد قتله فَبَيَّنَ الجهة التي يريد أن يجعله مستحقاً للقتل بها.

قال ابن الأكوع مجيباً للحجاج: لا لم أسكن البادية رجوعاً عن هجرتي ولكن... رسول الله ﷺ أذن لي في الإقامة في البدو.

... عن سلمة أنه استأذن رسول الله ﷺ في البداوة فَأَذِنَ له.

---

(١) كتاب الفتن، باب التعرب في الفتنة.

لما قُتِلَ عثمان بن عفان... خرج سلمة بن الأكوع ﷺ من المدينة إلى الربذة... موضع البادية بين مكة والمدينة...[1].

بعد قراءتنا لهذه الرواية والشرح تَبَيَّنَ لنا حُرمَة التَّعَرُّب بعد الهجرة.

ولكن سلمة بن الأكوع كان مُحِبّاً للبادية والعيش فيها، حيث الطبيعة هناك وفيها راحة الفكر والبال والبساطة في العيش سواء في المأكل والملبس وما أشبه.

وقد كان هذا الصحابي قد أخذ الإذن من النبي ﷺ للعودة إلى البادية، فأذن له النبي الكريم بذلك، وتعتبر هذه حالة استثنائية.

وأقول:

لما رأى أبو ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه أن عثمان أخذ يُوَلِّي أقاربه ويغدق عليهم أموال المسلمين كمروان بن الحكم الطريد ابن الطريد! وكذلك الحارث بن الحكم بن أبي العاص وأيضاً أعطى الزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله وغيرهم كثير!

فرأى أبو ذر أن من واجبه عدم السكوت عن ذلك فأخذ بفضح عثمان والإنكار عليه حتى قام هذا الأخير بنفيه إلى الشام.

وفي الشام أيضاً لم يهدأ له بال مما رآه من منكرات معاوية، ومن جملة ما كان يقول كان يتلو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة:٣٤.

وكان بينه وبين معاوية بن أبي سفيان الشيء الكثير، وقام بفضح معاوية لأمور أنكرها عليه، فبعث معاوية لعثمان إن أبا ذر قد أفسد علينا الشام، فأمر عثمان بحمله على بعير بلا وطاء.

وكان قد قال له عثمان يوماً ما أكثر أذاك لي ولأصحابي، وذلك بعد أن قال أبو ذر لكعب الأحبار يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا؟!

جاء في مروج الذهب للمسعودي:

... قال له عثمان وارِ عني وجهك، فقال أسير إلى مكة، قال لا والله، قال فتمنعني من

---

(١) إرشاد الساري، ج١٥، ص٤٢، ح٧٠٨٧.

بيت ربي أعبده فيه حتى أموت، قال إي والله قال فإلى الشام قال لا والله، قال البصرة، قال لا والله، قال فاختر غير هذه البلدان، قال لا

والله ما أختار غير ما ذكرت لك ولو تركتني في دار هجرتي ما أردت شيئاً من البلدان فَسَيِّرني حيث شئت من البلاد.

قال فإني مُسَيِّرُكَ إلى الرَبَذَة، قال الله أكبر صَدَقَ رسول اللهﷺ قد أخبرني بكل ما أنا لاقٍ، قال عثمان وما قال لك؟ قال: أخبرني بأني أُمنَع عن مكة والمدينة وأموت بالرَبَذَة ويَتَوَلَّى مواراتي نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز وبعث أبو ذر إلى جمل له فحمل عليه امرأته... ابنته، وأمر عثمان أن يتجافاه الناس حتى يسير إلى الربذة!

فلما طلع إلى المدينة ومروان يسيره عنها طلع عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعه إبناه الحسن والحسين وعقيل أخوه وعبدالله بن جعفر وعمار بن ياسر فاعترض مروان فقال يا علي إن أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره ويُشَيِّعوه فإن كنت لم تَدرِ بذلك فقد أعلمتك! فحمل عليه علي بن أبي طالب بالسوط وضرب بين أُذُنَي راحلته وقال تَنَحَّ نَحاكَ الله إلى النار! ومضى مع أبي ذر فَشَيَّعَه ثم ودعه وانصرف.

فلما أراد علي الإنصراف بكى أبو ذر وقال رحمكم الله أهل البيت وإذا رأيتك يا أبا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول اللهﷺ فشكا مروان إلى عثمان ما فعل علي بن أبي طالب فقال عثمان يا معشر المسلمين من يعذرني من علي رَدَّ رسولي عما وجهته له وفعل كذا...[1].

وجاء في المستدرك على الصحيحين:... قال أبو الدرداء: إنا لله وإنا إليه راجعون لو أن أبا ذر قطع لي عضواً أو يداً ما هَجَنْته بعدما سمعت النبيﷺ يقول: ما أَظَلَّت الخضراء ولا أَقَلَّت الغبراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر[2]!

وخوفاً من أن نطيل على القارئ نحاول أن نختصر، ونقول:

إن النبيﷺ قد حَرَّمَ التَّعَرُّبَ بعد الهجرة، وقرأنا ما قاله الحجاج بن يوسف الثقفي لسلمة بن الأكوع وأراد أن يقتله أيضاً وذلك لأنه ارتد أو أنه كالمرتد عن الإسلام، فكان

---

(١) المجلد١، ج٢، ص٦٣٢، ط١/١٤٠٢هـ، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٢) للحاكم النيسابوري، ج٣، ص٣٤٤، كتاب معرفة الصحابة، محنة أبي ذر رضي الله عنه.

يستحق القتل إثر ذلك.

وسلمة هذا كانت حالته استثنائية حيث إنه هو الذي طلب من النبي الكريم أن يأذن له في التعرب والعيش في البادية، وقد ذكرنا سبب ذلك. وقد استحق القتل على ذلك كما مَرَّ علينا من قول الحجاج.

فماذا نقول فيمن يُجبَر على التعرب كأبي ذر رضوان الله تعالى عليه الذي نفاه عثمان إلى البادية بعد أن أكرمه الله تعالى بالهجرة؟!

فهل النافي وهو عثمان بن عفان الذي يستحق القتل وأنه كالمرتد أم أبو ذر المنفي جبراً وقهراً يستحق القتل؟!

باب الرخصة في التخلف

٢٠٥.... عن ابن شهاب أن محمد بن الربيع الأنصاري حدثه أن عتبان بن مالك وهو من أصحاب النبيﷺ ممن شهد بدراً من الأنصار أنه أتى رسول اللهﷺ فقال يا رسول الله إني قد أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي وإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم ولم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي لهم وددت أنك يا رسول الله تأتي فتصلي في مصلى فأتخذه مصلى قال فقال رسول اللهﷺ سأفعل إن شاء الله قال عتبان فغدا رسول اللهﷺ وأبو بكر الصديق حين ارتفع النهار فاستأذن رسول اللهﷺ فأذنت له فلم يجلس حتى دخل البيت ثم قال أين تحب أن أصلي من بيتك قال فأشرت إلى ناحية من البيت فقام رسول اللهﷺ فكبر فقمنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلم قال وحبسناه على خزير صنعناه له قال فثاب رجال من أهل الدار حولنا حتى اجتمع في البيت رجال ذوو عدد فقال قائل منهم أين مالك بن الدخشن فقال بعضهم ذلك منافق لا يحب الله ورسوله فقال رسول اللهﷺ لا تقل له ذلك ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله قال قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنما نرى وجهه ونصيحته للمنافقين قال فقال رسول اللهﷺ فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله قال ابن شهاب ثم سألت الحصين بن محمد الأنصاري وهو أحد بني سالم وهو من سراتهم عن حديث محمود بن الربيع فصدقه بذلك.

٢٠٦.... محمود بن ربيع عن عتبان بن مالك قال أتيت رسول اللهﷺ وساق الحديث

بمعى حديث يونس غير أنه قال فقال رجل أين مالك بن الدخشن أو الدخيشن وزاد في الحديث قال محمود فحدثت بهذا الحديث نفراً فيهم أبو أيوب الأنصاري فقال ما أظن رسول الله ﷺ قال ما قلت قال فحلفت إن رجعت إلى عتبان أن أسأله قال فرجعت إليه فوجدته شيخاً كبيراً قد ذهب بصره وهو إمام قومه فجلست إلى جنبه فسألته عن هذا الحديث فحدثنيه كما حدثنيه أول مرة قال الزهري ثم نزلت بعد ذلك فرائض وأمور نرى أن الأمر انتهى إليها فمن استطاع أن لا يغتر فلا يغتر.

قال الأستاذ الدكتور لاشين: يحدث عتبان بن مالك الصحابي الجليل الأنصاري الخزرجي الذي شهد بدراً عن ظروف زيارة الرسول ﷺ له في بيته فيقول كنت إمام قومي أنتقل عند كل فريضة إلى مسجد محلتهم فأصلي بهم فرأيت أن بصري جعل يكل ويضعف ويسوء شيئاً فشيئاً حتى أصبحت أتعثر في طريق المسجد وحتى أصبح من العسير علي أن أجتاز الوادي الذي بيني وبين المسجد إذا جاء المطر وسال الوادي ولم يكن مفر من أن أصلي في بيتي بعض الأوقات فأردت أن أعوض ما يفوتني من الصلاة في المسجد بالصلاة في مكان صلى فيه رسول الله ﷺ فأتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله قد أنكرت بصري إذ أصابني فيه ضعف شديد وأنا إمام قومي فإذا كانت الأمطار وسال الوادي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم وودت يا رسول الله أنك تأتيني فتخط لي مكاناً في بيتي فتصلي فيه فاتخذه مصلى فقال رسول اله ﷺ سأفعل إن شاء الله.

ولشدة لهفة عتبان ترقب قدوم رسول الله في اليوم نفسه فلما لم يأت أصبح فأعد طعاماً له ﷺ ولمن عساه يأتي معه وبعث إليه رسولاً يقول له يا رسول الله إن عتبان يحب أن تأتيه فتصلي في منزله فيتخذه مصلى فقام رسول الله ﷺ حين ارتفع النهار بالتوجه إلى بيت عتبان ومعه بعض أصحابه على رأسهم أبو بكر الصديق فلما وصلوا المنزل استأذن رسول الله ﷺ فأذن عتبان له بالدخول فدخل ولم يجلس رسول الله ﷺ بل قال لعتبان أين تحب أن أصلي من بيتك قال عتبان هنا وأشار إلى ناحية من الحجرة فقام رسول الله ﷺ وقام من حضر فصفوا خلفه فصلى بهم ركعتين ثم جلسوا وقام ﷺ يصلي ركعتين أخريين فتناولوا بحديثهم مالك بن الدخشن وهو من قوم عتبان قال قائل منهم أين مالك

بن الدخشن؟ لماذا لم يحضر الصلاة هنا مع رسول الله ﷺ؟ وقال الآخر إنه منافق لا يحب الله ورسوله وقال آخر إنه يجالس المنافقين ويصغي إليهم وقال الرابع ليت رسول الله ﷺ يدعو عليه فيهلك وقال الخامس ليته يصاب بمكروه يحول بينه وبين المنافقين.

كل ذلك ورسول الله ﷺ يسمع فلما قضى صلاته قال لا تقولوا هذا القول في مالك بن الدخشن، أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله قالوا إنه يشهد بلسانه دون قلبه فإنا نراه يتجه بوجهه ونصيحته للمنافقين قال ألا ترونه قد قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال ﷺ لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه النار[1].

أقول:

ألم يكن باستطاعة هذا الصحابي أن يتخذ ويعين له مكاناً لصلاته بنفسه؟!

لماذا كلف على النبي الأكرم المجيء كل هذه المسافة ليعين مكان صلاته ويصلي فيه؟!

ألا يدلنا ذلك أن هذا الصحابي أراد أن يتبرك بالمكان الذي يصلي فيه النبي ويتخذ ذلك الموضع مصلى له؟!

ثم لاحظ أيضاً أن الصحابة أخذوا يكيلون التهم على الصحابي مالك وعلى مرأى ومسمع النبي الأكرم وقد نعتوه بالمنافق فزجرهم النبي وقال أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فعلى ضوء ما جرى بين النبي الأكرم والصحابة من كلام، أقول:

إذن يوجد في الصحابة منافقون، نعم والمنافق لا يخرج من إطار الصحبة، هذا ما نفهمه من الروايات وقول النبي، ومن ادعى أن المنافق تسلب منه الصحبة فقوله مردود.

---

(١) فتح المنعم، ج٣، ص٣٨٣، ح١١٢٨٥.

باب جواز الجماعة في النافلة

٢٠٧.... عن أنس بن مالك أن جدته مليكة دعت رسول اللهﷺ لطعام صنعته فأكل منه ثم قال قوموا فأصلي لكم قال أنس بن مالك فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس فنضحته بماء فقام عليه رسول اللهﷺ وصففت أنا واليتيم وراءه والعجوز من ورائنا فصلى لنا رسول اللهﷺ ركعتين ثم انصرف.

٢٠٨.... عن أنس بن مالك قال كان رسول اللهﷺ أحسن الناس خلقاً فربما تحضر الصلاة وهو في بيتنا فيأمر بالبساط الذي تحته فيكنس ثم ينضح ثم يؤم رسول اللهﷺ ونقوم خلفه فيصلي بنا وكان بساطهم من جريد النخل.

٢٠٩.... عن عبدالله بن شداد قال حدثتني ميمونة زوج النبيﷺ قالت كان رسول اللهﷺ يصلي وأنا حذاءه وربما أصابني ثوبه إذا سجد وكان يصلي على خمرة.

٢١٠.... عن جابر قال حدثنا أبو سعيد الخدري أنه دخل على رسول اللهﷺ فوجده يصلي على حصير يسجد عليه.

راجع كتاب المساجد، باب استحباب تقديم الظهر في أول الوقت، وكذلك كتاب الصلاة، باب الصلاة في ثوب واحد من كتابنا هذا.

باب من أحق بالإمامة

٢١١.... عن أوس بن ضمعج عن أبي مسعود الأنصاري قال قال رسول اللهﷺ يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلما ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه قال الأشج في روايته مكان سلماً سناً.

٢١٢.... عن اسماعيل بن رجاء قال سمعت أوس بن ضمعج يقول سمعت أبا مسعود يقول قال لنا رسول اللهﷺ يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله وأقدمهم قراءة فإن كانت قراءتهم سواء فليؤمهم أقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فليؤمهم أكبرهم سناً ولا تؤمن الرجل في أهله ولا في سلطانه ولا تجلس على تكرمته في بيته إلا أن يأذن لك أو بإذنه.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه فتح المنعم: جعل الشرع الإمامة للصلاة ولاية مؤقتة وجعل لها ثواباً عظيماً فكان لابد من وضع قواعد وأحكام ومواصفات لمن يتولى هذه الإمامة حتى لا يتزاحم عليها المتزاحمون وحتى لا يقتات على المستحقين لها من لا يستحقها من الطامعين، فقالﷺ يؤم القوم أحسنهم قراءة لكتاب الله.. فإن كانوا في درجة القراءة سواء فالأحق بالإمامة أعلمهم بالسنة والأحكام الشرعية فإن كانوا سواء في القراءة والفقه فالأحق أقدمهم في الهجرة السابق بها فإن كانوا سواء في القراءة والفقه والهجرة فالأحق أقدمهم وأسبقهم إسلاماً فإن كانوا سواء في القراءة والفقه والهجرة والإسلام

فالأحق أكبرهم سناً[1].

يدعي أهل العامة أن النبي الأكرم اختار أبا بكر لإمامة المصلين حال مرضه وقبل وفاته فأقول بأن أبا بكر لم يجمع من هذه الشروط كما وردت في هذه الرواية ولا شرطاً واحداً وسوف نفندها واحداً تلو الآخر.

أولاً: لم يكن أبو بكر أقرأ الصحابة، فالروايات التي ذكرها النبي الأعظم لا نجد فيها لأبي بكر موضع قدم.

النبيﷺ يقول: استقرئوا القرآن من أربعة، من عبدالله بن مسعود ـ فبدأ به ـ وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل[2].

ثانياً: أعلمهم بالسنة، قال السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن: ولا أحفظ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلا آثاراً قليلة جداً لا تكاد تجاوز العشرة وأما علي فروى عنه الكثير وقد روى معمر عن وهب بن عبدالله عن أبي الطفيل قال شهدت علياً يخطب وهو يقول سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم نهار أم في سهل أم في جبل[3].

وقال صاحب كتاب فيض القدير: قد علم الأولون والآخرون أن فهم كتاب الله منحصر إلى علم علي...[4].

نعم.. وصاحب هذه العلوم قد أطلق الكلام في كل شيء وذلك في قوله عليه السلام سلوني.

ثالثاً: تقديم الأكبر سناً.

اعلم أن العباس عم النبي الأكرم كان أكبر سناً من أبي بكر، بل وهناك العديد من الصحابة كانوا أكبر سناً من أبي بكر.

---

(١) ج٣، ص٤٠٦، ح١١٣١٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة.

(٣) ج٢، ص٤١٢، في طبقات المفسرين، النوع الثمانون، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي، لمحمد عبدالرؤوف المناوي، ج٣، ص٤٨، ح٢٧٠٥، ط١٣٩١/٢هـ، دار المعرفة، بيروت.

رابعاً: أقدمهم هجرة لا يصح، ولا ينطبق على أبي بكر، ذلك لأنه هاجر مع النبي الأكرم وكان المسلمون قد سبقوهما بفترة طويلة وهذا لا يختلف عليه اثنان.

خامساً: أولهم إسلاماً أو أقدمهم.

نحن نعلم علم اليقين بأن أول الناس إسلاماً هو علي بن أبي طالب عليه السلام لذا وضع أهل العامة روايات فقالوا إن أول من أسلم من الرجال أبو بكر وأول من أسلم من الصبيان علي!!

يجب على المسلم أن يكون فطناً وذكياً ويعرف الأمور بشواهدها وأن لا يكرر ما يسمع ومن دون تحقيق وترو فمهلاً مهلاً، وإليك الشاهد الثاني:

يقول ابن كثير هذا الناصبي الذي تنتفخ أوداجه عند ذكره الإمام علي عليه السلام: وقد ورد في أنه أول من أسلم من هذه الأمة أحاديث كثيرة لا يصح منها شيء[1].

ان ابن كثير يكذب في ادعاءه ذلك، فقد ورد في مسند أحمد بن حنبل وبسند صحيح ولا إشكال فيه ولا عليه:... قال أبو عبدالرحمن وجدت في كتاب أبي بخط يده في هذا الحديث قال أوما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً[2].

رواه أحمد والطبراني وفيه خالد بن طهمان وثقه أبو حاتم وغيره وبقية رجاله ثقات.

الحاصل.. إن أبا بكر قبل أن يصلي بالناس اعترف بنفسه بأنه ليس أهلاً للصلاة وإمامة المسلمين وذلك عندما بعثت إليه عائشة وادعت بأن النبي أمره بالصلاة فقال لعمر تقدم للصلاة فينا أي أنه وجد نفسه ليس كفؤاً لإمامة المصلين، ونضيف إلى أنه لم يكن كفؤاً للإمامة ما ذكرناه في الصفحات السابقة فانتفت مصداقية من ادعى أن النبي الأكرم أمره بالصلاة قبل وفاته وذلك للتناقض الواضح والصريح ما بين الروايات التي نحن بصددها والتي جاء فيها من شروط الإمامة وبين أمر النبي أبا بكر بالصلاة.

---

(١) البداية والنهاية، ج٧، ص٣٣٥، ذكر شيء من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ط١/١٩٦٦م، بيروت.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ج٥، ص٢٦، حديث معقل بن يسار، ومجمع الزوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي، ج٩، ص١٠١، باب مناقب علي بن أبي طالب، باب إسلامه، ط٣/١٤٠٢هـ، بيروت.

باب استحباب القنوت في جميع الصلاة

٢١٣.... سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف أنهما سمعا أبا هريرة يقول كان رسول الله ﷺ يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم يقول وهو قائم اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم كسني يوسف اللهم العن لحيان ورعلاً وذكوان وعصية عصت الله ورسوله ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فهم ظالمون.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه: في السنة الرابعة من الهجرة أرسل رسول الله ﷺ سرية من سبعين قارئاً للقرآن الكريم ليعلموا المسلمين في نجد فعدا عليهم قبائل لحيان ورعل وذكوان وعصية فقتلوهم جميعاً فحزن عليهم رسول الله ﷺ أشد الحزن.

وعلم أن أناساً من قريش أسلموا فحبسهم أهلهم عن الهجرة وعذبوهم ليرجعوا عن دينهم وعرضوهم بالإيذاء إلى الموت فقنت رسول الله ﷺ شهراً يدعو في الصلوات بعد الرفع من الركوع في الركعة الأخيرة يدعو ويجهر ويقول اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين نجهم من أعدائهم أعداء الإسلام كفار مكة اللهم العن بني لحيان وبني ذكوان وبني رعل وبني عصية الذين عصوا الله ورسوله وقتلوا قراء المسلمين وفي نهاية الشهر نزل قوله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ

﴿ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ آل عمران/١٢٨، فترك الأمر لله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وترك الدعاء صلى الله وسلم وبارك عليه...[1].

أقول:

كأن الأستاذ الدكتور أخذ يتهرب من شرح الرواية شرحاً وافياً كعادته ولكن جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحاً يدعو على رعل وذكوان ولحيان وعصية عصت الله ورسوله قال أنس أنزل الله عَزَّوَجَلَّ في الذين قتلوا ببئر معونة قرآناً حتى نسخ بعد (أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه)[2]!

قال العثماني في شرحه: قوله (حتى نسخ بعد) أي نسخت تلاوته بعد ذلك[3].

هذا مسلم في صحيحه يقر ويعترف بأن قرآناً نزل في الذين قتلوا ببئر معونة وادعى بأنه نسخ أو أنه رفع من القرآن وخوفاً من الإطالة نحاول أن نختصر وليكن مسك ختام حديثنا ما ذكره السيد الخوئي قدس سره الشريف في كتابه البيان في تفسير القرآن:

قال: وغير خفي أن القول بنسخ التلاوة هو بعينه القول بالتحريف والإسقاط!

وبيان ذلك: أن نسخ التلاوة هذا إما أن يكون قد وقع من رسول الله ﷺ وإما أن يكون ممن تصدى للزعامة من بعده فإن أراد القائلون بالنسخ وقوعه من رسول الله صلى الله عليه آله وسلم فهو أمر يحتاج إلى الإثبات وقد اتفق العلماء أجمع على عدم جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد وقد صرح بذلك جماعة في كتب الأصول وغيرها بل قطع الشافعي وأكثر أصحابه وأكثر أهل الظاهر بامتناع نسخ الكتاب بالسنة المتواترة وإليه ذهب أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه بل إن جماعة ممن قال بإمكان نسخ الكتاب بالسنة المتواترة منع وقوعه وعلى ذلك فكيف تصح نسبة النسخ إلى النبي ﷺ بإخبار هؤلاء الرواة مع أن نسبة النسخ إلى النبي ﷺ تنافي جملة من الروايات التي تضمنت

---

(١) فتح المنعم لموسى لاشين، ج٣، ص٤١٥، ح١٣١٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة والكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري، ج٢، ص١١٨، ذكر بئر معونة، ط٥/١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) موسوعة الملهم مع التكملة، ج٤، ص٣٥٣، ح١٥٤٣.

أن الإسقاط قد وقع بعده وإن أرادوا أن النسخ قد وقع من الذين تصدوا للزعامة بعد النبي ﷺ فهو عين القول بالتحريف وعلى ذلك فيمكن أن يُدَّعَى أن القول بالتحريف هو مذهب أكثر علماء أهل السنة لأنهم يقولون بجواز نسخ التلاوة[1].

٢١٤.... عن أنس بن مالك قال دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحاً يدعو على رعل وذكوان ولحيان وعصية عصت الله ورسوله قال أنس أنزل الله عَزَّوَجَلَّ في الذين قتلوا ببئر معونة قرآناً قرأناه حتى نسخ بعد أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه.

٢١٥.... عن عاصم قال سمعت أنساً يقول ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على سرية ما وجد على السبعين الذين أصيبوا يوم بئر معونة كانوا يدعون القراء فمكث شهراً يدعو على قتلتهم.

٢١٦.... عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قنت شهراً يلعن رعلاً وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله.

٢١٧.... عن حنظلة بن علي عن خفاف بن إيماء الغفاري قال قال رسول الله ﷺ في صلاة اللهم العن بني لحيان ورعلاً وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله.

٢١٨.... عن الحارث بن خفاف أنه قال قال خفاف بن إيماء ركع رسول الله ﷺ ثم رفع رأسه فقال غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله وعصية عصت الله ورسوله اللهم العن بني لحيان والعن رعلاً وذكوان ثم وقع ساجداً.

راجع ما قبله.

---

(١) البيان في تفسير القرآن للسيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، ص٢٢٤، نسخ التلاوة، ط٣/١٣٩٤هـ.

باب قضاء الصلاة الفائتة

٢١٩.... عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر سار ليله حتى إذا أدركه الكرى عرس وقال لبلال اكلأ لنا الليل فصلى بلال ما قدر له ونام رسول الله ﷺ وأصحابه فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر فغلبت بلالاً عيناه وهو مستند إلى راحلته فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً ففزع رسول الله ﷺ فقال أي بلال فقال بلال أخذ بنفسي الذي أخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله بنفسك قال اقتادوا فاقتادوا رواحلهم شيئاً ثم توضأ رسول الله ﷺ وأمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى بهم الصبح فلما قضى الصلاة قال من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله قال ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ قال يونس وكان ابن شهاب يقرؤها للذكرى.

٢٢٠.... عن أبي هريرة قال عرسنا مع نبي الله ﷺ فلم نستيقظ حتى طلعت الشمس فقال النبي ﷺ ليأخذ كل رجل برأس راحلته فإن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان قال ففعلنا ثم دعا بالماء فتوضأ ثم سجد سجدتين وقال يعقوب ثم صلى سجدتين ثم أقيمت الصلاة فصلى الغداة.

٢٢١.... عن أبي قتادة قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم وتأتون الماء إن شاء الله غداً فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد قال أبو قتادة فبينما رسول الله ﷺ يسير حتى ابهار الليل وأنا إلى جنبه قال فنعس رسول الله ﷺ فمال عن

راحلته فأتيته فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته قال ثم سار حتى تهور الليل مال عن راحلته قال فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته قال ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مال ميلة هي أشد من الميلتين الأوليين حتى كاد ينجفل فأتيته فدعمته فرفع رأسه فقال من هذا قلت أبو قتادة قال متى كان هذا مسيرك مني قلت ما زال هذا مسيري منذ الليلة قال حفظك الله بما حفظت به نبيه ثم قال هل ترانا نخفى على الناس ثم قال هل ترى من أحد قلت هذا راكب ثم قلت هذا راكب آخر حتى اجتمعنا فكنا سبعة ركب قال فمال رسول الله ﷺ عن الطريق فوضع رأسه ثم قال احفظوا علينا صلاتنا فكان أول من استيقظ رسول الله ﷺ والشمس في ظهره قال فقمنا فزعين ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى إذا ارتفعت الشمس نزل ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء قال فتوضأ منها وضوءاً دون وضوء قال وبقي فيها شيء من ماء ثم قال لأبي قتادة احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ ثم أذن بلال بالصلاة فصلى رسول الله ﷺ ركعتين ثم صلى الغداة فصنع كما كان يصنع كل يوم قال وركب رسول الله ﷺ وركبنا معه قال فجعل بعضنا يهمس إلى بعض ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا ثم قال أما لكم فِيَّ أسوة ثم قال أما إنه ليس في النوم تفريط إنما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها فإذا كان الغد فليصلها عند وقتها ثم قال ما ترون الناس صنعوا قال ثم قال

أصبح الناس فقدوا نبيهم فقال أبو بكر وعمر رسول الله ﷺ بعدكم لم يكن ليخلفكم وقال الناس إن رسول الله ﷺ بين أيديكم فإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا قال فانتهينا إلى الناس حين امتد النهار وحمي كل شيء وهم يقولون يا رسول الله هلكنا عطشنا فقال لا هلك عليك ثم قال أطلقوا لي غمري قال ودعا بالميضأة فجعل رسول الله ﷺ يصب وأبو قتادة يسقيهم فلم يعد أن رأى الناس ماءً في الميضأة تكابوا عليها فقال رسول الله ﷺ أحسنوا الملأ كلكم سيروي قال ففعلوا فجعل رسول الله ﷺ يصب وأسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ قال ثم صب رسول الله ﷺ فقال لي اشرب فقلت لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله قال إن ساقي القوم آخرهم شرباً قال فشربت وشرب رسول الله ﷺ قال فأتى الناس الماء جامين رواءً قال فقال عبدالله بن رباح إني لأحدث هذا الحديث في

مسجد الجامع إذ قال عمران بن حصين انظر أيها الفتى كيف تحدث فإني أحد الكرب تلك الليلة قال قلت فأنت أعلم بالحديث فقال ممن أنت قلت من الأنصار قال حدث فأنتم أعلم بحديثكم قال فحدثت القوم فقال عمران لقد شهدت تلك الليلة وما شعرت أن أحداً حفظه كما حفظته.

قال النووي في شرحه: قوله (قفل من غزوة خيبر) أي رجع والقفول الرجوع.

قوله (إذا أدركه الكرى عرس) الكرى بفتح الكاف النعاس وقيل النوم... والتعريس نزول المسافرين آخر الليل للنوم والاستراحة.

قوله (وقال لبلال اكلأنا الليل)... أي ارقبه واحفظه واحرسه.

قوله (مواجه الفجر) أي مستقبله بوجهه.

قوله (ففزع رسول اللهﷺ) أي انتبه وقام.

قوله (فاقتادوا رواحلهم شيئاً) فيه دليل على أن قضاء الفائتة بعذر ليس على الفور وإنما اقتادوها لما ذكره في الرواية الثانية فإن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان[1].

جاء في صحيح البخاري:... عن الزهري قال أخبرني علي بن حسين أن حسين بن علي أخبره أن علي بن أبي طالب أخبره أن رسول اللهﷺ طرقه وفاطمة بنت النبيعليها السلام ليلة فقال ألا صليان؟ فقلت يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إلي شيئاً ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾[2].

يقول ابن حجر:... فعلي بن الحسين المذكور في إسناده هو زين العابدين.

وهذا من أصح الأسانيد، ومن أشرف التراجم الواردة فيمن روى عن أبيه عن جده[3].

لاحظ ابن حجر، وكأنه حصل على مبتغاه! كي يطعن في الإمام عليعليه السلام، وذلك لأن حفيده هو راوي الحديث، وستكون الضربة بالصميم.

---

(١) المجلد ٣، ج٥، ص١٩٠، ح٦٨٠، وما بعده.

(٢) كتاب التهجد، باب تحريض النبيﷺ على صلاة الليل والنوافل.

(٣) فتح الباري، ج٣، ص١٤، ح١١٢٧، ط١/١٤١٩هـ، دار الحديث، القاهرة.

أقول:

عندما طرق النبي الأكرم علياً وفاطمة، وأمرهم بالصلاة وهي صلاة نافلة الليل، فقال علي عليه السلام: يا رسول الله أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا.

أي: يا رسول الله، إن النوم سلطان! هذا باختصار.

فانصرف النبي الأكرم وضرب على فخذه وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

أي أنه لم يكن راضياً من علي في إجابته تلك، وكان قد تضايق من ذلك. هذه مقدمة لما سيأتي.

جاء في البخاري أيضاً كتاب مواقيت الصلاة باب الأذان بعد ذهاب الوقت:

... عن عبدالله بن أبي قتادة عن أبيه قال: سرنا مع النبي صلى الله عليه وآله ليلة فقال بعض القوم لو عرَّست بنا يا رسول الله، قال: أخاف أن تناموا عن الصلاة، قال بلال: أنا أوقظكم، فاضطجعوا وأسند بلال رأسه إلى راحلته، فغلبته عيناه فنام، فاستيقظ النبي صلى الله عليه وآله وقد طلع حاجب الشمس فقال: يا بلال، أين ما قلت؟

قال: ما ألقيت علي نومة مثلها قط، قال: إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء، يا بلال قم فأذن بالناس بالصلاة، فتوضأ فلما ارتفعت الشمس وابياضت قام فصلى.

فأقول لابن حجر وصاحبي الصحيحين:

أولاً: إجابة الرسول الأكرم لبلال عندما قال:

إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردها عليكم حين شاء.

فبالله عليك أخي المسلم، ما الفرق بين هذا القول! وما أجاب به الإمام علي عليه السلام حين قال: يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا.

ثانياً: صلاة الإمام علي عليه السلام كانت نافلة، وأما صلاة الرسول الأكرم، فكانت فرضاً، وهي صلاة الصبح.

ثالثاً: أليس الرسول الأعظم هو القائل عندما سئل أي العمل أحب إلى الله، قال:

الصلاة على وقتها...؟

فهذا الرسول يقول ما لا يفعل! ولا يطبق قوله أيضاً.

رابعاً: جاء في البخاري كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده، وكذلك في كتاب التهجد باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه.

... ذُكر عند النبيﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح، قال: ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه، أو قال في أذنه.

يقول القسطلاني في شرحه للحديث في كتابه إرشاد الساري ج٧، ص٢١١، ح٣٢٧٠، ط دار الفكر، بيروت:

ذاك رجل بال الشيطان... إشارة إلى ثقل النوم، لأن المسامع موارده الانتباه بالأصوات، وخص البول من بين الأخبثين، لأنه مع خبائثه أسهل مدخلاً في تجاويف الخروق والعروق ونفوذه فيها، فيورث الكسل في جميع الأعضاء.

أقول:

فهل بال الشيطان في أذني الرسول الأكرم حتى تثاقل عن القيام لصلاة الصبح المفروضة؟!

هذا بالإضافة لجميع الصحابة الذين بال الشيطان في آذانهم!

باب صلاة المسافرين

٢٢٢.... عن يونس عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبيﷺ قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم أتمها في الحضر فأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى.

٢٢٣.... عن عروة عن عائشة أن الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر قال الزهري فقلت لعروة ما بال عائشة تتم في السفر قال إنها تأولت كما تأول عثمان.

يقول الاستاذ الدكتور لاشين: السفر قطعة من العذاب فيه مشاق كثيرة جثمانية ومشاق كثيرة نفسية ويكفي فيه فراق الأهل والأوطان والأملاك والمعارف ليصبح غريباً عرضة للأخطار.

لهذه المشاق الجسيمة والنفسية خفف الله عن الأمة الإسلامية فأباح للصائم الفطر مع القضاء ورخص للمصلي أن يقصر الصلاة الرباعية ويصليها ركعتين في ثواب أربع ركعات صدقة تصدق الله بها على عباده المسلمين فله الحمد وله الشكر.

... والأحاديث تروى أنهﷺ عند سفره وقبل خروجه من المدينة إلى مكة صلى الظهر

أربعاً ثم خرج فأدركته صلاة العصر عند ذي الحليفة على بعد ستة أميال من المدينة فصلى بالناس العصر ركعتين وفي غزواته ﷺ كان يصلي بالناس قصراً من حين يخرج إلى حين يعود وسار على طريقه خليفته الأول أبو بكر فكان يقصر في أسفاره ثم سار على الطريقة نفسها خليفته الثاني عمر بن الخطاب فكان يقصر في جميع أسفاره ثم سار على الطريقة نفسها الخليفة الثالث عثمان بن عفان ست أو ثماني سنين ثم صلى بالناس بمنى الظهر أو العصر أربعاً ولما كان المستقر في نفوس المسلمين أن القصر أولى إن لم يكن واجباً أخذاً من فعل رسول الله ﷺ وفعل صاحبيه وفعل عثمان في الصدر الأول من خلافته لما كان المستقر في نفوسهم ذلك أخذ يسأل بعضهم بعضاً عن سر إتمام عثمان وحكم هذا الإتمام وزاد الأمر إشكالاً أن عائشة هي الأخرى أتمت الصلاة الرباعية في السفر فأخذ العامة يسألون الخاصة وأصبح الخاصة يتلمسون الأعذار لخليفة المسلمين وأمهم فمن قائل إنه تزوج بمكة فصار من أهلها واعتبر نفسه مقيماً ومن قائل إن له أرضاً بمنى فيعتبر فيها مقيماً ومن قائل إن كثرة الأعراب الذين رافقوه يجهلون فرض الصلاة فأراد أن يبين لهم أن فرضها أربع ومن الناس من ظن أن القصر خاص بمواطن الخوف فنفى عمر ذلك بأنه سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فأجاب بأن القصر في السلم والحرب.

وأخذ الناس يرقبون أفعال علمائهم فرأوا ابن عمر يقصر ولا يصلي نفلاً راتباً فلما سئل قال إن الله خفف على المسافر نصف فرضه فلا يشق على نفسه بالنوافل وكان الصحابة في عهد عثمان يخشون الفتنة، ويخافون الخلاف والفرقة فكان كثير من علمائهم إذا صلى مع عثمان أتم الصلاة معه وإذا صلى وحده قصر صلاته.

وهكذا استقرت الشريعة بإجماع الأمة أن المسافر بشروط معينة له أن يقصر الصلاة الرباعية واثقاً من فضل الله وثوابه وأن أجر الصلاة المقصورة في السفر لا يقل عن أجر الصلاة التامة فيه أو في الحضر...[1].

أقول:

كان عثمان يصلي أربع ركعات في منى خلاف ما كان على عهد النبي الأكرم وعهد أبي بكر وعمر وقد كان المسلمون يصلون في منى ركعتين، على كل حال يقول أهل

(١) فتح المنعم، ج٣، ص٤٤٣، ح١١٣٤٩.

العامة أن عثمان كانت له دار في مكة لذا كان يتم الصلاة.

جاء في البخاري عن عبدالله ﷺ قال صليت مع النبي ﷺ ركعتين ومع أبي بكر ﷺ ركعتين ومع عمر ﷺ ركعتين ثم تفرقت بكم الطرق فياليت حظي من أربع ركعتان متقبلتان(١).

على ضوء ما قرأنا نلاحظ أن عبدالله بن مسعود كان يتمنى من الله عَزَّوَجَلَّ أن يقبل منه ركعتين من هذه الأربع ركعات وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أنه كان في حيرة من أمره أيعقل ذلك هذا الصحابي الجليل ومن أوائل المسلمين الذين أجابوا دعوة النبي الأكرم يكون في حيرة من أمره؟! وفيم هذه الحيرة؟! في الصلاة التي هي عمود الدين!

ومن السبب في حيرة هذا الصحابي؟! نعم.. إنه عثمان وأمثاله الذين جعلوا آراءهم مقابل النص فاجتهدوا مقابل النص النبوي ورفضوا صدقة الله عَزَّوَجَلَّ لخلقه.

قال رسول الله ﷺ (تلك) صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته.

يقول ابن حجر في شرحه: والذي يظهر أنه قال ذلك على سبيل التفويض إلى الله لعدم اطلاعه على الغيب وهل يقبل الله صلاته أم لا فتمنى أن يقبل الله منه الأربع التي يصليها ركعتان ولو لم يقبل الزائد...!

فحاصله أنه قال: إنما تم متابعة لعثمان وليت الله قبل مني ركعتين من الأربع(٢).

جاء في المحلى:... سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه قال اعتل عثمان وهو بمنى فأتى علي فقيل له صل بالناس فقال إن شئتم صليت لكم صلاة رسول الله ﷺ يعني ركعتين قالوا لا إلا صلاة أمير المؤمنين يعنون عثمان أربعاً فأبى عثمان(٣).

أيعقل ذلك أن الصحابة ترفض أن تصلي صلاة رسول الله وتصر على صلاة عثمان بالرغم من أن عثمان قد خالف جميع الصحابة في إتمام الصلاة حال السفر؟!

---

(١) كتاب الحج، باب الصلاة بمنى.

(٢) فتح الباري، ج٣، ص٦٢١، ح١٦٥٧.

(٣) المحلى لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي المتوفى٤٥٦هـ، المجلد٢، ج٤، ص٢٧٠، صلاة المسافر، ٥١٢ ط المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.

... عن عبدالله بن بابيه عن يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب (ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ فقد أمن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته.

راجع ما قبله.

باب قصر الصلاة بمنى

٢٢٤.... عن سالم بن عبدالله عن أبيه عن رسول اللهﷺ أنه صلى صلاة المسافر بمنى وغيره ركعتين وابو بكر وعمر وعثمان ركعتين صدراً من خلافته ثم أتمها أربعاً.

٢٢٥.... عن الأعمش حدثنا إبراهيم قال سمعت عبدالرحمن بن يزيد يقول صلى بنا عثمان بمنى أربع ركعات فقيل ذلك لعبدالله بن مسعود فاسترجع ثم قال صليت مع رسول اللهﷺ بمنى ركعتين وصليت مع أبي بكر الصديق بمنى ركعتين وصليت مع عمر بن الخطاب بمنى ركعتين فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان.

راجع ما قبله.

باب جواز الجمع بين الصلاتين في السفر

٢٢٦.... عن عبيدالله قال أخبرني نافع أن ابن عمر كان إذا جد به السير جمع بين المغرب والعشاء بعد أن يغيب الشفق ويقول إن رسول اللهﷺ كان إذا جد به السير جمع بين المغرب والعشاء.

٢٢٧.... عن سالم عن أبيه رأيت رسول اللهﷺ يجمع بين المغرب والعشاء إذا جد به السير.

٢٢٨.... عن ابن شهاب قال أخبرني سالم بن عبدالله أن أباه قال رأيت رسول اللهﷺ إذا أعجله السير في السفر يؤخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين صلاة العشاء.

قال الأستاذ الدكتور موسى لاشين في شرحه فتح المنعم: الأصل في السفر أن يجمع بين مشقة الرحلة بوسائلها المختلفة ومشقة مفارقة الأهل والأوطان ومشقة جهل المنزل الجديد واحتمالاته ولهذا الأصل أناطت الشريعة الإسلامية الرخص بالسفر رخصة الإفطار في نهار رمضان ورخصة قصر الصلاة الرباعية ورخصة الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء....

وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾[1][2].راجع ما بعده

---

(١) المائدة/٦

(٢) ج٣، ص٤٦٧، ح١١٣٩٥.

باب جواز الجمع بين الصلاتين في الحضر

٢٢٩.... عن ابن عباس قال صلى رسول اللهﷺ الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر.

٢٣٠.... عن ابن عباس قال صلى رسول اللهﷺ الظهر والعصر جميعاً بالمدينة في غير خوف ولا سفر قال أبو الزبير فسألت سعيداً لم فعل ذلك فقال سألت ابن عباس كما سألتني فقال أراد أن لا يحرج أحداً من أمته.

٢٣١.... سعيد بن جبير حدثنا ابن عباس أن رسول اللهﷺ جمع بين الصلاة في سفرة سافرها في غزوة تبوك فجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء قال سعيد فقلت لابن عباس ما حمله على ذلك قال أراد أن لا يحرج أمته.

٢٣٢.... معاذ بن جبل قال جمع رسول اللهﷺ في غزوة تبوك بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء قال فقلت ما حمله على ذلك قال فقال أراد أن لا يحرج أمته.

٢٣٣.... عن عبدالله بن شقيق قال خطبنا ابن عباس يوماً بعد العصر حتى غربت الشمس وبدت النجوم وجعل الناس يقولون الصلاة الصلاة قال فجاءه رجل من بني تميم لا يفتر ولا ينثني الصلاة الصلاة فقال ابن عباس أتعلمني بالسنة لا أم لك ثم قال رأيت رسول اللهﷺ جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء قال عبدالله بن شقيق فحاك في صدري من ذلك شيء فأتيت أبا هريرة فسألته فصدق مقالته.

٢٣٤.... عن عبدالله بن شقيق العقيلي قال قال رجل لابن عباس الصلاة فسكت ثم قال الصلاة فسكت ثم قال الصلاة فسكت ثم قال لا أم لك أتعلمنا بالصلاة وكنا نجمع بين الصلاتين على عهد رسول الله ﷺ.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين: الجمع في الحضر بلا خوف ولا سفر ولا مطر ولا مرض فالمعتمد عند الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة عدم جوازه.

وحكى ابن المنذر عن طائفة جوازه بلا سبب... ويؤيده ظاهر قول ابن عباس أراد أن لا يحرج أمته فلم يعلله بمرض ولا غيره[1].

قال الرازي في تفسيره الكبير: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الإسراء/٧٨.

... اختلف أهل اللغة والمفسرون في معنى دلوك الشمس على قولين: أحدهما أن دلوكها غروبها وهذا القول مروي عن جماعة من الصحابة فنقل الواحدي في البسيط عن علي عليه السلام أنه قال دلوك الشمس غروبها وروى سعيد بن جبير هذا القول عن ابن عباس وهذا القول اختيار الفراء وابن قتيبة من المتأخرين.

والقول الثاني أن دلوك الشمس هو زوالها عن كبد السماء وهو اختيار الأكثرين من الصحابة والتابعين واحتج القائلون بهذا القول على صحته بوجوه:

الحجة الأولى روى الواحدي في البسيط عن جابر أنه قال طعم عندي رسول الله ﷺ وأصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس فقال النبي ﷺ هذا حين دلكت الشمس.

الحجة الثانية روى صاحب الكشاف عن النبي ﷺ أنه قال أتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر.

الحجة الثالثة: قال أهل اللغة معنى الدلوك في كلام العرب الزوال ولذلك قيل الشمس إذا زالت نصف النهار دالكة، وقيل لها إذا أفلت دالكة لأنها في الحالتين زائلة هكذا قاله الزهري.

وقال القفال أصل الدلوك الميل يقال مالت الشمس للزوال ويقال مالت للغروب إذا

---

(١) فتح المنعم، ج٣، ص٤٧٠، ح١١٤٠٣ و١١٤٠٨.

عرفت هذا فنقول وجب أن يكون المراد من الدلوك هاهنا الزوال عن كبد السماء وذلك لأنه تعالى علق إقامة الصلاة بالدلوك والدلوك عبارة عن الميل والزوال فوجب أن يقال إنه أول ما حصل الميل والزوال تعلق به هذا الحكم فلما حصل هذا المعنى حال ميلها من كبد السماء وجب أن يتعلق به وجوب الصلاة وذلك يدل على أن المراد من الدلوك في هذه الآية ميلها عن كبد السماء وهذه حجة قوية في هذا الباب استنبطتها بناء على ما اتفق عليه أهل اللغة أن الدلوك عبارة عن الميل والزوال والله أعلم.

الحجة الرابعة: قال الأزهري الأولى حمل الدلوك على الزوال في نصف النهار والمعنى ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي أدمها من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل وعلى هذا التقدير فيدخل فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم قال ﴿قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ فإذا حملنا الدلوك على الزوال دخلت الصلوات الخمس في هذه الآية وإن حملناه على الغروب لم يدخل فيه إلا ثلاث صلوات وهي المغرب والعشاء والفجر وحمل كلام الله تعالى على ما يكون أكثر فائدة أولى فوجب أن يكون المراد من الدلوك الزوال.

... قال الواحدي: اللام في قوله لدلوك الشمس لام الأجل والسبب وذلك لأن الصلاة إنما تجب بزوال الشمس فيجب على المصلي إقامتها لأجل دلوك الشمس.

... قوله ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ غسق الليل سواده وظلمته، قال الكسائي: غسق الليل غسوقاً والغسق الإسم بفتح السين وقال النضر بن شميل غسق الليل دخول أوله....

وأما قول المفسرين، سأل نافع بن الأزرق ابن عباس ما الغسق قال دخول الليل بظلمته وقال الأزهري غسق الليل عند غيبوبة الشفق عند تراكم الظلمة واشتدادها يقال غسقت العين إذا امتلأت دمعاً وغسقت الجراحة إذا امتلأت دماً قال لأنا لو حملنا الغسق على هذا المعنى دخلت الصلوات الأربع فيه وهي الظهر والعصر والمغرب والعشاء ولو حملنا الغسق على ظهور أول الظلمة لم يدخل فيه إلا الظهر والمغرب فوجب أن يكون الأول أولى واعلم أنه يتفرع على هذين القولين بحث شريف فإن فسرنا الغسق بظهور أول الظلمة كان الغسق عبارة عن أول المغرب وعلى هذا التقدير يكون المذكور في الآية ثلاثة أوقات وقت الزوال ووقت أول المغرب ووقت الفجر وهذا يقتضي أن يكون الزوال وقتاً للظهر والعصر فيكون هذا الوقت مشتركاً بين هاتين الصلاتين وأن يكون أول

المغرب وقتاً للمغرب والعشاء فيكون هذا الوقت مشتركاً أيضاً بين هاتين الصلاتين فهذا يقتضي جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقاً....

قوله ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ أجمعوا على أن المراد منه صلاة الصبح وانتصابه بالعطف على الصلاة في قوله أقم الصلاة والتقدير أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر وفيه فوائد:

الأولى: أن هذه الآية تدل على أن الصلاة لا تتم إلا بالقراءة.

الفائدة الثانية: أنه تعالى أضاف القرآن إلى الفجر والتقدير أقم قرآن الفجر فوجب أن تتعلق القراءة بحصول الفجر وفي أول طلوع الصبح قد حصل الفجر لأن الفجر سمي فجراً لانفجار ظلمة الليل عن نور الصباح[1].

والذي يقوي الجمع مطلقاً قول ابن عباس أراد أن لا يحرج أمته وفي قول صلى الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر وفي قول من غير خوف ولا مطر.

وسوف نذكر بعض مصادر أهل العامة ومن ذكر الجمع مطلقاً في الحضر.

ففي مسند أحمد بن حنبل عن عبدالله بن شقيق قال خطبنا ابن عباس يوماً العصر حتى غربت الشمس وبدت النجوم وعلق الناس ينادونه الصلاة وفي القوم رجل من بني تميم فجعل يقول الصلاة الصلاة قال فغضب قال أتعلمني بالسنة شهدت رسول الله ﷺ جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء قال عبدالله فوجدت في نفسي من ذلك شيئاً فلقيت أبا هريرة فسألته فوافقه[2].

وفي الموطأ لمالك بشرح الزرقاني: عن ابن عباس أنه قال صلى رسول الله ﷺ الظهر والعصر والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر قال مالك أُرى ذلك كان في مطر[3].

---

(١) تهذيب التفسير الكبير لفخر الدين الرازي (حسين بركة الشامي)، ج٤، ص٤٨٦، ط١٤١٨/١هـ، مؤسسة دار الإسلام.

(٢) ج١، ص٢٥١، مسند عبدالله بن العباس، ط دار الفكر العربي، بيروت.

(٣) شرح الزرقاني على موطأ مالك لمحمد بن عبدالباقي الزرقاني المتوفى ١١٢٢هـ، ج١، ص٤١٢، ح٣٢٨، كتاب قصر الصلاة، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر والسفر، ط١٤٢٥هـ، المطبعة العصرية، بيروت.

يقول الزرقاني في شرحه قال مالك أُرى بضم الهمزة أي أظن ذلك كان في مطر ووافقه على ظنه جماعة من أهل المدينة وغيرها منهم الشافعي[1].

أقول:

لاحظ هؤلاء كيف يريدون أن يأخذوا معالم دينهم من شخص يقول أظن أي أنهم يتعاملون مع الظن، الصلاة عمود الدين والتعامل معها بالظن والرأي!!

وأضيف أيضاً:

جاء في صحيح مسلم عن ابن عباس بلفظ من غير خوف ولا مطر، راجع كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الجمع بين الصلاتين في الحضر.

فماذا يقول أهل العامة وعلى رأسهم صاحب الموطأ؟

قالوا كما جاء في الشرح المذكور... أن المراد ولا مطر كثير أو ولا مطر مستدام[2]!

لاحظ أخي الكريم يريد أهل العامة أن يختلقوا الإشكال جبراً وقهراً، أقول: ما هو دليلكم على أن المطر لم يكن كثيراً و متواصلاً؟

أليس من الأفضل أن تقولوا كما في أيامنا هذه أن نقطة المطر أو كميتها لم تكن بالقياس الذي يجعل الجمع بين الصلاتين في الحضر وذلك لأن الكمية كانت ٢٪ مثلاً نعم لم يبق إلا أن تقترحوا ذلك هكذا.

وفي سنن البيهقي عن ابن عباس قال جمع رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا مطر قيل له فماذا أراد بذلك قال أراد أن لا يحرج أمته[3].

يقول السيد شرف الدين قدس سره: هذه الصحاح صريحة في أن العلة في تشريع الجمع إنما هي التوسعة بقول مطلق على الأمة وعدم إحراجها بسبب التفريق رأفة بأهل

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) السنن الكبرى لأحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى٤٥٨هـ، ج٤، ص٣٨١، ح٥٦٥١، كتاب الصلاة، باب الجمع في المطر بين الصلاتين، ط١/١٤١٦هـ، دار الفكر، بيروت.

الأشغال وهم أكثر الناس...[1].

وبالجملة فإن علماء الجمهور كافة ممن يقول بجواز الجمع وممن لا يقول به متصافون على صحة هذه الأحاديث وظهورها فيما نقول من الجواز مطلقاً.

ويقول: حسبك ما نقله النووي عنهم في تعليقه على هذه الأحاديث من شرحه لصحيح مسلم إذ قال: بعد اعتبارها ظاهرة في الجمع حضراً: وللعلماء فيها تأويلات ومذاهب فمنهم من تأولها على أنه جمع لعذر المطر قال وهذا مشهور عن جماعة من كبار المتقدمين وقال وهو ضعيف... عن ابن عباس من غير خوف ولا مطر قال ومنهم من تأولها على أنه كان في غيم فصلى الظهر ثم انكشف الغيم وظهر أن وقت العصر دخل فصلاها فيه قال وهذا أيضاً باطل لأنه إن كان فيه أدنى احتمال في الظهر والعصر فلا احتمال فيه في المغرب والعشاء قال ومنهم من تأولها على تأخير الأولى إلى آخر وقتها فصلاها فيه فلما فرغ منها دخل وقت العصر فصلاها فيه فصار جمعه للصلاتين صوريا قال وهذا ضعيف أيضاً أو باطل لأنه مخالف للظاهر مخالفة لا تحتمل قال وفعل ابن عباس حين خطب فناداه الناس الصلاة الصلاة وعدم مبالاته بهم واستدلاله بالحديث لتصويب فعله بتأخيره صلاة المغرب إلى وقت العشاء جمعهما جميعاً في وقت الثانية وتصديق أبي هريرة له وعدم إنكاره صريح في رد هذا التأويل.

قلت: ورده ابن عبدالبر والخطابي وغيرهما بأن الجمع رخصة فلو كان صوريا لكان أعظم ضيقاً من الإتيان بكل صلاة في وقتها لأن أوائل الأوقات وأواخرها مما لا يدركه أكثر الخاصة فضلاً عن العامة.

قالوا: ومن الدليل على أن الجمع رخصة قول ابن عباس أراد أن لا يحرج أمته.

قالوا: وأيضاً فصريح أخبار الجمع بين الفريضتين إنما هو بأدائهما معاً في وقت احداهما دون الأخرى اما بتقديم الثانية على وقتها وأدائها مع الأولى في وقتها أو بتأخير الأولى عن وقتها إلى وقت الثانية وأدائهما وقتئذ معاً.

قالوا: وهذا هو المتبادر إلى الفهم من إطلاق لفظ الجمع في السنن كلها وهذا هو

---

(١) مسائل فقهية للسيد عبدالحسين شرف الدين الموسوي، ص١٣، ط٢/١٣٩٧هـ، دار الزهراء، بيروت.

محل النزاع.

قال النووي ومنهم من تأولها فحملها على الجمع لعذر المرض أو نحوه مما هو في معناه.

قال: وهذا قول أحمد بن حنبل والقاضي حسين من أصحابنا واختاره الخطابي والمتولي والروياني من أصحابنا وهو المختار في تأويلها لظاهر الأحاديث.

... وقيل إن الجمع كان للمرض وقواه النووي وفيه نظر لأنه لو جمع للمرض لما صلى معه إلا من به المرض، والظاهر أنه ﷺ جمع بأصحابه وبه صرح ابن عباس في رواية ثابتة عنه، انتهى.

قلت: ولما لم يكن لصحاح الجمع تأويل يقبله العلماء رجع قوم من الجمهور إلى رأينا في المسألة تقريباً من حيث لا يقصدون، وقد ذكرهم النووي بعد أن زيف التأولات بما سمعت، فقال: وذهب جماعة من الأئمة إلى جواز الجمع في الحضر للحاجة لمن لا يتخذه عادة وهو قول ابن سيرين واشهب من أصحاب مالك وحكاه الخطابي عن القفال الشاشي الكبير من أصحاب الشافعي وعن أبي إسحاق المروزي وعن جماعة من أصحاب الحديث واختاره ابن المنذر.

قال: ويؤيده ظاهر قول ابن عباس أراد أن لا يحرج أمته إذ لم يعلله بمرض ولا غيره والله أعلم هذا كلامه وبه صرح غير واحد من أعلامهم.

ولعل المحققين منهم في هذا العصر على رأينا كما شافهني به غير واحد منهم، غير أنهم لا يجرأون على مبادهة العامة بذلك، وربما يمنعهم الاحتياط فإن التفريق بين الصلوات مما لا خلاف فيه وهو أفضل بخلاف الجمع، لكن فاتهم أن التفريق قد أدى بكثير من أهل الأشغال إلى ترك الصلاة كما شاهدناه عياناً بخلاف الجمع فإنه أقرب إلى المحافظة على أدائها، وبهذا يكون الأحوط للفقهاء أن يفتوا العامة بالجمع وأن ييسروا ولا يعسروا • يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ـ وما جعل عليكم في الدين من حرج، والدليل على جواز الجمع مطلقاً موجود والحمد لله سنة صحيحة صريحة كما سمعت بل كتاباً محكماً مبيناً ألا تصغون لا تلو عليكم من محكماته ما يتجلى به أن أوقات الصلوات المفروضة ثلاثة فقط، وقت لفريضتي الظهر والعصر مشتركاً بينهما

ووقت لفريضتي المغرب والعشاء على الاشتراك بينهما أيضاً وثالث لفريضة الصبح خاصة، فاستمعوا له وأنصتوا ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾...[1].

(١) نفس المصدر السابق، ص١٥ـ٢٠.

باب استحباب صلاة الضحى

٢٣٥. وحدثني حرملة بن يحيى ومحمد بن سلمة المرادي قال أخبرنا عبدالله بن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال حدثني ابن عبدالله بن الحارث أن أباه عبدالله بن الحارث بن نوفل قال سألت وحرت على أن أجد أحداً من الناس يخبرني أن رسول الله ﷺ سبح سبحة الضحى فلم أجد أحداً يحدثني ذلك غير أن أم هانئ بنت أبي طالب أخبرتني أن رسول الله ﷺ أتى بعد ما ارتفع النهار يوم الفتح فأتي بثوب فستر عليه فاغتسل ثم قام فركع ثماني ركعات لا أدري أقيامه فيها أطول أم ركوعه أم سجوده كل ذلك منه متقارب قالت فلم أره سبحها قبل ولا بعد قال المرادي عن يونس ولم يقل أخبرني.

٢٣٦. حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن أبي النضر أن أبا مرة مولى أم هانئ بنت أبي طالب أخبره أنه سمع أم هانئ بنت أبي طالب تقول ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب قالت فسلمت فقال من هذه قلت أم هانئ بنت أبي طالب قال مرحباً بأم هانئ فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفاً في ثوب واحد فلما انصرف قلت يا رسول الله زعم ابن أمي علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلاً أجرته فلان ابن هبيرة فقال رسول الله ﷺ قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ قالت أم هانئ وذلك ضحى.

ورد في صحيح البخاري:... عن أبي حازم سمع سهل بن سعد الساعدي وسأله الناس

وما بيني وبينه أحد بأي شيء دووي جرح النبيﷺ؟ فقال: ما قي أحد أعلم به مني، كان علي يجيئ بترسه فيه ماء وفاطمة تغسل عن وجهه الدم فأخذ حصير فأُحرق فحُشي به جُرحه[1].

نستنتج من ذلك أن الرسول الأكرم بعد عودته من أي غزوة أو سفر فإن أول بيت يدخله هو بيت ابنته فاطمةعليها السلام، وإذا أراد الخروج للسفر أو لمعركة ما يكون هذا البيت آخر بيت يودِّعه.

ومن خلال قراءتك للأحاديث القادمة سترى صدق قولنا في ذلك وأن فاطمةعليها السلام هي التي كانت تقوم بجميع شؤون أبيها وكانت هي المهتمة بجميع أموره وكان من زوجاته من شغلتها المرآة والمكحلة عن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، فاقرأ معي الحديث الذي يرويه أبو هريرة:

قالت عائشة لأبي هريرة: إنك لتحدث عن النبيﷺ حديثاً ما سمعته منه، فقال أبو هريرة: يا أمّه! طلبتها وشغلك عنها المرآة والمكحلة وما كان يشغلني عنها شيء[2].

يقول الطبري: كان رسول اللهﷺ إذا سافر آخر عهده إتيان فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمةعليها السلام[3].

الحاصل لماذا ليست إحدى زوجات النبي تستره فهل كن مشغولات عن النبي الأكرم وهل كان أبو هريرة صادقاً فيما قاله لعائشة؟!

---

(١) كتاب الوضوء، باب غسل المرأة أباها الدم عن وجهه.

(٢) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد الواقدي، ج٢، ص٢٤، أبو هريرة، ط دار الفكر.

(٣) ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري، ص٣٧، ط١٤٠١هـ، بيروت.

باب الترغيب في الدعاء

٢٣٧.... عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له.

٢٣٨.... عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر.

٢٣٩.... عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل يُعطى هل من داع يُستجاب له هل من مستغفر يُغفر له حتى ينفجر الصبح.

٢٤٠.... سعد بن سعيد قال أخبرني ابن مرجانة قال سعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ ينزل الله في السماء الدنيا لشطر الليل أو لثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له أو يسألني فأعطيه ثم يقول من يقرض غير عديم ولا ظلوم قال مسلم ابن مرجانة هو سعيد بن عبدالله ومرجانة أمه.

٢٤١.... عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا قال رسول الله ﷺ إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول نزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من مستغفر هل من تائب هل من سائل هل

من داع حتى ينفجر الفجر.

واقرأ معي أخي الكريم ما جاء في صحيح البخاري:... عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له[1].

قام ابن تيمية على منبر الجامع الأموي في دمشق يوم الجمعة خطيباً فقال:

(إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا! ونزل درجة من درج المنبر) يريهم نزول الله تعالى نزولاً حقيقياً بكل ما للنزول من لوازم، كالحركة والانتقال من العالي إلى السافل!

فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء، وأنكر عليه ما قال. فقامت العامة إلى هذا الفقيه، وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً، فسقطت عمامته...[2]!

قال ابن حجر في شرحه:... اختلف في معنى النزول، فمنهم من حمله على ظاهره... ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك... ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمناً... ومنهم من أفرط في التأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من التحريف!! وقال البيهقي: وأسلمها الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد[3]!

أي أنهم يجعلونك متحيراً في أمرك، فلا هم شرحوا الروايات ولا هم نفوا ذلك عن ذات الله عَزَّوَجَلَّ!

أقول:

بما أن هذا الرب ينزل فلابد له من الصعود! وإذا نزل خلا المكان منه! وإذا صعد كذلك!

وفي الحديث ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا!

إذن فإن هذا الرب ـ أي رب العامة ـ لن يصعد أبداً! وذلك لأن اليوم بأكمله ليل!

---

(١) كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل.

(٢) كتاب رحلة ابن بطوطة، لمحمد بن إبراهيم اللواتي، المتوفى٧٧٩هـ، ص٩٥، حكاية الفقيه ذي اللوثة، ط دار صادر، بيروت.

(٣) فتح الباري، ج٣، ص٣٨، ح١١٤٥.

كيف ذلك؟

عندما يكون في المشرق ليلاً فإنه يكون في المغرب ـ أعني بذلك مثلاً في الولايات المتحدة ـ نهاراً وهكذا العكس، إذا كان عندهم ليل فعندنا نهار. فلن يرى هذا الرب متسعاً من الوقت للصعود!

وأقول:

إن الحاكم الذي يحكم بلداً ما إذا أراد أن يعلم بأمر رعيته مثلاً، فإن له من الوزراء والوكلاء والخدم والحشم، فإنه سوف يقوم بإرسال أحد هؤلاء ليستطلع الأمر الذي يريده.

وكذلك الوزير في وزارته، فإن له من الوكلاء الذين يُطلعونه أولاً بأول على كل حدث وأمر.

فاقرأ معي هذا الحديث الذي يرويه أبو هريرة الدوسي، والذي يناقض نفسه بنفسه!

يقول البخاري في كتاب الزكاة باب قول الله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً.

فاحكم بنفسك هل هذا الرب العظيم ينزل بنفسه كل ليلة؟!

أم يبعث هؤلاء الذين خلقهم من أجل ذلك؟!

أيهما يتقبله عقلك؟! نزول الرب أم الملكين؟!

باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح

٢٤٢.... عن عروة عن عائشة أن رسول الله ﷺ صلى في المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته ناس ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فلما أصبح قال قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم قال وذلك في رمضان.

٢٤٣.... عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ خرج من جوف الليل فصلى في المسجد فصلى رجال بصلاته فأصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع أكثر منهم فخرج رسول الله ﷺ في الليلة الثانية فصلوا بصلاته فأصبح الناس يذكرون ذلك فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فطفق رجال منهم يقولون الصلاة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ حتى خرج لصلاة الفجر فلما قضى الفجر أقبل على الناس ثم تشهد فقال أما بعد فإنه لم يخف علي شأنكم الليلة ولكني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها.

قال العثماني في شرحه: قوله (فصلى بصلاته ناس) فيه جواز الاقتداء بمن لم ينو إمامته وهذا صحيح على المشهور من مذهبنا ومذهب العلماء، قال النووي: قاله النووي.

قال الحافظ وفيه نظر لأن نفي النية لم ينقل ولا يطلع عليه بالظن.

قوله (فلم يخرج إليهم) وفي حديث زيد ففقدوا صوته وظنوا أنه نام فجعل بعضهم

يتنحنح ليخرج إليهم وفي بعض الروايات فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب... فخرج إليهم مغضباً قال الحافظ والظاهر أن غضبه لكونهم اجتمعوا بغير أمره فلم يكتفوا بالإشارة منهم لكونه لم يخرج إليهم بل بالغوا فحصبوا بابه...[1].

جاء في صحيح البخاري:... عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل في حجرته وجدار الحجرة قصير، فرأى الناس شخص النبي ﷺ فقام أُناس يصلون بصلاته، فأصبحوا فتحدثوا بذلك فقام ليلة الثانية فقام معه أُناس يصلون بصلاته، صنعوا ذلك ليلتين أو ثلاثاً حتى إذا كان بعد ذلك جلس رسول الله ﷺ فلم يخرج فلما أصبح ذكر ذلك الناس فقال: إني خشيت أن تُكتب عليكم صلاة الليل[2].

وفيه أيضاً:... عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان له حصير يبسطه بالنهار ويحتجره بالليل فثاب إليه ناس فصلّوا وراءه.

... عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ اتخذ حجرة قال: حسبت أنه قال من حصير في رمضان فصلى فيها ليالي فصلى بصلاته ناس من أصحابه فلما علم بهم جعل يقعد فخرج إليهم فقال: قد عرفت الذي رأيت من صنيعكم فصلوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة[3].

يقول ابن حجر في شرحه:... فلما أصبح تحدثوا أن النبي ﷺ صلى في المسجد من جوف الليل فاجتمع أكثر منهم... فخرج النبي ﷺ في الليلة الثانية فصلوا معه فأصبح الناس يذكرون ذلك فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله... ولأحمد رواية معمر عن ابن شهاب (امتلأ المسجد حتى اغتص بأهله).

قوله (فلم يخرج)... حتى سمعت ناساً منهم يقولون الصلاة... فقالوا ما شأنه... ففقدوا صوته وظنوا أنه قد نام فجعل بعضهم يتنحنح ليخرج إليهم... فرفعوا أصواتهم وحصبوا

---

(١) موسوعة فتح الملهم مع التكملة لشبير أحمد العثماني، ج٥، ص٩٣ـ٩٤، ح١١٧٨١.

(٢) كتاب الأذان، باب إذا كان بين الإمام وبين القوم حائط.

(٣) نفس المصدر السابق، باب صلاة الليل.

الباب[1].

قوله: فلما أصبح قال: قد رأيت الذي صنعتم... فلما قضى صلاة الفجر أقبل على الناس فتشهَّد ثم قال أما بعد فإنه لم يَخْفَ علي مكانكم... شأنكم... اكلفوا من العمل ما تطيقون... أن الذي سأله عن ذلك بعد أن أصبح عمر بن الخطاب... جابر قال: صلى بنا رسول الله ﷺ في رمضان ثمان ركعات ثم أوتر فلما كانت القابلة اجتمعنا في المسجد ورجونا أن يخرج إلينا حتى أصبحنا... الحديث، فإن كانت القصة واحدة احتمل أن يكون جابر ممن جاء في الليلة الثالثة، فلذلك اقتصر على وصف ليلتين وكذا ما وقع عند مسلم من حديث أنس كان رسول الله ﷺ يصلي في رمضان فجئت فقمت إلى جنبه فجاء رجل فقام حتى كنا رهطاً فلما أحس بنا تجوَّز ثم دخل رحله.

قوله: إلا أني خشيت أن تُفرض عليكم... فتعجزوا عنها... أي تشق عليكم... (فصلوا أيها الناس في بيوتكم) فمنعهم من التجميع في المسجد إشفاقاً عليهم... وفي رواية سفيان بن حسين (خشيت أن يفرض عليكم قيام هذا الشهر) ويقول ابن حجر في آخر كلامه وحديثه:

وفي حديث الباب من الفوائد غير ما تقدَّم ندب قيام الليل ولا سيَّما في رمضان جماعة، لأن الخشية المذكورة أمنت بعد النبي ﷺ ولذلك جمعهم عمر بن الخطاب على أُبي بن كعب[2]!

أقول:

هذه الصلاة التي خشي الرسول الأكرم أن تُكتب على أمته وهي صلاة التراويح فقد سنَّها عمر بعد ذلك وقال: نِعْمَ البدعة هذه وجمع الناس عليها وجعلها جماعة وهذه الصلاة يصليها العامة إلى يومنا هذا.

ثم لماذا ظنوا أنه قد نام؟ أليس من المحتمل أنه يُوحَى إليه كما زعموا ذلك؟! فاقرأ معي أخي الكريم ما جاء في البخاري في كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب:

---

(١) النبي الأكرم نهى عن الخذف وهو الحصب خوفاً من أن تأخذ عين أو سن أحد.

(٢) فتح الباري، ج٣، ص١٦ـ١٩، ح١١٢٩، كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ قيام الليل.

... كان النبيﷺ إذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ، لأنا لا ندري ما يحدث له في نومه.

يقول ابن حجر: أي من الوحي. كانوا يخافون من إيقاظه قطع الوحي، فلا يوقظونه لاحتمال ذلك[1]!

يقول ابن حجر: فرفعوا أصواتهم أملاً أن يسمعهم النبي فيخرج غليهم.

أقول:

ألم يأمرنا الله سبحانه وتعالى بعدم رفع أصواتنا في حضرة النبي الأكرم.

عن ابن أبي مليكه قال كاد الخيّران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبيﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر ما أردت إلا خلافي قال ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ الحجرات/٢ الآية قال ابن الزبير فما كان عمر يسمع رسول اللهﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه...[2].

أقول:

بعد نزول هذه الآيات الكريمة لماذا لم يتأدب المؤمنون مع رسولهم الأكرم؟!

واعلم أخي الكريم أن هذه الآيات من سورة الحجرات نزلت في سنة تسع من الهجرة الشريفة أي أواخر أيام النبيﷺ ثم كل هذه المدة الطويلة من مصاحبتهم للرسول الأعظم ألم تكن كافية للتخلق بأدب الحديث معه ولا تنسى أخي الكريم فعند الخلاف وأثناء الجدال والمعارضة أو ما أشبه غالباً يكون رفع الصوت مصاحباً لهما.

ويقول ابن حجر أيضاً: فرفوا أصواتهم وحصبوا الباب فماذا يقول البخاري في صحيحه:... عن عبدالله بن مغفل المزني إني ممن شهد الشجرة نهى النبيﷺ عن

---

(١) فتح الباري، ج١، ص٥٦١، ح٣٤٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾.

الخذف[1].

الخذف وهو رمي الحصى على الغير وذلك خوفاً من أن تؤخذ عين الإنسان وفي رواية أيضاً عن عبدالله بن مغفل المزني قال نهى النبيﷺ عن الخذ وقال إنه لا يقتل الصيد ولا ينكأ العدو وإنه يفقأ العين ويكسر السن[2].

يتبين لنا أيضاً أن المسجد لم يكن مفروشاً بشيء وأن المسلمين كانوا يسجدون على التراب لذا قام الصحابة بحصب الباب من تراب المسجد وحصاه، فتأمل.

وجاء في صحيح البخاري أيضاً:... عن عبدالرحمن بن عبدالقاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطابﷺ ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عَزَمَ فَجَمَعَهُم على أُبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر نِعْمَ البِدعة هذه! والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله[3].

أقول:

هذه الصلاة لم تكن على زمن النبيﷺ ولا زمن أبي بكر.

جمع عمر المسلمين على قارئ واحد، وهو أُبي بن كعب، وجعلها صلاة جماعة وقال مقولته المشهورة (نعم البدعة هذه)!

ومعنى البدعة: هي إحداث أمر لم يكن في زمن النبي صلوات الله وسلامه عليه وآله.

يقول السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء: أن عمر بن الخطاب أول من سَنَّ قيام شهر رمضان[4].

إضافة إلى أنها بدعة! فهم مختلفون في عدد ركعاتها، فمنهم من يقول: إنها إحدى

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب النهي عن الخذف.

(٣) كتاب الصوم، باب فضل من قام رمضان.

(٤) ص١٣٦، أوليات عمر، ط١/١٣٧١هـ، مطبعة السعادة، مصر.

عشرة ركعة! ومنهم من يقول: ثلاث عشرة ركعة! ومن يخالفهم يقول: إنها ثلاث وعشرون ركعة! وست وثلاثون ركعة! ومنهم من يقول إنها تسع وثلاثون ركعة! وإحدى وأربعون ركعة! ومنهم من يقول أكثر أو أقل!

وهذا الخلاف بين أهل العامة في هذه الصلاة التي لم يأمرنا الله تعالى بقيامها جماعة ولم يسنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنا.

يقول ابن أبي الحديد: أن أمير المؤمنين عليه السلام لما اجتمعوا إليه بالكوفة فسألوه أن ينصب لهم إماماً يصلي بهم نافلة شهر رمضان، زجرهم وعرفهم أن ذلك خلاف السنة فتركوه واجتمعوا لأنفسهم وقدموا بعضهم، فبعث إليهم ابنه الحسن عليه السلام فدخل عليهم المسجد ومعه الدرة فلما رأوه تبادروا الأبواب وصاحوا: واعمراه[1]!!

وذكر صاحب الوسائل فقال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن قال: قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمدين لخلافه، فاتقين لعهده، مغيرين لسنته، ولو حملت الناس على تركها لتفرق عني جندي حتى أبقى وحدي أو قليل من شيعتي، إلى أن قال: والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة، وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام غُيّرت سنة عمر!! ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً! وخفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري[2]!!

لاحظ قولهم في جملة (غُيّرت سنة عمر) ولم يقولوا سنة النبي، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن عمر بن الخطاب هو الذي سن هذه البدعة!

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ النساء:١١٥.

---

(١) شرح نهج البلاغة، المجلد٦، ج١٢، ص٢٨٣، الطعن العاشر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١٩٦٦م، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي، ج٨، ص٤٦ـ٤٧، كتاب الصلاة، باب عدم جواز الجماعة في صلاة النوافل في شهر رمضان ولا في غيره، ط١/١٤١٣هـ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت.

باب ما روي فيمن نام الليل

٢٤٤. ... عن أبي وائل عن عبدالله قال ذكر عند رسول الله ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح قال ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه أو قال في أذنه.

قال الأستاد الدكتور لاشين: يحرص الشيطان على الحيلولة دون أداء العبد لعبادته فقد أقسم على إغواء بني آدم ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ الأعراف/١٦ـ ١٧.

إنه يتفنن في تزيين الكسل والخمول لمن يعتزم عبادة الله، يثبط العزائم ويسوف ويستدرج وبخاصة عند النوم ليجتمع له مع إغوائه شهوة النفس وميلها إلى النوم إذا أراد المسلم أن يلي الليل قبل أن ينام وسوس له وأتاه من زاوية الحق المراد به باطل يقول له قيام الثلث الأخير أفضل فنم ثم قم ويؤكد له القدرة على القيام ويقسم له أن ذلك سيكون وأنه من السهل اليسير فإذا نام أثقل أذنيه حتى لا يسمع صوتاً موقظاً أو منبهاً وأوثق تغميض عينيه وعقد على عقله ثلاث عقد ليغلق عليه اليقظة والانتباه....

إلى أن يقول الأستاذ: حتى إذا فات وقت الصلاة وضاعت الفرصة على المسلم وتحقق للشيطان ما أراد بال في أذن صاحبه سخرية منه واستهزاءً...[1].

راجع كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة من كتابنا هذا.

---

(١) فتح المنعم، ج٣، ص٥٧٢، ح١٥٦٩.

٢٤٥. ... عن الزهري عن علي بن حسين أن الحسين بن علي حدثه عن علي بن أبي طالب أن النبيﷺ طرقه وفاطمة فقال ألا تصلون فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول اللهﷺ حين قلت له ذلك ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين:

(طرقه وفاطمة) الطرق الإتيان بالليل أي أتاهما ليلاً.

(فقال ألا تصلون) عرض برفق أو عتب برفق أن وجدهما نائمين لم يصليا صلاة الليل.

(إنما أنفسنا بيد الله) أي أرواحنا يقبضها الله عند النوم.

(سمعه وهو مدبر يضرب فخذه وهو يقول ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ الكهف/٥٤... معناه أنه تعجب من سرعة جوابه وعدم موافقته له على الاعتذار بهذا ولهذا ضرب فخذه....

ويقول: وأعتقد أن الرسولﷺ لم يعجب بالجواب ولم يقبل العذر وإنما أسف للموقف الذي وقفه علي ولم يرض بالعذر الذي اعتذر به...[1].

راجع كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة من كتابنا هذا.

---

(١) فتح المنعم، ج٣، ص٥٧٣، ح١٥٧٠.

باب استحباب صلاة النافلة

٢٤٦.... عن زيد بن ثابت قال احتجر رسول الله ﷺ حجيرة بخصفة أو حصير فخرج رسول الله ﷺ يصلي فيها قال فتتبع إليه رجال وجاءوا يصلون بصلاته قال ثم جاءوا ليلة فحضروا وأبطأ رسول الله ﷺ عنهم قال فلم يخرج إليهم فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب فخرج إليهم رسول الله ﷺ مغضباً فقال لهم رسول الله ﷺ ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم فعليكم بالصلاة في بيوتكم فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة.

باب فضيلة العمل الدائم

٢٤٧.... عن عائشة أنها قالت كان لرسول الله ﷺ حصير وكان يحجره من الليل فيصلي فيه فجعل الناس يصلون بصلاته ويبسطه بالنهار فثابوا ذات ليلة فقال يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دُووِمَ عليه وإن قَلَّ وكان آل محمد ﷺ إذا عملوا عملاً أثبتوه.

راجع كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح.

باب الأمر بتعهد القرآن

٢٤٨. ... عن هشام عن أبيه عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقرأ من الليل فقال ي ﷻ لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتها من سورة كذا وكذا.

٢٤٩. ... عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت كان النبي ﷺ يستمع قراءة رجل في المسجد فقال ﷻ لقد أذكرني آية كنت أنسيتها.

يقول الإسلامبولي في كتابه تحرير العقل: الملاحظ من شرح ونقاش الحديث أن حالة النسيان والخطأ قد أصابت رسول الله بمادة الوحي وهي القرآن وذلك مخالف بشكل صريح وقطعي لمقام النبوة كونه معصوماً عن الخطأ في عملية تأدية الوحي إلى الناس الذي يقتضي منه حفظه دون نسيان لأنه المرجع لذلك حين الاختلاف ولا يمكن أن ينعكس الوضع إذ يصبح الصحابة أو جزء منهم هم المرجع لرسول الله ليعلم ويتذكر آيات القرآن!!

والحديث يتصادم بشكل صريح مع الحقائق التالية:

١. قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ الأعلى/٦ فكيف نسي الرسول؟ هل الخبر القرآني كذب وغير صحيح أم الحديث المذكور باطل لتصادمه مع مقام النبوة والوحي؟!!

٢. قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ القيامة/١٦ـ ١٧.

٣. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر/٩.

٤. لو لم يقرأ هذا الصحابي في تلك الليلة هذه الآية هل تغدو الآية بحكم النسيان والضياع؟!

٥. الذي ينسى آية من الممكن أن ينسى آيات.

٦. الذي ينسى ويتذكر، ممكن أن ينسى ولا يتذكر!!

هذا كله يدل بشكل مؤكد وجازم على بطلان الحديث المذكور أعلاه والذي وضعه إنما يقصد به التشكيك في صحة القرآن وحفظه، فالنبي لا ينسى أو يخطئ في عملية تبليغ وحفظ مادة الوحي لأن ذلك قوام النبوة ومفهوم العصمة(١).

قال ابن حجر: قال الإسماعيلي: النسيان من النبيﷺ لشيء من القرآن يكون على قسمين:

أحدهما: نسيانه الذي يتذكره عن قرب! وذلك قائم بالطباع البشرية وعليه يدل قولهﷺ في حديث ابن مسعود في السهو (إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون)!

والثاني: أن يرفعه الله عن قلبه على إرادة نسخ تلاوته وهو المشار إليه بالاستثناء في قوله تعالى ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

قال: فأما القسم الأول فعارض سريع الزوال الظاهر قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، وأما الثاني، فداخل في قوله تعالى ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾...(٢).

أقول:

النبي الكريم ينسى آيات من القرآن الكريم وهو بحاجة إلى مَن يُذَكِّرُه بها!

إذن.. أهل العامة يُجَوِّزون النسيان على الأنبياء عموماً!

لقد تمادى أهل العامة في مَهانة رسولنا الأكرم حيث قالوا إن النبي سجد سجدة السهو!

إنه قبل تكبيرة الإحرام والشروع في الصلاة تَذَكَّرَ أنه جُنُب ولم يغتسل!

---

(١) تحرير العقل من النقل لسامر إسلامبولي، ص٢١٣، قراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم، ط الأوائل، دمشق.

(٢) فتح الباري، ج٩، ص٨٦، ح٥٠٣٩، كتاب فضائل القرآن، باب نسيان القرآن.

وإنه يُخَيَّل إليه أنه صنع شيئاً ولم يصنعه! أي أنه تَأَثَّر بالسِّحر!

فإذا كان الرسول الأكرم ينسى من القرآن الذي نزل عليه وجاء به فكيف بالعوام؟!

وسوف تلاحظ التناقض وعدم التوفيق بين هذه الروايات واقرأ معي الروايات القادمة.

٢٥٠. حدثنا ابن نمير حدثنا أبي وأبو معاوية ح وحدثنا يحيى بن يحيى واللفظ له قال أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق قال قال عبدالله تعاهدوا هذه المصاف وربما قال القرآن فلهو أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم من عقله قال وقال رسول الله ﷺ لا يقل أحدكم نسيت آية كيت وكيت بل هو نُسِّي.

٢٥١. وحدثني محمد بن حاتم حدثنا محمد بن بكر أخبرنا ابن جريج حدثني عبدة بن أبي لبابة عن شقيق بن سلمة قال سمعت ابن مسعود يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول بئسما للرجل أن يقول نسيت سورة كيت وكيت أو نسيت آية كيت وكيت بل هو نُسِّي.

٢٥٢. حدثنا عبدالله بن براد الأشعري وأبو كريب قالا حدثنا أبو أسامة عن بريد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها ولفظ الحديث لابن براد.

قال القرطبي في شرحه: إن نسيان القرآن إنما يكون لترك تعاهده وللغفلة عنه كما أن حفظه إنما يثبت بتكراره والصلاة به، كما قال في حديث ابن عمر إذا قام صاحب القرآن يقرأه بالليل والنهار ذكره وإن لم يقم به نسيه فإذا قال الإنسان نسيت آية كيت فقد شهد على نفسه بالتفريط وترك معاهدته له وهو ذنب عظيم كما قال في حديث أنس الذي خرجه الترمذي مرفوعاً (عرضت علي أعمالكم فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها)[1].

أقول:

إن أهل العامة يطعنون بالنبي الأكرم من حيث لا يشعرون فأقول للقرطبي إن جميع ما ذكرته ينطبق انطباقاً جيداً على النبي الأعظم ﷺ!!

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأحمد بن عمر القرطبي، ج٢، ص٤١٩، ح٦٦٥، كتاب الصلاة، باب الأمر بتعاهد القرآن وذم من فرط فيه حتى نسي.

قال ابن حجر: واختلف السلف في نسيان القرآن! فمنهم من جعل ذلك من الكبائر! وأخرج أبو عبيد... قال: ما من أحد تعلم القرن ثم نَسِيَه إلا بذنب أَحدَثَه لأن الله يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ الشورى:٣٠!! ونسيان القرآن من أعظم المصائب!

واحتجوا أيضاً بما أخرجه أبو داود والترمذي... عُرِضت علي ذنوب أُمتي فلم أرَ ذنباً أعظم من سورة من القرآن أُوتيها رجل ثم نَسيها!

كنا نعد من أعظم الذنوب أن يَتَعَلَّم الرجل القرآن ثم ينام عنه حتى ينساه!!

قال ابن حجر: وإسناده جيد!

ويقول ابن حجر أيضاً: واحتج (الروياني) بأن الإعراض عن التلاوة يتسبب عنه نسيان القرآن!

ونسيانه يدل على عدم الاعتناء به والتهاون بأمره[1]!

أقول:

أقل ما يقال في ذلك: كيف نوفق بين هذه الروايات وقول ابن حجر وبين الروايات التي مرت عليك في الصفحات السابقة؟! أنصفونا في ذلك!

إن ابن حجر (والروياني) ذكرا أن النبي الأكرم كان متهاوناً بالقرآن ولم يعتن به ولم يداوم على قرائته، لذا نسي آيات منه!!

نعم، هذا ما يريد قوله ابن حجر وصاحبه الروياني.

راجع ما قبله.

---

(١) فتح الباري، ج٩، ص٨٦، ح٥٠٣٩.

باب فضل استماع القرآن

٢٥٣.... عن عبدالله قال قال لي رسول الله ﷺ اقرأ علي القرآن قال فقلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل قال إني أشتهي أن أسمعه من غيري فقرأت النساء حتى إذا بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ رفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل.

٢٥٤.... عن إبراهيم قال قال النبي ﷺ لعبدالله بن مسعود اقرأ علي قال أقرأ عليك وعليك أنزل قال إني أحب أن أسمعه من غيري قال فقرأ عليه من أول سورة النساء إلى قوله ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ فبكى قال مسعر فحدثني معن عن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه عن ابن مسعود قال قال النبي ﷺ شهيداً عليهم ما دمت فيهم أو ما كنت فيهم شك مسعر.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه فتح المنعم: إن رسول الله ﷺ يدعو أجود القراء عبدالله بن مسعود ليقرأ على النبي ﷺ ويقول اقرأ علي فيعجب ابن مسعود أن يطلب صاحب الشيء الشيء نفسه من غيره وهو الذي يؤخذ عنه لا أن يأخذه هو من غيره فيقول أقرأ عليك وعليك أنزل فيقول ﷺ نعم لأنني أحب أن أسمعه من غيري...[1].

لاحظ أخي القارئ أن النبي الأكرم يحب أن يسمع القرآن من غيره ولكن ليس من

---

(١) ج٣، ص٦١٣، ح١٦١٦ و١٦١٨.

أي شخص بل من عبدالله بن مسعود فقط، فالسؤال هنا لماذا لم يشرك أبو بكر عبدالله بن مسعود في جمع القرآن؟!

ولماذا لم يطلب أبو بكر مصحف ابن مسعود. وهل أن تلك المصاحف التي جمعها زيد وبأمر أبي بكر كانت تختلف عن مصحف ابن مسعود وهل أن مصحف ابن مسعود غير مرغوب فيه؟! لذا ترى أبا بكر وأعوانه قد همشوا مصحف ابن مسعود وإن كان مصحف ابن مسعود يختلف عن بقية المصاحف التي جمعها زيد فأيها أصح وأضبط؟! والنبي الأكرم يحب أن يسمع القرآن من ابن مسعود خاصة كما ذكرنا، فهل يعقل أن في مصحفه وحفظه خللاً!!

وسوف نوافيك لاحقاً بالمزيد ونضع النقاط على الحروف وفي محله بالنسبة لجمع القرآن وأن أبا بكر أمر زيد بن ثابت بجمع القرآن كما تدعي العامة ذلك، ولكي نصل إلى ما نرجوه فابق معنا.

٢٥٥. ... عن عبدالله قال كنت بحمص فقال لي بعض القوم اقرأ علينا فقرأت عليهم سورة يوسف قال فقال رجل من القوم والله ما هكذا أنزلت قال قلت ويحك والله لقد قرأتها على رسول الله ﷺ فقال لي أحسنت فبينما أنا أكلمه إذ وجدت منه ريح الخمر قال فقلت أتشرب الخمر وتكذب بالكتاب لا تبرح حتى أجلدك قال فجلدته الحد.

يقول الأستاذ الدكتور موسى لاشين في شرحه: (ان عبدالله بن مسعود) نزل حمص بالشام مع جنود الله غازياً في زمن عمر بن الخطاب فطلب منه الناس أن يقرأ لهم فقد اشتهر عند المسلمين أنه خير القراء أو من خيرهم فقرأ لهم سورة يوسف فلما أتى على آية منها قال رجل من القوم ما هكذا أنزلت فغضب ابن مسعود وقال للرجل ويحك انزجر والله لقد قرأت السورة كلها على رسول الله ﷺ فقال لي أحسنت وكان الرجل المعترض سكران تفوح منه رائحة الخمر فقدمه ابن مسعود للوالي الذي حده حد شارب الخمر...[1].

(كنت بحمص) بلدة مشهورة في بلاد الشام دخلها ابن مسعود غازياً في خلافة عمر بن الخطاب ولم يكن والياً عليها في يوم من الأيام....

---

(١) فتح المنعم، ج٣، ص٦١٣، ح١٦١٩.

(فقال رجل من القوم) قال الحافظ ابن حجر لم أقف على اسمه وقد قيل إنه نهيك بن سنان ولكن لم أر ذلك صريحاً[1].

راجع ما قبله.

(١) نفس المصدر السابق، ص٦١٤.

باب فضل قراءة قل هو الله أحد

٢٥٦.... عن أبي الدرداء عن النبيﷺ قال أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن قالوا وكيف يقرأ ثلث القرآن قال قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن.

٢٥٧.... عن أبي هريرة قال قال رسول اللهﷺ احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن فحشد من حشد ثم خرج نبي اللهﷺ فقرأ قل هو الله أحد ثم دخل فقال بعضنا لبعض إني أُرى هذا خبر جاءه من السماء فذاك الذي أدخله ثم خرج نبي اللهﷺ فقال إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا إنها تعدل ثلث القرآن.

٢٥٨.... عن أبي هريرة قال خرج إلينا رسول اللهﷺ فقال أقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ قل هو الله أحد الله الصمد حتى ختمها.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين:... وقد حمله بعض العلماء على ظاهره فقال: إنها ثلث باعتبار معاني القرآن لأنه أحكام وأخبار وتوحيد، وقد اشتملت هي على القسم الثالث فكانت ثلثاً بهذا الاعتبار ويؤيد هذا المفهوم رواية (إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ جزءاً من أجزاء القرآن).

وقال القرطبي: اشتملت هذه السورة على اسمين من أسماء الله تعالى يتضمنان جميع أوصاف الكمال لم يوجدا في غيرها من السور وهما الأحد الصمد لأنهما يدلان على أحدية الذات المقدسة الموصوفة بجميع أوصاف الكمال وبيان ذلك أن الأحد يشعر بوجوده الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره والصمد يشعر بجميع أوصاف الكمال لأنه الذي

انتهى إليه سؤدده فكان مرجع الطلب منه وإليه ولا يتم ذلك على وجه التحقيق إلا لمن حاز جميع خصال الكمال وذلك لا يصلح إلا لله تعالى فلما اشتملت هذه السورة على معرفة الذات المقدسة كانت بالنسبة إلى تمام المعرفة بصفات الذات وصفات الفعل ثلثاً. انتهى.

وقال غيره: تضمنت هذه السورة توجيه الاعتقاد، وصدق المعرفة، وما يجب إثباته لله تعالى من الأحدية المنافية لمطلق الشرك والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص ونفي الولد والوالد المقرر لكمال المعنى ونفي الكفء المتضمن لنفي الشبيه والنظير وهذه مجامع التوحيد الاعتقادي لذلك عادلت ثلث القرآن ومنهم من حمل المعادلة على تحصيل الثواب فقال: معنى كونها ثلث القرآن أن ثواب قراءتها يحصل للقارئ مثل ثواب من قرأ ثلث القرآن...[1].

يقول أهل العامة أن القرآن لم يكن مجموعاً زمن النبي الأكرم بل إن أبا بكر هو الذي قام بجمعه بعد أن جلس على دكة الحكم.

وقول النبي بأن سورة قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن لهو دليل على أن القرآن كان مجموعاً وكذلك قبل وفاته ﷺ وحين طلب من الصحابة الدواة والكتف وقال هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده قال عمر إن النبي غلب عليه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله[2].

فقول عمر حسبنا كتاب الله أيضاً دليل على أن القرآن كان مجموعاً في زمن النبي والأدلة على أن القرآن كان مجموعاً كثيرة جداً وقد ذكرناها في كتابنا كيف ومتى جمع القرآن فراجع إن شئت ذلك فإن فيه ما يثلج صدرك وكذلك راجع كتابنا كشف المتواري في صحيح البخاري الذي صدر قريباً في حلته الجديدة وطبعته الأنيقة، الجزء الأول منه، حديث رقم ٢٧٢، ص٤٦٩ من كتاب الجهاد والسير باب قول الله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)، ط١/١٤٢٨هـ، مؤسسة البلاغ، بيروت.

وسوف نوافيك بالمزيد فابق معنا.

---

(١) فتح المنعم، ج٣، ص٦٢٤، ح١٦٣٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب كراهية الخلاف.

باب ما يتعلق بالقرآن

٢٥٩.... عن علقمة قال قدمنا الشام فأتانا أبو الدرداء فقال أفيكم أحد يقرأ على قراءة عبدالله فقلت نعم أنا قال فكيف سمعت عبدالله يقرأ هذه الآية ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ قال سمعته يقرأ والليل إذا يغشى والذكر والأنثى قال وأنا والله هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها ولكن هؤلاء يريدون أن أقرأ وما خلق فلا أتابعهم.

٢٦٠.... عن علقمة قال لقيت أبا الدرداء فقال لي ممن أنت قلت من أهل العراق قال من أيهم قلت من أهل الكوفة قال هل تقرأ على قراءة عبدالله بن مسعود قال قلت نعم قال فاقرأ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ قال فقرأت ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ والذكر والأنثى قال فضحك ثم قال هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها.

قال النووي في شرحه:... قوله (عن عبدالله بن مسعود وأبي الدرداء أنهما قرآ والذكر والأنثى) قال القاضي قال المازري يجب أن يعتقد في هذا الخبر وما في معناه أن ذلك كان قرآنا ثم نسخ ولم يعلم من خالف النسخ فبقي على النسخ قال ولعل هذا وقع من بعضهم قبل أن يبلغهم مصحف عثمان المجمع عليه المحذوف منه كل منسوخ وأما بعد ظهور مصحف عثمان فلا يظن بأحد منهم أنه خالف فيه وأما ابن مسعود فرويت عنه روايات كثيرة منها ما ليس بثابت عند أهل النقل وما ثبت منها مخالفاً لما قلناه فهو محمول على أنه كان يكتب في مصحفه بعض الأحكام والتفاسير مما يعتقد أنه ليس بقرآن وكان لا يعتقد تحريم ذلك وكان يراه كصحيفة يثبت فيها ما يشاء وكان رأي عثمان والجماعة منع

ذلك لئلا يتطاول الزمان ويظن ذلك قرآنا...[1].

ويقول الأستاذ الدكتور لاشين: سأل أبو الدرداء علقمة أن يقرأ له سورة الليل على قراءة ابن مسعود فقرأها له فضحك وسر وظن أنه بذلك قد وجد ما يوثقه ويصحح قراءته لكن هذا وذاك كانا مخالفين للإجماع قارئين بما لا يجوز القراءة به وهكذا كانت مصاحف عثمان رضي الله عنه حكماً وحجة على المسلمين في تلقي القرآن الكريم[2].

ويقول: (لقيت أبا الدرداء فقال لي: ممن أنت إلى آخره...) فأتانا أبو الدرداء فقال أفيكم أحد يقرأ؟... وفي رواية (فجاء رجل فجلس إلى جنبي ثم قال أتحفظ) وفي ظاهر هذه الروايات تعارض أسأل القوم عمن يقرأ منهم؟ أم سأله عن القراءة ابتداءاً؟ أم سأله عن بلده؟ ويمكن تصوير الحالة بأنه علقمة وصحبه قدموا الشام وأنهم دخلوا المسجد وصلوا ثم جلسوا في الحلقة ودخل أبو الدرداء نحو الحلقة ورأى جماعة غريبة يلبسون ملابس أهل العراق وهو يتلهف على قارئ من أهل العراق يستوثق منه عما يحفظ فاتجه نحوهم وجلس بجنب علقمة وقال لهم أفيكم أحد يقرأ، قال علقمة أنا، قال له أبو الدرداء: ممن أنت، إلى آخره.

الاعتماد في القرآن الكريم على التلقي والأخذ عن الحفاظ، ففي عهد رسول الله ﷺ كان الصحابة حريصين على الأخذ من فم رسول الله ﷺ بدون واسطة ومن لم يستطع منهم ذلك أخذ عمن أخذ عن النبي ﷺ وقد اشتهر في كل طبقة من طبقات الأمة جماعة بحفظ القرآن وتحفيظه ولما كان الصحابة قد اختلف أخذهم عن النبي ﷺ ثم انتشروا في الأمصار اختلف تبعاً لذلك أخذ التابعين عنهم ثم تفرغ قوم للقراءات يضبطونها ويعنون بها ويعلمونها ثم ألف في القراءات كعلم بعد ذلك.

وقد وضع العلماء ضوابط للقراءة الصحيحة فقالوا كل قراءة وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً ووافقت العربية ولو بوجه وصح إسنادها إلى رسول الله ﷺ فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها سواء كانت عن السبعة أم عن غيرهم وكل قراءة اختل منها ركن من هذه الأركان الثلاثة فهي الشاذة.

---

(١) المجلد ٣، ج٦، ص٣٥٧، ح٨٢٤.

(٢) فتح المنعم، ج٤، ص٢٣، ح١٦٥٧ و١٦٥٩.

ولما كانت قراءة عبدالله بن مسعود سورة الليل بحذف (وما خلق) وهو ثابت في جميع المصاحف العثمانية، كانت شاذة لا تصح القراءة بها...[1].

قال ابن حجر: قدم أصحاب عبدالله أي ابن مسعود على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم فقال أيكم يقرأ على قراءة عبدالله قالوا كلنا قال فأيكم أحفظ وأشاروا إلى علقمة.

قوله كيف سمعته أي ابن مسعود يقرأ والليل إذا يغشى؟

قال علقمة... فقرأت والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى.

وهذا صريح بأن ابن مسعود كان يقرؤها كذلك!

قوله: وهؤلاء ـ أي أهل الشام ـ يريدونني على أن أقرأ وما خلق الذكر والأنثى. والله لا أتابعهم[2].

ثم لماذا نطعن في هذا الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ولماذا نطعن في حفظه ولو بالإشارة، ثم ألم يقل النبي الأكرم في حقه (استقرئوا القرآن من أربعة...) فبدأ بعبدالله بن مسعود[3].

ألم يقل الرسول الأعظم (خذوا القرآن من أربعة، من ابن أم عبد...) فبدأ به[4].

ألم يقل فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من أحب أن يسمع القرآن غضاً فليسمعه من ابن أم عبد)[5].

ويقول القرطبي أيضاً:... عن شقيق ابي وائل سمعت ابن مسعود يقول: إني لأعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم وما في كتاب الله سورة ولا آية إلا وأنا أعلم فيما نزلت ومتى نزلت قال أبو وائل فما سمعت أحداً أنكر ذلك عليه وقال حذيفة لقد علم المحفظون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن عبدالله بن مسعود كان من أقربهم وسيلة وأعلمهم بكتاب الله.

وروى علي بن المديني قال حدثنا سفيان حدثنا جامع بن أبي راشد سمع حذيفة

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٢٤.

(٢) فتح الباري، ج٨، ص٧٨٠، ح٤٩٤٤.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر القرطبي، ج٣، ص١١٢، ترجمة١٦٧٧.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) نفس المصدر السابق، ص١١٣.

يحلف بالله ما أعلم أحد أشبه دلاً وهدياً برسول الله ﷺ من حيث يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه من عبدالله بن مسعود ولقد علم المحفظون من أصحاب محمد ﷺ أنه من أقربهم وسيلة إلى الله يوم القيامة.

قال علي: وقد روى هذا الحديث الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة حدثنا محمد بن عبيد حدثنا الأعمش عن شقيق قال سمعت حذيفة يقول إن أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتاً بمحمد ﷺ عبدالله بن مسعود من حين يخرج إلى أن يرجع لا أدري ما يصنع في بيته ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن عبدالله من أقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة[1].

ويقول: وروى وكيع وجماعة معه عن الأعمش عن أبي ظبيان قال قال لي عبدالله بن عباس أي القرائتين نقرأ؟ قلت القراءة الأولى قراءة ابن أم عبد فقال أجل هي الآخرة إن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبرائيل في كل عام مرة فلما كان العام الذي قبض فيه رسول الله ﷺ عرضه عليه مرتين فحضر ذلك عبدالله فعلم ما نسخ من ذلك وما بدل.

وروى أبو معاوية وغيره عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال جاء رجل إلى عمر وهو بعرفات فقال جئتك من الكوفة وتركت بها رجلاً يحكي المصحف عن ظهر قلبه فغضب عمر غضباً شديداً وقال ويحك ومن هو؟ قال عبدالله بن مسعود قال فذهب عنه ذلك الغضب وسكن وعاد إلى حاله وقال والله ما أعلم من الناس أحداً هو أحق بذلك منه وذكر تمام الخبر.

وبعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفة مع عمار بن ياسر وكتب إليهم إني قد بعثت إليكم بعمار بن ياسر أميراً وعبدالله بن مسعود معلماً ووزيراً وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر فاقتدوا بهما واسمعوا من قولهما وقد آثرتكم بعبدالله بن مسعود على نفسي.

وقال فيه عمر كنيف ملئ علما.

وسئل علي رضي الله عنه عن قوم من الصحابة منهم عبدالله بن مسعود فقال: أما ابن مسعود

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١١٤.

فقرأ القرآن وعلم السنة وكفى بذلك[1].

ويقول: وروى الأعمش عن شقيق أبي وائل قال لما أمر عثمان في المصاحف بما أمر قام عبدالله بن مسعود خطيباً فقال أيأمروني أن أقرأ القرآن على قراءة زيد بن ثابت؟! والذي نفسي بيده لقد أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة وإن زيد بن ثابت لذو ذؤابة يلعب به الغلمان والله ما نزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل وما أحد أعلم بكتاب الله مني ولو أعلم أحد تبلغنيه الإبل أعلم بكتاب الله مني لأتيته ثم أستحى مما قال فقال وما أنا بخيركم قال شقيق فقعدت في الحلق فيها أصحاب رسول الله ﷺ فما سمعت أحداً أنكر ذلك عليه ولا رد ما قال[2].

وأخيراً، هذه الروايات التي ذكرناها في أول البحث صريحة في وقوع التحريف وقول النووي والمازري بأن ابن مسعود قد رويت عنه روايات كثيرة منها ما ليس بثابت مخالفاً لما قرأناه وما ذكره القرطبي في الاستيعاب، فقول المازري والنووي لا يصح عن هذا الصحابي الجليل، وما ذكره المازري والنووي أيضاً أن ذلك كان قرآناً ثم نسخ ولم يعلم من خالف النسخ فبقي على النسخ أيضاً هذا لا يصح وذلك لعدة وجوه، منها ما ذكره القرطبي فإنه يفند هذا الادعاء ومنه أن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبرائيل في كل عام فلما كان العام الذي قبض فيه رسول الله ﷺ عرضه عليه مرتين فحضر ذلك عبدالله فعلم ما نسخ من ذلك وما بدل.

فبناء عليه وعلى ما مر من روايات في شأن علم ابن مسعود بالقرآن يتضح لنا أن هذا الصحابي هو أعلم الصحابة.

الوجه الثاني: قال النبي ﷺ لعبدالله بن مسعود (اقرأ علي) قال أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري، قال: فقرأ عليه من أول سورة النساء إلى قوله ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ فبكى[3].

لاحظ أن النبي يحب أن يسمع القرآن من غيره، ولكن ليس من أي أحد، لا، يحب

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١١٥.

(٢) نفس المصدر السابق، ص١١٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل استماع القرآن.

أن يسمع من ابن مسعود لأنه الحافظ المتقن، هذا بالإضافة إلى صوته الحسن فلو كان يخطئ في آية أو يقرأ آية قد نسخت لما طلب منه النبي أن يقرأ عليه القرآن وفي عدة مرات.

الوجه الثالث: عن عبدالله قال كنت بحمص فقال لي بعض القوم اقرأ علينا فقرأت عليهم سورة يوسف، فقال رجل من القوم والله ما هكذا أُنزلت! قال: قلت ويحك والله لقد قرأتها على رسول اللهﷺ فقال لي أحسنت، فبينما أنا أكلمه إذ وجدت منه ريح الخمر قال فقلت أتشرب الخمر وتُكَذِّب بالكتاب لا تبرح حتى أجلدك قال فجلدته الحد[1].

إن أهل الشام كان قد وصل خبر ابن مسعود إليهم بأنه أقرأ القراء لكتاب الله وصوته حسن ومن صحابة النبي الأكرم والمقربين إليه وكان النبي الأكرم من المحبين للاستماع إلى قراءة هذا الصحابي وكان لصيقاً به وعالماً بالناسخ والمنسوخ إلى آخر ما هنالك من فضائل هذا الصحابي وكان صيته قد شاع في الشام وعندما قرأ عليهم الآيات خالفه أحدهم في قوله والله ما هكذا أنزلت فأجابه ابن مسعود بالذي مر عليك، وعندما علم أن هذا الشامي كان قد شرب الخمر شكاه إلى الوالي فقام الوالي بجلده مباشرة!

فنستنتج من ذلك أن ابن مسعود كان ثقة عند القوم ومحترماً ومقدراً من الجميع لذا أخذ الوالي كلام ابن مسعود على محمل الجد وصدقه في شكواه وأقام الحد على ذلك الشامي.

وأخيراً أقول:

ليس كل ما صح سنده صح متنه فالرواية تعاني من خلل، والخلل واضح وبين! وهو إما أن نقول أن الصحابي عبدالله بن مسعود لم يصح عنه أنه كان يقرأ الآية المذكورة كما في الرواية من دون (وما خلق) والنقل عنه غير صحيح ومدسوس، وإما أن نكذب جميع الفضائل التي جاءت فيه ومنها ما ذكره القرطبي وغيره.

والأمر الأول هو الأولى في الأخذ به.

---

(١) نفس المصدر السابق.

فهرس الجزء الأول

مقدمة صحيح مسلم ١٩
باب في التحذير من الكذب على رسول الله (ص)..... ١٩
باب في الضعفاء والكذابين ٢١
باب في أن الإسناد من الدين ٢٣
باب الكشف عن معايب رواة الحديث..... ٢٤
كتاب الإيمان..... ٣١
باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ٣١
باب أول الإيمان..... ٣٩
باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه..... ٦٧
باب وجوب محبة رسول الله(صلى الله عليه وآله) ٧١
باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان..... ٧٤
باب تفاضل أهل الإيمان ٨٠
باب بيان حال ايمان من رغب عن أبيه..... ٨٣
باب لا ترجعوا بعدي كفاراً..... ٨٦
باب بيان الكبائر..... ٩٥
باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ٩٨
باب كون الإسلام يهدم ما قبله ١١٦

باب بيان الوسوسة في الإيمان ١٢٦
باب الوالي الغاش لرعيته ١٢٨
باب زيادة طمأنينة القلب ١٣٠
باب نزول عيسى ابن مريم ١٣٣
باب بدء الوحي ١٣٧
باب الإسراء ١٤٤
باب في ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال ١٥١
باب في ذكر سدرة المنتهى ١٥٤
باب في قوله عليه السلام نور أنى أراه ١٥٧
باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ١٥٨
باب معرفة طريق الرؤية ١٥٩
باب آخر أهل النار خروجاً ١٦٣
باب أدنى أهل الجنة منزلة ١٧٤
باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ١٧٧
باب في قوله تعالى ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ١٨٢
باب شفاعة النبي(ص) لأبي طالب ١٨٩
باب أهون أهل النار عذاباً ١٩٠
باب موالاة المؤمنين والبراءة من موالاة الكافرين ١٩٢
كتاب الطهارة ٢٠٦
باب صفة الوضوء ٢٠٦
باب آخر في صفة الوضوء ٢٠٧
باب وجوب غسل الرجلين ٢٣٣
باب استحباب إطالة الغرة ٢٣٥
باب الاستطابة ٢٤٥
باب المسح على الخفين ٢٤٨
باب المسح على الناصية والعمامة ٢٥١

باب التوقيت في المسح على الخفين ٢٥٩
باب حكم ولوغ الكلب ٢٦٣
باب حكم المني ٢٦٧
باب غسل المني من الثوب ٢٦٨
باب الدليل على نجاسة البول ٢٧٨
كتاب الحيض ٢٨٠
باب مباشرة الحائض ٢٨٠
باب الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد ٢٨٤
باب المذي ٢٨٥
باب جواز نوم الجنب ٢٨٧
باب القدر المستحب من الماء ٢٩٠
باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض ٢٩٤
باب تستر المغتسل ٢٩٦
باب جواز الاغتسال عرياناً ٢٩٨
باب الاعتناء بحفظ العورة ٣٠١
باب إنما الماء من الماء ٣٠٤
باب نسخ الماء من الماء ٣٠٨
باب التيمم ٣٠٩
كتاب الصلاة ٣١٦
باب بدء الأذان ٣١٦
باب فضل الأذان وهرب الشيطان ٣٢٢
باب إثبات التكبير ٣٢٧
باب وجوب قراءة الفاتحة ٣٣٣
باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة ٣٣٧
باب حجة من قال بالبسملة آية من أول كل سورة ٣٣٩
باب وضع يده اليمنى على اليسرى ٣٦٠

باب الصلاة على النبي ٣٦٦
باب التسميع والتحميد والتأمين ٣٧٦
باب ائتمام المأموم بالإمام ٣٧٨
باب استخلاف الإمام ٣٨١
باب خروج النساء إلى المساجد ٤٠٣
باب الجهر بالقراءة في الصبح ٤٠٧
باب سترة المصلي ٤١١
باب قدر ما يستر المصلي ٤١٣
باب الاعتراض بين يدي المصلي ٤١٥
باب الصلاة في ثوب واحد ٤١٨
كتاب المساجد ٤٢٦
باب مواضع الصلاة ٤٢٦
باب الندب إلى وضع الأيدي على الركب ٤٣٧
باب تحريم الكلام في الصلاة ٤٤١
باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة ٤٤٤
باب جواز الصلاة في النعلين ٤٤٩
باب كراهة الصلاة في ثوب له أعلام ٤٥١
باب نهي من أكل ثوماً ٤٥٥
باب السهو في الصلاة ٤٦٤
باب استحباب تقديم الظهر في أول الوقت ٤٧٥
باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ٤٧٨
باب فصل صلاتي الصبح ٤٨٥
باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها ٤٨٧
باب الرخصة في التخلف ٤٩٧
باب جواز الجماعة في النافلة ٥٠٠
باب من أحق بالإمامة ٥٠١

باب استحباب القنوت في جميع الصلاة ٥٠٤
باب قضاء الصلاة الفائتة ٥٠٧
كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٥١٢
باب صلاة المسافرين ٥١٢
باب قصر الصلاة بمنى ٥١٦
باب جواز الجمع بين الصلاتين في السفر ٥١٧
باب جواز الجمع بين الصلاتين في الحضر ٥١٨
باب استحباب صلاة الضحى ٥٢٦
باب الترغيب في الدعاء ٥٢٨
باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح ٥٣١
باب ما روي فيمن نام الليل ٥٣٧
باب استحباب صلاة النافلة ٥٣٩
باب فضيلة العمل الدائم ٥٤٠
باب الأمر بتعهد القرآن ٥٤١
باب فضل استماع القرآن ٥٤٥
باب فضل قراءة قل هو الله أحد ٥٤٨
باب ما يتعلق بالقرآن ٥٥٠